ديوان المتنبي

بزياداته

27.9.2019

حققه وضبطه وصنع مقدمته الفريدة
شهاب الدين أبو عمرو

ديوان المتنبي

بزياداته

أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

المتوفى سنة ٣٥٤هـ

صورة عن نسخة أخذت عن نسختين:

١- إحداهما بخط ابن جابن بن الحسن بن المرزبان وهي مصححة على عدة أصول أحدها مقروء على أبي الطيب نفسه وعلى ابن جني أيضاً وفيها تصويبات بخطابه.

٢- والأخرى أثبت فيها عند كل قصيدة ومقطوعة بخط المتنبي: صح.

حققه وضبطه وصنع مقدمته الفريدة

شهاب الدين أبو عمرو

ديوان المتنبي

بزياداته

© هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية.

فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر.

PJ٧٧٥٠ .M٨ ٢٠١٢

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ٩١٥-٩٦٥

ديوان المتنبي بزياداته / أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ـ ط١ - أبوظبي،
هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، ٢٠١٢.

ص؛ سم.

ت د م ك: ٣-٧٧٨-٠١-٩٩٤٨-٩٧٨

١. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ٩١٥-٩٦٥
٢. الشعر العربي ـ العصر العباسي الثاني ـ تاريخ ونقد أ. العنوان

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

إصدارات
esdarat
دار الكتب الوطنية

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن رأي هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (المجمع الثقافي)

أبوظبي ـ الإمارات العربية المتحدة
ص. ب: ٢٣٨٠
publication @adach.ae
www.adach.ae

توطئة

هذا دِيوانُ شاعرِ المُلوكِ ومَلِكِ الشُّعَراءِ، صَيْدَحِ الإعْرابِ وصَيْدَنِ الأَعْرابِ؛ صَنّاجَةِ الضّادِ ولا مَيْمُونَ، وامْرِئ قَيْسِها وقِيَاسِهَا بَعْدَ ابنِ تَمْلِكَ، وأبي حَزْرَتِها وحَزرَاتِها وقَدْ خُطِفَ ابنُ الخَطَفَى؛ صَوّاغِ الأَمادِيحِ ورَوّاغِ الأَقادِيحِ، قُولَةِ الأُدَباءِ وحُولَةِ الأُرباءِ، مُخْتَرِعِ القَصائدِ ومُفْتَرِعِ القَصائرِ: أَبِي طَيِّبٍ جُعْفيٍّ وأَحْمَدِ الكُوفة، المتنبّئ ذِي الصِّيْتِ الصَّيِّتِ الذي «مَلَأَ الدُّنْيا وشَغَلَ النّاسَ» أَحْقاباً لا حِقَباً، ودُهوراً لا شُهوراً ـ وإِنْ اختَرْتَ القَلْبَ بالقَلْبِ وأصْغَرِ الأَصْغَرَيْنِ فَقُلْ مصدَّقاً، لا جُناحَ ولا جِمَاحَ: مَلَأَ النّاسَ وشَغَلَ الدُّنْيا!

وما الدَّهْرُ إلاّ من رُواةِ قَلائِدِي ... إذا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدا

أَجِزْنِيْ إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْراً فإنّما ... بشِعْرِيْ أَتاكَ المادِحُونَ مُرَدَّدا

ودَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِيْ فإنّني ... أنا الصّائحُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى

❋ ❋ ❋

كانَ ذلك في الغابرِ العابرِ، عَصْرَ أَمْجادِ الدُّوَلِ وأَنْجادِ الأُوَلِ، وحَرْسَ الحَرَسِ الحِدَادِ الشِّدَاد، وفي حَواضِرِ الحِضَارةِ وقُصُورِ العَلاءِ لا قُصُورِ العَناء؛ ودَهْرَ البَهْرِ لا وَقْتَ المَقْت، وسِنِيْ السَّنَى لا زَمَنَ الزَّمْنَى، وأَوَانَ العِزّةِ القَعْسَاءِ لا قَعَسِ العَزّاء!! فأمّا وَقَدْ مَرَّ ضَحْكُ الأَدَبِ فانقلَبَ ضُحْكَةً، وانْتَثَرَ عِقْدُ النَّثْرِ وقَرَضَ القَرِيضُ رِبَاطَهُ؛ وعادَ اللَّسَنُ لَكَناً يُرْتَضَخُ فَيُرتضَى، وعُدَّتْ رَطانةُ العجَمِ فَطَانةَ العَجَبِ، وبَهِيَ باللَّغْوِ بَهَاءُ اللُّغَةِ فَصِيحَ بالفَصِيحِ؛ واستُطْرِفَ القَشِيبُ ولو خَشِيباً، واستُرْذِلَ العَتيقُ

ولَوْ عَتيقاً، وذُمَّتْ بَراعةُ اليَراعةِ وغَدَا الجَوازُ للجَهاز، واعْتِيضَ من دَقائِقِ الحَسّابِ رَقائقُ الحاسُوب، وضاعَ في تُرابِ الأَقْدامِ تُراثُ الأَقْدَمِينَ، فسَلِّمْ على الرَّبْعِ مِنْ سَلْمَى بِذِي سَلَم!

فيا مَوْتُ زُرْ، إنَّ الحَيَاةَ ذَميمةٌ ويا نَفْسُ جِدِّي، إنَّ دَهْرَكِ هازِلُ

* * *

قَدْ ـ واللّهِ ـ خانَتْنا فُروجُ الأَصابعِ في القَبْضِ على ماءِ حَياةِ العَرَبيّة، أَفَلا نَغْتَرِفُ من الغُدْرانِ بالرّاحِ قَبْلَ دُلُوكِ بَراحِ؟ وحَلَلْنا في بَني القَيْنِ بن جَسْرٍ فجَسَرَتْ علينا قِيانُهم، حتى نَبَغَتْ لَهُمْ مِنّا شُؤونٌ ولَنا مِنْهُم شُجونٌ، ثُمَّ أَطَعْنا الآمِرِينَ بصَرْمِ سَلْمى البَلاغَةِ فتَرَكْنا الشِّعْرَ بوَحْشِ إِصْمِتَ؛ فهَلاّ عَقَلْنا فعَقَلْنا القُلُصَ بِرَبْعِ عَزّةَ الداثِرِ آيُهُ، وقُلْنا: «أَلاَ انْعِمْ صَباحاً»؟

ما في وُقوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ نَقْضِي ذِمَـامَ الأَرْبُـعِ الأَدْراسِ

* * *

وَرُبَّتَما عاذِلٍ يقُولُ: ما يَحْمِلُكَ عَلى طَبْعَةٍ مُحْدَثَةٍ وأَنْغامُ الطُّنْبُورِ كوامِلُ كوافِلُ، وعَدِيدُهُنَّ فَيْضٌ بلا غَيْضٍ؟

فَلَهُ نَقُولُ: نَعَمْ، اتَّخَمَ ديوانُ المتنبّئ من طَبْعِ المِطْبَعيّ وطَبَعِهِ، وفَغَمَ نَشْرُ نَشْرِهِ العَرانِينَ ـ شُمًّا وفُطْساً ـ فيما قَدُمَ وحَدُثَ، وكُرِّرَ دَفَعاتٍ وحُرِّرَ دَفَقاتٍ في القَرْنِ الأَخِيرِ الأَخِرِ، فماذا كانَ؟ فإنَّ قُرّاءَهُ ـ على ذلك ـ لَيَنْزُرونَ ولا يَغْزُرون، ومَنْ لكَ بالأَيْفاعِ يُطاوِعونَ فيطالِعُون، ويَغْنَوْنَ بالرُّقُومِ عن الرَّقْمِيّ (Digital)، وبالهاتف الخَلَدِيّ عن الهاتِفِ الخَلَوِيّ (Cellular)، وبشُبْكَةِ العِلْم عن الشَّبَكَةِ العالَمِيّة (Internet)!! وإنَّ نُسَخَهُ لَتَناقَصُ وتَناقَضُ، وجُلُّها يَنُوءُ بِسَقَطِ الطَّبْعِ لِسَقَمِ الطِّباعِ، فما يَنْفَعُ الكَثيرُ غَيْرَ أَثِيرٍ؟

جَيْرِ، ما في سِفْرِنا الذي تَصَفَّحُ من جَديدٍ أُنُفٍ غَيْرَ نَوادِرَ نواضِرَ، بَيْدَ أَنَّ في طُلاَهُ طُلاَوةَ الجَمْعِ بَيْنَ المَسْطُور والمَنْضُود: ما خُطَّ بالقلم وما صُفَّ بالطَّبْعِ حُروفاً؛ وَثَمَّ مَزيدُ صِحّةٍ لتَمامِ الضَّبْطِ ودِقّةِ الشَّكْلِ، وتَوْسِعَةٌ على القَرَأَةِ بإِثْبَات اخْتلافِ الرِّوَايَةِ في الحَوَاشِي، بَلْ تحقيقٌ بإنْعام النَّظَرِ في المَتْنِ برُمَّتِه ـ لتقويمِ الخَلَلِ ونَفْيِ الوَهْمِ ـ، وبإِلْحَاقِ زوائِدِ النُّصُوصِ الخالي عنها أَكْثَرُ النُّسَخِ المَطْبوعةِ والمَخْطُوطة.

❋ ❋ ❋

وبَعْدُ، فَدُونَكَ ـ أَيُّها المُطَالِعُ المُطَالِبُ ـ نُسْخَةً مُضعَّفةً غيرَ مُضْعَفةٍ، في جِلْدينِ، فرِيدةً حَرِيدة، غَرّاءَ فَرْعاءَ ولا وَدَاعَ: تَأْتيكَ بشِعْرِ أبي الطيب وَثيقاً وَثيراً، مطبوعاً على المَعْنَيَيْنِ، في تحقيقٍ لم يُرَنِّقْ رَوْنَقَهُ حَوَاشٍ ثِقَالٌ؛ فذلِكَ في أُوْلاهُما، أَوْلاهُما بالقِراءةِ والإِراءَة، وهي المنضودةُ بحرف الطِّباعةِ، الحدِيثةُ المُفردةُ في مجلَّدة؛ وفي المجلَّدةِ الأُخْرىٰ ـ قُدْمَىٰ التَّوْأمتينِ، وهي أُخْتُها المَخْطُوطةُ مصوَّرةً صُورةً طِبْقَ الأَصْلِ، بأدَقِّ التصويرِ وأعْلَى الإخْراجِ الطَّبْعيّ ـ النَّصُّ عَيْنُه بِهَيْئَتِه في نُسْخَتِنا الخَطِّيّة، أَصيلاً بخَطِّه وخَبْطِه، وتَصْحيحِه وتَصْحيفِه، عَتيقاً عَريقاً يَعْلُوهُ من سَوَادِ النِّقْسِ وحُمْرَتِه لَيْلٌ وَشَفَقٌ. وهو ـ لا جَرَمَ ـ بِدْعٌ بَدِيعٌ: فأَيَّهما اخْتَرْتَ اخْتَبَرْتَ، وإن شِئْتَ جَمَعْتَ بَيْنَهُما وجَزَعْتَ بَيْنَهُما، فقَرَأْتَ متفكِّراً وقَرَنْتَ مُتفكِّهاً!

ضِـدّانِ لَـمّا اسْتُجْمِعَا حَسُنَا والـضِّـدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

كتَبَهُ
شهاب الدين أبو عمرو
خامس المحرم سنة ١٤٢٦هـ
سادس عشر شباط سنة ٢٠٠٥م

عمل تحقيق الديوان

النُّسخة الخطية قيمتها ووصفها

لَمْ نَعْتمِدِ النُّسْخَةَ التي استنَدْنا إليها في تحقيق الديوان لتفرُّدِها بشِعْرِ المتنبّي، أوْ لامتيازِها بالقِدَم أَوْ فَوَاقِ الضَّبْطِ وتَمامِ الصِّحَّةِ على نظائرِها؛ فإنَّ نُسَخَهُ ـ مخطوطةً ومطبوعة ـ بعَدَدِ نُجوم السماء، وخَزَائنُ المخطوطاتِ حوافِلُ بما هو أَقْدَمُ عَهْداً وأَصَحُّ نُصوصاً وأَوْثَقُ صَنْعَةً من يَتيمَتِنا هذه. وإنّما اخْتِيرَتْ لخصائصَ لا تَشْرَكُها فيها النُّسَخُ المعتادةُ، وهي مَزَايا جَديرةٌ بالاعتبار، وقِيَمٌ عزيزةٌ قَلَّ أنْ تجتمعَ في نُسْخَةٍ واحِدة:

١ ـ فهي بَدْأَةَ بَدْأَةَ مُتَّصِلةُ الأسانيدِ إلى الشاعرِ نَفْسِهِ، وناهِيكَ من أَمْرٍ يَحْرِصُ عليهِ الأُدَباءُ والمحدِّثُونَ ويَقْدُرونَهُ حَقَّ قَدْرِه. وقد نُقِلَتْ من نُسختينِ: «إحْداهُما مَقْروءةٌ على أبي الطيب، ومَقْروءةٌ أيضاً على ابنِ جِنّيٍّ وفيها تصحيحاتُه بخطِّ يدِه؛ والأُخْرى على كُلِّ قصِيدةٍ منها خَطُّ المتنبي: صَحَّ»، كما ذكَرَهُ الناسخُ في خاتمةِ الديوان (ص ٣٣٢ من المخطوطة). وهذا وَحْدَهُ كافٍ لتقديمِها على أَخَواتِها، فكَيْفَ إذا ضُمَّتْ إليهِ مُقابَلةُ النُّسْخَةِ بأُصُولٍ أُخرى مُقَابَلةٍ بكثيرٍ كاثِرٍ وهكذا ـ جيلاً بعدَ جيلٍ من النُّسَخِ ـ حتى يَتَّصِلَ الديوانُ بالمتنبي من طُرُقٍ وفُروعٍ وشُعَبٍ شَتَّى؟ ومن أَمْثِلَتِها: نُسْخَةُ ابنِ السَّارَبَان (ت ٤٣٠هـ)، ونُسْخَةُ عليّ بنِ عِيسى الرَّبَعيّ (ت ٤٢٠هـ)، ونُسْخَةُ الشيخِ تاجِ الدين الكِنْديّ (ت ٦١٣هـ).

٢ ـ وهي ذاتُ تَمَامٍ وزيادةٍ مَعاً: تامّةٌ من حيثُ اشتمالُها على القصائد الثابتِ عَزْوُهَا إلى أبي الطيب في دواوينِه جَمْعَاءَ، وزائدةٌ عليها بقصائدَ ومَقاطيعَ نادرةٍ، كَحَائِيَّتِه التي مَطْلَعُها: [الكامل]

لِمَ لا يُغَاثُ الشِّعْرُ وَهْوَ يَصِيحُ وَيُرَى مَنَارُ الحَقِّ وَهْوَ يَلُوحُ؟

ودالِيَّته التي مَطْلَعُها: [الوافر]

أَبَـى الرحمنُ إِلاَّ أَنْ أَسُـودَا وحيثُ حَلَلْتُ لم أَعْدَمْ حَسُودَا

وَطَائِيَّته التي مَطْلَعُها: [البسيط]

ما لِيْ كأَنَّ اشتياقاً ظَلَّ يعنُفُ بي بِمِصْرَ لا بِسِوَاها كانَ مُرْتَبَطَا

لا جَرَمَ أَنَّ نُسْخَةً تُتْحِفُ القارئَ بالغضيضِ الغَريضِ من الشِّعْرِ المُتَنَبِّيِّ حَرِيَّةٌ بأنْ يُكْشَفَ سِتْرُهَا، ويُكْنَفَ سِبْرُهَا.

٣ ـ والنُّسْخَةُ بَعْدُ حَسَنَةُ الخَطِّ، واضِحَةٌ، سَهْلٌ قِراءتُها على الخبيرِ وغَيْرِه، إلاّ قَليلاً أَقَمْنَا أَوَدَهُ في المَطْبُوع. وقد زادَها الناسخُ ترتيباً وحُسْنَ نَسَقٍ بسُطورٍ تَفْصِلُ القصائدَ عن مُقدِّماتها، وعَمِلَ حُدوداً لِمَا كتَبَ في كُلِّ صَفْحةٍ فجعَلَهُ في مُستطيلٍ مُزْدَوِجِ الخُطوط؛ وكتَبَ المقدِّماتِ التمهيديّةَ بالحُمْرة، فَرْقاً بَيْنَها وبينَ الشِّعْرِ الأَسْوَدِ المِدَاد، فَحَسُنَتْ في نواظِرِ النُّظَّار.

وهذا وَصْفُ النُّسْخَةِ مفصَّلاً:

أ ـ تَقَعُ المَخْطُوطةُ في جِلْدٍ واحِدٍ عَدَدُ صَفَحَاتِه ـ لا وَرَقاتِه ـ ٣٣٩: تِسْعٌ وثلاثونَ وثلاثُمِئة، وهو ترقيمٌ حديثٌ متأخِّرٌ عن زَمَنِ كِتابَتِها، وفيهِ دَلالَةٌ على عِنَايَةِ مالِكِيها أو أَحَدِهم بها.

ب ـ ويستغرِقُ الديوانُ صَفَحاتِها وَجْهاً وظَهْراً إلى ص ٣٣٢ حيثُ الخاتِمَةُ، ويليها من الصَّفْحَةِ نَفْسِها إلى ص ٣٣٦ ذِكْرُ أسانيدِ الديوانِ ونُسَخِ المُقابَلة ودقائقِ التوثيق، وتوسُّعٌ إلى ترجمةِ أبي الطيب وذِكْرِ خَوَاصَّ من رِواياتِ شِعْرِه؛ وآخِرُه تأْريخُ نُسْخَةِ الأصل بسنةِ ٤٠٩هـ: تِسْعٍ وأربعمِئة، ثُمَّ تأريخُ نُسْخَتِنا بأوائلِ صَفَرٍ سَنَةَ ١٠٣٨هـ: ثمانٍ

وثلاثين وألف، خِلْواً من اسم الناسخ.

وقد جَعَلَ كاتِبُهَا لكُلِّ ظَهْرِ صَحِيفةٍ عَقِباً، أيْ كتَبَ في أسْفَلِ ذلك الظَّهْرِ إلى أيْمَنَ - تحتَ السَّطْرِ - أُولَى كَلِمِ وَجْهِ الصَّحِيفةِ التالية، وذلك ضَمَانٌ للتَّسَلْسُلِ وكَمَالِ أَوْراقِ النُّسْخَة.

ج - ومن ص ٣٣٦ إلى آخِرِ الجِلْدِ كِتاباتٌ تجريبيّةٌ ومَسْطُوراتٌ فَوْضَى، مِمّا يُوجَدُ على ظُهورِ المخطوطاتِ: يَخُطُّهُ النُّسّاخُ وغَيْرُهُمْ تجرِبةً للقَلَم أوْ تمريناً لليدِ أوْ تدويناً لِنُكْتَةٍ أوْ ما أشْبَهَ ذلك. وبعضُ ما كُتِبَ هُنالِكَ أشعارٌ عربيةٌ مشهورةٌ - وفيها من التحريفِ والخطإِ الكَثيرُ - وبَعْضُهُ شِعْرٌ فارسيٌّ؛ ومن أمْثِلَتِه كلامٌ بالفارسيّةِ مؤرَّخٌ بسنةِ ١٢٧٤هـ، وتملُّكٌ ضُرِبَ على اسْمِ مالِكِه لِطَمْسِه.

د- وخُطوطُ تِلْكَ المَسْطُوراتِ مختلِفةٌ بينَ النَّسْخِ والثُّلُثِ والرُّقْعَة، والأَخِيرُ دَليلٌ على حَدَاثةِ الكِتابةِ هُنالِك، إذْ لم يَتطوَّرْ هذا النوعُ من الأقلامِ فيتَّخِذْ شَكْلَهُ المعروفَ إلا في أواخِرِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ الميلاديّ/ الثالثَ عَشَرَ الهِجْريّ. بَلْ أُولَى صَفَحاتِ الديوانِ مكتوبةٌ بخَطِّ الرُّقْعةِ المتأخِّر، والظّاهِرُ أَنَّ الأصِيلةَ تَلِفَتْ أوْ تمزَّقَتْ فاستُبْدِلَتْ بها جَديدةٌ سَدًّا للنُّقْصَان.

وأَمّا صفحاتُ الديوانِ فخَطُّها الأَصْلُ نَسْخٌ واضِحٌ، سَوَاءٌ في الشِّعْرِ أوْ غيرِه، ولكِنَّهُ غَيْرُ مَحْضٍ، إذْ فيهِ من عناصِرِ قلمِ الرِّقَاعِ وقَلَمِ الثُّلُثِ ما فيه. وتَقَدَّمَ أنَّ النُّصوصَ الشِّعْريّةَ مكتوبةٌ بالحِبْرِ الأَسْوَدِ، وأمّا أَسماءُ الأبوابِ ومقدِّماتُ القصائدِ فبالأحْمَرِ، كقولِه: قافيةُ الراء. ومِمّا خُطَّ بالحُمْرَةِ تعليقاتٌ جُعِلَتْ عند أوائِلِ كثيرٍ من القصائد في الهامش، بقلمِ ثُلُثٍ شَبيهٍ بالإجازة، وذلك لتصنيف القصِيدةِ رُتْبةً، نحوُ: هذه جَيِّدةٌ أوْ من الجِيادِ أوْ من الأوْسَاط أوْ من المختارات أوْ غيرُ جيدة؛ وهو عَمَلُ جامعِه لا كاتبِه،

وأَغْلَبُ الظَنِّ أنه عليُّ بنُ عِيسى الرَّبَعيُّ، النَّحْوِيُّ السابقُ الذِّكْرِ، وهو أحَدُ رُواةِ المتنبّي وشُرَّاحِ شِعْرِه.

هـ - هذا، وفي النُّسْخَةِ ما أُلِفَ في المخطوطات من تصحيفِ اللفظ وتحريفِه وسُقوطِ بعضِه، ولكِنَّهُ هُنا دُونَ المُعْتادِ. فهي قَريبةٌ من الصِّحّةِ لذلك، ولأنها مُقابَلةٌ على وَجْهِ التحقيقِ بأصْلٍ آخَرَ غيرِ الذي نُقِلَتْ منه؛ وقد أثْبَتَ الناسخُ الفُروقَ والتصحيحَ في الهامش، مع الإشارةِ بالعَلامة المناسِبة، وأَلْحَقَ الأَسْقاطَ مُشيراً بعَلامَةِ اللَّحَقِ أيضاً، وكُلُّ ذلك مَعْدُودٌ من مَحاسِنِ صَنْعَتِها.

و - ومن صِفَاتِ خَطِّ الناسخ؛ أيْ إمْلائِه:

- اختلافُ كِتابته للهَمَزاتِ عن الكِتابة العصريّة، كنَقْطِ الهَمْزةِ المكسورةِ بنَقْطِ الياء إذا كُتِبَتْ بِسِنٍّ، ومِثالُ ذلك رَوِيُّ قصيدةِ: «القَلْبُ أَعْلَمُ يا عَذُولُ بِدَائِهِ».

- وعَدَمُ التفريقِ بينَ الياءِ المتطرِّفةِ وألِفِ القَصْر والألِفِ اللَّيِّنَة، فهو ينقُطُ الكُلَّ، كما في قصيدةِ: «أَلاَ كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزَلَى».

- وعَدَمُ نَقْطِ الهاءِ المَزيدةِ آخِرَ الكلمةِ للتأنيثِ وغيرِه، بحيثُ تَشْتَبِهُ بِهَاءِ الأَصْلِ وهاءِ الضمير وهاءِ السَّكْت، كما في قَصِيدةِ: «ما أَنْصَفَ القَوْمُ ضَبَّةْ».

- والخَلْطُ بينَ واوِ الجَماعةِ في الفِعْل وَوَاوِ الأصل، بزيادةِ الألِفِ فيهما جَميعاً.

- ورَسْمُ الكَسْرةِ مستقيمةً تحتَ الحرفِ، ومائلةً كالمُعْتادِ أحْياناً.

- وحَذْفُ الألِفِ من بعضِ الأَعْلامِ وغَيْرِها، كإبرهيم وإسْحٰق والقسِم، وثَلٰثٍ وثلٰثمئة.

مَنهجُ التحقيق

ليسَ ديوانُ المتنبّيءِ ـ وهو المتناوَلُ بالاعتناء، المتداوَلُ بالاقتناء ـ كِتاباً خاملَ الذِّكْرِ خامدَ الفِكْرِ فأُعرِّفَ به القرَاَءَة، وأُبيِّنَ لهم أَغْراضَهُ وأَعْراضَهُ وأَمْرَاضَه، وأَجْلُوَ مَعانِيَهُ وأبْلُوَ مَبانِيَه؛ ولا هو مُخْتَلٌّ مُخْتَلِطٌ فيَحْتاجَ إلى سَعَةٍ في التحقيق والتدقيق. فهو ديوانٌ مَشْهُورٌ مَشْهُودٌ، وشِعْرُ أبي الطيب أَكْثَرُ أَشْعَارِ العربِ دَوَراناً في اللُّسُنِ، وقد ذاعَ وشاعَ حتى تَمَثَّلَ المثقَّفُ والأُمِّيُّ بنحوِ قولِه: [الكامل]

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرفيعُ من الأذَى حتى يُـراقَ على جَوانبِه الـدَّمُ

وقولِه: [البسيط]

ما كُلُّ ما يَتمنَّى المَرْءُ يُدْرِكُه تَجْرِي الرِّياحُ بما لا تشتهِي السُّفُنُ

وقولِه: [البسيط]

إِذَا رأيتَ نُيوبَ اللَّيْثِ بـارِزَةً فلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

وقولِه: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

نَعَمْ، فيهِ من غَريبِ اللُّغةِ وعَويصِ اللَّفْظِ وغامضِ التركيبِ ما يُعْوِزُه الشَّرْحُ وينبغي له الفَسْرُ؛ وقد كُنْتُ حَرًى أن أَفْعَلَ، لَوْلاَ وُفورُ الشُّروحِ وانتشارُ طَبَعاتِها، وأَنَّ الكِتابَ إذا ضُمَّ إليهِ الشرحُ عادَ أضعافَ المتنِ وَحْدَهُ؛ وأَنَّ الغَرَضَ إنما هو تَجْدِيدُ الديوانِ وحُلَّةِ نَشْرِه كما قَدَّمْتُ في التوطئة، وأمّا الشَّرْحُ فَلَهُ مُصَنَّفاتٌ فيها يُفْرَدُ ويُفْرَغُ. فذلك أنّي آثَرْتُ

تجريدَ مَتْنِ الديوانِ من الحواشي، فلا يَقَعُ القارئُ على قُلٍّ من ذلك ولا كُثْرٍ؛ وهو تخفيفٌ ولا تَطْفِيفَ، وتَقَيُّدٌ يَنْفي التزيُّدَ.

وهذا بيَانُ أَهَمِّ ما صَنَعْتُ في التحقيق:

١ ـ جَعَلْتُ بإزَاءِ كُلِّ صَفحةٍ من المخطوطةِ أُخْتَها من المطبوعة، بِنَصِّها غَيْرَ مَزيدٍ ولا مَنْقُوصٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ من الشِّعْر أَمْ من العَبائِرِ المذكُورةِ قَبْلَ القَصائدِ تمهيداً، أَوْ وَصْفاً للحال، أَوْ تأْريخاً للحادِثة؛ غَيْرَ أَنَّ المؤسَّسة الكَرِيمةَ القائمةَ بنَشْرِه ٱختارتْ فَصْلَهُما مُجلَّدَيْن، كما تقدَّمَ، فجُعِلاَ كذلك. فَيُعَدُّ الديوانُ إذاً ديوانينِ: خَطِّيًّا ومَطْبوعاً، ولِكُلٍّ ترقيمُه المستقِلُّ.

٢ ـ وإذا كانَ اللفظُ في النُّسْخَةِ الخَطِّيّةِ مُصَحَّفاً أَوْ مُحَرَّفاً صَحَّحْتُه وأَثْبَتُّ الصَّحِيحَ في مَتْنِ المَطْبوعِ، مستعِيناً بطَبَعاتِ الديوانِ وشُروحِه الموثَّقة، وجَعَلْتُ اللفظَ بينَ عِضادتينِ على هذه الصُّورة: []، بحيثُ يَرى الناظِرُ الصَّوابَ في المطبوع فَيُدْرِكُ التَّغْيِيرَ إلى الصِّحَّة. فإذا اختلَفَتِ الرواياتُ في كَلِمةٍ من المَتْنِ ترَكْتُها كما وَرَدَتْ في النُّسْخَة، وَوَضَعْتُ ما أَخْتارُ من سائرِ الرواياتِ في الحاشيةِ ـ لا الهامش ـ بين العِضادتينِ، فما رآه القارئُ من ذلك فهو اختلافٌ رِوائيٌّ، وقد يَتعدَّدُ، وقد أُثْبِتُ هُنالِكَ وُجوهاً في ضَبْطِ اللفظِ لُغَةً أَوْ إعْراباً مِمّا يذكُرُه الشُّرَّاحُ.

٣ ـ وأمّا العِبارَةُ التي تَرِدُ في المتن، تمهيداً للقصِيدةِ أوْ غَيْرَ ذلك، فقَدْ أَصْلَحتُ خَلَلَها في مَحَلِّها وأشَرْتُ بالعِضادتينِ أيضاً، بَيْدَ أنّي اسْتَغْنَيْتُ عن زِيادةِ شيءٍ في الحاشية؛ فإنما هي كَلاَمُ شارِحٍ، أوْ جامعٍ للديوان صانعٍ لقصائدِه، وعِباراتُهم تختلِفُ لا مَحالَةَ، فلا مُسَوِّغَ لرواياتٍ ومقابَلاتٍ، بخِلافِ كلام المتنبِّئِ الذي هو أَصْلُ المقصود، فإنَّ رِواياتِه ذَوَاتُ شأْنٍ، وقد يُحتاجُ إلى واحِدةٍ دُونَ أَخَواتِها.

٤ ـ وأمّا ضَبْطُ الديوانِ بالشَّكْلِ فهو أَهَمُّ أُمورِ التحقيقِ بَعْدَ نَفْيِ التصحِيفِ والتحريفِ والسَّقَط. وقد ضَبَطْتُه بالكامل الشامل: فلم أَدَعْ حَرْفاً مُشْكِلاً ـ ولو بوَجْهٍ بَعيدٍ محتمَلٍ ـ إلاّ بَيَّنْتُ حَرَكَتَهُ أَوْ سُكُونَهُ أَوْ تخفيفَهُ أَوْ تشديدَهُ، سَوَاءٌ في ذلك الشِّعْرُ نَفْسُه والكلامُ المتقدِّمُ عليه. وعُنِيتُ بالهَمَزات: قَطْعِها وَوَصْلِها، وبضَبْطِ الرَّوِيِّ خاصّةً: ليوافِقَ ما نُصَّ عليهِ من الوزنِ والقافية. ومن ذلك المُشْكِلِ أيضاً مِيماتُ الجَمْع: مَتَى تُسكَّنُ وُجوباً، ومتى تُحَرَّكُ بالضّم أَوْ الكَسْرِ مُشْبَعَيْنِ؛ وياءاتُ المتكلِّم: مَتَى تُسكَّنُ أَوْ تُفْتَحُ، جَوَازاً أَوْ وُجُوباً، وضَرائِرُ الشِّعْرِ المُحْوِجةُ إلى تغييرِ الضَّبْطِ. وجَلِيٌّ أَنَّ الوزنَ يَتوقَّفُ على ذلك كُلِّه، وسَيَرى القارئُ مَدَى الدِّقَّةِ في الضَّبْطِ إنْ شاءَ اللَّه.

ومن خاصِّ المشكول: أَسْماءُ الأَعْلامِ في الشِّعْرِ أَوْ عِبارتهِ المُمَهِّدَةِ، وهي أَعْلامُ أُناسٍ أَوْ بِلادٍ أَوْ غيرِ ذلك، وقَدْ صَحَّحْتُ ضَبْطَها وجَوَّدْتُه لِخَلْطِ أَكْثَرِ القُرَّاءِ في لَفْظِها.

وأَصْلُ الديوانِ المَخْطُوطُ كَثيرُ التحريفِ بخطأ الضَّبْط: فما كانَ خَطَأً مُطْلَقاً غَيَّرْتُه ولم أُبَلْ، وما صَحَّ بوَجْهٍ تركْتُه وأَثْبَتُّ في الحاشية ما هو أَصَحُّ وأَقْرَبُ إلى المَعْنَى، أَوْ ما دُونَهُ صِحّةً مِمّا رَوَوْهُ.

٥ ـ وأمّا بُحورُ الشِّعْرِ فَقَدْ جَرَى صانعُ الديوانِ على ذِكْرِها وتَعْيينِ القوافي قُبَيْلَ إِيرادِ النَّصّ، كقَوْلِهِ: «مِنْ أَوَّلِ الخفيفِ والقافيةُ متواتِرٌ»؛ وهي من أَحْسَنِ طُرُقِ العَرُوضِيّينَ في ذلك، لنَصِّها على البَحْرِ أَصْلاً وفَرْعاً ونوعِ القافية. وقد أَبْقَيْتُ ذلك على حالِه، إلاّ ما أَفْسَدَهُ فأَصْلَحْتُه؛ وزِدْتُ بَعْدَهُ ذِكْرَ البَحْرِ مُجرَّداً بينَ عِضادَتين، كما اعْتِيدَ في عَمَلِ التحقيق، إذْ هو أيْسَرُ وأَدْنَى إلى إِلْفِ القارئ، وأمّا تلك الطريقةُ ومُصْطَلَحاتُها فقَلَّ مَنْ يَفْهَمُها في عَصْرِنا.

حياة المتنبي

كلمة في مصادر الترجمة

لا يَخْفَى على الخَبير بالأدب أنَّ شاعِراً عَرَبيًّا لَهِجَتْ بشِعْرِه الأَلْسِنَةُ وطَبَّقَتْ شُهْرَتُه آفاقَ الأرضِ، كأبي الطيب، لا ينفرِدُ بترجمتِه كِتابٌ واحِدٌ ولا يَحْصُرُهَا ضَرْبٌ من التصانيف؛ فإنَّ أَخْبارَهُ، صَحِيحَها وسَقِيمَها، كَثِيرٌ بَثِيرٌ نَثِيرٌ في صُدورِ الأُمّاتِ وبُطونِ المطوَّلاتِ وأثناء الرسائل. فمِنْ تَراجِمِه ما تذكُرُهُ كتُبُ التراجمِ المتخصِّصة، ومنها ما يَقَعُ في مَصادِرِ التأْريخ الحَوْليّة عِنْدَ ذِكْرِ وَفَياتِ المشاهيرِ في كُلِّ سَنَةٍ؛ بَلْ له نَصِيبٌ من كُتُبِ الرِّجَال المعروفةِ عندَ المحدِّثِينَ، المعوَّلِ عليها في الجَرْح والتعديل بحَسَبِ اصْطِلاحِهم. وهذا سِوَى ما أُفْرِدَ لأَخْبارِه وأشعارِه من المؤلَّفاتِ المسمّاةِ سِيَرًا، وما ذكَرَهُ شُرّاحُ ديوانِه في مُخْتَلِفِ الأعصُر في مقدِّماتِهم، وعند التوطئةِ للقصِيدةِ أوْ خَلَلَ الشَّرْحِ، وذلك وَحْدَهُ جَمّاءُ غَفِيرٌ: فقد نَقَلَ الصَّفَدِيُّ (ت ٧٦٤هـ) في «الوافي» عن أحدِ مشايخ ابنِ خَلِّكانَ (ت ٦٨١هـ) أنه وَقَفَ على أَكْثَرَ من أربعينَ شرحاً لديوان المتنبّي!!

وهذه كَوْكَبَةٌ من أهَمِّ مَصادرِ ترجمةِ أبي الطيب ونَقْدِ شِعْرِه، مَسُوقةٌ بحَسَبِ التَّسَلْسُلِ الزمنيّ لوَفَياتِ المصنِّفين، وكُلُّها مطبوعٌ:

١ ـ الوَسَاطَةُ بَيْنَ المتنبّي وخُصومِه، لأبي الحَسَنِ علي بنِ عبد العزيز المعروفِ بالقاضي الجُرْجَانيّ (ت ٣٩٢هـ). (نقد).

٢ ـ يَتِيمةُ الدَّهْر في مَحاسِنِ أهْلِ العَصْر، لأبي مَنْصُورٍ الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ)، وهو من أقْدَمِ الدِّراساتِ المتعلِّقةِ بشِعْره وأوْسَعِها. (تراجم

أدبية).

٣ ـ تاريخُ بَغْداد، لأبي بكرٍ الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣هـ). (تراجم).

٤ ـ المنتظَم في تاريخ المُلوك والأُمَم، لابنِ الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ). (حَوْليّ).

٥ ـ وَفَيَاتُ الأَعْيان وأَنْباءُ أَبْنَاءِ الزَّمانِ، للقاضي شمسِ الدين بنِ خَلِّكان (ت ٦٨١هـ). (تراجم).

٦ ـ الوافي بالوَفَيات، لصلاحِ الدين خليلِ بنِ أَيْبَكَ الصَّفَديّ (ت ٧٦٤هـ). (تراجم).

٧ ـ لِسانُ المِيزان، للحافِظِ شهابِ الدين أحْمَدَ بنِ عليّ المعروفِ بابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانيّ (ت ٨٥٢هـ). (رِجال).

٨ ـ الصُّبحُ المُنْبي عن حَيْثِيَّةِ المتنبّي، ليوسُفَ البَدِيعيّ الدِّمَشْقي (ت ١٠٧٣هـ). (سيرة وأدب).

٩ ـ شَذَراتُ الذَّهَب في أَخْبارِ مَنْ ذَهَب، لابن العِماد الحَنْبَليّ (ت ١٠٨٩هـ). (تراجم حَوْلية).

١٠ ـ خِزانةُ الأدب ولُبُّ لُبَابِ لِسَانِ العرب، لعبد القادر بنِ عُمَرَ البغداديّ (ت ١٠٩٣هـ). (النحو وعلوم العربية).

التَّرْجَمَةُ فِي هَذَا الدِّيوَانِ

لم أَشَأْ صَوْغَ ترجمةٍ جَديدةٍ لأبي الطيب، فأجْمَعَ من هُنا وهُنَاكَ وهُنالِكَ جَلائِلَ ودقائقَ من شُؤونِ حَياتِه وتفاصيلِ أَخْبارِه؛ فقَدْ كَفانِيهِ الأَوَّلُون والآخِرُونَ، والعَمْدُ إلى تَلْفِيقِ أَقْوالِهِم تكْرارٌ تَقْليديٌّ، ولو سَمَّيْتَهُ تقليداً تكراريًّا لَمْ تُبْعِدْ. فاخْتَرْتُ لذلك طريقةً نائِرةً نادِرةً، بَلْ أُنُفاً لا عَهْدَ للمحقِّقينَ بها ولا إِلْفَ، وهي من الطَّرَاءةِ والطَّرَافةِ بمَكَانةٍ تَليقُ بطَبْعةٍ للديوان كهذه. وهاكَ بَيَانَها:

انْتَزَعْتُ تَرْجَمةَ المتنبّي من كتاب «بُغْيَةِ الطَّلَب في تاريخِ حلب» (ط. دار الفِكْر ببيروت سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بتحقيق الدكتور سُهيل زَكّار: ٢/ ٦٣٩ ـ ٦٨٦)؛ وهو مصنَّفٌ بالِغُ الشُّهْرَةِ، للمؤرِّخ الكبير، الفقيه الحَنَفِيّ، كمالِ الدين عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ أبي جَرادةَ العُقَيْليّ، المعروفِ بابنِ العَدِيم، المتوفَّى سنة ٦٦٠هـ. والنَّصُّ المُشَارُ إليه أَوْسَعُ ما رأيتُ من تراجمِ أبي الطيب، وأَوْثَقُها وأَدَقُّها صَنْعَةً: لجَمْعِه بَيْنَ أَسانيدِ المحدِّثينَ ونُصوصِ الأُدَبَاء وآراءِ النُّقّاد، ولِمَا فيه من تحقيقِ القَضِيّةِ الواحدةِ، ومُقابَلةِ القولِ بخِلافِهِ، والوقوفِ عند أصْغَرِ الجُزْئيّات، مُضَافاً إلى تَفرُّدِه بنوادرَ من الأشعار ونُكَتٍ من الأقوال وطُرَفٍ من المعلومات.

وقد أَعَدْتُ تحقيقَ الترجمةِ، فأَثْبَتُّ نَصَّ ابنِ العديمِ وما نَقَلَ فيهِ على ما أرادَ هو، وأَفْرَغْتُ فيهِ الوُسْعَ حَتَّى عَرِيَ عن التصحيفِ والتحريفِ وسائرِ أنواعِ الخَلَل؛ وضَبَطْتُه أَتَمَّ الضَّبْطِ، إذْ وَقَعَ في الأَصْلِ المطبوعِ غُفْلاً في أَغْلَبِهِ. وبَيَّنْتُ كُلَّ ما صَنَعْتُ في حواشٍ وَضَعْتُها، وزِدْتُ فتَرْجَمْتُ الأَعْلامَ

المذكُورينَ ـ وهُمْ كَثيرٌ ـ إلاّ من أغْنَتْ شُهْرَتُه عن التعريف؛ وشَرَحْتُ غريبَ اللفظِ، وأوْضَحْتُ كُلَّ إشْكالٍ عَرَضَ. ثُمَّ قَسَمْتُ النَّصَّ أَقْساماً مُجَزَّأَةً بحَسَبِ المَباحِث، مُرقَّمةً، مُعَنْوَنَةً بعناوِينَ زِدْتُها بَياناً وتَسْهِيلاً على القارئ، فَبَلَغَتْ سِتَّةَ عَشَرَ قِسْماً.

ثُمَّ شَفَعْتُ هذِه الترجمةَ المُمْتِعَةَ بِثَبَتٍ رُتِّبَتْ فيه أَحْداثُ حَيَاةِ أبي الطيب ومَراحِلُها، في تصاعُدٍ زَمَنيٍّ من مَوْلدِه إلى وَفاتِه؛ وهو عَمَلٌ ظاهِرُ النَّفْعِ سَرِيعُ الجَنَى: فمَنْ شاءَ الاطِّلاعَ على ترجمةِ الرجُلِ مختصَرةً دقيقةً، غَيْرَ مَمْزُوجةٍ بِقَوْلِ زيدٍ ورأيِ عَمْرو، خِلْواً من الاستشهاد والاسْتِطْراد، فالجَدْوَلُ مُنْيَتُه وغُنْيَتُه؛ ومَنْ لَذَّ الواسعَ الشّاسِعَ، ورَاقَهُ التفصِيلُ والتأْصِيلُ، فعليهِ بترجمةِ «بُغْيَةِ الطَّلَب»، والاسْمُ عَيْنُ المُسَمَّى.

❋ ❋ ❋

حياةُ المتنبي وأحداثُها
في جدولٍ زمنيٍّ متسلسل
(chronology)

• ٣٠٣هـ: وُلِدَ أبو الطَّيِّبِ أحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بالكُوفة.

• بينَ ٣٠٣هـ و٣١٢هـ: نَشأَ بمَحلَّةِ كِنْدة بالكُوفة، واختلَفَ إلى الكُتّاب، وظَهَرَ نُبوغُه فقالَ الشِّعْرَ وهو صَبِيٌّ.

• ٣١٢هـ: رحَلَ إلى بَادِيَةِ السَّمَاوةِ ـ بينَ الكُوفةِ والشام ـ وصَحِبَ الأَعْرابَ نحوَ سنتينِ، اكْتِساباً لفَصاحَتِهم.

• في حُدود ٣١٤هـ: عادَ إلى الكُوفةِ فصِيحاً كأَقْحاحِ البَدْوِ.

• بَيْنَ ٣٠٦هـ و٣١٥هـ على التقريب: لَزِمَ أَهْلَ العِلْمِ والأَدَب، وتَردَّدَ إلى الوَرّاقِينَ فاستفادَ من كُتُبِهم، وضَمَّ إلى ذلكَ مُخالَطَةَ الأَعْرابِ فجَمَعَ بينَ العِلْمِ الصَّدْريّ والفَصاحَةِ اللِّسانيّة.

• بينَ ٣١٦هـ و٣١٩هـ: كانت له إلى بَغْدادَ رِحْلةٌ أَوْ رِحلاتٌ، وأَخَذَ العِلْمَ عن عَدَدٍ من الكِبَار كابنِ دُرُسْتَوَيْهِ (ت ٣٤٧هـ) ونِفْطَوَيْهِ (ت ٣٢٣هـ).

• ٣٢١هـ: رحَلَ إلى الشام وتَنقَّلَ بينَ حَواضِرِه، ودخَلَ اللاذقيةَ سنةَ نَيِّفٍ وعشرينَ وثلاثمئة.

• بين ٣٢١هـ و٣٢٤هـ: ادَّعَى النَّسَبَ العَلَوِيَّ بينَ أَعْرابِ كَلْبٍ، ثُمَّ ادَّعَى النُّبوّةَ واستَمالَ جَهلَةَ الأَعْرابِ فاتَّبعُوهُ، فأَخذَهُ لُؤْلُؤُ أَمِيرُ حِمْصَ وحَبَسَهُ، واسْتتابَهُ ثم أَطْلَقَهُ.

• بينَ ٣٢١هـ و٣٣٦هـ: أقامَ بالشام خَمْسَ عَشْرةَ سنةً، ومدَحَ بعضَ صِغارِ المَمْدُوحِينَ من أُمَراءِ النواحي؛ وتزوَّجَ في حُدودِ ٣٢٩هـ، ولَعَلَّ زَوْجَتَهُ شَاميّةٌ.

• ٣٣٥هـ: أُولَى رِحْلَتَيْ أبي الطيب إلى مِصْرَ، وفيها رَثَى أبا بَكْرٍ الإخْشيدَ ومَدَحَ ابْنَهُ أُنُوجُورَ.

• ٣٣٦هـ: دَعاهُ الحَسَنُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ طُغْجٍ، ابنُ أخِي الإخْشِيد، إلى الرَّمْلة، فأقامَ في كَنَفِه ومَدَحَهُ، فأجْزَلَ ابنُ طُغْجٍ عطاءَهُ.

• ٣٣٦هـ: خَرَجَ من الرَّمْلةِ فرحَلَ إلى أَنْطاكِيَةَ، بَلَدِ أبي العشائرِ بنِ حَمْدانَ، مارًّا ببعلبكَّ، فأقامَ عنده ومَدَحَهُ غَيْرَ مَرّةٍ؛ وتَردَّدَ بينَ الرَّمْلَةِ وأنْطاكِيَةَ في السَّنَةِ وتَالِيَتِها، وهَجَا إسْحاقَ بنَ كَيْغَلَغَ وَالِيَ طَرابُلُسَ حِينَ أَرادَهُ على مَدْحِه قَسْراً.

• ٣٣٧هـ: قَدَّمَهُ أبو العشائرِ إلى سيفِ الدولةِ أميرِ دولةِ بني حَمْدَانَ، فاتَّخذَهُ شاعِرَهُ المُمْتازَ عن سائرِ مُدّاحِه.

• ٣٣٧هـ ـ ٣٤٥هـ: المتنبّي شاعِرُ سيفِ الدولةِ، ومؤرِّخُ وقائعِهِ ورَبيبُ نِعْمَتِه، وفيهِ قالَ رَوائعَ قصائدِه؛ وبَلَغَ عَطاؤُه السَّنَوِيُّ ثلاثةَ آلافِ دِينارٍ، خَلاَ الهِبَاتِ والجَوائزَ في الأَحايينِ.

• في حُدود ٣٤١هـ: دَبَّ الجَفَاءُ بينَ أبي الطيب وسَيْفِ الدولة، بِفِعْلِ أَقْوالِ الوُشاةِ ودَسائسِ الحُسّاد، وبَلَغَ الأمْرُ ذِرْوَتَهُ بقَصِيدةِ: «وَاحرَّ قَلْباهُ» ومُرِّ عِتَابِها، وجَرَى شِبْهُ قِتالٍ بينَ الشاعِرِ وجُنْدِ بَنِي حَمْدان.

• ٣٤٦هـ: فارَقَ أبو الطيب سَيْفَ الدولةِ ومَمْلَكَتَهُ، ورَحَلَ إلى مِصْرَ ثانيةَ الرِّحْلَتَيْنِ، مارًّا بدِمَشْقَ فالرَّمْلة.

• ٣٤٦هـ ـ ٣٥٠هـ: أبو الطيب في بَلاطِ كافور، يَمْدَحُه ويأْخُذُ صِلاَتِه، آمِلاً أَنْ يُوَلِّيَهُ ناحيَةً يَحْكُمُها، وهو في ذلك كُلِّه كالأَسِير.

• ٣٤٨هـ: اتَّصَلَ بفاتِكٍ أبي شُجَاعٍ صاحبِ الفَيُّوم، ومَدَحَهُ خُفْيةً من كافورٍ، وتكَرَّرَ اتِّصالُه به بَعْدُ.

• ٣٥٠هـ: ضاقَ ذَرْعاً بكافورٍ وحَبْسِه إيّاهُ عن الرحيلِ وعن نَيْلِ المُراد، فهَجَاهُ بِعِيديَّتِه المَشْهُورة وبَثَّها بِمِصْرَ في غَفْلَةٍ من كافور، وفَرَّ إلى الكُوفة يُغِذُّ السَّيْرَ ويَقْطَعُ المَفاوِزَ خَشْيَةَ القَبْضِ عليهِ.

• ٣٥١هـ ـ ٣٥٣هـ: أَقَامَ بالعِراقِ، مَرّةً بالكُوفةِ وأُخْرى بِبَغْدَادَ.

• ٣٥٢هـ: وَرَدَ بَغْدادَ وَلَقِيَ المهلَّبيَّ ـ وَزِيرَ مُعِزِّ الدولةِ البُوَيْهِيّ ـ ولم يَمْدَحْ أَحداً منهُما، فاسْتَعْدَى الوزيرُ عليهِ ابنَ حَجَّاج (ت ٣٩١هـ) أشْهَرَ شُعَراءِ المُجُون، فهَجَاهُ وأَقْذَعَ. وفي هذِه السَّنَةِ تكاتَبَ المتنبّي وسيفُ الدولةِ، وكانَ بَيْنَهُما مَدائحُ وعَطَايا.

• ٣٥٣هـ: هَجَا ضَبَّةَ بنَ يَزِيدَ العُتْبِيَّ، أحَدَ سَفِلَةِ الأَعْراب، بقصِيدتِه الفاحِشة، فكانت سَبَبَ هَلاَكِه بَعْدُ.

• ٣٥٤هـ: رحَلَ أبو الطيب إلى ابنِ العَمِيدِ، فأقامَ في حَضْرَتِه بأَرَّجَانَ ومَدَحَهُ؛ ثم قصَدَ عَضُدَ الدولةِ ابنَ بُوَيْهِ، فرَحَل إلى شِيرازَ ومَدَحَهُ مَرّاتٍ. وأفادَ منهما مالاً جَزِيلاً، وقَفَلَ إلى العِراقِ في السَّنَةِ نَفْسِها.

• ٣٥٤هـ: نِهايةُ أبي الطيب المتنبّي: قَتَلَهُ فاتِكُ بنُ أبي جَهْلٍ الأَسَدِيُّ، ذُو قَرَابَةِ ضَبّةَ، في طريقِ رُجُوعِه من فارسَ، قُرْبَ دَيْرِ العاقُول، وقُتِلَ مَعَهُ ابْنُه المُحَسَّدُ وبعضُ غِلْمانِه، وانتُهِبَتْ أَمْوالُه ودفاتِرُه.

* * *

أبو الطيب المتنبي مترجماً في التراجم

١ ـ تعريفٌ وأخبارٌ: أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الحَسَنِ بنِ عَبْدِ الصَّمَد، أبو الطَّيِّبِ الجُعْفِيُّ الكُوفيُّ، الشاعرُ المعروفُ بالمتنبِّي، وقِيلَ: هو أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُرّةَ بنِ عبدِ الجَبّار، وكان وَالِدُه الحُسَيْنُ يُعْرَفُ بِعِيْدَانَ[١] السَّقّاءِ.

وكانَ أبو الطيب شاعِراً مَشْهُوراً مذكُوراً، مَحْظُوظاً من المُلوكِ والكُبَراءِ الذينَ عاصَرَهُم؛ والجَيِّدُ من شِعْرِه لا يُجارَى فيهِ ولا يُلْحَقُ، والرَّدِيءُ منه في غايةِ الرَّدَاءَةِ والسُّقوط. وكان يَتعظَّمُ في نَفْسِه ويَترفَّعُ، وقِيلَ: إنّهُ ادّعى النُّبُوَّةَ في حَدَاثَتِه فلُقِّبَ بالمتنبِّئِ لذلك. وكانَ عارِفاً باللغة، قَيِّماً[٢] بها.

قَدِمَ الشامَ في صِباهُ وجالَ في أَقْطارِها، وصَعِدَ بعدَ ذلك إلى الديارِ المِصْريّة، وكانَ ذلك في سَنَةِ خَمْسٍ وثلاثينَ وثلاثِمئة. ثُمَّ قَدِمَ حَلَبَ وافِداً على الأمير سيفِ الدولةِ أبي الحَسَن علي بنِ عبدِ اللَّه بنِ حَمْدَانَ، ومادِحاً له؛ فأكْرَمَهُ ونَفقَ عليهِ، وصارَ خَصِيصاً به مُلازِماً له حَضَراً وسَفَراً، إلى أنْ خرَجَ مِنْ حَلَبَ غَضْبانَ بِسَبَبِ كَلامٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أبي عبدِ اللَّهِ بنِ خالَوَيْهِ[٣] في مَجْلِسِ سيفِ الدولة، فضَرَبَهُ ابنُ خالويهِ بمِفْتاحٍ!!

---

(١) هذا هو الأَرْجَحُ الأصَحُّ في اللَّقَبِ المذكُور: بكَسْرِ العينِ المهملةِ وبَعْدَها ياءُ آخرِ الحُروفِ، بلَفْظِ جَمْعِ العُود؛ والسَّقّاءُ، كشَدّاد: مَنْ صَنْعَتُهُ السَّقْيُ. وسيأتي تَفْصِيلُ الخِلافِ في المسألةِ بَعْدُ، في سِياقِ المَنْقُولِ عَنْ الخَطِيبِ البَغْداديّ.

(٢) القَيِّمُ بالأَمْر: القائمُ به، الصَّحِيحُ الأَدَاءِ له، المُحْكِمُ صَنْعَتَهُ. والمُرادُ أَنَّ أبا الطيبِ كانَ عِلْمُهُ باللُّغَةِ تامًّا وافِياً. انظر لسان العرب وتاج العروس: (قوم).

(٣) هو الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ خالَوَيْهِ، أبو عبدِ الله: من مشاهير اللُّغويينَ النُّحاة. من تصانيفه: «شَرْحُ مَقْصُورةِ ابنِ دُرَيْد»، و«إعرابُ ثلاثينَ سُورةً من القُرآنِ العزيز»، و«ليسَ في كلامِ

وكانَ دُخُولُه إلى حَلَبَ سنةَ سَبْعٍ وثلاثِينَ وثلاثِمئة، وخُروجُه منها إلى مِصْرَ الدَّفْعَةَ الثانيةَ في سنةِ سِتٍّ وأربعينَ وثلاثمئة. وكانَ نُزولُه بحَلَبَ في مَحلَّتِنا المَعْرُوفةِ بآدُرِ[١] بَنِي كِسْرَى؛ قال لي وَالِدي: وكانت دارُه داراً هي الآن خانِكَاهُ[٢] سَعْدِ الدين كَمُشْتُكِين، مُلاصِقةً لداري.

٢ ـ انتشارُ شِعْرِه في عَصْرِه: وكانَ ابنُ خَالَوَيْهِ مؤدِّبَ وَلَدَيْ سَيْفِ الدولة: أبي المَكَارِم وأبي المَعالِي. فظَفِرْتُ بجُزْءٍ بخَطِّ ابنِ خالَوَيْهِ ذكَرَ فيهِ ما يَحْفَظُه الأميرانِ المَذْكُورانِ، فذكَرَ أنواعاً من الفِقْهِ والأَدَبِ وأشعارِ العرب، وقال في جُمْلَتِها: ويَحْفَظانِ من شِعْرِ الشاعرِ المعروف بالمتنبِّي كذا وكذا قصِيدةً، وعَيَّنَهَا؛ ولم يذكُرْ أنهما يَحْفَظانِ لِغَيْرِه من العَصْرِيِّينَ شيئاً، وهذا يَدُلُّ على عِظَمِ قَدْرِه وجَلالَةِ أمْرِه في ذلك الزَّمان.

رَوَى عن أبي الطيب:

ـ القاضي أبو الحُسَيْن محمد بنُ أحمدَ بنِ القاسِمِ المَحَامِلِيُّ[٣].

العرب». تُوفّيَ سنة ٣٧٠هـ. الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٣١.

(١) الآدُرُ: جَمْعُ دار على القِلّة، من بابِ أفْعُلٍ، وأَصْلُه أَدْوُرٌ غيْرَ مهموز، ويُهْمَزُ فيقالُ أَدْؤُرٌ، ويُقْلَبُ فيقالُ: آدُرٌ، كصَاعٍ وآصُعٍ. انظر اللسان والقاموس: (دور). وقَوْلُ ابنِ العَدِيم: «مَحلَّتِنا» الضَّميرُ فيه عائدٌ إلى المؤلِّفِ وأُسْرَتِه بَنِي العديم، ولذلك نقَلَ عن وَالِدِهِ تَعْيِينَ مَوْضِعِ دارِ أبي الطيب بحلب.

(٢) كذا وقَعَتْ في الأصل بالكاف، وتَرِدُ في كُتُبِ التراجم والتواريخ وغيرها بالقافِ غالباً: خانِقَاه؛ وهي «رِباطُ الصُّوفيّة، مُعَرَّبٌ مُوَلَّدٌ استَعْمَلَهُ المتأخِّرونَ»، قالَهُ الشِّهَابُ الخفَاجيُّ (ت ١٠٦٩هـ) في «شِفاء الغَلِيل» (ط. القاهرة سنة ١٣٧١هـ بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي: ص ١١٣). وهي في الأصْل بالكافِ الفارسيّةِ المجهورة: خانْكَاه. انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة، لأدّي شير الكَلْداني، ط. مكتبة لبنان سنة ١٩٩٠م: ص ٥٤ و٥٨.

(٣) فَقِيهٌ شافعيٌّ، مُشارِكٌ في الحديث؛ توفي سنة ٤٠٧هـ. انظر ترجمته في «تاريخ بَغْداد» لأبي بَكْرٍ الخطِيب البغداديّ (ت ٤٦٣هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

ـ وأبو الفَتح عُثْمانُ بنُ جِنِّيٍّ النَّحْوِيُّ(١).

ـ وأبو محمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عليٍّ بنِ الصَّقْرِ الكاتِبُ(٢).

ـ وأبو الحَسَنِ عليُّ بنُ أيُّوبَ بنِ الحُسَيْنِ، ابنُ السَّارَبَانِ الكاتِبُ(٣).

ـ والأستاذُ أبو عليٍّ أحمدُ بنُ محمَّدٍ، مِسْكَوَيْهِ(٤).

ـ وأبو عبدِ اللَّهِ بنُ باكَوَيْهِ الشِّيرازِيُّ(٥).

---

(١) أحَدُ أَعلامِ النُّحاة واللغويين والأُدَباء في تاريخ العربية، كثير التصنيف، وأَخَصُّ مَنْ رَوَى عن المتنبِّي وعُنِيَ بشِعْرِه. من مصنَّفاتِه المشهورة: «الخَصَائص» في اللغة، و«اللُّمَع» في النحو، و«التصريف المُلوكيّ». تُوفِّيَ سنة ٣٩٢هـ. تَرْجَمَ له كَثيرٌ من المؤرخين، وانظرْ مُعْجَمَ الأُدباء (إرْشاد الأريب إلى مَعْرِفة الأديب) لياقوتٍ الحَمَويّ (ت ٦٢٦هـ)، ط. دار الغَرْب الإسلامي سنة ١٩٩٣، بيروت: ٤/ ١٥٨٥ والمَصادرَ المذكورة في حاشيتِه.

(٢) كاتبٌ، من المُقْرئينَ بقراءةِ أبي عَمْرو بنِ العَلاَء (ت ١٥٤هـ). ذَكَرَهُ الخطِيبُ في تاريخِ بَغْداد: ٧/ ٣٩٠. توفِّيَ سنة ٤٢٩هـ.

(٣) كاتبٌ متأدِّبٌ، يُنْسَبُ إلى قُمٍّ؛ سَمِعَ من بعضِ عُلَماءِ عَصْرِه كأبي سَعيدٍ السيرافيّ (٣٦٨هـ)، وسَمِعَ منه أبو بكْرٍ الخَطِيبُ. توفِّي سنة ٤٣٠هـ. قالَ في تاريخ بَغْداد ١١/ ٣٥١: «وذَكَرَ لنا أنه سَمِعَ من المتنبي ديوانَ شِعْرِه سِوَى القصائد الشِّيرازيّات (أيْ التي في عَضُد الدولة)، فقرأْتُ عليهِ جَميعَ الديوان. وكانَ رافضيًّا». والسارَبانُ، بفتح الراء والموحَّدة: مَنْ يَحْفَظُ الإبلَ ويُراعيها؛ قاله السمعاني في الأنساب ٣/ ١٩٧ في ترجمته.

(٤) مؤرِّخٌ بَحّاثٌ، عارِفٌ بالفلسفةِ والأدب، من مشاهير المصنِّفين. عُرِفَ بِمِسْكَوَيْه، أو ابنِ مِسْكَوَيْه ـ على أنه لَقَبُ جَدِّه ـ، والأولُ أشْهَرُ وما في المَتْنِ يوافِقُه. من كُتُبِه: «تَجارِبُ الأُمَم وتَعاقُبُ الهِمَم» و«تهذيبُ الأَخْلاق وتطهيرُ الأَعْراق». توفِّي سنة ٤٢١هـ. انظر الأعلام: ١/ ٢١١ـ ٢١٢.

(٥) لم يذكرْ المؤلِّفُ اسْمَهُ الولاديَّ، والظّاهِرُ أنه: «محمدُ بْنُ عَبدِ الله بنِ عُبَيْدِ اللَّه بن باكَوَيْهِ، أبو عَبْدِ اللَّه الشِّيرازيُّ، أَحَدُ مشايخ الصُّوفيّةِ الكِبار؛ سَمِعَ وحَدَّثَ، وتوفِّيَ سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمِئة». هذه ترجمتُه كما في الوافي بالوَفَيات: ٣/ ٣٢٢ للصَّلاح الصَّفَديّ (ت ٧٦٤هـ)، وتَرْجَمَ له أيضاً السَّمْعانيُّ (ت ٥٦٢هـ) في الأنساب (ط. دار الفكر، بيروت سنة ١٩٩٨م): ٣/ ٤٩٢، والزِّرِكْليُّ في الأعلام: ٦/ ٢٢٧؛ وذَكَرَهُ بالإشارةِ التاجُ السُّبْكيُّ في طَبَقات الشافعيّة: ٣/ ٢٤٣، في ترجمة أبي القاسم القُشَيْريّ الإمام (ت ٤٦٥هـ)، إذْ ابنُ باكَوَيْهِ من شُيوخِه، وله ذِكْرٌ أيضاً في تاج العروس، للزَّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، في مادة

ـ وأبو الحَسَنِ عليُّ بنُ عِيسى الرَّبَعيُّ[١].

ـ وأبو القاسم بنُ حَسَنٍ الحِمْصيُّ[٢].

ـ وعبدُ الصَّمَد بنُ زُهَيْرِ بنِ هارُونَ بنِ أبي جَرادةَ[٣] ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ سَعْدٍ النَّحويُّ[٤]، الحَلَبِيّانِ.

ـ وعبدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الصفري، الشاعرُ الحلبيُّ[٥].

(بوك)، لوقوعِ اسْمِه في متن القاموس. وزادَ الزركليُّ بَعْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ في آبائه: أحْمَدَ، ويُستفادُ منه أنه أكْثَرَ الرِّحْلةَ في طَلَبِ السَّماع، «فرحَلَ إلى جُرْجانَ وبَغْدادَ والبَصْرة وأصْبَهانَ وهَرَاةَ وبَلْخ وبُخَارَى والكُوفة»؛ وهذا يَعْضُدُ سَمَاعَهُ من أبي الطيب، ولكِنَّ مُقْتَضى وفاتِه سنة ٤٢٨هـ (وعند السمعاني: نَيِّف وعشرين وأربعمئة) أن يَكُونَ عُمِّرَ فوقَ الثمانين، لِيَصِحَّ له سَمَاعٌ من المتنبّي المتوفَّى سنة ٣٥٤هـ، واللَّهُ أعلم.

(١) نَحويٌّ لُغَويٌّ مَشْهُورٌ، أخَذَ عن السِّيرافيّ (ت ٣٦٨هـ) وأبي عليّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)؛ تُوفِّيَ سنة ٤٢٠هـ، ومن مُصنَّفاتِه: «البديع» في النحو، و«التنبيه على خطأ ابنِ جِنّيّ في فَسْر شِعْر المتنبّي»، وعَنْ هذا الكِتاب نقَلَ المؤلِّفُ في هذه الترجمة. انظر معجم الأدباء: ٤/ ١٨٢٨ والمصادر في الحاشية.

(٢) لم أقَعْ على تَرْجَمةٍ له، ولكنَّ الذهبيَّ ذكر في سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٠٠، في ترجمة المتنبي: أبا القاسم بن حُبَيْشٍ؛ فلعله هو، وأحدهما مصحَّفٌ إذاً.

(٣) من آلِ أبي جَرادةَ العُقَيليّينَ، رَهْط ابنِ العَدِيم الذي أُخِذَتْ هذه الترجمةُ من كِتابه: «بُغْيَة الطَّلَب». وعَبْدُ الصَّمَدِ هذا ذكَرَهُ ياقُوتُ في مَعْرِضِ عَدِّ أهْلِ العِلْم والأدبِ والقَضاء من تلك الأُسْرة، نَقْلاً عن كِتابِ صَديقه كَمالِ الدينِ صاحبِ «البُغْية» الذي أَسْماهُ: «الأَخْبَار المُسْتَفادة في ذِكْر بني أبي جَرَادة»؛ والرجُلُ من أهْلِ العِلْم والرواية، وتوفِّي في حُدودِ ٣٩٠هـ كما قَدَّرَهُ ياقُوت. انظر مُعْجَمَ الأدباء: ٥/ ٢٠٧٥.

(٤) لم أَجِدْ له تَرْجَمةً.

(٥) أديبٌ شاعرٌ، من شُعَراءِ سيفِ الدولة، أخَذَ عن الفارسيّ وابنِ خالَوَيْه والزَّجّاجيّ (ت ٣٣٩هـ)، وكان له مُطارَحَاتٌ مع شُعراءِ عَصْرِه. تَرْجَمَهُ ياقوتٌ: ٤/ ١٥٣٣ والصَّفَديُّ: ١٧/ ٢٩٧، ولم يُعَيِّنَا لوفاته سَنَةً. وفي أصْل الترجمة: ابن عُبَيْد الله، بالتصغير في ثاني المضافَيْن، وصَحَّحْتُه من المَصْدَرين المذكُورَيْن. وأمّا (الصفري) فلم يَضْبطْهُ أَحَدٌ بِقَلَمٍ ولا نَصٍّ فيما رأيتُ؛ ويَحْتَمِلُ أَوْجُهاً، منها: الصُّفْرِيّ، بضمٍّ فَسُكونٍ، نِسْبَةً إلى بيعِ أواني الصُّفْرِ: النُّحاسِ، أوْ عَمَلِها، أوْ إلى الصُّفْرِيّة: طائفةٍ من الخوارج؛ والصُّفَّرِيّ، بالضم مع

ـ وعَبْدُ اللَّه بنُ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبي الجوع، الوَرّاقُ المِصْرِيُّ[١].

ـ وأبو إسحاقَ إبْراهِيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المَغْرِبيّ[٢].

ـ وأبو بَكْرٍ الطّائيُّ.

ـ وأبو القاسمِ النِّيْلَبَخْتِيّ.

ـ وأبو محمد الحَسَنُ بنُ عُمَرَ بنِ إبْراهِيمَ.

ـ وأبو العَبّاسِ بنُ الحوت.

ـ وجَمَاعةٌ سِواهُم.

٣ ـ أبو الطَّيِّبِ أَصْلاً ونَسَباً ونِسْبةً: أَنْبَأَنا تاجُ الأُمَنَاءِ[٣] أحمدُ بنُ محمد بنِ الحَسَن قال: أَخْبَرَنَا الحافظُ أبو القاسمِ[٤] عليُّ بنُ الحَسَنِ، عَمِّي، قال: قالَ لنا هِبَةُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أحمدَ الواسِطيُّ: قَالَ لنا أبو بَكْرٍ

تشديدِ الفاءِ مفتوحةً، نِسْبَةً إلى مَرْجِ الصُّفَّر، كَسُكَّر: موضع بالشام بينَ دِمَشْقَ والجَوْلان. انظر الأنساب للسمعاني: ٣/ ٥٤٨، ومعجم البلدان لياقوت: (صُفَّر)، والقاموس: (صفر).

(١) أديبٌ وَرّاقٌ من أهْلِ مِصْر. كانَ مَليحَ الخَطّ، جَيِّدَ الضَّبْط، وله تَحقُّقٌ باللغةِ والنحو والبلاغةِ وقَوْلِ الشِّعْر. تَرْجَمَهُ الصَّفَديُّ في الوافي: ١٧/ ٥٢٧ وأرّخَ وَفاتَهُ بسنةِ ٣٩٥هـ. وفي الأصْل: عُبَيْدُ الله، بتصْغِير المضاف، والتصحيحُ من الوافي.

(٢) لم أَعْثُرْ على تَرْجَمَةٍ لأبي إسحاقَ هذا ولا للرُّوَاةِ المذكُورينَ بَعْدَهُ، على طُولِ البحثِ وَعَناءِ التنقيب.

(٣) انظر الحاشيةَ التالية.

(٤) هو ثِقَةُ الدِّين أبو القاسِم، عليُّ بنُ الحَسَنِ بنِ هِبَةِ الله، المعروفُ بابنِ عساكر، الإمامُ الجليلُ حافظُ الأُمّة، محدِّثُ الشام ومؤرِّخه، المتوفى سنة ٥٧١هـ. تصانيفُه كثيرةٌ أشْهَرُها: «تاريخُ دمشقَ الكبير» المعروفُ بتاريخِ ابنِ عساكر، وهو كِتابٌ جَليلٌ، لم يُصَنَّفْ مِثْلُه في بابِهِ. وتاجُ الأُمَناءِ المتقدِّمُ ذِكْرُه هو ابنُ أخي الحافظِ، فَلِذا قالَ في السَّنَدِ: «عَمِّي». توفي سنة ٦١٠هـ. انظر سِيَر أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٦، ٢٠/ ٥٥٤.

الخَطِيبُ[١]: عِيدَانُ، بكَسْرِ العين وبالياءِ المُعْجَمةِ باثنتينِ من تَحْتِها، هو والِدُ أبي الطيب أحْمَدَ بنِ الحُسَيْنِ المتنبِّي، كان يُعْرَفُ بِعِيْدَانَ السَّقّاءِ[٢].

---

(١) الحافِظُ المشهورُ، أَحْمَدُ بنُ عليٍّ المعروفُ بالخطِيب البَغْداديّ (ت ٤٦٣هـ)، صاحبُ «تاريخ بَغْداد». والواسطيُّ المذكورُ من رجال الحديث في القرن الخامس. كان كثيرَ الضَّبْط، ديّناً صَدُوقاً. توفي سنة ٥٢٨هـ. انظر الوافي بالوفيات: ٢٧/ ٢٨٦.

(٢) اخْتَلَفَتِ المَصادِرُ في (عِيْدَان) هذا، بَيْنَ اللفظِ المنصوصِ عليهِ، و(عَيْدان) بفتح العَيْنِ المهملةِ مع سُكونِ المثنّاةِ التَّحْتِيّة، و(عَبْدان) بالباء الموحَّدة، كعَدْنان.

فالأخِيرُ تصحيفٌ طَبْعيٌّ أوْ نَسْخيٌّ، ومِثالُ وُقُوعِهِ ما في تاريخ بَغْداد: ٤/ ١٠٣ في ترجمةِ أبي الطيب؛ والخَطِيبُ لم يذكُرْ ضَبْطاً بالنصّ هُناكَ، وما نقَلَهُ عنه المؤلِّفُ هنا من النَّصِّ عليهِ هو لفظُ الخطيبِ لا زِيادةٌ من أحَدِ رِجال السَّنَد. فقَدْ عَزاهُ إليهِ ابنُ كَثِيرٍ (ت ٧٧٦هـ) في «البدايةِ والنهاية»، في وَفَيَاتِ سنةِ ٣٥٤هـ، ونَصُّ عِبارتِهِ: «وعِيْدانُ هذا: قال ابنُ ماكُولا والخطِيب: هو بكَسْرِ العَيْنِ المُهْمَلة وبَعْدَها ياءٌ مُثَنّاةٌ من تحتُ، وقيلَ بفتحِ العينِ لا كَسْرِها، فاللّٰهُ أعلم». اهـ. وصَدَقَ، فابنُ ماكُولا (ت ٤٨٥هـ) ضَبَطَهُ في الإكْمال: ٦/ ٩٩ كما في المتن، وهو مَأْمُونُ التصحيفِ لترتيبِهِ على الحروف ونَصِّه الدقيق المفصَّلِ على هَيْئَاتِها.

وأمّا (عَيْدانُ) بالمثنّاةِ التحتيّةِ وفَتْحِ أوّلِهِ، وهو الذي أشارَ إليهِ ابنُ كَثِير، فَقَدْ قالَ فيهِ ابنُ الجوزيّ في المنتظَم: ١٤/ ١٦٣، وَفَيات ٣٥٤هـ: قالَ شَيْخُنا ابنُ ناصِر: سَمِعْتُ أبا زَكَرِيّا يقول: سَمِعْتُ أبا القاسم بنَ بَرْهَانَ يَقُولُ: عَيْدَانُ بفتحِ العين، جَمْعُ عَيْدانة وهي النَّخْلةُ الطويلة، ومَنْ قالَ: عِيْدان بكَسْرِ العَين فقَدْ أخْطَأَ. اهـ. وكذا ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ (ت ٨٥٢هـ) في «لِسانِ المِيزان»: ١/ ١٦٨، على أنه أَسْنَدَهُ إِسْنادَ الخَطِيبِ البَغْداديّ! ونَقَلَهُ عنه الزركليُّ في الأعلام: ٢/ ٥١ في الحاشية.

وما تَقَدَّمَ كُلُّه جَهْدُ مُحدِّثينَ ومؤرِّخينَ غالباً، ولِلُّغَوِيّينَ بَعْدُ فُسْحَةٌ لا تَسَعُ غَيْرَهُم. فقَدْ قالَ صاحبُ القاموس والشارِحُ في (عود) من التاج: (وعِيدَانُ السَّقّاءُ بالكَسْر: لَقَبُ والِدِ الإمامِ أبي الطيب (أحْمَدَ بن الحُسَيْن) بن عبدِ الصَّمَد (المتنبِّئ) الكُوفيّ الشّاعرِ المَشْهُور. هكذا ضَبَطَهُ الصاغانيُّ وقال: «كانَ أبوهُ يُعْرَفُ بعِيدانَ السَّقّاءِ بالكَسْر»؛ قالَ الحافظُ: «وهكذا ضَبَطَهُ ابنُ ماكُولا أيضاً». وقالَ أبو القاسم بنُ بَرْهَان: «هو أحْمَدُ بنُ عَيْدانَ بالفتح، وأخطأَ من قالَ بالكَسْر». فتأمل. انتهى كلامُ الزَّبيديّ، وقَطَعَتْ جَهيزَةُ قولَ كُلِّ خطِيبٍ إلا الخطِيبَ البَغْداديَّ؛ فقَدْ رَجَحَ أنه كما ضَبَطَهُ ابنُ العَدِيم وأثْبَتْناهُ آنفاً.

ولَوْ كانَ بالموحَّدةِ لأوْرَدَهُ اللُّغويُّونَ في (عبد)، أوْ بفتح العينِ لذكَرُوهُ في (عيد) بالتحتيّة، وإنما هو بياءٍ منقلبَةٍ عن واوٍ.

ووَقَعَ في القاموس (ط. مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م): «عِيدانُ السِّقَاءِ»، أيْ بوزنِ كِساءٍ،

أَخْبَرَنِي صديقُنا أبو الدُّرّ ياقُوتُ[١] بنُ عبدِ اللَّهِ الرُّوميُّ، مَوْلَى الحَمَوِيِّ، البَغْدادِيُّ، قال: رأيتُ ديوانَ أبي الطيب المتنبِّي بخَطِّ أبي الحَسَنِ علي بنِ عِيسى الرَّبَعِيّ، قالَ في أوّلِهِ:

الذي أَعْرِفُه من نَسَبِ أبي الطيب أَنَّهُ: أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُرّةَ بن عبدِ الجَبّار الجُعْفِيُّ؛ وكانَ يَكْتُمُ نَسَبَهُ، وسأَلْتُه عن سَبَبِ طَيِّه ذلك فقال: «إني أَنْزِلُ دائماً بعَشائِرَ وقبائِلَ من العرب، ولا أُحِبُّ أنْ يَعْرِفوني خِيفةَ أنْ يكُونَ لَهُمْ في قَوْمِيَ تِرَةٌ»[٢]. وهذا الذي صَحَّ عندي من نَسَبِه. قال: واجْتَزْتُ أنا وأبو الحَسَنِ محمدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلامِيُّ[٣] الشاعرُ على الجِسْرِ ببغدادَ، وعليهِ من جُمْلةِ السُّؤّالِ رَجُلٌ مَكْفُوفٌ، فقالَ لي السَّلاَمِيُّ: هذا المَكْفُوفُ أخو المتنبي؛ فدَنَوْتُ منه فسألْتُه عن ذلك، فصَدَّقَهُ، وانتسَبَ هذا النَّسَبَ وقال: «مِنْ ههُنا انقطَعَ نَسَبُنا». وكانَ مَوْلِدُه بالكُوفةِ في كِنْدَةَ، سنةَ ثلاثٍ وثلاثمِئة، وأَرْضَعَتْهُ امرأةٌ عَلَوِيّةٌ من آل عُبَيْدِ اللَّه. قالَ الرَّبَعِيُّ: وقالَ لي المتنبِّي: «كُنْتُ أُحِبُّ البَطَالَةَ وصُحْبَةَ البادِيَة» ـ وكانَ يذُمُّ أهْلَ الكُوفةِ لأنهم يُضيِّقونَ على أنفُسِهم في كل شيءٍ حتى في الأسماء: فيتداعَوْنَ

مضبوطاً ضَبْطَ قَلَم؛ وهو وَهْمٌ، إذْ يَصِيرُ مَعْناهُ: العِيدانُ التي تكُونُ للسِّقَاء: واحِدِ أَسْقِيَةِ الماء! وإنما هو السَّقَّاءُ، بزِنَةِ شَدّادٍ، نَعْتٌ، وقد أَطْبقَتِ المَصادرُ على نِسْبَةِ والِدِ المتنبئ إلى صَنْعةِ سَقْيِ الماء، ومِنْ هُنا هُجِيَ بقَوْلِ الشاعر: [الخفيف]

أيُّ فَضْلٍ لشاعرٍ يطلُبُ الفَضْـ ـلَ من الناسِ بُكْرةً وعَشِيّا

عاشَ حِيناً يَبِيعُ بالكُوفةِ الما ءَ وحِيناً يَبِيعُ ماءَ المُحَيّا

(١) العالِمُ الجُغْرافيُّ، الأديبُ المؤرِّخ، المتوفَّى سنة ٦٢٦هـ، صاحب «مُعْجَم الأُدَباء» و«مُعْجَم البُلْدان». انظر لترجمته: معجم الأدباء (ط. دار الغرب): ٧/ ٢٨٨١ وما بعدها.

(٢) التِّرَةُ، كَثِقَةٍ: الثَّأْرُ. انظر القاموس: (وتر).

(٣) في الأصل: ابنُ عُبَيْدِ الله، بالتصغير، تحريفٌ. وأبو الحَسَنِ السَّلاَمِيُّ من أشْعَرِ شُعَراءِ العِراقِ في عَصْرِه. اتصل بالصاحبِ بن عَبّادٍ وعَضُدِ الدولة، وله ديوانٌ مطبوع. توفِّيَ سنة ٣٩٣هـ، ونِسْبتُه إلى دارِ السَّلاَم: بَغْداد. انظُرْ تَرْجَمَتَهُ في وَفَيات الأعيان: ٤/ ٤٠٣ والأعلام: ٦/ ٢٢٦.

بالأَلْقاب ـ «وَلمّا لُقِّبتُ بالمتنبِّئ ثَقُلَ ذلك عَليَّ زَماناً، ثُمَّ أَلِفْتُه».

وقالَ الرَّبَعيُّ: رأيتُ عنده بشِيرازَ جُزْءاً من شِعْرِه بخَطِّ ابنِ أبي الجُوعِ الوَرّاقِ المِصْرِيّ، وعليهِ بخَطٍّ آخَرَ: المُتَنبِّي السُّلَمِيّ البَغْداديّ!! فقال: «ما كَفاهُ أنْ عَزاني إلى غيرِ بَلَدِي، حتى نَسَبني إلى غيرِ أبي»[١] قال[٢]: وما أَظُنُّ أَنَّ أَحداً صَدَقَ في رِوايةِ هذا الديوانِ صِدْقي، فإنني كُنْتُ أُكاثِرُه[٣] ونَحْنُ بشِيراز، ورُبَّما أخذَ عني من كلامِ أبي عليٍّ[٤]؛ أيْ الفارسيّ النَّحْويّ؛ وسَمِعْتُ شِعْرَهُ يُقْرَأُ عليهِ دَفَعاتٍ، ولم أَقْرَأْ عليهِ بلَفْظي إلا العَضُدِيّاتِ والعَمِيديّات، فإنّي قَرَأْتُها تكْرِمةً لِمَنْ قِيلتْ فيه، ونَقَلْتُها بخَطّي من دَرْجٍ[٥] بخَطِّه كانَ مَعَهُ. هذا آخِرُ كَلامِ الرَّبَعِيّ.

٤ ـ تعريفٌ آخَرُ بالمتنبِّئ: أَخْبَرَنَا أبو اليُمْنِ زَيْدُ[٦] بنُ الحسنِ بنِ زيدٍ الكِنْديّ، فيما أَذِنَ لنا فيهِ، قـال: أخبرنـا أبو منصُـورِ بنُ زُرَيْقٍ[٧] قـال:

---

(١) أيْ: نَسَبَهُ إلى بَغْدادَ وبَلَدُه الكُوفةُ، وإلى سُلَيْمٍ، القبيلةِ المعروفة، وهو مِنْ جُعْفِيّ.

(٢) أيْ: الرَّبَعِيُّ.

(٣) أيْ: أستكْثِرُ من الأخْذِ عَنْهُ رِوايةً. انظر اللسان والقاموس: (كثر).

(٤) أيْ: الفارسيّ.

(٥) الدَّرْجُ، بالفتح ويُحرَّكُ: وَرَقٌ يُكْتَبُ فيهِ ويُدْرَجُ؛ أيْ: يُطْوَى. انظر اللسان والقاموس: (درج).

(٦) هو تاجُ الدينِ الكِنْدِيُّ، من الشُّعَراءِ العُلَماء بالعربيّةِ وعُلوم القُرآن، وأَحَدُ أَعْلام عَصْرِه. له مصنَّفاتٌ منها: «شَرْحُ ديوانِ المتنبّئ» وديوانُ شِعْر. توفّيَ سنة ٦١٣هـ، وهو شَيْخُ ابنِ العديم. انظر الأعلام: ٣/ ٥٧ ومَصادِرَه.

(٧) جَشِمْتُ منه عَرَقَ القِرْبَةِ لفُقْدانِ اسْمِه، ولأنَّ زُرَيْقاً جَدٌّ عالٍ من أجدادِه. ثُمَّ وَقَعْتُ عليهِ في تاج العروس: (زرق) وفيه نَقْلٌ عن أَنْسابِ السَّمْعَانيّ: ٣/ ١٥٠، وانظُرْ أيضاً: سِيَرَ أعلامِ النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ): ٢٠/ ٦٩. والرجُلُ هو عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بن عبد الواحِدِ الشيبانيُّ القَزّازُ، المعروفُ بابنِ زُرَيْق: مُقْرِئُ محدِّثٌ ثِقَةٌ، روى عن أبي بكرٍ الخطيب تاريخَ بَغْدادَ سِوى الجزءِ السادسِ والثلاثين، ومن تلاميذِه: ابنُ عَساكِرَ الكبير، والسمعاني. توفي ببغداد سنة ٥٣٥هـ.

قال لنا أبو بَكْرٍ الخطيبُ[1]:

أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْن بنِ الحَسَنِ بن عَبْدِ الصَّمَد، أبو الطَّيب الجُعْفيُّ، الشاعرُ المعروفُ بالمتنبِّئ. بَلَغَني أنه وُلِدَ بالكُوفة في سنةِ ثلاثٍ وثلاثمئة، ونَشَأَ بالشّام، وأَكْثَرَ المُقَامَ بالباديَة؛ وطَلَبَ الأدَبَ وعِلْمَ العربيّة، ونظَرَ في أيامِ الناس، وتَعاطَى قَوْلَ الشِّعْرِ من حَدَاثَتِه حتى بَلَغَ فيهِ الغايةَ التي فاقَ أَهْلَ عَصْرِه، وعَلاَ شُعَراءَ وَقْتِه.

واتَّصَلَ بالأمير أبي الحَسَنِ بنِ حَمْدانَ المعروفِ بسَيْفِ الدولة وانقطَعَ إليه، وأَكْثَرَ القَوْلَ في مَديحِه، ثم مَضَى إلى مِصرَ فمَدَحَ بها كافُوراً الخادِمَ، وأقامَ هُناكَ مُدّةً؛ ثُمَّ خَرَجَ من مِصْرَ وَوَرَدَ العِرَاقَ، ودخَلَ بَغْدادَ، وجالَسَ بها أَهْلَ الأدَب، وقُرِئَ عليه دِيوانُه. فحدَّثني أحْمَدُ بنُ أبي جَعْفَرٍ القَطِيعيُّ[2] عَنْ أبي أحْمَدَ عُبَيْدِ اللّه بنِ مُحمَّدِ بنِ أبي مُسْلِم الفَرَضِيّ[3]، قالَ: لمّا وَرَدَ المتنبِّئُ بَغْدادَ سَكَنَ في رَبَضِ[4] حُمَيْدٍ، فمضَيْتُ إلى الموضعِ الذي نَزَلَ فيهِ لأَسْمَعَ

(١) النَّصُّ المَحْكِيُّ في تاريخ بَغْداد، في ترجمةِ المتنبّئ: ٤/ ١٠٢، بلفظِه، إلاّ فُروقاً خَفيفةً.

(٢) نِسْبَتُه إلى قَطِيعةِ أُمِّ عِيسَى، إحْدَى قَطَائِعِ بَغْداد، وهي مواضِعُ في مَحَالَّ متفرِّقَةٍ فيها. وأَصْلُ القطِيعةِ في اللغة: أرضٌ يُقْطِعُها الحاكمُ مَنْ شاءَ، فهي فعِيلةٌ بمعنى مَفْعُولةٍ من قَطَعَ الثلاثي؛ وصَوَابُ النِّسْبَةِ إليها: قَطَعِيٌّ بالتحريك، وأمّا القَطيعيُّ فلفظُ العامّة، وعليهِ يجري المحدِّثون بلا تغيير. والراوي المذكورُ هو أبو الحَسَنِ أحْمَدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ منصورٍ العَتِيقيّ الرُّوْيَانيّ الأصل ـ ورُوْيَانُ من بلاد طبرستان ـ وُلِدَ ببغدادَ، وكان أحَدَ الثِّقَاتِ المُكْثِرينَ من الحديث، وروَى عنه الخطِيبُ. توفّيَ ببغداد سنة ٤٤١هـ. انظر تاريخ بغداد: ٤/ ٣٧٩ والأنساب: ٤/ ١٥٦، ٥٢٨ ومعجم البلدان: ٤/ ٣٧٧ والقاموس والتاج: (قطع).

(٣) ترجَمَهُ الذهبيُّ في السِّيَر وقال: «الإمامُ القُدْوةُ، شيخُ العِراق»؛ وهو أحدُ كِبارِ القُرّاءِ في عَصْرِه، وكان موصوفاً بالدِّيانةِ والوَرَع. توفّيَ سنة ٤٠٦هـ. انظر تاريخ بغداد: ١٠/ ٣٨٠ وسِيرَ أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٢ ـ ٢١٤. والفَرَضِيّ: العارفُ بعِلْم الفرائض؛ أي: المواريث.

(٤) الرَّبَضُ بالتحريك: الناحيةُ. القاموس: (ربض). والموضعُ المَذْكُورُ هو رَبَضُ حُمَيْدِ بنِ قَحْطَبَةَ الطائيّ (ت ١٥٩هـ)، من الوُلاة القادةِ في أوائل دولةِ بني العَبّاس، انظر معجم البلدان: ٣/ ٢٥ والأعلام: ٢/ ٢٨٣.

منه شيئاً من شِعْرِه، فلم أُصادِفْهُ؛ فَجَلَسْتُ أنتظِرُه، وأبْطَأَ عَلَيَّ فانصرَفْتُ من غَيْرِ أنْ أَلْقاهُ، ولم أَعُدْ إليهِ بَعْدَ ذلك. وقَدْ كانَ القاضِي مُحمَّدُ بنُ أحْمَدَ بنِ القاسمِ المَحَامِليُّ[١] سَمِعَ منه ديوانَهُ ورَواهُ عنه.

٥ ـ نَشْأَتُه وأوائِلُ أَخْبارِه: قالَ الخطِيبُ: أخْبَرَنا عليُّ بنُ المُحَسِّنِ التَّنُوخيُّ[٢] عن أبيهِ قال: حَدَّثني أبو الحَسَنِ محمدُ بنُ يَحيَى العَلَوِيُّ الزَّيْديُّ[٣] قال: كانَ المتنبّي وهو صَبِيٌّ يَنْزِلُ في جِوارِي بالكُوفة، وكانَ أبوهُ يُعْرَفُ بِعِيْدَانَ السَّقّاء، ويستقِي لنا ولأهْلِ المَحلّةِ. ونَشَأَ هو مُحِبًّا للعِلْم والأدب فَطَلَبَهُ، وصَحِبَ الأَعْرابَ في الباديةِ فجاءَنا بعدَ سِنِينَ بَدَوِيًّا قُحًّا؛ وقد كانَ تَعلَّمَ الكِتابةَ والقِراءةَ، فلَزِمَ أَهْلَ الْعِلْمِ والأدب، وأَكْثَرَ من مُلازَمةِ الوَرّاقِين فكانَ عِلْمُه من دفاتِرِهم. فأخْبَرني وَرّاقٌ كانَ يَجْلِسُ إليهِ يوماً، قالَ لي: ما رأيتُ أحْفَظَ من هذا الفَتَى ابنِ عِيدانَ قَطُّ! فَقُلْتُ له: كيفَ؟ فقال: كانَ اليومَ عِنْدي وقد أحْضَرَ رجُلٌ كِتاباً من كُتُبِ الأصمعيّ ـ سَمّاهُ الوَرّاقُ وأُنْسِيَهُ أبو الحَسَنِ ـ يكُونُ نَحْوَ ثلاثِينَ وَرَقةً، لِيَبِيعَهُ. قالَ: فأَخَذَ ينظُرُ فيهِ طويلاً، فقال له الرجُلُ: أُرِيدُ بَيْعَهُ، وقد قَطَعْتَني عن ذلك، فإنْ كُنْتَ تُرِيدُ حِفْظَهُ فهذا إن شاءَ اللَّهُ يكُونُ بَعْدَ شَهْرٍ!! قال: فقال له ابنُ عِيدانَ: «فإنْ كُنْتُ قَدْ حَفِظْتُه في هذه المُدَّةِ فما لِي عليكَ»؟ قال: أَهَبُ لَكَ الكِتابَ! قال: فأخَذْتُ الدَّفْتَرَ مِنْ يَدِه، فأقْبَلَ يَتْلُوه عَلَيَّ إلى آخِرِه، ثم استلَبَهُ فجعَلَهُ في كُمِّه وقامَ، فعَلِقَ به صاحِبُه وطالَبَهُ بالثَّمَنِ، فقال: «ما إلى ذلك سَبِيلٌ، قد وَهَبْتَهُ لي»؛ قال: فمَنَعْناهُ مِنْهُ وَقُلْنا

---

(١) مَضَتْ ترجمتُه.

(٢) القاضي أبو القاسم التنوخِيّ، أديبٌ صَحِبَ أبا العلاء المَعَرِّيَّ وأخذ عنه، وهو من بيتِ أدبٍ وعِلْمٍ معروفٍ، ووالدُهُ المحسِّنُ بنُ عليٍّ هو صاحبُ «نِشوار المُحاضَرةِ». وتولَّى أبو القاسمِ القضاءَ ورَوَى الحديثَ، وكان شِيعيًّا مُعْتَزِليًّا. تُوفّي سنة ٤٤٧هـ. انظر وَفَياتِ الأعيان: ٤/ ١٥٩ ـ ١٦٢ والوافي: ٢١/ ٤٠١ ـ ٤٠٤، وقد تَرْجَمَ له كثيرٌ.

(٣) لم أجِدْ له ترجمةً.

له: أنتَ شَرَطْتَ على نَفْسِكَ هذا للغُلام، فتَرَكَهُ عليهِ.

وقال أبو الحَسَن: كانَ عِيدانُ والِدُ المتنبّي يذكُرُ أنه من جُعْفِيٍّ، وكانت جَدَّةُ المتنبِّي هَمْدَانِيّةً صَحِيحةَ النَّسَبِ ـ لا أشُكُّ فيها ـ وكانت جارتَنا، وكانت من صُلَحاءِ النِّساءِ الكُوفيّات.

قال التَّنُوخيُّ: قالَ أبي: فاتَّفقَ مَجيءُ المتنبِّي بَعْدَ سِنين إلى الأَهْوازِ مُنْصَرِفاً من فارِسَ، فذاكَرْتُه بأبي الحَسَن فقالَ: «تِرْبِيَ وصَدِيقي وجارِي بالكُوفة». وأَطْراهُ ووَصَفَهُ؛ وسأَلْتُ المتنبِّيَ عن نَسَبِه فما اعْتَرَفَ لي بهِ، وقال: «أنا رجُلٌ أَخبِطُ القَبائِلَ وأَطْوي البَوادِيَ وَحْدِي، ومتى انْتَسَبْتُ لم آمَنْ أنْ يَأْخُذَني بَعْضُ العرب بطائلةٍ بينَها وبينَ القَبيلةِ التي أنتسِبُ إليها، وما دُمْتُ غَيْرَ مُنْتَسِبٍ إلى أَحَدٍ فأنا أَسْلَمُ على جَميعهم ويَخافُونَ لساني». قال(١): واجْتَمَعْتُ بَعْدَ موتِ المتنبي بسِنِينَ مع القاضي أبي(٢) الحَسَن بن أُمِّ شَيْبَانَ الهاشِميّ الكُوفيّ، وجَرَى ذِكْرُ المتنبِّي فقال: كُنْتُ أَعْرِفُ أباهُ بالكُوفةِ شَيْخاً يُسمَّى عِيدانَ، يَسْقِي على بَعِيرٍ له، وكان جُعْفِيًّا صَحِيحَ النَّسَب؛ قال(٣): وقد كانَ المتنبِّي لَمّا خَرَجَ إلى كَلْبٍ وأقامَ فيهم ادّعى أنه عَلَوِيٌّ حُسَيْنيّ، ثُمَّ ادّعى بَعْدَ ذلك النُّبوّةَ، ثم عادَ يَدَّعي أنه علوِيٌّ، إلى أنْ أُشْهِدَ عليهِ بالكَذِبِ في الدَّعْوَيَيْنِ(٤)؛ وحُبِسَ دَهْراً طويلاً وأشْرَفَ على

---

(١) أي والِدُ التنوخيِّ المذكُور، وهو أبو عليٍّ المحسِّنُ بنُ عليٍّ (ت ٣٨٤هـ) صاحبُ «النِّشْوار»، الأديبُ الشاعرُ الأخْباريّ. انظر وفيات الأعيان: ٤/ ١٥٩.

(٢) هو محمد بنُ صالح، من نَسْلِ الصحابيّ الجليلِ عبدِ اللّهِ بن عَبّاس. كان واسعَ العِلْم حَسَنَ التصنيف، ووَصَفَهُ الذهبيُّ بقاضِي القُضاة. توفّيَ سنة ٣٦٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٢٦.

(٣) ابنُ أُمِّ شيبان، أوْ التنوخيُّ.

(٤) في الأصل وتاريخ بغداد: الدعوتين، مثنّى دَعْوَة، وإنما هو: الدَّعْوَيَيْنِ، بتحتيّةٍ بعد الواو، مثنّى (دَعْوَى) المقصور.

القَتل، ثم استُتِيبَ وأُشْهِدَ عليهِ بالتوبةِ وأُطْلِقَ[١].

قَرأتُ بخَطِّ عُبَيْدِ اللَّه بن محمدِ بنِ أحْمَدَ بنِ محمدِ بنِ أبي الجُوعِ، الوَرّاقِ المِصْريّ: سألْتُ أبا الطيبِ المتنبِّيَ أحْمدَ بنَ الحُسَيْنِ بنِ الحَسَنِ عن مَوْلِده ومَنْشَئِه، فقال: «وُلِدْتُ بالكُوفةِ سَنَةَ ثلاثٍ وثلاثمِئةٍ في كِنْدَةَ، ونشأْتُ بها، ودخَلتُ مدِينةَ السَّلام، ودُرْتُ الشّامَ كُلَّهُ: سَهْلَهُ وجَبَلَهُ».

أخْبرَنا أبو مُحمَّدٍ عَبْدُ العزيزِ بنُ مَحْمُودِ بنِ الأخْضَرِ البَغْدَاديُّ[٢] في كِتابهِ، قالَ: أخْبرَنَا الرئيسُ أبو الحَسَن عليُّ بنُ عليِّ بنِ نَصْرِ بنِ سَعيدٍ البِصْريُّ[٣]، قالَ: أخْبرَنَا أبو البَرَكاتِ محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ يَحْيَى الوكِيل[٤]، قال: أخْبرَنا عليُّ بنُ أيُّوبَ بنِ الحُسَيْنِ بن السّارَبَانِ، قال: وُلِدَ أبو الطيب أحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الحَسَنِ المتنبِّي بالكُوفةِ في مَحلّةِ كِنْدَةَ، سنةَ ثلاثٍ وثلاثمِئة، وقالَ الشِّعْرَ وهو صَبِيٌّ في المَكْتَبِ.

وقَرأْتُ[٥] في بعضِ النُّسَخِ من شِعْرِهِ أنَّ مَوْلِدَهُ قِيلَ على التقريب، لا على التحقيق. وقرَأْتُ في تاريخِ أبي عَبْدِ اللّهِ محمَّدِ بنِ عليٍّ العَظِيميِّ[٦]

---

(١) إلى هُنا انتهى النقلُ من تاريخ بغداد: ٤/ ١٠٤.

(٢) تَرْجَمَهُ الذهبيُّ في سِيَرِ أعلام النُّبلاء، ووصَفَهُ بالإمام العالم المحدِّث الحافظ مُفيدِ العِراق. له تصانيفُ حَديثيّةٌ، تُوفّيَ سنة ٦١١هـ. السِّيَر: ٢٢/ ٣١ ـ ٣٢. ولم يُسَمِّ ابنُ العَديمِ كِتابَهُ الذي نَقَلَ منه، وهو من مَصادرِهِ النادرة.

(٣) من الكُتّاب الأُدباء، له شِعْرٌ ورِوايَةٌ. توفي سنة ٥٥٤هـ. تَرْجَمَهُ الصَّفَدِيُّ في الوافي: ٢١/ ٣٣٥ وفيهِ: ابن سَعْد، بغير ياء.

(٤) لم أجِدْ له ترجمةً، ولكنَّ الذهبيَّ ذكَرَ في السِّيَر: ١٩/ ٢٢٤ في جُمْلةِ مَنْ تُوفّيَ سنة ٤٩٩هـ: أبا البركات محمدَ بن عبدِ الله بنِ الوكيل المُقرئ، فلعَلَّهُ هو.

(٥) رَجَعَ الكلامُ هُنا لابنِ العديمِ نَفْسِه.

(٦) أبو عَبْدِ اللّه التَّنُوخيُّ الحلبيّ، المعروفُ بالعَظِيميّ؛ مؤرِّخٌ، له شِعْرٌ، صَنَّفَ تاريخاً مرتَّباً على السِّنين انتهى فيه إلى حوادثِ ٥٣٨هـ. توفي سنة ٥٥٦هـ. انظر الأعلام: ٦/ ٢٧٦ ومَصادِرَهُ. والتأريخُ المذكورُ هو الذي نقَلَ عنه المؤلِّفُ ورَواهُ بالإجازة.

الحَلَبِيّ، وأخْبَرَنَا بِه المؤيَّدُ بنُ محمَّدٍ الطُّوسِيُّ[1] إجازةً عنه: قِيلَ إنه وُلِدَ ـ يَعْنِي المتنبِّيَ ـ سنةَ إِحْدَى[2] وثلاثمِئة، والأوّلُ أَصَحُّ، واللَّهُ أعْلَمُ.

٦ ـ بَيْنَ التَّنَبُّؤِ والسِّحْرِ والشَّعْوَذَة: أخْبَرَنا أبو الدُّرِّ ياقُوتُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الحَمَوِيُّ قال: ذكَر أبو الرَّيْحانِ محمد بن أحمد البِيرُونيُّ[3] ـ ونقَلْتُه من خطِّه ـ أَنَّ المتنبّيَ لَمّا ذكَرَ في القَصِيدةِ التي أوّلُها: [الكامل]

كُفِّيْ! أَرَانِيَ وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَما .... [4]

النُّورَ الذي تَظَاهَرَ لاهُوْتِيَّةً[5] في مَمْدُوحِه، وقال:

أنا مُبْصِرٌ وأَظُنُّ أَنِّيَ حَالِمٌ .... [6]

---

(١) الشيخُ الإمام المُقْرِئُ، مُسْنِدُ خُراسانَ، رَضِيُّ الدين النَّيسَابوريُّ. توفِّيَ سنة ٦١٧هـ. انظر سِيرَ الذهبي: ٢٢/ ١٠٤ ـ ١٠٧ ومصادره.

(٢) عَلَّقَ مُحقِّقُ «بُغْية الطَّلَب» على هذا الموضع في الحاشية ما يلي:
«كذا بالأصل، وجاء في تاريخ العَظيمي ط. دمشق ١٩٨٥: ٢٨٠، في حوادث سنة ثلاث وثلاثمئة: وَوُلِدَ أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بالكوفة في كندة». اهـ. قلتُ: فبَيْنَ المطبوع والمنقول تناقُضٌ، ولَعَلَّ في المطبوع سَقَطاً.

(٣) أَحَدُ أَفْذاذِ الحِضَارةِ العربية الإسلامية في العلوم الرياضية والفلك، والفلسفة وتواريخ الأُمَم. صَنَّفَ الكَثِيرَ، وعَلَتْ مَنْزِلَتُه عند مُلوك عَصْرِه. من كُتبه: «القانون المَسْعُوديّ» و«الآثار الباقية عن القرون الخالية» و«الجَماهِر في معرفة الجواهر» و«تحقيق ما للهند من مَقُولة مَقْبُولةٍ في العقل أو مَرْذُولة». توفّي سنة ٤٤٠هـ. انظر الأعلام: ٥/ ٣١٤ ومصادره.

(٤) تَمامُه: «هَمٌّ أقامَ على فؤادٍ أَنْجَمَا»، وهَمٌّ: فاعِلُ أراني. والبيتُ مَطْلَعُ قَصِيدةٍ في مخطوطة الديوان: ص ٢٦٦، وأَكْثَرُ الطَّبَعَاتِ خاليةٌ عنها.

(٥) في الأصل: يظاهر لاهوتيته، تحريف؛ وإنما قال المؤلفُ ذلك أَخْذاً من بيتٍ للمتنبّي في القصيدة، وهو قولُه (ص ٢٦٧):

نُـورٌ تَـظَـاهَـرَ فيكَ لاهُـوتِـيّـةً ... فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ ما لَنْ يُعْلَما

وهو من كلام أَهْل الحُلول، تَعالى اللَّهُ عن ذلك.

(٦) البيتُ في الديوان: ص ٢٦٧، وتمامُه قولُه: «مَنْ كانَ يحلُمُ بالإله فأحْلُما»؟ وفي الديوان: «نائمٌ».

ودارَ على الألْسُنِ، قالُوا: قدْ تَجلَّى لأبي الطيب رَبُّه!! وبهذا وَقَع في السِّجْن والوَثَاقِ الذي ذكَرَهُ في شِعْرِه: [المتقارِب]

أَيَا خَدَّدَ اللَّهُ وَرْدَ الخُدُودِ ....[1]

ولَمْ يذكُرْ سَبَبَ لَقَبِهِ على صِدْقِه، وإنّما وَجَّهَ له وَجْهاً ما، كما حَكى عنه أبو الفتحِ عُثْمانُ بنُ جِنّيٍّ أَنَّ سَبَبَهُ هو قَوْلُه: [الخفيف]

أَنَا في أُمَّةٍ - تَدارَكَها اللَّهُ - غريبٌ كصالحٍ في ثَمُودِ[2]

وإنما هُوَ أَنَّ الخُيوطَ[3] في رأسِه كانت تُديرُه وتُزْعِجُه، فتَحَيَّنَ غَيْبَةَ سَيْفِ الدولةِ في بعضِ غَزَواتِه، وقصَدَ أَعْرابَ الشّام واسْتَغْوَى مِقْدارَ أَلْفِ رجُلٍ منهم؛ واتَّصلَ خَبَرُه بسَيْفِ الدولةِ فكَرَّ راجِعاً وعاجَلَهُ، فتفرَّقَ عنه أَصْحابُه. وجِيْءَ به أَسِيراً، فقال له: أنتَ النَّبيُّ؟ قال: «بَلْ أنا المتنبِّئُ حتى تُطْعِمُوني وتَسْقُوني، فإذا فعَلْتُم ذلك فأنا أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْن». فأُعْجِبَ بِثَباتِ جَأْشِه وجُرْأَتِه في جَوابِهِ، وحقَنَ دَمَهُ وأَلْقاهُ في السِّجْنِ بحِمْصَ، إلى أَنْ قُرِّرَ عنده فَضْلُه، فأطْلَقَهُ واستخَصَّهُ. ولَمّا أَكْثَروا ذِكْرَهُ بالتَّنَبِّي تَلَقَّبَ به، كَيْلاَ يَصِيرَ ذَمًّا إذا احْتُشِمَ[4] أُخْفِيَ عنه، وشَتْماً لا يُشافَهُ به. واستمَرَّ الأَمْرُ على ما تَولَّى التلقُّبَ به[5].

قُلْتُ: قَوْلُ أبي الرَّيْحانِ: إنه تَحَيَّنَ غَيْبَةَ سَيْفِ الدولةِ في بعضِ غَزَواتِه،

---

(١) تَمامُه: «وَقَدَّ قُدودَ الحِسانِ القُدودِ». الديوان: ص ٧١.

(٢) الديوان: ص ٦٨ . ومُرادُ البيروني أَنَّ أبا الطيب زعَمَ أَنَّ هذا البيتَ هو سَبَبُ تلقيبه بالمتنبئ، فيما حَكاهُ عنه ابنُ جِنّي.

(٣) استعمالٌ مَجازيٌّ يُرادُ به الهَواجِسُ والخَطَراتُ، مِمّا يُحدِّثُ به المَرْءُ نَفْسَهُ: شَبَّهَ الأفكارَ التي تتعاقَبُ على ذِهْنِه بالخُيُوطِ تُشَدُّ فتُدِيرُ الشيءَ هكذا وهكذا. وهو مَعْنًى مولَّدٌ، ويعضُدُه قولُ كافور للمتنبي: «كيف أُولِّيكَ وفي رأسِك ما فيه»؟ الوافي: ٦/ ٣٤٥.

(٤) الاحْتِشَامُ: الاستحْياءُ والانقباضُ. اللسان والقاموس: (حشم).

(٥) آخِرُ النَّقْل عن البِيروني.

إلى آخرِ ما ذكَرَهُ، ليسَ بصحيح. فإنَّ أهلَ الشامِ وغَيْرَهُم من الرُّوَاةِ لم يَنْقُلوا أَنَّ المتنبِّيَ ظَهَرَ منه شيءٌ من ذلك في أيامِ سيفِ الدولة ومَمْلُكَتِه بحَلَبَ والشّام، ولا أَنَّهُ حبَسَهُ مُنْذُ اتّصَلَ به؛ وإنما كانَ ذلك في أيامِ لُؤْلُؤٍ الإِخْشِيديّ أميرِ حِمْصَ.

أخبَرَنا(١) أبو اليُمْنِ زَيْدُ بنُ الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ كِتَابةً، قال: أخبَرَنا أبو مَنْصُورِ بنُ زُرَيْقٍ قال: أخْبَرَنَا أبو بَكْرٍ الخطِيبُ قال(٢): أخبَرَنا عليُّ بن المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ قال: حدثنا أبي قال: حدَّثني أبو عليِّ بنُ أبي حامدٍ(٣) قال: سَمِعْتُ خَلْقاً بحَلَبَ يَحْكُونَ ـ وأبو الطيب بها إذْ ذاكَ ـ أنه تَنَبَّأَ في باديَةِ السَّمَاوَةِ ونَواحيها، إلى أنْ خَرَجَ إليهِ لؤلؤٌ أميرُ حِمْصَ مِنْ قِبَلِ الإخْشِيديّة فقاتَلَهُ وأَسَرَهُ(٤)، وشَرَّدَ مَنْ كان اجتمَعَ إليهِ من كَلْبٍ وكِلابٍ وغيرهِمَا من قبائلِ العرب؛ وحَبَسَهُ في السِّجْنِ دَهْراً طويلاً فاعْتَلّ وكادَ أنْ يَتْلَفَ، حتى سُئِلَ في أَمْرِه فاسْتَتَابَهُ وكتَبَ عليهِ وَثيقةً أشْهَدَ عليهِ فيها: ببُطْلانِ ما ادَّعَاهُ، ورُجوعِه إلى الإسْلام، وأنه تائبٌ منه ولا يُعاوِدُه، وأطْلَقَهُ. قال: وكان قَدْ تَلاَ على البَوادِي كَلاماً ذكَرَ أنه قُرْآنٌ أُنْزِلَ عليهِ، وكانوا يَحْكُونَ له سُوَراً كثيرةً، نَسَخْتُ منها سُورةً ضاعت وبَقِيَ أوّلُها في حِفْظي، وهو: «والنَّجْمِ السَّيّار • والفَلَكِ الدَّوّار • والليلِ والنَّهار • إنَّ الكافرَ لَفِي أَخْطار • امْضِ على سَنَنِكَ واقْفُ أَثَرَ مَنْ كان قَبْلَكَ من المُرْسَلِين، فإنَّ اللَّهَ قامعٌ بك زَيْغَ من أَلْحَدَ في دِينِهِ وضَلَّ عن سَبيلِه». قال: وهي طويلةٌ، لم يَبْقَ في حِفْظِيَ منها غَيْرُ هذا.

---

(١) تَقدَّمَ هذا الإِسْنادُ إلى الخطيب.

(٢) تاريخ بغداد: ٤/ ١٠٤ بفروقٍ خفيفة.

(٣) لم أَقَعْ له على ترجمة، ولكِنَّهُ يُذْكَر في الإسْنادِ عَيْنِه فيما يُنْقَلُ عن الخطيب وتاريخِه. انظر مثلاً: المنتظَم لابنِ الجَوْزيّ: ١٤/ ١٦٤.

(٤) في تاريخ بغداد: ٤/ ١٠٤: وأنفره، تحريف.

قالَ: وكان المتنبّي إذا شُوغِبَ في مَجْلِسِ سَيْفِ الدولةِ ـ ونَحْنُ إذْ ذاكَ بحَلَبَ ـ يُذْكَرُ له هذا «القُرْآنُ» وأمثالُهُ مِمّا كانَ يُحْكَى عنه، فيُنْكِرُه ويَجْحَدُه. قال: وقالَ له ابنُ خالَوَيْهِ يوماً في مَجْلِسِ سَيْفِ الدولة: لَوْلا أَنَّ الأَخِرَ جاهِلٌ لَمَا رَضِيَ أنْ يُدْعَى بالمتنبِّئ، لأنَّ (متنبِّئ) مَعْنَاهُ: كاذِبٌ، ومَنْ رَضِيَ أنْ يُدْعَى بالكَذِبِ فهو جاهِلٌ؛ فقال له: «أنا لَسْتُ أَرْضَى أَنْ أُدْعَى بهذا، وإنما يَدْعُوني به مَنْ يُرِيدُ الغَضَّ مني، ولَسْتُ أَقْدِرُ على الامتناع».

قالَ الخطيبُ[1]: قال لنا التَّنُوخيُّ: قال لي أبي: فأَمّا أنا فإني سأَلْتُه بالأَهْواز، في سنةِ أربعٍ وخَمْسِين وثلاثمِئة عند اجتيازِه بها إلى فارسَ، في حديثٍ طويلٍ جرَى بيْنَنَا، عن مَعْنَى المتنبِّي، لأني أَرَدْتُ أن أَسْمَعَ منه هَلْ تَنبّأَ أمْ لا؛ فأجابني بجوابٍ مُغالِطٍ لي، وهو أنْ قال: «هذا شيءٌ كانَ في الحَداثةِ أَوْجَبَتْهُ الصُّوْرَةُ»[2]، فاسْتَحْيَيْتُ أن استقْصِيَ عَلَيْهِ وأَمْسَكْتُ. وقال لي أبو عليِّ بنُ أبي حامِدٍ: قال لي أبي ونَحْنُ بحَلَبَ ـ وقَدْ سمعَ قَوْماً يَحْكُونَ عن أبي الطيب المتنبّي هذه السُّورةَ التي قَدَّمْنا ذِكْرَها ـ: لَوْلا جَهْلُه أيْنَ قَوْلُه: «امْضِ على سَنَنِكَ»، إلى آخِرِ الكلام، من قَوْلِ اللَّهِ تعالَى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥] إلى آخِرِ القِصّة؛ وهَلْ تَتقارَبُ الفَصَاحةُ فيهما أوْ يَشْتَبِهُ الكَلامانِ؟![3]

٧ ـ تَمْوِيهٌ وتَنْوِيهٌ وتَتْوِيهٌ: قَرَأْتُ في نُسْخَةٍ وقَعتْ إليَّ من شِعْرِ أبي

---

(١) ما زال ينقُلُ عن تاريخ بغداد، وإنما يُعِيدُ لَفْظَ الحِكايةِ دَفْعاً لتوهُّمِ أنه هو المُرادُ بعبارةِ «قالَ لنا».

(٢) كذا في الأصل وتاريخ بغداد والمنتظَم، وفي لسان الميزان ١/ ١٦٩: صورة، غَيْرَ مُعَرَّفٍ؛ فإنْ كان اللفظُ كذا فالمَعْنَى: الصِّفَةُ والهيئةُ والحال؛ أيْ الظَّرْفُ الذي كان أَوَانَئِذٍ ـ كما نُعَبِّرُ نَحْنُ في عَصْرِنا ـ وإلاّ فَيُمْكِنُ قِراءتُها: الصَّبْوَة، بالباء الموحَّدة ولا راءَ؛ وهي جَهْلةُ الفُتُوَّةِ. وانظر القاموس: (صور) و(صبو).

(٣) انقطعَ النقلُ من تاريخ بَغْدَادَ هُنا.

الطيب المتنبِّي، ذُكِرَ فيها عند قَوْله[١]: [الوافر]

أبَـا عَـبْـدِ الإلـهِ، مُـعَـاذُ، إنّي خَفِيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقامي
ذكَـرْتَ جَسِيمَ ما طَلَبِيْ، وأنَّا نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسَامِ
أَمِـثْـلِـيَ تـأْخُـذُ النَّكَباتُ منه ويَـجْـزَعُ من مُلاقاةِ الحِمَامِ؟
ولَـوْ بَـرَزَ الزَّمَانُ إليَّ شَخْصاً لخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامي!
وما بَلَغَتْ مَشِيئَتَها الليالي ولا سـارَتْ وفي يَدِها زِمَامي
إذا امتلأَتْ عُيونُ الخَيْلِ مِنّي فـوَيْـلٌ للتيقُّظِ والـمَـنَـامِ!![٢]

وقالَ[٣] أبو عَبْدِ اللَّهِ مُعاذُ بنُ إِسْماعِيلَ اللاذِقيُّ:

قَدِمَ المتنبي اللاذقيّةَ في سَنَةِ نَيِّفٍ وعِشْرِينَ، وهو كما عَذَّرَ[٤]، وله وَفْرةٌ[٥] إلى شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ. وضَوَى[٦] إليَّ، فأكْرَمْتُه وعَظَّمْتُهُ لِمَا رَأَيتُ من فَصَاحتِه وحُسْنِ سَمْتِه؛ فلمّا تَمكَّنَ الأُنْسُ بيني وبَيْنَهُ، وخَلَوْتُ معه في المَنْزِلِ اغْتِناماً لمشاهَدَتِه واقتباساً من أدبِه، وأعْجَبَني ما رأيتُ، قُلْتُ: واللَّهِ إنك لَشابٌّ خطِيرٌ، تَصْلُح لمُنادَمةِ مَلِكٍ كبير. فقال لي: «وَيْحكَ أَتَدرِي ما تَقُولُ؟ أنا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»! فظَنَنْتُ أنه يَهْزِلُ، ثم فكَّرتُ أني لم أُحصِّلْ عليهِ كلمةَ هَزْلٍ منذُ عَرَفْتُه، فَقُلْتُ له: ما تقُولُ؟ فقال: «أنا نبيٌّ مُرْسَلٌ»، قُلْتُ له: مُرْسَلٌ إلى مَنْ؟ قال: «إلى هذه الأُمّةِ الضّالّةِ المُضِلّة»! قُلْتُ: تَفْعَلُ ماذا؟

---

(١) القِطْعةُ في الديوان: ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠، وقَبْلَها: «وقالَ لمُعَاذٍ وهو يَعْذُلُه على ادِّعاءِ النُّبُوَّة، ولَهُما حَديثٌ».

(٢) في الديوان: في التيقُّظِ.

(٣) هُنا يَبْدَأُ المنقولُ بقولِهِ: ذُكِرَ.

(٤) أيْ أوَّلَ عَهْدِه بنَبَاتِ شَعَرِ العِذارِ؛ وهو ما سالَ على الخَدِّ منه. يقال: عَذَّرَ الغُلامُ تعذيراً. انظر القاموس: (عذر).

(٥) هي الشَّعَرُ إذا جاوَزَ شَحْمَةَ الأُذن. القاموس: (وفر).

(٦) أيْ: انضمَّ ولَجَأَ. القاموس: (ضوي).

قال: «أَمْلَؤُهَا عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً»، قلتُ: بماذا؟ قال: «بإِدْرارِ الأَرْزَاقِ والثَّوابِ العاجلِ الآجلِ لمن أطاعَ وأَتَى، وضَرْبِ الأَعْناقِ وقَطْعِ الأرزاقِ لمن عَصَى وأبى». فقُلْتُ له: إنّ هذا أَمْرٌ عَظِيمٌ أَخافُ منه عليكَ أن يَظْهَرَ، وعَذَلْتُه على قولِه ذلك، فقالَ بَدِيهاً: [الوافر]

أبا عَبْدِ الإلهِ، مُعَاذُ، إنّي خَفِيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقَامي

الأَبْيَاتَ... فقُلْتُ له: لِمَ ذكَرْتَ أنك نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إلى هذه الأُمّة، أَفَيُوْحَى إليكَ؟ قال: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فاتْلُ عليَّ شيئاً من الوَحْيِ إليك. فأتاني بكلام ما مَرَّ بسَمْعِي أَحْسَنُ منه، فقُلْتُ: وكَمْ أُوْحِيَ إليكَ من هذا؟ فقال: «مِئَةُ عِبْرةٍ وأربعَ عَشْرَةَ عِبْرةً»، قلتُ: وكَمْ العِبْرَةُ؟ فأتَى بمِقْدارِ أكْبَرِ الآيِ من كِتابِ اللَّه؛ قلتُ: ففي كَمْ مُدّةً أُوحِيَ إليكَ؟ قالَ: «جُمْلَةً واحِدَةً».

قُلْتُ: فأَسْمَعُ في هذه العِبَرِ أَنَّ لك طاعةً في السَّمَاء، فما هي؟ قال: «أَحْبِسُ المِدْرارَ، لقَطْعِ أَرْزاقِ العُصاةِ والفُجّار»، قُلْتُ: أَتَحْبِسُ من السماءِ مَطَرَها؟ قال: «إِيْ والذي فطَرَها! أفما هي مُعْجِزةٌ»؟ قُلْتُ: بَلَى واللَّهِ! قالَ: «فإِنْ حَبَسْتُ عن مكانٍ تنظُرُ إليهِ ولا تشُكُّ فيه، هَلْ تُؤْمِنُ بي وتُصدِّقُني على ما أَتَيْتُ به من رَبّي؟» قُلْتُ: إِيْ واللَّهِ! قال: «سأَفْعَلُ، فلا تَسأَلْني عن شيءٍ بَعْدَها حتى آتِيَكَ بهذه المُعْجِزة، ولا تُظْهِرْ شيئاً من هذا الأمرِ حتى يَظْهَرَ، وانتظِرْ ما وُعِدْتَهُ من غيرِ أنْ تَسْأَلَهُ». فقالَ لي بَعْدَ أيّام: «أَتُحِبُّ أن تنظُرَ إلى المُعْجِزةِ التي جَرَى ذِكْرُهَا»؟ قلتُ: بَلَى والله. فقال لي: «إذا أَرْسَلْتُ إليكَ أَحَدَ العَبيدِ فارْكَبْ مَعَهُ ولا تَأَخَّرْ، ولا يَخْرُجْ مَعَكَ أَحَدٌ»، قلتُ: نَعَم.

فلَمَّا كانَ بَعْدَ أيّام تَغيَّمَتِ السماءُ في يوم من أيام الشِّتاء، وإذا عَبْدُه قدْ أَقْبَلَ، فقال: يقولُ لك مَوْلَايَ: «اركَبْ للوَعْد»؛ فبادَرْتُ بالرُّكُوبِ معه وقُلْتُ: أينَ رَكِبَ مَوْلاك؟ فقال: إلى الصَّحْراء. ولم يَخْرُجْ معه أَحَدٌ غيري، واشتدَّ وَقْعُ

المَطَرِ، فقال: بَادِرْ بنا حتى نَسْتَكِنَّ مَعَهُ من هذا المَطَرِ، فإنه ينتظِرُنا بأعْلَى تَلٍّ لا يُصِيبُه فيهِ المَطَرُ؛ قُلْتُ: وكَيْفَ عَمِلَ؟ قال: أقْبَلَ ينظُرُ إلى السَّمَاءِ أوّلَ ما بَدَا السَّحَابُ الأسْوَدُ، وهو يَتكلَّمُ بما لا أَفْهَمُ، ثُمَّ أخذَ السَّوْطَ فأدارَ بهِ في مَوْضِعٍ سَتَنْظُرُ إليهِ من التَّلِّ وهو يُهَمْهِمُ، والمَطَرُ مِمّا يَليهِ ولا قَطْرَةَ منهُ عليهِ! فبادَرْتُ معه حتى نظَرْتُ إليهِ، وإذا هُوَ على تَلٍّ على نِصْفِ فَرْسَخٍ من البَلَدِ، فأتَيْتُه؛ وإذا هُوَ عَلَيْهِ قائِمٌ، ما عَلَيْهِ من ذلك المطرِ قَطْرَةٌ واحِدةٌ! وقد خُضْتُ في الماءِ إلى رُكْبَتَيْ الفَرَسِ والمَطَرُ في أَشَدِّ ما يكُونُ، ونظَرْتُ إلى نحوِ مِئَتَيْ ذِراعٍ في مِثْلِها من ذلك التَّلِّ يابِسٍ: ما فيهِ نَدًى ولا قَطْرَةُ مَطَرٍ!! فسَلَّمْتُ عليهِ فرَدَّ عليَّ وقال لي: «ما تَرَى»؟ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ فإني أَشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللَّه! فَبَسَطَ يَدَهُ، فبايَعْتُه بَيْعَةَ الإقْرارِ بنُبُوَّته. ثم قال لي: «ما قالَ هذا الخَبيثُ لَمّا دَعَا بك»؟ يَعْني عَبْدَهُ، فشَرَحْتُ له ما قالَ لي في الطريق لَمّا اسْتَخْبَرْتُه، فقَتَلَ العَبْدَ وقالَ[١]:

[مجزوء الرجز]

أيَّ مَحَلٍّ أرْتَقِي ... أيَّ عَظِيمٍ أتَّقِي

وكُلُّ ما قَدْ خَلَقَ الـ ... ـلّهُ وما لم يَخْلُقِ

محتقَرٌ في هِمَّتِي ... كشَعْرةٍ في مَفْرِقِي

وأخَذْتُ بَيْعَتَهُ لأَهْلي، ثم صَحَّ بَعْدَ ذلك أَنَّ البَيْعَةَ عَمَّتْ كُلَّ مَدِينةٍ بالشام[٢]. وذلك بأصْغَرِ حِيلةٍ تَعلَّمَها من بعضِ العرب، وهي صَدْحَةُ المَطَرِ: يَصْرِفُه بها عن أيِّ مكانٍ أَحَبَّ، بَعْدَ أنْ يُحَوِّيَ عليهِ بعَصاً[٣] وينفُثَ بالصَّدْحَةِ التي لهم؛ وقَدْ رأيتُ كَثيراً منهم بالسَّكُونِ وحَضرَمَوْتَ

(١) الديوان: ١٧٠، وقد ألْحقَها الناسخُ بالهامش.

(٢) هذا خَبَرٌ غريبٌ، إذْ ليسَ في مصادرِ ترجمةِ أبي الطيب أَنَّ بَيْعَتَهُ المزعومةَ «عَمَّتْ كُلَّ مَدِينةٍ بالشام»، بل هي مُتَّفِقةٌ على انحصارِها في جَهَلةِ الأعْراب ـ إلاّ أنْ يكُونَ مُرادُه مُجرَّدَ ذُيوعِ الخَبَرِ وانتشارِه.

(٣) في الأصل: بعضا، بضاد معجمة، وهو تصحيف.

والسَّكَاسِكِ من اليَمَنِ يَفْعَلُون هذا ولا يتعاظَمُونه، حتى إنَّ أَحَدَهُم يَصْدَحُ عن غَنَمِه وإبِلِه وبَقَرِه، وعن القَرْيَةِ من القُرَى، فلا يُصيبُهَا من المطرِ قَطْرةٌ، ويكُونُ المَطَرُ مِمّا يَلي الصَّدْحَةَ. وهو ضَرْبٌ من السِّحْر، ورأيتُ لهم من السِّحْرِ ما هو أَعْظَمُ من هذا. وسأَلْتُ المتنبِّيَ بَعْدَ ذلك: هل دَخَلْتَ السَّكُونَ؟ قال: «نَعَمْ، وَوَالِدِيْ منها. أَمَا سَمِعْتَ قَوْلي: [الوافر]

أَمُنْسِيَّ السَّكُونَ وحَضْرَمَوْتاً ... وَوَالِدَتِيْ وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا»[1]

فَقُلْتُ: مِنْ ثَمَّ استفادَ ما جَوَّزَهُ على طَغَام أَهْلِ الشّام. وجَرَتْ له أَشْياءُ بَعْدَ ذلك، من الحُروب والحَبْسِ والانتقالِ من مَوْضِعٍ إلى مَوْضِع، حتى حصَلَ عِنْدَ سَيْفِ الدولةِ وعَلاَ شَأْنُه.

قُلْتُ[2]: والصَّدْحَةُ التي أَشَارَ إلى أنها تَمْنَعُ المَطَرَ مَعْرُوفةٌ إلى زَمَانِنا هذا؛ وأَخْبَرَني غَيْرُ واحِدٍ مِمَّنْ أَثِقُ به من أَهْلِ اليَمَنِ أنهم يَصْرِفُون المَطَرَ عن الإبِلِ والغَنَم، وعن زَرْعِ عَدُوِّه، وأَنَّ رِعَاءَ الإبِلِ والغَنَمِ ببلادهم يستعمِلونَ ذلك، وهو نوعٌ من السِّحْر.

وذكَرَ أبو الحَسَنِ عليُّ[3] بنُ محمَّدِ بنِ عليّ بنِ فُوْرَّجَةَ، في كِتابِ «التَّجَنِّي

---

(١) الديوان: ١٤٥. والسَّكُونُ وكِنْدَةُ والسَّبِيعُ: مَحالُّ بالكُوفةِ سُمِّيَتْ بأَسْماءِ قبائلَ يمانيةٍ نَزَلَتْهَا.

(٢) انتهى النَّقْلُ عن النُّسْخَة، والقائلُ هو ابنُ العَديم.

(٣) كذا في الأصل المطبوع، وهو خَطَأٌ باتفاق مصادرِ ترجمتِه، وقد اختلَطَ الأَمْرُ على المؤلِّفِ أَوْ غيره. وإنما هو مُحَمَّدُ بنُ حَمْدِ بن عبدِ اللّهِ بنِ محمود، أَوْ حَمْدُ بنُ محمَّد، ولم يَقُلْ أَحَدٌ إنَّ اسْمَهُ عليٌّ؛ ويُعْرَفُ بابنِ فُورَّجَة، بضمٍّ فَسُكُونٍ، ثم تشديد الراء المهملة المفتوحة، هذا أَشْهَرُ أَوْجُهِ الضبط. وهو أديبٌ مُصَنِّفٌ، عُرِفَ بهذا الكِتاب وآخَرَ يسمَّى «الفَتْح على أبي الفَتْح». توفِّيَ في حُدود ٤٥٥هـ، وفي اسْمِه وأَسْمَاءِ آبائه خِلافٌ بينَ المصادر. انظر معجم الأدباء: ٦/ ٢٥٢٤، والأعلام: ٦/ ١٠٩.

على ابنِ جنِّي»، قال: أخْبَرَني أبو العَلاَءِ أحْمَدُ(١) بنُ سُليمانَ المَعَرِّيُّ، عَمَّنْ أخْبَرَهُ من الكُتّابِ قال: كُنْتُ بالديوانِ في بعضِ بلادِ الشّام، فأسْرعتِ المُدْيَةُ في إصْبَعِ بَعْضِ الكُتّابِ وهو يَبْرِي قَلَمَهُ، وأبو الطَّيّبِ حاضِرٌ؛ فقامَ إليه وتَفَلَ عليهِ وأمْسَكَها ساعةً بِيَدِهِ ثُمَّ أرْسَلَها وقد اندمَلَتْ بِدَمِها، فجَعَلَ يُعَجِّبُ من ذلك وَيُرِي مَنْ حضَرَ أنَّ ذلك من مُعْجِزاتِه! قال: ومِمّا كانَ يُمَخرِقُ(٢) به على أبْيَاتِ البادِيَةِ: أنه كانَ مَشّاءً قَوِيًّا على السَّيْرِ سَيْراً لا غاية بَعْدَهُ، وكانَ عارفاً بالفَلَواتِ ومَواقِعِ المِيَاهِ ومَحالِّ العرب بها، فكانَ يَسيرُ من حِلّةٍ إلى حِلّةٍ بالبادِيَةِ في لَيْلةٍ، وبَيْنَهُما مَسيرةُ ثَلاثٍ، فيَأْتِي ماءً ويَغْسِلُ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ورجْلَيْهِ؛ ثُمَّ يأتي أهْلَ تلكَ الحِلّةِ فيُخْبِرُهُمْ(٣) عن الحِلّةِ التي فارَقَها، ويُرِيهِم أنَّ الأرضَ طُوِيَتْ له!! فلمّا عَلَتْ سِنُّه رَغِبَ عن ذلك وزَهِدَ فيه، وأقْبَلَ على الشِّعْرِ وَقَدْ وُسِمَ بِتِلْكَ السِّمَةِ.

٨ ـ بَيْنَ السِّجْنِ وعَداوةِ الشُّعَراء: أنْبَأنا أبو محمدٍ(٤) عَبْدُ العزيزِ بْنُ محمودِ بنِ الأَخْضَر، قال: أخْبَرَنا الرئيسُ أبو الحَسَن عليُّ بنُ عَليِّ بنِ نَصْرِ بنِ سعيدٍ قال: أخبرنا أبو البركات محمدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بنِ يحيى قال: أخبرنا عليُّ بنُ أيوبَ بنِ الحُسَيْنِ قال: أنشدَنا أبو الطيب المتنبّي لنَفْسِه، وكانَ قومٌ في صِباهُ وَشَوْا به إلى السُّلْطان وتَكَذَّبُوا(٥) عليه، وقالوا له: قد

---

(١) هو المَعَرّيُّ الطائرُ الشُّهرة والذِّكْر (ت ٤٤٩هـ)، واسْمُهُ: أحمد بنُ عبد الله بنِ سُليمان، وما في المتن اختصارٌ.

(٢) المَخْرَقَةُ: إظْهارُ الخُرْقِ ـ وهو الحُمْقُ والرُّعُونةُ ـ تَوصُّلاً إلى حِيلةٍ. يقالُ: مَخْرَقَ مَخْرَقَةً، وهو لفظٌ مولَّدٌ كثيرُ الاستعمال، وقيلَ إنَّهُ صَحيحٌ؛ واختلَفَ اللُّغويون فيه فقيل بأصالةِ الميم، وقيلَ بزيادتِها على أنه مأخُوذٌ من مَخاريقِ الصِّبْيَان: جمعِ مِخْراقٍ، للمِنْديلِ يُفْتَلُ ويُلْعَبُ به. انظر الصحاح: (خرق) واللسان والتاج: (مخرق)، وشفاء الغليل: ص ٢٣٦.

(٣) في الأصل: فيخبرها.

(٤) تقدَّمَ هذا الإسناد.

(٥) التكذُّبُ: تكلُّفُ الكَذِب. القاموس: (كذب).

انقادَ له خَلْقٌ من العرب، وقد عزمَ على أخْذِ بَلَدِكَ .. حتى أوْحَشُوه منه، فاعتقَلَهُ وضَيَّقَ عليه. فكتبَ إليه يَمْدَحُهُ(١): [المتقارب]

أَيَا خَدَّدَ اللَّهُ وَرْدَ الخُدودِ وَقَدَّ قُدودَ الحِسَانِ القُدودِ
فَهُنَّ أَسَلْنَ دَماً مُقْلَتِي وعَذَّبْنَ قَلْبِيْ بِطُولِ الصُّدودِ

قال فيها في ذِكْرِ المَمْدُوح:

رَمَى حَلَباً بِنَواصِيْ الخُيولِ وسُمْرٍ يُرِقْنَ دَماً في الصَّعِيدِ
وَبِيضٍ مُسافِرَةٍ ما يُقِمْـ ـنَ لا في الرِّقَابِ ولا في الغُمودِ
يَقُدْنَ الفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقاءِ إلى كُلِّ جَيْشٍ كثيرِ العَدِيدِ
فَوَلَّى بأشياعِه الخَرْشَنِيُّ كَشَاءٍ أحَسَّ بِزَأْرِ الأُسُودِ
يَرَوْنَ من الذُّعْرِ صوتَ الرِّياحِ صَهيلَ الجِيادِ وخَفْقَ البُنودِ!
فمَنْ كالأميرِ ابنِ بِنْتِ الأمِيـ ـرِ أَمْ مَنْ كآبائِه والجُدودِ؟
سَعَوْا للمَعَالي وهُمْ صِبْيَةٌ وسادُوا وجادُوا وهُمْ في المُهُودِ
أَمَالِكَ رِقِّيْ ومَنْ شَأْنُه هِباتُ اللُّجَيْنِ وعِتْقُ العَبيدِ
دَعَوْتُكَ عند انقطاعِ الرَّجا ءِ والموتُ مِنِّيْ كحَبْلِ الوَرِيدِ
دَعَوْتُكَ لمّا بَرَانِيْ البِلَى وأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الحديدِ
وقدْ كانَ مَشْيُهُمَا في النِّعالِ فقَدْ صارَ مَشْيُهُمَا في القُيودِ
وكُنْتُ من النّاسِ في مَحْفِلٍ فها أنا في مَحْفِلٍ من قُرودِ!
تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الحُدودِ وحَدِّيْ قُبَيْلَ وُجوبِ السُّجُودِ
وقِيلَ: عَدَوْتُ على العالَمِيـ ـنَ بَيْنَ وِلادِيْ وبَيْنَ القُعودِ!
فمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلامِ وقَدْرُ الشَّهادةِ قَدْرُ الشُّهُودِ؟
فلا تَسْمَعَنَّ من الكاذِبِينَ ولا تَعْبَأَنَّ بمَحْكِ اليَهُودِ

(١) الأبياتُ كُلُّها في الديوان: ٧١ ـ ٧٢.

وكُنْ فارِقاً بَيْنَ دَعْـوَى أَرَدْتُ ... ودَعْـوَى فَعَلْتُ بِـشَـأْوٍ بَعِيدِ

وفي جُودِ كَفَّيْكَ ما جُدْتَ لي ... بِنَفْسِيْ، ولو كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ

وذكَرَ[١] أبو مَنْصُورٍ الثَّعالبيُّ في «اليتيمةِ» عن ابنِ جِنّيٍّ أنه قال: سَمِعْتُ أبا الطَّيبِ يَقُولُ: «إنما لُقِّبْتُ بالمتنبّي لقَوْلي: [الخفيف]

أنـا في أُمّـةٍ ـ تَـدارَكَـهـا اللّـ ... ـهُ ـ غرِيبٌ كصالحٍ في ثَمُودِ

ما مُقَامِيْ بِـأَرضِ نَخْلَةَ إلاّ ... كمُقَامِ المَسِيحِ بينَ اليَهُودِ»

أَخْبَرَنَا أبو هاشِمٍ[٢] عَبْدُ المُطَّلِبِ بنُ الفَضْلِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ الهاشميُّ قال: أخبرنا أبو سَعْدٍ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ محمّدِ بنِ منصورٍ السَّمْعَانيُّ[٣] قال: أنشدَنا الأُستاذُ أبو عليٍّ أحْمَدُ بنُ محمدٍ المعروفُ بمِسْكَوَيْهِ قال: أنشدنا المتنبّي: [الطويل]

ومِنْ نكَدِ الدنيا على الحُرِّ أنْ يَرى ... عَـدُوًّا له ما مِنْ صَداقَتِه بُدُّ[٤]

قال: قيل للمتنبّي: على مَنْ تَنَبَّأْتَ؟ قال: «على الشُّعَراء»! فقيلَ: لكُلِّ نَبيٍّ مُعْجِزَةٌ، فما مُعْجِزَتُكَ؟ قال: «هذا البيتُ».

وقَرَأْتُ في رِسالةِ عليِّ بنِ مَنْصُورٍ الحلبيّ، المعروفِ بدَوْخَلة[٥]، وهي

---

(١) يتيمة الدهر: ١/ ١٤٢، والأبياتُ فيه ثلاثةٌ.

(٢) من عُلَماء الحنفيّة، يرجع نَسَبُه إلى العَبّاس عم النبي ﷺ. تفقّه بما وراء النهر، وسَمعَ بسَمَرْقَنْدَ وبَلْخ، وصنَّفَ وأفتى وتَخَرَّجَ به الأئمةُ، وَصَفَهُ الذهبيُّ بالإمام العَلاّمة. توفي سنة ٦١٦هـ بحلب. انظر السِّيَر: ٢٢/ ٩٩.

(٣) الإمامُ ابنُ الإمام، محدِّثُ خُرَاسَانَ، صاحبُ المصنَّفات الكثيرة التي منها: «الأَنْساب» و«التحبير في المعجم الكبير». توفِّيَ سنة ٥٦٢هـ، وقيلَ في التي بَعْدَها. انظر سِيرَ الذهبي: ٤٥٦/٢٠.

(٤) الديوان: ٧٨.

(٥) يُعْرَفُ أيضاً بابنِ القارِح، أديبٌ من أَهْلِ حلب، له شِعْرٌ. تُوفّي بَعْدَ ٤٢٤هـ. انظر معجم الأدباء: ٥/ ١٩٧٤ والأعلام: ٥/ ٢٥. والدَّوْخَلَة، كجَوْهَرَةٍ وتُشدَّدُ لامُها: سَفيفةٌ من خُوصٍ يُوضَعُ فيها التَّمْرُ. القاموس: (دخل).

التي كتَبَها إلى أبي العَلاءِ بنِ سُليمانَ وأجابَهُ عنها «برِسالةِ الغُفْران»، وذَمَّ فِيها أبا الطيب المتنبيَ وقال: وذكَرَ ابنُ أبي الأَزْهَرِ[1] والقُطْرُبُّليُّ في التاريخ الذي اجتمَعَا على تَصْنِيفِه أَنَّ الوزيرَ عَلِيَّ بنَ عِيسَى أحْضَرَهُ إلى مَجْلِسِه فقال له: أنتَ أحْمَدُ المتنبِّئُ؟ فقال: «أنا أحْمَدُ النَّبيُّ، ولي عَلامَةٌ في بَطْنِي: خاتَمُ النُّبُوَّة»، وأَراهُم شَبيهاً بالسَّلْعةِ على بَطْنِه؛ فأَمَرَ بصَفْعِه وقُيِّدَ، وأَمَرَ بحَبْسِه في المُطْبِق[2].

ثم طالَعْتُ التاريخَ المُشارَ إليهِ، فقرَأْتُ فيهِ حوادثَ سنةِ اثنتينِ وثلاثِمئة. قال: وفيها جَلَسَ الوزيرُ عليُّ بنُ عِيسى للنظرِ في المَظالم، وأحْضَرَ مَجْلِسَهُ المتنبِّئَ ـ وكانَ مَحْبُوساً ـ لِيُخلِّيَ سَبيلَهُ؛ فناظَرَهُ بحَضْرةِ القُضاةِ والفُقَهاء، فقال: أنا أَحْمَدُ النَّبيُّ، ولي عَلامَةٌ في بَطْني: خاتَمُ النُّبُوَّة ـ وكَشَفَ عن بَطْنِه وأَراهُم شَبيهاً بالسَّلْعَةِ[3] على بَطْنِه ـ فأَمَرَ الوزيرُ بصَفْعِه فصُفِعَ مِئةَ صَفْعةٍ، وضَرَبَهُ وقَيَّدَهُ، وأَمَرَ بحَبْسِه في المُطْبِق. فبانَ لي أَنَّ أبا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ مَنْصُورٍ الحَلَبيَّ رأى في تاريخِ ابنِ أبي الأزهرِ والقُطْرُبُّلِيّ ذِكْرَ أَحْمَدَ المتنبِّئ، فظَنَّهُ أبا الطيبِ أَحْمَدَ بنَ الحُسَيْن، فوَقَعَ في الغَلَطِ الفاحشِ لجَهْلِه بالتاريخ!! فإنَّ هذه الواقعةَ مذكُورةٌ في هذا التاريخ في سنةِ اثنتينِ وثلاثِمئة، ولم يَكُنِ المتنبّي وُلِدَ بَعْدُ، فإنَّ مَوْلِدَهُ على الصَّحِيحِ في سنةِ ثلاثٍ وثلاثمئة؛ وقيلَ: إنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ إِحْدَى وثلاثمئة، فيَكُونُ له من العُمُرِ سَنَةٌ واحِدةٌ، وأبو مُحمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الحُسَيْنِ الكاتبُ ابنُ القُطْرُبُّليّ ومُحمَّدُ بنُ أبي الأزهرِ ماتا جميعاً قَبْلَ

---

(١) أبو بَكرٍ محمد بنُ مَزْيَدِ بن محمود بن مَنْصُور الخُزاعيُّ البَغْداديُّ: محدِّثٌ، توفي سنة ٣٢٥هـ. قال عنه الذهبيّ: شيخٌ معمَّرٌ تالِفٌ! وذلك اصطلاحُهم فيمَنْ يُتَّهَمُ في رِوايتِه. انظر السير: ١٥/ ٤١. وأمّا القُطْرُبُّلِيُّ فهو عَبْدُ الله بنُ الحُسَيْن: أديبٌ شاعِرٌ راوية. توفي سنة ٢٩٢هـ. انظر الوافي: ١٧/ ١٣٨. والكِتابُ المشارُ إليهِ في المتن سَمّاهُ الصَّفَدِيُّ: «الهَرْج والمَرْج في أخبار المستعين والمعتزّ»، ونسَبَهُ إلى ابنِ أبي الأزهر. انظر الوافي: ٥/ ١٨.

(٢) المُطْبِقُ، بوزنِ مُحْسِنٍ: سِجْنٌ تحتَ الأرض. تاج العروس: (طبق).

(٣) السَّلْعَةُ: شِبْهُ الغُدّةِ في الجَسَد. القاموس: (سلع).

أنْ يترعْرَعَ المتنبّي ويُعْرَفَ[1].

وهذا المتنبِّئُ الذي أحْضَرَهُ عليُّ بنُ عِيسى هو رَجُلٌ من أَهْلِ أَصْبَهان، تَنبّأَ في أيّامِ المقتدِر، يقال له: أَحْمَدُ بنُ عبدِ الرحيم الأَصْبَهَانيُّ؛ وَوَجَدْتُ ذِكْرَهُ هكذا، مَنْسُوباً، في كِتابِ عُبَيْدِ[2] اللَّهِ بنِ أحمدَ بنِ [أبي] طاهرٍ الذي ذَيَّلَ به كِتابَ أبيهِ في تاريخِ بَغْداد.

أَخْبَرَني ياقُوتُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الحَمَوِيُّ قال: وَقَعَ لي كِتابٌ مُصَنَّفٌ في أَخْبارِ أبي الطَّيب، صَغيرُ الحَجْم، تَصْنيفُ الأُستاذ أبي القاسم عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحيم الأَصْبَهانيِّ[3]؛ وذكَرَ فيهِ ادِّعاءَهُ النُّبُوَّةَ، وقال فيه: وقد هَجَاهُ الشُّعَراءُ بذلك، فقال الضَّبُّ[4] الضَّريرُ الشاميُّ فيه: [المنسرح]

(١) أجادَ ابنُ العديم في نَقْدِه المَنْهَجيّ التاريخيّ، وأمّا قَوْلُه الأخِيرُ ففيهِ تجوُّزٌ؛ لأنَّ القُطْرُبُلّيَّ ماتَ سنة ٢٩٢هـ كما تَقدَّمَ، فيصدُقُ عليهِ أنه تُوفّيَ «قَبْلَ أنْ يَترعْرعَ المتنبّي ويُعْرَفَ»، بخِلافِ ابنِ أبي الأزهر المتوفَّى سنة ٣٢٥هـ، ولَعلَّ المؤلِّفَ لم يَعْلَمْ تاريخَ وَفاتِه تعييناً.

(٢) سقَطَ من الأصل لفظ «أبي». وعُبَيْدُ اللَّهِ هذا مؤرِّخٌ تُوفّيَ سنة ٣١٥هـ، وذَيَّلَ على كِتابِ أبيهِ أحْمَدَ بنِ أبي طاهرٍ طَيْفُور المتوفَّى سنة ٢٨٠هـ، ويُسمَّى الأصْلُ «كِتابَ بَغْداد»، وهو مطبوعٌ. والأبُ أشْهَرُ من ابنهِ وأكْثَرُ تَصْنِيفاً. انظُر الأعلام: ١/ ١٤١ و٤/ ١٩٠.

(٣) أديبٌ أصْبَهانيٌّ، له كِتابٌ يسمَّى «الواضح» استدرَكَ فيه على ابن جِنّيّ، وهو غَيْرُ أخبارِ أبي الطيّب. قال ياقوتٌ: «كان حَيًّا سنة ٤٠١هـ». انظر معجم الأدباء: ٤/ ١٥٧٤. هذا، وأثْبَتَ عبدُ الرحمن البرقوقي في «شرح ديوان المتنبّي» ـ وهو شرحٌ عَصْريٌّ معروفٌ، جَمَعَهُ من أقوالِ الشُّرّاحِ المتقدِّمين ـ ترجمةً للمتنبّي «بقَلَمِ أحدِ مُعاصريه»، وسَمّاهُ: أبا القاسمِ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عبد الرحمن الأصْفَهانيّ، وسَمَّى الكِتَابَ: «إيضاحَ المُشْكِلِ من شِعْرِ المتنبّي»، وذلك كُلُّه بالنقل عن عَبْدِ القادرِ البغداديّ (ت ١٠٩٣هـ) صاحبِ «خِزانةِ الأدب» المشهور. وأظُنُّ أنَّ ذلك الأصبهانيَّ هو صاحبُ الترجمة، لموافقَتِه له في الكُنْيَةِ والنِّسْبَة، وقَدْ سَمّاهُ «عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الرحمن» وهو تحريفٌ قريبٌ من «عُبَيْدِ اللَّه بن عبدِ الرحيم»؛ وأمّا كتابُ «إيضاح المُشْكِل» فهو ما سَمّاهُ ياقوتٌ: «الواضِحَ». واللَّهُ أعلم.

(٤) لم أَجِدْ مَنْ تَرْجَمَهُ، على كَثْرةِ الفَحْصِ والتنقِيب عن لَقَبِهِ ونَعْتِه في المَصادِر. وإنما ذكَرَ الثعالبيُّ في اليتيمة: ٣/ ٣٣٩ وما بَعْدَها: أبا العَبّاس أحمد بنَ إبراهيم الضَّبّيَّ، بياء النسبة لا الضَّبَّ، وأوْرَدَ له مُختاراتٍ شِعْرِيّةً؛ وكان هذا من خواصّ الصاحب بن عَبّاد (ت

أَطْلَلْتَ يا أَيُّها الشَّقِيُّ دَمَكْ لا رَحِمَ اللَّهُ رُوحَ مَنْ رَحِمَكْ![1]
أَقْسَمْتُ لو أَقْسَمَ الأَمِيرُ على قَتْلِكَ قَتْلَ العِشَارِ ما ظَلَمَكْ

ويُرْوَى: قَبْلَ العِشَاءِ[2]؛ فأجابَهُ المتنبي فقال[3]: [المنسرح]

إِيهًا أَتَـاكَ الحِمَامُ فاخترَمَكْ غَيْرُ سَفيهٍ عليكَ مَنْ شَتَمَكْ[4]
هَـمُّـكَ في أَمْــرَدٍ تُقلِّبُ في عَيْنِ دَوَاةٍ من صُلْبِهِ قَلَمَكْ
وهِمَّتِيْ في انتضاءِ ذي شُطَبٍ أَقُـدُّ يـومـاً بـحَـدِّهِ أَدَمَـكْ
فاخْسَأْ كُلَيْباً واقْعُدْ عى ذَنَبٍ واطْـلِ بما بَيْنَ أَلْيَتَيْكَ فَمَكْ

قال: وَهَجَاهُ شاعِرٌ آخرُ فقال[5] ـ وقيل: هو الضَّبُّ أيضاً ـ: [الكامل]

قَدْ صَحَّ شِعْرُكَ والنُّبُوَّةُ لم تَصِحْ والقَوْلُ بالصِّدْقِ المُبِيِّنِ يَتَّضِحْ
الْـزَمْ مَقَالَ الشِّعْرِ تَحْظَ بِرُتْبَةٍ وعن التَّنَبِّيْ ـ لا أَبا لكَ ـ فانتزِحْ[6]
تَرْبَحْ دَماً قَدْ كُنْتَ تُوْجِبُ سَفْكَهُ إِنَّ المُمَتَّعَ بالحياةِ لَمَنْ رَبِحْ![7]

فأجابَهُ بأَبْيَاتٍ وهي: [الكامل]

٣٨٥هـ) ثم وَزَرَ لفخر الدولةِ بنِ بُوَيْه، وتوفِّي سنةَ ٣٩٨هـ. ويَبْعُدُ أن يكُونَ هو المقصود، إذْ لا وَصْفَ له بالإضْرارِ ولا نسبةَ إلى الشام؛ وانظُرْ أيضاً: معجم الأدباء: ١/ ١٧٥ وأرخه ٣٩٩هـ، والأعلام: ١/ ٨٦.

وقَدْ نُسِبَ إليهِ البيتان في شرح البرقوقي: ١/ ٦٩ وسَمّاه الأصبهانيُّ هناك: الضَّبّي.

(١) أَطَلَّ دَمَهُ: أَهْدَرَهُ. انظر القاموس: (طلل).

(٢) أي: يُرْوَى هذا اللفظُ في مَحلّ: (قَتْلَ العِشار)، والعِشَارُ: جَمْعُ عُشَراءَ؛ وهي الناقةُ أتى على حَمْلِها عَشَرَةُ أشهُرٍ، والرِّوَايةُ الأُخْرَى أَمْكَن.

(٣) ليسَ في نُسْخَتِنا من الديوان ولا في طَبَعاتِه وشُروحِه، إلاّ شَرْحَ البرقوقي: ١/ ٦٩، ولم يُورِدِ البيتَ الأول.

(٤) اخترمَتْهُ المَنِيّةُ: أَخَذَتْهُ. وإِيْهاً: أَمْرٌ بالسكوت. انظر القاموس (خرم) و(أيه).

(٥) البرقوقي: ١/ ٦٩ وعَزَاهُ إلى الضَّبّيّ، بياءِ النِّسْبة، واقتصَرَ على الثاني والثالث.

(٦) المصدر السابق: وعن النُّبُوَّة.

(٧) المصدر نفسه: إنّ التمتُّع.

نارُ الذَّرابَةِ من لِسانيَ تنقدحْ   يَغْدُو عليَّ من النُّهَى ما لَمْ يَرُحْ
بَحْرٌ لو اغْتُرِفَتْ لَطائِمُ مَوْجِه   بالأرضِ والسَّبْعِ الطِّبَاقِ لَمَا نُزِحْ
أَمْرِيْ إليَّ فإنْ سَمَحْتُ بمُهْجَةٍ   كَرُمَتْ عَلَيَّ فإنَّ مِثْلي مَنْ سَمَحْ(١)

أَخْبَرَنا أبو القاسم(٢) عَبْدُ اللَّهِ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ الحَمَوِيُّ، وأبو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بنُ مَحْمُودٍ السّاوِيُّ(٣) الصُّوفيُّ، قالا: أَخْبَرَنا أبو طاهِرٍ أَحْمَدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ السِّلَفِيُّ(٤) إجَازَةً ـ إنْ لم يكُنْ سَمَاعاً ـ قال: سَمِعْتُ أبا عَبْدِ اللَّهِ الحُسَيْنَ بنَ عليِّ بنِ هَمّامٍ الحُسَيْنيَّ الطّالَقَانيَّ(٥) ببَغْدَادَ يَقُولُ: هَجَا أبو عَبْدِ اللَّهِ بنُ الحَجّاجِ(٦) أبا الطيب المتنبِّيَ، لَمّا دخَلَ بَغْدادَ، بمقطّعاتٍ منها: [المجتثّ]

يا دِيْمَةَ الصَّفْعِ هُبّي   على قَفَا المتنبِّي
ويا قَفَاهُ تَقَدَّمْ   تَعالَ واجْلِسْ بجَنْبي
ويا يَدِيْ فاصْفَعِيهِ   بالنَّعْلِ حتى تَدِبّي

(١) الأبياتُ في الديوان: ٥٧ باختلاف. وفي الأصل: الذراية، بمثناة تحتيّة، وإنما هو بالموحَّدة، وهي حِدّةُ اللسان. انظر القاموس: (ذرب).

(٢) محدِّثٌ أديبٌ، ينتسِبُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ الخَزْرَجيّ الصَّحابيّ. أقامَ ببلادِ الشام ومِصْرَ وحَدَّثَ، وأصْلُهم من صِقِلّيَة. توفي سنة ٦٤٦هـ. انظر الوافي: ١٧/ ١٤٤.

(٣) تَرْجَمَهُ الذهبي في السِّيَر: ٢٣/ ٢٣٣.

(٤) حافظٌ مُكْثِرٌ، من المشاهير، أَصْلُه من أَصْبَهان؛ رَحَلَ في طلب الحديث، وأَمْلَى وصَنَّفَ. له: «مُعْجَمُ السَّفَر» و«الفضائل الباهرة في مصر والقاهرة». تُوفّي سنة ٥٧٦هـ. انظر وفيات الأعيان: ١/ ١٠٥ والأعلام: ١/ ٢١٥. والسِّلَفيّ، كَعِنَبيّ: نسبة إلى جدٍّ له كانَ يُلَقَّبُ: سِلَفَة، لفظٌ فارسيٌّ حاصِلُ معناه: غَليظُ الشَّفَة.

(٥) لم أَقَعْ على ذِكْرٍ له في المَصادِرِ التي نَظَرْتُ.

(٦) الحُسَيْن بنُ أحمد البَغْداديّ، شاعِرٌ عَبّاسيٌّ من طبقة الفحول، غَيْرَ أنه «سَفِيهُ الأُدَباء وأَمِيرُ الفُحْش» كما قال الذهبيّ. جَمَعَ الشريفُ الرضيُّ (ت ٤٠٦هـ) أَشْعارَهُ الجيدةَ في ديوانٍ مُفْرَدٍ، وكانَ ابنُ حَجّاجٍ مُتشيِّعاً. توفي سنة ٣٩١هـ. تَرْجَمَ له الكثيرُ، وانظر اليتيمة: ٣/ ٣٥ وما بعدها، والأعلام: ٢/ ٢٣١.

إنْ كـــانَ هـــذا نـبـيًّـا فــالـقِـرْدُ لا شَــكَّ رَبّــي[١]

فلمّا بَلَغَ أبا الطيبِ قال[٢]: [السريع]

عـارَضَـنِـي كَـلْـبُ بَنِي دارِمٍ فصُنْتُ عنهُ النَّفْسَ والعِرْضَا
ولَـــمْ أُكَـلِّـمْـهُ احـتـقـاراً له مَنْ ذا يَعَضُّ الكَلْبَ إنْ عَضّا؟

كذا رَوَاهُ السِّلَفيُّ: هُبّي، والمحفوظُ: صُبِّي.

وقال لي ياقُوتُ الحَمَوِيُّ: وذكَرَ الأُستاذُ أبو القاسمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الرحيمِ الأَصْبَهاني في أخْبارِ أبي الطيب قال[٣]: وقد تعلَّقَ قومٌ مِمَّنْ يَتعصَّبُ على المتنبي فانتزَعَ من شِعْرِه أبْيَاتاً زَعَم أنها تَدُلُّ على فَسَادِ اعتقادٍ، وجَعَلَ لها من يَتعصَّبُ [له] وَجْهاً، منها: [البسيط]

هَوِّنْ على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنْظَرُهُ فإنَّما يَقَظَاتُ العَيْنِ كالحُلُمِ

قالوا: هذا البيتُ من اعتقادِ السُّوفِسْطائيّة. وقولُه في أُخْرَى: [الوافر]

تَـمـتَّـعْ مـن سُـهَـادٍ أوْ رُقَـادٍ ولا تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ
فــإنَّ لثالثِ الحالينِ مَعْنًى سِوى معنى انتباهِكَ والمَنَامِ

قالوا: فهذا يُنْبِئُ عن اعتقادِ الحشِيشِيّة[٤]. وقولُه في أُخْرى: [البسيط]

تَخالَفَ الناسُ حتى لا اتِّفاقَ لهُمْ إلاّ على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ

(١) الأبياتُ مَشْهُورةٌ وإن اختلَفَتْ المَصادِرُ في رِوايتها، انظر مثلاً الوافي: ٦/ ٣٤٠.

(٢) ليسَ هذا من شِعْر أبي الطيب ولا هو في ديوانِه، وإنما هو شِعْرٌ قَديمٌ تَمثَّلَ به أبو العَبّاس ثَعْلَبٌ (ت ٢٩١هـ) لمّا نُمِيَ إليهِ أنَّ المُبَرِّدَ (ت ٢٨٦هـ) هَجَاهُ، ورَوَاهُما ثَعْلَبٌ عن أبي عَمْرِو بنِ العَلاَء (ت ١٥٤هـ)، بلفظِ: «شاتَمَنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ» في الأول، وفي الآخِر: «ولَم أُجِبْهُ لاحتقاري له». انظر معجم الأدباء: ٢/ ٥٥٠ وإِنْباه الرُّوَاة على أَنْبَاهِ النُّحاة (ط. بيروت ١٩٨٦) للقِفْطيّ (ت ٦٢٤هـ): ١/ ١٧٥.

(٣) مقدمة شرح البرقوقي: ١/ ٦٩ ـ ٧٠، والروايةُ بالمعنى لا اللفظ، وفي عَدَدِ أبياتِ الشاهِدِ اختلافٌ عَمّا هُنا. والأبياتُ كُلُّها من قصائدَ ثابتةٍ في ديوان المتنبّي.

(٤) المصدر السابق: مذهب التناسُخ.

فَقِيلَ: تَسْلَمُ نَفْسُ المرءِ باقِيَةً وقيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ المرءِ في العَطَبِ

قالوا: فهذا مَذْهَبُ مَنْ يقُولُ بالنَّفْسِ الناطقة. وقولُه في عَضُدِ الدولة: [السريع]

نَحْنُ بَنُو الدنيا، فما بَالُنا نَعَافُ ما لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ؟
تَبْخَلُ أيْدِينا بأَرْواحِنا على زَمَانٍ هُنَّ من كَسْبِهِ
فهذِهِ الأرواحُ مِن جَوِّهِ وهذِهِ الأَجْسَادُ من تُرْبِهِ

فهذا مَذْهَبُ الهَوَائِيَّةِ وأَصْحابِ الفَضَاء. وقَوْلُه في ابنِ العَميد: [الطويل]

يُعَلِّلُنا هذا الزَّمَانُ بِذا الوَعْدِ ويَخْدَعُ عَمّا في يَدَيْهِ من النَّقْدِ
فإنْ يكُنِ المَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُه فهذا، وإلاّ فالهُدَى ذا فما المَهْدِيْ؟

قالُوا: فهذا مَذْهَبُ أصْحابِ النُّجوم[١].

٩ ـ انتصارُ البِيْرُونيّ للمتنبّي: وقال لي ياقُوتُ الحَمَوِيُّ: نَقَلْتُ من خَطِّ أبي الرَّيْحان محمدِ بنِ أحْمَدَ البِيرُونيّ، في رسالةٍ له سَمّاها: «التَّعَلُّلَ بإجابةِ الوَهْم في مَعاني نُظومِ أُولي الفَضْل»[٢]، قالَ في أثْناءِ كلامٍ ذكَرَهُ:

ثُمَّ إنَّ لي من أخلاقِهم ـ يَعْني الشُّعَراءَ ـ أُسْوةً حَسَنةً ومَسْلاةً أكِيدةً بإمامِ الشُّعراءِ الذي طَرَّقَ لهم ولمَنْ بَعْدَه إلى طَريقتِه المُخْتَرَعَةِ في الشِّعْر، وخَلَّفهم مِنْ مَعَاني كلامِه في بُروقٍ تَخْطَفُ أَبْصارَهُم وبَصَائِرَهُم، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠]: أبي الطيب المتنبّي، حتى إنَّ أفاضِلَ زمانِنا ـ كأحْمَدَ

(١) المصدر السابق: مذهب الشيعة، وهو أَظْهَرُ.

(٢) ذكَرَ هذا الكِتابَ ياقوتٌ في ترجمة البيروني في معجمه: ٥/ ٢٣٣٣ وفيه: «بإجالة» باللام، وهو أصحّ، و«نَظْم» مُفْرَداً؛ وفي كَشْف الظنون: ١/ ٤٢٤ لحاجّي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): «التَّعْلِيل (بياء آخر الحروف) بإجالة الوَهْم في معاني النَّظْم».

بنِ فارسٍ ـ يَحْسُدُه[١] على ما آتاهُ اللّهُ من فَضْلِه، ويقول: إنه مَبْخُوتٌ[٢] وإلاّ... قال لي ياقوتُ: كذا رأيتُه مُبيَّضاً بخَطِّه. ويقول: سأَلْتُ أبا الفَضْلِ بنَ العَمِيد عن مَعْنَى قولِه[٣]: [الطويل]

وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجاهُ طاسِمُهْ . . . .

فأَجَابَني بأنَّ المتنبّيَ خَرَجَ من الدنيا بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً عاشَها ولم يكُنْ وَقَفَ على مَعْناهُ!!

وكانَ أبو الطيب ـ على ضِيقِ عَطَنِه ـ رَفِيعَ الهِمّةِ في صِنَاعَتِه، فاقتصَرَ لها في رِحْلَتِه بمَدْحِ عَضُدِ الدولةِ ووزِيرِه ابنِ العَمِيد؛ وراوَدَهُ الصاحبُ إسماعيلُ بنُ عَبّادٍ على التَّزاوُرِ رَغْبةً في مَدِيحِه، فأبَى الانحطاطَ إلى الكَتَبَة. وهذا ما حَمَلَهُ على الخَوْضِ في مَساوِئِ شِعْرِه، وليسَ يَترفَّعُ[٤] عن حَلِّه ونَثْرِه في أثْناءِ كِتابَتِه، ومُشارَكَةِ الحاتِميّ[٥] في إدامةِ حَلِّ نَظْمِه في رسالتِه بَعْدَ مَقالَتِهِ التي عَمِلَها فيه، محرِّضاً عليهِ ومُتنادِراً به كنوادِرِ المخنَّثِين؛ كما حَمَلَ مِثْلَهُ أبا محمَّدٍ المهلَّبيَّ ـ مُسْتَوْزَرَ بَخْتِيَارَ بنِ مُعِزِّ الدولة ـ على إغْراءِ سُفَهاءِ بَغْدادَ عليه، ومُعامَلَتِهِ بالسُّخْفِ الذي أعْرَضَ

(١) كذا في الأصل، وَوَجْهُ الكلام: يحسدونه، لعَوْدِه إلى الجمع، ولَعَلَّ في النص سَقَطاً. وأحْمَدُ بنُ فارسٍ هو أبو الحُسَيْن الرازيُّ المتوفّى سنة ٣٩٥هـ، صاحبُ «المُجْمَل» و«المقاييس» وغيرهما، وهو أحَدُ كِبارِ أئمّةِ اللغةِ والأدب. انظر الأعلام: ١/ ١٩٣ ومَصادِرَه.

(٢) المَبْخُوتُ: المَجْدُودُ؛ أي: ذو الحَظِّ. انظر القاموس: (بخت).

(٣) الديوان: ٢٤٦، وتَمامُه: بأنْ تُسْعِدَا والدمعُ أَشْفَاهُ ساجِمُهْ.

(٤) المَعْنَى أنَّ الصاحِبَ يَقْدَحُ في المتنبي وشِعْرِه ولا يستنكِفُ ـ مع ذلك ـ أَنْ يستعمِلَ شِعْرَهُ في تَرسُّلِه ونَثْرِه، فهو كما قيل في المثل: الشَّعِيرُ يُؤْكَلُ ويُذَمّ!

(٥) هو أبو عليّ محمدُ بنُ الحَسَن الحاتميّ، المتوفَّى سنة ٣٨٨هـ؛ أديبٌ نَقّادٌ من أهْلِ بَغْداد. لَقِيَ المتنبّيَ وناظَرَهُ في شِعْرِه وعُيوبه وسَرِقاتِه، وصنَّفَ في ذلك الرِّسالَةَ المُشارَ إليها في المتن، المشهورةَ «بالرسالةِ الحاتميّة»، وله مُصنَّفاتٌ أُخَرُ. انظر الأعلام: ٦/ ٨٢.

بوَجْهِه عنه وعنهم، ولم يَزِدْ في الجوابِ على الخَسْءِ[١]، ترفُّعاً وتنَزُّهاً واكتفاءً من مُهَاجاتِهم على ما خِلالَ شِعْرِه من مِثْلِ قولِه[٢]: [البسيط]

أَفاضِلُ الناسِ أَغْراضٌ لِذَا الزَّمَنِ ... يَخْلُو من الهَمِّ أَخْلاهُمْ من الفِطَنِ

وذكَرَ أبياتاً مِثْلَهُ، وقال[٣]: ثُمَّ ما يُدْرِيني هَلْ كانَ سَبَبُ الفَتْكِ به من الأَعْرابيِّ نَبْذاً من ذلك الإِغْراء؟ فالقائلُ بالشَّرِّ غيرُ مُبَالٍ أيضاً بفِعْلِه، وخاصّةً عند استماعِ ما كانَ حَظِيَ به لَدَى المقصودِينَ من القَبُولِ والإقْبال، حتى إنَّه قال عندَ دُخولِه إلى شِيرازَ: «أنا لا أُنْشِدُ ماثِلاً»، فأمَرَ عَضُدُ الدولةِ بكُرْسِيٍّ له؛ فلمّا دخَلَ ورآهُ أنْشَدَهُ قائماً، فأمَرَهُ بالجلوس فأبَى وقال: «هَيْبَتُكَ تَمْنَعُ عن ذلك»، فوقَعَ قولُه وفِعْلُه منه أَحْسَنَ المَواقع. وكان المُهَلَّبيُّ مع بَخْتِيَارَ يُناكِرُ أَنَّ عَضُدَ الدولةِ فعَلَ ذلك، حَنَقاً وجَهْلاً بالقَدْرِ.

قال: ومِمّا يَغِيظُني حَقًّا قومٌ مُتَّسِمُونَ بالفَضْل يكابِرونَ عُقولَهم في أَمْرِه، ويَرْتَبِكُون[٤] في إطْفاءِ نُورِه: كشَمْسِ المَعالي قابُوسَ[٥]، فقَدْ كانَ يقول: ليسَ للمتنبّي في ديوانِه ما يَسْوَى[٦] استماعاً إلاَّ أربعةَ أبْياتٍ ـ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَبْتَدِئُ من ذاتِ نَفْسِه بالإشارةِ إليها، وكان سُوءُ خُلُقِه يَمْنَعُني من

---

(١) إشارةٌ إلى ما تَقَدَّمَ، ممّا كان بينه وبين ابنِ حَجّاجٍ.

(٢) الديوان: ٣١٠.

(٣) النقلُ عن البيروني مُتَّصِلٌ.

(٤) في الأصل: ويرتكبون، بتقديم الكاف على الموحَّدة، وهو تحريفٌ يُخِلُّ بصحّة الكلام.

(٥) قابوسُ بنُ وَشْمَكِير الجِيليّ، أبو الحَسَنِ الملقَّبُ شَمْسَ المعالي: أَمِيرٌ من الدَّيْلَم، كان بينه وبين عَضُدِ الدولةِ حُروبٌ. وهو من مَشاهيرِ أُدَباء القرن الرابع، له شِعْرٌ جَيِّدٌ ونَثْرٌ مَجْمُوع. توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر الأعلام: ٥/ ١٧٠.

(٦) يَسْوَى: يُساوي، واختلَفَ اللُّغويُّون في صِحَّتِها. انظر اللسان والقاموس: (سوي). والترجمةُ كُلُّها ـ كما لا يَخْفَى ـ غَيْرُ ملتزَمٍ فيها الفصيحُ دُونَ المولَّدِ والدخيل، وذلك دأْبُ المؤرخِينَ وخُصوصاً المتأخِّرين.

سؤالِه عنها. وكأبي الفَتْح البُسْتِيّ[١] في قولِه: [المتقارب]

سُـئِـلْـتُ عـن الـمـتـنـبِّي.... فَقُلْتُ مَقالَ امرئٍ ليسَ يَغْلو[٢]

له في مَواضِعَ فَصْلُ الخِطَابِ وسائِرُ ما قالَهُ فَهْوَ فَسْلُ[٣]

قال: ولو كانَ قَلَبَهُ فقال: إنَّ مَواضِعَ منه فَسْلٌ وسائِرَ ما قالَهُ فَصْلُ خِطَابٍ، لكانَ أبْعَدَ عن الإثْمِ وأقْرَبَ إلى الصِّدْقِ والصَّوَاب[٤].

وقَرَأْتُ في بعضِ مُطالَعاتي أنَّ المتنبّيَ، لمّا اجتازَ بالرَّمْلةِ ومدَحَ طاهِرَ ابنَ الحَسَنِ بنِ طاهِرِ بنِ يحيى العَلَويَّ، أجْلَسَهُ طاهِرٌ في الدَّسْت[٥]، وجَلَسَ بينَ يديهِ حتى فرَغَ من مِدْحَتِه! وقَرَأْتُ في كِتابِ «نُزْهَةِ عُيونِ المشتاقِينَ»[٦] لأبي الغنائم الزَّيْديّ، قال: حَدَّثني جماعةٌ أنَّ المتنبّيَ لمّا مَدَحَ طاهِرَ بنَ الحَسَنِ بنِ طاهرٍ أَجازَهُ بألْفِ دِينارٍ! قُلْتُ: والقصيدةُ التي

(١) شاعرُ عَصْرِه وكاتِبُه، عليُّ بنُ محمَّدٍ، أبو الفَتْحِ البُسْتِيُّ المشهورُ بصَنْعةِ الجِناس، وهو من شُعَراءِ «اليتيمة». توفي سنة ٤٠٠هـ أو ٤٠١هـ. انظر الأعلام: ٤/ ٢٢٦ ويتيمة الدهر: ٤/ ٣٤٥ ـ ٣٨١ وفيه من شِعْره طَرَفٌ صالح، ووفيات الأعيان: ٣/ ٣٧٦.

(٢) كذا في الأصل، وهو يَنْقُصُ جُزْءًا عَرُوضِيًّا في الصَّدْر، أوّلَهُ أوْ آخِرَهُ، ووزن الجُزْء: فَعُولُنْ أوْ فَعُولُ أوْ فَعَلْ على حَسَبِ مَوْضِعِه؛ ولم أَقَعْ عليه في شيء من المصادر، كاليتيمة مثلاً، وديوان البستي المطبوعُ ناقِصٌ.

(٣) الفَسْلُ: الساقِطُ المَرْذُولُ. انظر اللسان والقاموس: (فسل).

(٤) آخِرُ النقل عن البيروني.

(٥) الدَّسْتُ بالفتح: صَدْرُ البيت، معرَّبٌ. القاموس: (دست). والمُرادُ أنَّ طاهِراً عَظَّمَهُ فأفْرَدَ له مَحلَّ الكَرامةِ من المَجلِس، وقَعَدَ هو مَقْعَدَ المادحِ في العادَة. وقَدْ ذُكِرَ ذلك في مقدِّمة القصيدة المشار إليها في الديوان: ٣٣، وفيه مَزيدُ تفصيل.

(٦) كِتابٌ في النَّسَب يَزيدُ على عَشَرةِ مجلَّدات، كما قال ياقوتٌ وتَبِعَهُ الصَّفَديّ، وسَمّاهُ: «نُزْهَةَ عُيونِ المشتاقين إلى وَصْف السادة الغُرّ المَيامِين»؛ فهو كِتابٌ في أنساب الأشراف، ولذا ذكَرَ فيه الحَسَنَ بنَ طاهر. وأبو الغنائم: عبد الله بنُ الحسن، من نَسْلِ زيدِ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، النَّسّابةُ المصنِّف. توفّي سنة ٤٣٨هـ. انظر معجم الأدباء: ٤/ ١٥١٣ والوافي: ١٧/ ١٢٩.

مدَحَهُ بها هي القصيدةُ البائيّةُ التي أوّلُها: [الطويل]

أَعِيدُوا صَبَاحِيْ فَهْوَ عندَ الكَواعِبِ   وَرُدُّوا رُقَادِيْ فَهْوَ لَحْظُ الحبائِبِ(١)

١٠ ـ صُوَرٌ مِنْ شُحِّه وصِغَرِ شَأْنِه: وقالَ ابنُ فُورَّجَةَ في كِتاب «التجنّي على ابنِ جنّي»: حَدَّثني الشيخُ أبو عليٍّ أحمدُ بنُ محمَّدِ بن يعقوبَ، مِسْكَوَيْهِ، بأَصْبهانَ، وكانَ تربيةَ ابْنِ العمِيد ونديمَهُ، قال: حَضَرْتُ مَجْلِسَ ابنِ العميدِ بأَرَّجَانَ وَقَدْ دخلَ عليهِ أبو الطيب، وكانَ يستعرِضُ سُيوفاً؛ فلمّا بَصُرَ بأبي الطيب نهَضَ من مَجْلِسه وأجْلَسَهُ في دَسْتِه، ثم قالَ لأبي الطيب: اخْتَرْ سيفاً من هذه السُّيوف. فاختارَ منها واحِداً ثَقِيلَ الحَلْي، واختارَ ابنُ العميدِ آخرَ غَيْرَهُ، فقالَ كُلٌّ منهما: سَيْفِيَ الذي اخْتَرْتُه أَجْوَدُ؛ ثم اصطَلَحا على أنْ يُجَرِّباهُما، فقالَ ابنُ العَميد: فبِمَاذا نجرِّبُهما؟ فقالَ أبو الطيب: «في الدنانير، فيؤْتَى بها فَيُنْضَدُ بَعْضُها على بعضٍ، ثم نَضْرِبُ به، فإنْ قَدَّهَا فهو قاطعٌ». فاستَدْعَى ابنُ العَمِيدِ بعِشْرِينَ دِيناراً، فَنُضِدَتْ، ثم ضَرَبَها أبو الطيب فقَدَّها وتَفرَّقَتْ في المَجْلِس، فقامَ من مَجْلِسِه المفخَّم يلتقِطُ الدنانيرَ المتبددة في كُمِّه؛ فقالَ ابنُ العميد: لِيَلْزَم الشيخُ مَجْلِسَهُ، فإنّ أحَدَ الخُدّامِ يلتقطُها ويأتيهِ بها! فقال: «بَلْ صاحبُ الحاجَةِ أَوْلَى بها».

قال ابنُ فُورَّجَةَ: وكانَ رجُلاً ذا هَيْئَةٍ، مُرَّ النَّفْسِ شُجاعاً، حُفَظَةً(٢) للآدابِ، عَفيفاً؛ وكانَ يَشِينُ ذلك كُلَّهُ بِبُخْلِه!!

قرَأْتُ(٣) على ظَهْرِ نُسْخَةٍ قديمةٍ من شِعْرِ المتنبّي ما صُورَتُه: وحَكى

---

(١) الديوان: ٣٣.

(٢) الحُفَظَةُ، كهُمَزَةٍ: الكثيرُ الحِفْظِ. تاج العروس: (حفظ).

(٣) الضميرُ عائدٌ لابنِ العَديم نَفْسِه، أو لابنِ فورجة. والرِّوَايةُ الآتِيَةُ وَرَدَتْ في يتيمة الدّهر: ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠ باختلافِ لفظٍ، وفي غيرِه كالوافي: ٦/ ٣٤٦.

أبو بَكْرٍ الخُوَارِزْميُّ أَنَّ المتنبّيَ كانَ قاعداً[١] تحتَ قولِ الشاعر: [الطويل]

وإنَّ أَحَقَّ النّاسِ باللَّوْمِ شاعِرٌ   يَلُومُ على البُخْلِ الرِّجَالَ ويَبْخَلُ

وإنما أعْرَبَ عن طَرِيقتِه وعادَتِه بقَوْلِه[٢]: [الطويل]

. . . .   وُقوفَ شَحِيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خاتِمُهْ

قال[٣]: فحَضَرْتُ عنده يوماً وقد أُحْضِرَ مالٌ فصُبَّ بَيْنَ يديهِ ـ من صِلاتِ سيفِ الدولة ـ على حَصيرٍ قد افْتَرَشَهُ، فوُزِنَ وأُعِيدَ في الكِيس. وتَخلَّلَتْ قِطْعَةٌ كأصْغَرِ ما يكُونُ خِلالَ الحصير، فأكَبَّ عليها بمَجامِعِه: يُعالِجُ لاستنقاذِها منه ويشتغِلُ عن جُلَسائِه، حتى تَوصَّلَ إلى إظْهارِ بعضِها، وأنْشَدَ قولَ قَيْسِ[٤] بنِ الخطِيم: [الطويل]

تبدَّتْ لنا كالشَّمْسِ تَحتَ غَمامةٍ   بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ

ثم استخْرَجَها وأمَرَ بإعادَتِها إلى مكانِها وقال: «إنها تُخَضِّرُ[٥] المائدةَ»!

أنْبَأنا أحْمَدُ[٦] بنُ أزْهَرَ بنِ عبدِ الوَهّابِ البَغْداديُّ، في كِتابِه، عن أبي

---

(١) أيْ: كان يصدُقُ في حَقِّه ذلك المَقال. وأبو بكر الخُوارِزْميّ: من شُعَراءِ «اليتيمة»، وأحَدُ كِبارِ الأدباء في عَصْره. توفي سنة ٣٨٣هـ. انظر الأعلام: ٦/ ١٨٣.

(٢) تَمامُ البيت: بَليتُ بِلَى الأطْلالِ إنْ لم أَقِفْ بها، الديوان: ٢٤٦.

(٣) أيْ: الخُوارِزْميّ.

(٤) شاعر الأَوْسِ في الجاهليّة، له ديوانٌ، وكثيرٌ من شِعْره في حَرْبِ الأَوْسِ والخَزْرَج. أدرك الإسْلامَ ولم يُسْلِمْ. قُتِلَ في حدود سنة ٢ ق. هـ. انظر «الأغاني» لأبي الفَرَج الأصبهانيّ (ت ٣٥٦هـ) (ط. بولاق): ٢/ ١٥٤ والأعلام: ٥/ ٢٠٥.

(٥) كذا في الأصل: بإعجام الخاء والضاد، وعليه بنيتُ ضَبْطَهُ بالشكل، فيكُونُ المعنى: تَجْعَلُها خَضْراءَ. وفي اليتيمة والوافي: «تحضر»، بإهمال الحاء، وزاد الصفدي: «ولا تحتقروها»، فيكُونُ الفِعْلُ عليه: «تُحْضِرُ» بضم فسكون؛ أيْ: تَقُومُ بثَمَنِ ما عليها، أوْ: «تحضُرُ»؛ أيْ: لها من القيمةِ ما يُجْعَلُ على المائدة.

(٦) صُوفيٌّ، توفي سنة ٦١٢هـ. تَرْجَمَهُ الصَّفَديُّ في الوافي: ٦/ ٢٣٥، وذكَرَ أَنَّ له إجازَةً من الأنصاريّ الآتي ذِكْرُه.

بَكْرٍ محمد بنِ عبد الباقي الأنصاريّ[١] قال: أخْبَرَنَا أبو غالبِ بنُ بِشْرَانَ[٢] إجازةً قال: أخبَرنا محمدُ بنُ عليٍّ بنِ نَصرٍ الكاتبُ[٣] ـ قُلْتُ: ونَقَلْتُه من خَطِّه بِبَغْدَادَ ـ قال: حدَّثني أبو الفَرَجِ عَبْدُ الواحدِ بنُ نَصرٍ البَبَّغَاءُ[٤] قال: كانَ أبو الطيب المتنبّي يَأْنَسُ بي ويشكُو عندي سيفَ الدولة، ويَأْمَنُني على غِيْبَتِه له، وكانَتِ الحالُ بيني وبَيْنَهُ صافيةً عامرةً دُونَ باقي الشُّعَراء؛ وكانَ سيفُ الدولةِ يَغْتَاظُ من عَظَمَتِه وتَعاليِه، ويَجْفُو عليهِ إذا كلَّمَهُ، والمتنبّي يُجيبُه في أكْثَرِ الأوْقاتِ ويَتغاضَى في بَعْضِها. قال: وأذْكُرُ ليلةً وقد اسْتَدْعَى سيفُ الدولةِ بَدْرَةً[٥] فشَقَّها بسِكِّين الدَّوَاة، فمَدَّ أبو عَبْدِاللَّهِ بنُ خالَوَيْهِ النَّحويُّ جانبَ طَيْلَسانِه ـ وكانَ صُوفاً أزْرَقَ ـ فحثَا فيه سيفُ الدولةِ صالحاً، ومَدَدْتُ ذَيْلَ دُرّاعَتِي ـ وكانت دِيباجاً ـ فحَثَا لِيَ فيها. وأبو الطَّيب حاضِرٌ، وسيفُ الدولةِ ينتظِرُ منه أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِنا

(١) يُعْرَفُ بقاضِي المارِسْتان، وهو من كِبارِ المحدِّثينَ المشارِكينَ في العلوم في زمانِه، ويَرْجِعُ نَسَبُه إلى كَعْبِ بنِ مالِكٍ الخزرجيّ شاعر النبي ﷺ. وصَفَهُ الذهبيُّ «بالإمام العالم المتفنِّن الفَرَضيّ العَدْل مُسْنِد العَصْر»، وأرخ وفاته ٥٣٥هـ. انظر السِّيَر: ٢٠/ ٢٣.

(٢) هو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سَهْل، أبو غالبٍ الواسطيّ المعروفُ بابنِ بِشْرانَ وبابنِ الخالة: شيخُ العِراقِ في اللغة. أكْثَرَ من روايةِ كُتُبِ الأدب، وشِعْرُه كثيرٌ جَيِّدٌ. توفي سنة ٤٦٢هـ. انظر الوافي: ٢/ ٨٢. وبِشْرانُ: ضَبَطَهُ الزَّبيديُّ في «التكملة والذيل والصلة»: (بشر) بالكسر؛ أيْ كعِمْران.

(٣) هو صاحبُ ديوانِ الرسائل في دولة جَلالِ الدولة، وأخوهُ الفقيهُ القاضي عَبْدُ الوَهّابِ بنُ عَليٍّ المالكيّ (ت ٤٢٢هـ) المشهورُ. أَخَذَ عن البَبَّغَاء وابنِ نُباتَةَ السَّعْدِيّ (ت ٤٠٥هـ)، وكان أديباً بَليغاً أخباريًّا. توفي سنة ٤٣٧هـ. انظر الوافي: ٤/ ١٢٤.

(٤) من أشْهَرِ شُعَراءِ القرنِ الرابع الهِجْريّ ومُدّاحِ سيفِ الدولة، يَرْجِعُ نَسَبُه إلى بني مخزومٍ من فروع قريش. له دِيوانٌ، وفي يتيمة الدهر طائفةٌ من شِعْرِه. توفي سنة ٣٩٨هـ. انظر تاريخ بغداد: ١١/ ١١ واليتيمة: ١/ ٢٩٣. ولُقِّبَ البَبْغاءَ، بفتحٍ فسُكونٍ وقد تُشدَّدُ الثانية، لفَصاحتِه أو لِلُثْغَةٍ. وانظر القاموس: (ببغ).

(٥) البَدْرَةُ بالفتح: كِيسٌ فيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ أوْ عَشَرةُ آلافٍ. القاموس: (بدر).

أوْ يَطْلُبَ شيئاً منها، فما فَعَلَ؛ فغاظَهُ ذلك فنَثَرها كُلَّها! فلمّا رَأَى[١] أنها قدْ فاتَتْهُ زاحَمَ الغِلْمانَ يلتقِطُ معهم، فغَمَزَهُم عليهِ سيفُ الدولةِ، فداسُوهُ وركِبُوه وصارت عِمَامَتُه وطُرْطُورُه في حَلْقِه، واسْتَحْيَا ومَضَتْ به ليلةٌ عَظِيمةٌ. وانصرَفَ، فخاطب أبو عبدِ اللَّهِ بنُ خالَوَيْه سيفَ الدولةِ في ذلك، فقال: مَنْ يَتعاظَمُ تِلْكَ العَظَمَةَ يَتَّضِعُ إلى مِثْلِ هذه المَنْزِلةِ لَوْلا حَماقَتُه؟

ومِمّا يُحْكَى من بُخْلِه وشُحِّه ما قَرَأْتُه في تاريخ أبي غالبٍ هَمّامِ[٢] بنِ الفَضْل بن المُهَذَّبِ المَعَرِّيّ ـ سَيَّرَهُ إليَّ بعضُ الشِّرافِ[٣] بحَلَبَ ـ قال: وكانَ سيفُ الدولةِ قدْ أقْطَعَهُ ـ يَعْني المتنبّيَ ـ ضَيْعَةً تُعْرَفُ بِبَصِّفَ[٤]، من ضِياع مَعرَّةِ النُّعْمانِ القِبْليّة، فكانَ يَترَدَّدُ إليها، وكانَ يُوْصَفُ بالبُخْل. فمِمّا ذُكِرَ عنه ما حَدَّثُوهُ[٥] جَماعةٌ من أهْلِ بَصِّفَ أنَّ كَلْباً من كلاب الضَّيْعَةِ المعروفةِ بصهيانَ[٦] كانَ يَطْرُقُ تينَ بَصِّفَ، فذُكِرَ ذلك لأبي الطيب المتنبّي، فقال للناطور: «إذا جاءَ الكَلْبُ فعرِّفْني به»؛ فلمّا جاءَ عَرَّفَهُ، فقال: «شُدُّوا[٧] على الحِصان»، وخَرَجَ إليهِ فطرَدَهُ أمْيالاً، ثُمَّ عادَ لا يَعْقِلُ

(١) أيْ: أبو الطيب.

(٢) لم أجِدْ مَنْ تَرْجَمَهُ استقلالاً، ولكِنَّ ابنَ العديم ذكَرَهُ في البُغْيَة: ٢/ ٨٦٤ في سِياقِ تلامذةِ أبي العَلاَء المَعَرِّيّ، فهو من أهل القرنِ الخامس؛ وقَدْ نقلَ كثيراً عن ذلك التاريخِ الذي أشارَ إليه، ولم يُسَمِّه باسْم مخصوص.

(٣) جَمْعُ شَرِيفٍ، ككريم وكِرَام وقَصِير وقِصَار؛ وهو جَمْعٌ مُولَّدٌ لم تذكُرْهُ أُمّهاتُ اللُّغةِ في جُموعِ الشَّرِيف، والظَّاهِرُ أنهم استعْمَلُوهُ بمعنى الأشْرافِ نَسَباً: الحَسَنِيّين أوْ الحُسَيْنِيّين، كقَوْلِ أبي الطيب (البرقوقي: ٣/ ٣٧٤): [الكامل]

لِيَزِدْ بَنُو الحَسَنِ الشِّرافُ تَواضُعاً ... هَيْهَاتَ تُكْتَمُ في الظَّلامِ مَشاعِلُ!

(٤) كذا ضَبَطَها مُحقِّقُ «بُغْيَةِ الطَّلَب»، ولم أجِدْ لها ذِكْراً في «مُعْجَم البُلْدان» ولا غَيْرِه، ولا في مَصادرِ اللُّغَة؛ فلذلك تَرَكْتُها على ضَبْطِه، وأحْسَبُ أنَّهُ عارِفٌ بها.

(٥) كذا في الأصْل، بلُغَةِ «أَكَلُوني البراغيثُ».

(٦) كذا في الأصْل، خِلْواً من الضبط، ولم أجِدْ لتلك الضَّيْعَةِ ذِكْراً في المصادر.

(٧) أيْ: شُدُّوا السَّرْجَ عليهِ للرُّكُوب.

من التعب وقَدْ عَرِقَ فَرَسُه. فقال له أهْلُ بَصِّفَ: يا أُسْتاذُ، كيف جرى أمْرُ الكَلْبِ؟ فقال: «كَأَنَّهُ كانَ فارساً مَرَّةً!! إنْ جِئْتَهُ بالطَّعْنَةِ عن اليمين عادَ إلى الشِّمَال، وإنْ جِئْتَهُ عن الشِّمَال عادَ إلى اليمين».

قال أبو هَمّام[١] المَعَرِّيُّ: وحَدَّثُوا عنهُ أنَّ أبَا البَهِيّ بن عَدِيٍّ شَيْخ رَفَنِيَّة، وكانَ صَدِيقاً له فنَزَلَ عنده ببَصِّف، فسَمِعُوهُ وهو يقولُ له: «يا أبا البَهِيّ، أَوْجِزْ في أَكْلِكَ فإنَّ الشَّمَعَةَ تَتْوى»[٢]!! وسَمِعُوه يُحاسِبُ وكِيلاً له وهو يقول: «والحَبَّتانِ[٣] ما فَعَلَتا»؟ يَعْني فِضّةً.

أَخْبَرَني ياقوتُ بنُ عبدِ اللّه، مَوْلَى الحَمَوِيّ، قال: قَرأْتُ في أَخْبارِ المتنبّي، تَصْنِيفِ أبي القاسم عُبَيْدِ اللّهِ بنِ عبدِ الرحيم الأَصْبَهانيِّ، قال: وأخبرني أبو الحُسَيْن الطرائفيُّ[٤] ببَغْدادَ قال: رأيتُ المتنبّيَ وقد مدَحَ رَجُلاً بقَوْلِه: [البسيط]

انْصُرْ بجُودِكَ ألفاظاً تَرَكْتُ بها ... في الشَّرْقِ والغَرْبِ مَنْ عاداكَ مَكْبُوتا
فقَدْ نظَرْتُكَ حتى حانَ مُرْتَحَلٌ ... وذا الوَداعُ، فكُنْ أهْلاً لِمَا شِيْتا[٥]

فأُعْطِيَ دُونَ الخَمْسَةِ دَراهِمَ، وقَبِلَها! قال: وأخبرني الطَّرائفيُّ قال:

(١) كذا في الأصل، والظاهر أنه سَبْقُ قَلَمٍ من المؤلِّف أوْ عَجَلةٌ من الناسخ، إذْ هو هَمّامٌ وكُنْيَتُه أبو غالبٍ كما سَبَقَ.

(٢) تَوِيَ كرَضِيَ، تَوًى بالتحريك: هَلَكَ وضاعَ. انظر القاموس والتاج: (توو). والمُرادُ أنَّ الشمعةَ تَذُوبُ وتَنْفَدُ مادَّتُها، والمتنبي من البُخْلِ بحيثُ يُحاسِبُ ضَيْفَهُ على شيءٍ حَقيرٍ كهذا.

(٣) الحَبّةُ بالفتح: سُدْسُ ثُمْنِ دِرْهَمٍ، وهو جُزْءٌ من ثمانيةٍ وأربعينَ جُزْءاً من دِرهَم. القاموس: (مكك) و(حبب).

(٤) لم أَقِفْ على ترجمةٍ له، وله ذِكْرٌ بالرِّوايةِ في معجم الأُدباء: ٤/ ١٥٨٨، ١٥٩٤ في ترجمةِ ابن جِنّيّ، وهو من أهْل القرن الرابعِ إذاً. وكُنْيَتُه هناك في الموضعين: أبو الحَسَن ـ غَيْرَ مُصَغَّرٍ ـ وهُنا بالتصغير.

(٥) الديوان: ٤٩، وفيه: مرتَحَلِي.

حَدَّثني المتنبّي قال: «أَوّلُ يوم وَصَلْتُ بالشِّعْر إلى ما أَرَدْتُه أني كُنتُ بدِمَشْق، فمَدَحْتُ أحَدَ بَني طُغْجٍ بقصيدتي التي أوّلُها: [الطويل]

أنا لائِمِي إنْ كُنْتُ وَقْتَ اللوائمِ عَلِمْتُ بما بِيْ بَيْنَ تلك المعَالِمِ[1]

فأَثابَني المَمْدوحُ بمِئةِ دينارٍ، ثم ابيضَّتْ أيامي بَعْدَها».

قالَ أبو القاسم بنُ عبدِ الرحيم: واتَّصَلَ بَعْدَ هذا بأبي العشائر الحُسَيْنِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ حَمْدانَ، ونفَقَ عليهِ نَفَاقاً تامًّا؛ فأَجْرَى ذِكْرَهُ عند سيفِ الدولةِ أبي الحَسَنِ عليّ بنِ حَمْدان، فأَمَرَهُ بإحْضارِه عنده، فاشْتَطَّ المتنبي عليهِ واشترَطَ أنْ يُنْشِدَهُ جالساً، ألّا يُكَلَّفَ تَقْبيلَ الأرضِ بينَ يديهِ، فأجابَهُ إلى ذلك. وأنْشَدَهُ فصادَفَ من سيفِ الدولةِ رَجُلاً قد غُذِيَ بالعِلْم، وحُشِيَ بالفَهْم، فأعْجَبَهُ شِعْرُهُ واستَخْلَصَهُ لِنَفْسِه، وأجْزَلَ عَطاءَهُ وأكْرَمَ مَثْواهُ، ووَصَلَهُ بِصِلاتٍ كثيرة. وسَلَّمَهُ إلى الرُّوّاضِ فعَلَّمُوه الفُروسِيّةَ، وصَحِبَ سيفَ الدولةِ في عِدّةِ غزواتٍ إلى بَلَدِ الرُّوم؛ منها: غَزْوَةُ الفَناءِ، التي لم يَنْجُ منها إلا سَيْفُ الدولةِ بنَفْسِه، وأَخَذَتْ عليهِ الرُّومُ الطُّرُقَ، فجَرَّدَ السَّيْفَ وحَمَلَ على العَسْكَر، وخَرَقَ الصُّفوفَ ونَجا بنَفْسِه.

قَرأْتُ[2] بخَطِّ محمّدِ بنِ عليِّ بنِ نَصْرٍ الكاتب، في كِتابِه المَوْسُوم «بالمُفَاوَضة»[3]، وأَخْبَرَنا به أبو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ محمد [بن] مَعْمَر بنِ طَبَرْزَذٍ[4]

---

(١) الديوان: ٢٨٥، وهي في مَدْحِ الحَسَنِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ طُغْج.

(٢) الضمير لابن العديم.

(٣) صَنَّفَهُ للمَلِك العزيز جَلال الدولة البويهيّ، وهو الذي كان يَترسَّلُ عنه كما مَرّ. قال ابنُ خَلِّكان: جَمَعَ فيهِ ما شاهَدَهُ، وهو من الكُتُبِ المُمْتِعة، في ثلاثينَ كُرّاسةً. انظر وفيات الأعيان: ٣/ ٢٢٢ وكَشْف الظُّنون: ٢/ ١٧٥٨.

(٤) محدِّثٌ مُسْنِدٌ من مَشاهِيرِ عَصْرِه، من أَهْلِ بَغْداد. عُمِّرَ وعَلَتْ طَبَقَتُه في الإسْناد، ورَحَلَ إليهِ طُلاّبُ الحديث؛ توفّي سنة ٦٠٧هـ. تَرْجَمَ له الكثيرُ، وانظر مثلاً: وفيات الأعيان: ٣/ ٤٥٢ وسير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٧ ـ ٥١٢. والطَّبَرْزَذُ، بذالٍ مُعْجَمةٍ، كسَفَرْجَلٍ:

وغَيْرُه، إجَازةً، عن أبي بَكْرِ محمد بنِ عبد الباقي الأنصاريّ، قال: أنْبَأنا أبو غالبِ بنُ بِشْرَانَ قال: أخْبَرنا ابنُ نَصْرٍ قال: حَدَّثني أبو القاسم الرَّقّيُّ(١) المنجِّمُ عن سيفِ الدولة أنه انهزَمَ في بعضِ السِّنينَ، وقد حُلِّلَتِ الصَّناديقُ عن بِغالِه في بعضِ دُروبِ الرُّوم، وأنها مَلأَتِ الدُّروبَ؛ وكانَ على فَرَسٍ له تُعْرَفُ بالثُّريّا، وأنه حَرَّكَ عليها نَحْوَ الفَرْسَخ حتى نَزَلَ، ولم يَعْثُرْ ولم يَتلَعْثَمْ. وأخبرني أنه بَقِيَ في هذه السَّفْرةِ في تِسْعَةِ أنْفُسٍ، أحَدُهم المتنبّي، وأنَّهُ كان يُحدِّثُ أبا عَبْدِ اللهِ ابنَ خالَوَيْه النَّحْويَّ حَديثَ الهزيمة؛ وأنَّ المتنبّيَ كانَ يَجْري بفَرَسِه فاعتلَقَتْ بعِمَامَتِه طاقةٌ من الشَّجَرِ المعروفِ بأمّ غَيْلانَ: فكُلَّما جَرى الفَرسُ انتشَرَتِ العِمامةُ، وتَخَيَّلَ المتنبّي أنه قَدْ ظُفِرَ به، فكانَ يَصيحُ: «الأمَانَ يا عِلْجُ»! قال: فهتَفْتُ به وقُلْتُ: أَيُّما عِلج؟ هذه شَجَرةٌ قد عَلِقَتْ بعِمَامَتِكَ!! فودَّ أنَّ الأرضَ ساخَتْ به وما سَمِعْتُه يقُولُ ذلك. فقال له ابنُ خالويهِ: أيها الأمِيرُ، أَفَلَيْسَ قامَ مَعَكَ حتى بَقِيَ في تِسْعَةِ أنْفُسٍ؟ تكْفيهِ هذهِ الفضِيلةُ.

وقرأتُ(٢) في مَجْمُوعٍ بخَطٍّ بعضِ الفُضَلاء: أنَّهُ لَمَّا فَعَلَ ذلك لَحِقَهُ سَيْفُ الدولةِ وضَحِكَ منه، وقال له: يا أبا الطيب، أينَ قَوْلُ: [البسيط]

الخَيْلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُني ... والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ؟(٣)

ولم يَزَلْ يَضْحَكُ منه بَقِيَّةَ يومِه في مُنْهَزَمِه.

أنبأنا أبو الحَسَنِ عليُّ بنُ أبي عبدِ اللهِ بنِ المُقَيَّر(٤)، عن أبي عليٍّ الحَسَنِ

السُّكَّرُ، معرَّبٌ. ويقال باللام وبالنون آخِراً. انظر القاموس: (طبرزذ).

(١) لم أَقِفْ على ترجمةٍ له.

(٢) الضمير لابنِ العديم كما يَظْهَرُ.

(٣) بَيْتُه المشهورُ الجاري على الألْسِنة، والمحفوظُ: و«السَّيْفُ والرُّمْحُ» في العَجُز، وكُلٌّ مَرْوِيٌّ. انظر الديوان: ٢٥٣ ووفيات الأعيان: ١/ ١٢٣ والوافي: ٦/ ٣٣٧.

(٤) هو عليُّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن منصور، أبو الحَسَن البغداديّ الأزجيّ الحَنْبَليّ، المعروفُ بابنِ المقيَّر ـ كمعظَّم ـ: مُسْنِدُ زَمانِه. سَمِعَ الكثيرَ، وحَدَّثَ بدمشقَ وبغدادَ ومكّةَ، وتوفّي بمِصْر سنة

ابنِ جَعْفَرٍ، ابنِ[1] المتوكِّلِ البغداديّ ـ ونَقَلْتُه من خَطِّه ـ قال: حدثني الشيخُ الإمامُ الفصِيحيُّ[2] وَقْتَ قِراءتي عليهِ ديوانَ أبي الطيب أحْمَدَ بنِ الحُسَيْنِ المتنبّي ـ وهو ابنُ عِيدانَ السَّقّاءِ ـ قال: قَدِمَ بعضُ الأشْرافِ من الكُوفة، فدخَلَ إلى مَجْلِسٍ فيهِ المتنبّي، فنهَضَ الناسُ كُلُّهم له سِوى المتنبّي؛ فجعَلَ كُلُّ واحِدٍ من الحاضرينَ يَسْأَلُه عن الأحوالِ بالكُوفةِ وما تَجدَّدَ هُناكَ، فقال له المتنبّي: «يا شريفُ، كيفَ خَلَّفْتَ الأسْعارَ بالكُوفة»؟ فقالَ: كُلُّ راوِيَةٍ برِطْلَيْنِ خُبْزٌ[3]. فأخْجَلَهُ، وقصَدَ الشريفُ أنْ يُعرِّضَ بأنَّ أباهُ كانَ سَقّاءً.

١١ ـ مَكانَتُه في العِلْم والأدب: ذكَرَ ابنُ فُورَّجَةَ في «التَّجَنّي على ابنِ جِنّي»، قال: وأمّا مَحلُّه ـ يَعْني المتنبّيَ ـ في العِلْم، فقالَ الحُسَيْنُ بنُ عليٍّ الحَلاّب[4]:

٦٤٣هـ. قِيلَ: سقَطَ بعضُ أَجْدادِه في حَفِيرٍ فيه قارٌ، فقيلَ له المُقَيِّرُ، ومَعْناهُ لُغَةً: المَطْليُّ بالقار، وهو الزِّفْتُ. انظر الوافي: ٢١/ ٣٤ والسِّيَر: ٢٣/ ١١٩ والقاموس والتاج: (قير).

(١) تَمامُ نَسَبِه إلى المتوكِّل الخليفة العَبّاسيّ: الحَسَن بن جَعْفَر بن عبد الصَّمَد بن جَعْفَر المتوكِّل. أديبٌ مصنِّف، توفي سنة ٥٥٤هـ. من مصنَّفاتِه: «سُرْعَةُ الجَواب ومُداعَبةُ الأحْباب»، ولعَلَّهُ الذي نقَلَ منه ابنُ العديم بخَطِّه. انظر الوافي: ١١/ ٤١٤ والأعلام: ٢/ ١٨٦.

(٢) هو علي بن محمَّد بن علي، أبو الحَسَن الإسْتِرَاباذِيّ النَّحْوِيّ. قَرأَ النحوَ على عبد القاهر الجُرْجَانيّ (ت ٤٧١هـ)، وسُمِّي بالفصِيحيّ لكثرة دِراسَتِه «الفصِيحَ» في اللغة لثَعْلَب. توفي سنة ٥١٦هـ، وكان مُتَشَيِّعاً. انظر معجم الأدباء: ٥/ ١٩٦٤ والوافي: ٢٢/ ٨٥. وإسْتِرَاباذُ: بَلْدةٌ من أعْمالِ طَبَرِسْتانَ، وما أثْبَتْناهُ هو ضَبْطُ السَّمْعَانيّ في الأنساب (١/ ١٣٠): بكسر الألف والتاء، وضَبَطَهُ ياقوتٌ في معجم البلدان بفتحهما جَميعاً.

(٣) كذا في الأصل، بلسانِ العامّة، وحَقُّه النَّصْبُ على التمييز.

(٤) في الأصل: الحَسَن، غير مصغَّر، والجلاب بالجيم، وكِلاهما تَصْحِيفٌ. وهو أبو عبدِ الله الحُسَيْنُ بنُ عليِّ بنِ الوَلِيد، المعروفُ بابنِ الحَلاّب بمهملة: نحويٌّ من أصحاب أبي عليٍّ الفارسيّ، رَوَى عنه ابنُ بِشْرانَ ـ المتقدِّمُ ذِكْرُه ـ «الحماسَةَ» لأبي تَمّام. ولم أرَ تأريخاً لوفاتِه، ورِوايةُ ابنِ بِشْرانَ المولودِ سنةَ ٣٨٠هـ عنه تقتضي أنه كان حَيًّا أواخِرَ القرن الرابع. انظر معجم الأدباء: ٣/ ١١٠٦، ٥/ ٢٣٥٠، وإنباه الرواة: ٣/ ٤٥، والوافي: ١٣/ ١٥، وبُغْية الوُعَاة للسيوطي (ت ٩١١هـ) ط. دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م: ١/ ٥٣٧.

سَمِعْتُه يقُول: «مَنْ أَرادَ أن يُغْرِبَ[١] عَلَيَّ بيتاً لا أَعْرِفُه فَلْيَفْعَلْ»؛ قال: وهذهِ دَعْوَى عَظِيمةٌ، ولا رَيْبَ أنه صادِقٌ فيها.

وأُخْبِرْتُ عن أبي العَلاء بنِ سُليمانَ المَعَرِّيّ أنه كانَ يسمِّي المتنبّيَ: «الشّاعِرَ»، ويسمِّي غَيْرَهُ من الشُّعَراءِ بِاسْمِه؛ وكانَ يقُولُ: ليسَ في شِعْرِه لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أن يقُومَ[٢] عنها ما هو في مَعْناها. وقَرَأْتُ في بعضِ كلامِ أبي العَلاء: قد عُلِمَ أنَّ أحْمَدَ بنَ الحُسَيْنِ كانَ شديدَ التفقُّدِ لِمَا كان يَنْطِقُ به من الكلام، يُغَيِّرُ[٣] الكلمةَ بَعْدَ أنْ تُرْوَى عنه، ويَفِرُّ من الضَّرُورةِ وإنْ جَلَبَ إليها الوَزْنُ.

سَمِعْتُ شَيْخَنا ضِياءَ الدينِ الحَسَنَ بنَ عَمْرو المَوْصِليَّ، المعروفَ بابنِ دُهْنِ الحَصى[٤]، يقولُ: كانَ أبو العلاءِ المَعَرِّيُّ يُعظِّمُ المتنبّيَ ويقُولُ: إيّايَ عَنَى بِقَوْلِهِ: [البسيط]

أنا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبي ... وأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِيْ مَنْ بهِ صَمَمُ

أَنْبَأَنا أَحْمَدُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عبدِ الوَهّابِ السَّبّاكُ[٥] قال: أَخْبَرَنا أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ عَبْدِ الباقي الأَنْصارِيُّ إجازةً عن أبي عليٍّ التَّنُوخي، قال: حَدَّثني أبو عبدِ اللَّه الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ الصَّقْرِ الكاتبُ - رجُلٌ من أَهْلِ مَعْلَثَايا[٦]، ومِمَّنْ نَشَأَ بالمَوْصِل، وكانَ أبوهُ عامِلاً لسَيْفِ الدولةِ على

---

(١) الإِغْرابُ: الإتيانُ بالغريب. القاموس: (غرب).

(٢) في الأصل: يُغرم، بغينٍ معجمة وراءٍ مهملة وميم، تحريف. وضمير «أُخبِرْتُ» وتالِيَاهُ لابنِ العديم.

(٣) هذا أحَدُ أسبابِ اختلافِ رواياتِ شِعْرِه.

(٤) نحويٌّ شاعِرٌ من شيوخِ ابنِ العديم؛ أقامَ بحَلَبَ وتوفي بها سنة ٦٠٣هـ. تَرْجَمَهُ ياقوت: ٣/ ٩٧٢ وأَنْشَدَ له مَقاطيعَ. وفي الأَصْل: الخُصَى بالخاء المعجمة، وهو بَعِيدٌ، وصَحَّحْتُه أخْذاً عن ياقوت.

(٥) كذا في الأصل، وتقدمت ترجمةُ الرجُل عند ذِكْرِه في الإسْناد، ولم يُنْسَبْ إلى صَنْعةٍ هُناك.

(٦) بُلَيْدٌ قُرْبَ جزيرة ابنِ عُمَر، من نواحي الموصل. معجم البلدان: ٥/ ١٥٨.

أَنْطَاكِيَة، وهُو من أَهْلِ الأدب ـ قال: جَرَى ذِكْرُ أبي الطيب المتنبّي بَيْنَ يَدَيْ أبي العَبّاسِ النّامِيْ[(١)] المَصِيصِيّ، فقالَ[(٢)] لي النّامِيْ: كانَ قَدْ بَقِيَ من الشِّعْر زاوِيَةٌ دخَلَها المتنبّي. قال: وقال لي في هذا المَجْلِس: كُنْتُ أَشْتَهِي أنْ أَكُونَ قد سَبَقْتُه إلى مَعْنَيَيْن قالَهُما، ما سُبِقَ إليهما، ولا أَعْلَمُ أَنَّ أحداً أَخْبَرَ عنهما قَبْلَهُ؛ فَقُلْتُ: ما هُمَا؟ قال: أَمّا أَحَدُهُما فقَوْلُه: [الوافر]

رَمَانِيْ الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ حتى ... فُؤادِيَ في غِشَاءٍ من نِبَالِ[(٣)]

والآخَرُ قَوْلُه: [الكامل]

في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبارُهُ ... فكأنَّمَا يُبْصِرْنَ بالآذانِ[(٤)]

أَخْبَرني ياقُوتُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَمَوِيُّ قال: حَكَى لي بعضُ الفُضَلاءِ في المُذاكَرةِ قال: لَمّا وَرَدَ المتنبِّي إلى شِيرازَ مادِحاً لعَضُدِ الدولة كانَ يَجْتازُ على مَجْلِسِ أبي عليٍّ[(٥)]، وقد اجتمَعَ إليهِ أعْيانُ أَهْلِ العِلْم، وكانَ زِيُّ المتنبِّي عَجيباً: يَلْبَسُ طُرْطُوراً طَويلاً وقَباءً[(٦)]، ويَعْمَلُ له عَذَبةً طويلةً

---

(١) أحمد بن محمد بن هارُون الدارميّ، المعروف بالنامي: الشاعر المشهور، من خَوَاصّ سيفِ الدولة. كان أديباً عارفاً باللغة والأدب، رَوَى عن الأخْفَش علي بن سُليمان (ت ٣١٥هـ) وأبي بكر الصُّوْليّ (ت ٣٣٥هـ). توفي سنة ٣٧٠هـ، وقيل غَيْرُ ذلك. انظر اليتيمة: ١/ ٣٧٩ والوافي: ٨/ ٩٦. والمَصِيصَةُ: ثَغْرٌ من ثُغورِ الشّام، وهي مَدينةٌ بين أنطاكية وبلاد الروم. وضَبَطَها في القاموس: (مصص) كسَفِينة، وهو ما أَثْبَتُّه، وفي مُعْجَم البُلْدان بتشديد أُولَى الصّادَيْن مع فتح الميم، والأوّل هو المُوافِقُ للُّغة. على أن التشديد جائزٌ مع كسر الميم، فيكونُ كسِكِّينة، وبه ضبطَ البكريُّ في «معجم ما استعجم».

(٢) الرواية عن النامي في وفيات الأعيان: ١/ ١٢١، والوافي: ٦/ ٣٣٨.

(٣) الديوان: ١٣٨.

(٤) الديوان: ٣٠٤.

(٥) أيْ: الفارسيّ.

(٦) القَبَاءُ بالفتح كسَحَاب، يُمَدُّ ويُقْصَرُ: ضَرْبٌ من الثِّياب، والطُّرْطُور: قَلَنْسُوَةٌ دقيقةٌ طويلةٌ، وتَقدَّمَ في وَصْفِ هيئةِ المتنبي؛ والمقصودُ أَنَّ زِيَّهُ كان من الغَرابةِ بحيثُ يستهجِنُه الناس.

تَشَبُّهاً بالأعْرابِ؛ فكان أبو عَليٍّ يَسْتَثْقِلُه ويَكْرَهُ زِيَّهُ، ويَجِدُ في نَفْسِه نُفُوراً منه، وكان إذا اجْتازَ عليهم يقُولُ أبو عليٍّ لتلاميذِه: إذا سَلَّمَ عليكم فأَوْجِزُوا في الرَّدِّ، لئلاّ يَسْتَأْنِسَ فيَجْلِسَ إلَيْنا!! وكانَ أبو الفتحِ عُثْمانُ بنُ جِنّيٍّ يُعْجَبُ بشِعْرِه ويُحِبُّ سَمَاعَهُ، ولا يَقْدِرُ على مُراجَعةِ شَيْخِه فيه. فقال أبو عليٍّ يوماً: هاتُوا بيتاً تُعْرِبُونَهُ، فابتدَرَ أبو الفَتْحِ فأنْشَدَ للمتنبّي: [الخفيف]

حُلْتِ دُونَ المَزَارِ فاليَوْمَ لو زُرْ ... تِ لحَالَ النُّحولُ دُونَ العِنَاقِ[1]!

فقال أبو عليٍّ: أَعِدْ أَعِدْ؛ فأعادَهُ، فقال: وَيْحكَ لِمَنْ هذا الشِّعْرُ؟ فإنّه غريبُ المَعْنَى. قال: هو للَّذي يَقُولُ: [الكامل]

أَمْضَى إرَادَتَهُ «فَسَوْفَ» لَهُ «قَدْ» ... واستقْرَبَ الأَقْصَى «فَثَمَّ» لَهُ «هُنا»[2]

قال: فازدادَ أبو عليٍّ عَجَباً وقال: ما أعْجَبَ هذه المَعَانِيَ وأغْرَبَهَا! مَنْ قائِلُها؟ قال: الذي يقُولُ: [الطويل]

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلَى ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى[3]

قال: فاستخَفَّ أبا عَليٍّ الطَّرَبُ وقال: وَيْحكَ مَنْ قائِلُ هذا؟ قال: الذي يقولُ ـ قالَ: ونَسِيَ البيتَ الذي أَنْشَدَهُ ـ قال: فقال أبو عَليٍّ: أَحْسَنَ واللَّهِ! وأطَلْتَ أنتَ، مَنْ يكُونُ هذا؟ قال: هو صاحِبُ الطُّرْطُورِ الذي يَمُرُّ بك فتَسْتَثْقِلُه ولا تُحِبُّ مُحاضَرَتَهُ! قال: وَيْحكَ، أهذا يَقُولُ هذا؟ فقالَ: نَعَمْ. قال أبو عَليّ: واللَّهِ ما ظَنَنْتُ أَنَّ ذلك يأتي بخَيْرٍ أَبَداً! إذا كانَ في الغَدِ ومَرَّ بنَا فاسْأَلُوه أنْ يَجْلِسَ إلينا لنَسْمَعَ منه. فلمّا كانَ الغَدُ ومَرَّ بهم كَلَّمُوه وسأَلُوه النُّزولَ عِنْدَهُم، ففَعَلَ، واسْتَنْشَدَهُ أبو عليٍّ فملأَ صَدْرَهُ

---

(١) الديوان: ١٦٨.

(٢) الديوان: ٣٠٨.

(٣) الديوان: ٦٣.

وأحبَّهُ، وعَجِبَ منه ومن فَصَاحَتِهِ وسَعَةِ عِلْمِه، فكلَّمَ عَضُدَ الدولةِ فيهِ حتى أحْسَنَ إليهِ وضاعَفَ جائِزَتَهُ.

قُلْتُ[1]: وهذه الحِكَايةُ لا يَقْبلُها القَلْبُ، ولا تَكادُ تَثْبُتُ، فإنَّ أبا عليٍّ الفارسيَّ كانَ يَعْرِفُ المتنبّيَ قَبْلَ أنْ يَصِيرَ بشِيرازَ، حينَ كانا بحلَبَ. وقد حَكَى أبو الفتحِ عُثمانُ بنُ جِنّيٍّ عن أبي عليٍّ الفارسيِّ، في كِتابِ «الفَسْر»، ما يَشْهَدُ بخِلافِ ما تَضَمَّنَتْهُ هذه الحِكاية: قالَ أبو عليّ: خَرَجْتُ بحَلَبَ أُرِيدُ دارَ سَيْفِ الدولة، فلمّا بَرَزْتُ من السُّورِ إذا أنا بفارسٍ مُتلثِّمٍ قَدْ أَهْوى نَحْوِي برُمْحٍ طويلٍ؛ فكِدْتُ أَطْرَحُ نَفْسِي من الدابّة فَرَقًا، فلَمّا قَرُبَ مني ثَنى السِّنَانَ وحَسَرَ لِثَامَهُ، فإذا المتنبِّي!! وأنْشَدَني: [الطويل]

نَثَرْتَ رُؤُوساً بالأُحَيْدِبِ مِنْهُمُ ... كما نُثِرَتْ فوقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ[2]

ثُمَّ قال: كَيْفَ تَرى هذا القولَ، أَحَسَنٌ هُوَ؟ فَقُلْتُ: وَيْحَكَ، قَتَلْتَنِي يا رَجُلُ! قالَ ابنُ جِنّيّ: فحكَيْتُ هذه الحِكايةَ بمدِينةِ السَّلامِ لأبي الطيب، فعرَفَها وضَحِكَ لها، وذكَرَ أبا عليٍّ بالثَّناءِ والتقريظِ بما يُقالُ في مِثْلِه[3].

وجَرَى للمتنبّي مع ابنِ خالَوَيْهِ مِثْلُ هذه الواقعةِ التي حكاها أبو عليّ. فإنني نَقَلْتُ من خَطِّ أبي الحَسَنِ[4] عليِّ بنِ مُرْشِدِ بنِ مُقَلَّدِ بنِ نَصْرِ بنِ مُنقِذٍ الكِنَانيّ المالِكيّ، من كِتابِهِ المَوْسُوم «بالبِدايةِ والنِّهايةِ في التّاريخ»، قالَ فيه: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثَنِي ـ وبَيَّضَ، ولم يذكُرْ مَنْ حَدَّثَ أَبَاهُ ـ قال:

---

(١) الكلام لابن العديم.

(٢) الديوان: ٢٥٧ باختلاف الرواية، وسيأتي في المتنِ مختلفاً أيضاً.

(٣) آخِرُ الرواية، وهي في اليتيمة: ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٤) يُلقَّبُ عِزَّ الدولة، وهو من بني مُنْقِذٍ حُكّامِ قلعةِ شَيْزَرَ، من أعمالِ حِمْص ثُمَّ حماة. كانَ شاعِراً كأخيهِ أُسامةَ بنِ مُنْقِذٍ (ت ٥٨٤هـ) المشهور. توفي أبو الحَسَن سنة ٥٤٦هـ بعَسْقَلان. انظر الوافي: ٢٢/ ١٩١ ومعجم البلدان: (شيزر). وأمّا الكِتابُ المُشارُ إليه فلم أجِدْ له ذِكْراً.

حَدَّثني ابنُ خالَوَيْه، وكانَ نديماً ومُجالِساً لسَيْفِ الدولة، قال: خَرَجْتُ في بعضِ الأيّام إلى ظاهرِ حَلَب، فقَعَدْتُ أُطالِعُ في كِتابٍ وأنْظُرُ إلى قُوَيْق[١]، فما رفَعْتُ رأْسِي إلاّ من وَقْعِ فَرَسٍ؛ فنَظَرْتُ فإذا بفارسٍ مُسَدِّدٍ نَحْوي رُمْحَهُ، فقُلْتُ: واللَّهِ ما أَعْرِفُ بَيْني وبَيْنَ واحِدٍ من الناس ما يُوْجِبُ هذا! ورأيتُ الفارسَ مُتَلَثِّماً، فلمّا دَنا حَطَّ لِثامَهُ، فإذَا بأحْمَدَ بنِ الحُسَيْنِ المتنبّي، فسلَّمَ عَلَيَّ فَرَدَدْتُ السَّلاَمَ، وجارَيْتُهُ الحدِيثَ. فقال: «كَيْفَ رأيتَ قصِيدتي التي أَنْشَدْتُها أوّلَ أمْسِ الأميرَ سيفَ الدولة»؟ فقُلْتُ: واللَّهِ إنها لَمَلِيحةٌ، وإنَّ أَوّلَها لا يَحْتاجُ إلى تَمَامٍ في قَوْلِكَ: «على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتي العَزائِمُ»، وفيها كذا وكذا. فقال: «ما رأيتَ إلاّ مَليحاً، والذي فيه ما سَبَقَنِي إليهِ مَنْ أحْسَنَ فيه: مِنْ ذِكْرِ الدَّرَاهِم، فإنها لا تأتي في شِعْرٍ إلاّ بَرَّدَتْهُ وضَعَّفَتْهُ، إلاّ ما جاءَني: [الطويل]

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً ... كما نُثِرَتْ فوقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ»

١٢ ـ تَمَنُّعُ المتنبِّي: أخبرنا أبو محمَّدٍ عَبْدُ[٢] اللطِيفِ بنُ يُوسُفَ بنِ عَليٍّ إذْناً، عن أبي الفتحِ محمدِ بنِ عبدِ الباقي بنِ البَطِّيِّ[٣]، عن أبي نَصْرٍ[٤]

(١) هو نَهَرُ مدينة حلب. معجم البلدان: ٤/ ٤١٧.

(٢) سَقَطَ من أسماءِ آبائه في المتن: محمد، بَعْدَ يوسُف. لَقَبُه موفَّقُ الدِّين، ويُعْرَفُ بعَبْدِ اللطيفِ البَغْداديّ: إمامٌ من كبار المصنِّفين، يُعَدُّ في فلاسفة الإسلام، وله تصانيفُ في أنواعِ العُلوم. توفّيَ سنة ٦٢٩هـ ببغداد. ومِمَّنْ أخَذَ عنه ابنُ العديم، كما ذَكَرَهُ الذهبي في السير: ٢٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢٣. وانظر الأعلام: ٤/ ٦١.

(٣) مُسْنِدُ العِراقِ في زمانِه، وشيخُ أهْلِ بَغْداد. عُمِّرَ وحدَّثَ بالكثير، وتوفي سنة ٥٦٤هـ. انظر سير الذهبي: ٢٠/ ٤٨١. والبَطِّيّ بالفتح وتشديد الطاء المهملة: نِسْبةٌ إلى البَطّة؛ قال السمعاني: ولعلَّ واحِداً من أجْدادِه كان يبيعُ البَطَّ فنُسِبَ إلى ذلك. الأنساب: ١/ ٣٦٨.

(٤) كذا في الأصل، وهو سَقْطٌ أَسْقَطَهُ الناسخُ أو المؤلِّفُ سَهْواً. إذْ هو محمد بنُ فَتُّوح، أبو عبدِ الله بنِ أبي نَصْرِ الحُمَيْديّ، أحَدُ حُفّاظِ عَصْرِه، صاحبُ «جُذْوَةِ المُقْتَبِس في ذِكْرِ وُلاةِ الأندلُس» و«الجَمْع بينَ الصحيحين» وغيرِهما. كان من أصحابِ ابنِ حَزْمٍ (ت ٤٥٦هـ)

الحُمَيْديِّ قال: أخبرنا غَرْسُ النِّعْمةِ مُحمَّدُ بنُ هِلالِ بنِ المُحسِّن بنِ أبي إسْحاقَ الصابئِ[١] قال: وحدَّثني ﷺ ـ يَعْني أباهُ هِلالَ بنَ المُحسِّنِ ـ قال: حَدَّثني أبو إسْحاقَ جَدِّي، تَجاوَزَ اللَّهُ عنه، قال: لَمّا وَرَدَ أبو الطيب أحْمَدُ ابنُ الحُسَيْنِ المتنبّي إلى بَغْدادَ مُتوجِّهاً إلى حَضرةِ المَلِكِ عَضُدِ الدولةِ بفارِسَ، أَعَدَّ له أبو مُحمَّدٍ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَم، وثياباً كَثيرةً: مَقْطُوعةً[٢] وصِحَاحاً، وفَرَساً بمَرْكَبٍ، لِيُعْطِيَهُ ذلك عند مَديحِه له؛ فأخَّرَ المتنبّي من ذلك ما كانَ مُتوقَّعاً منه، وحضَرَ مَجْلِسَ أبي مُحمَّدٍ للسَّلامِ عليهِ، الذي لم يَخْلِطْ به غَيْرَهُ، فغاظَ أبا مُحمَّدٍ فِعْلُه. وخاطَبْتُ المتنبِّيَ على اسْتِعْمالِه ما استعْمَلَ، وتأْخِيرِه من خِدْمَةِ الوزيرِ ما أخَّرَ، فقال: «لم تَجْرِ عادتي بمَدْحِ مَنْ لم يَتَقَدَّمْ له إليَّ جَميلٌ»؛ فقُلْتُ: إنَّ الوزيرَ شدِيدُ الشَّغَفِ بمَوْرِدِكَ، ومعتقِدٌ فيكَ الزيادةَ بك على أَمَلِكَ، والامتناعُ من خِدْمَتِه إلاّ بَعْدَ الاسْتِسْلافِ لِصِلَتِه غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ منك، بَلْ مُسْتَقْبَحٌ لك. فقال: «ليسَ

وأصلُه من جزيرةِ مَيُورَقَة بالأندلُس. رحَلَ وسَمِعَ الكَثيرَ وأسْمَعَ، وتوفّيَ ببغدادَ سنة ٤٨٨هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١٢٠ والأعلام: ٦/ ٣٢٧، وهو الذي سَمِعَ منه ابنُ البَطِّيّ، كما في السِّيَر: ٢٠/ ٤٨١.

(١) سُلالَةُ أَعْلام من الأُدَباءِ المُنْشِئين المُصَنِّفين، أَصْلُهم من صابِئَةِ حَرّانَ الذين يَدِينون بعبادة الكواكب، ويُعْرَفُون ببني زَهْرُون.

(٢) أشْهَرُهم في تاريخ الأدب: أبو إسْحاقَ إبراهيمُ بنُ هِلال المتوفَّى سنة ٣٨٤هـ، ويُعَدُّ من فحولِ النثر في عَصْره؛ وأُريدَ على أن يُسْلِمَ فأَبى، وكذلك لم يُسْلِمْ ابنُه المحسِّنُ أبو عليّ المتوفَّى سنة ٤٠١هـ، وكانَ ناثِراً شاعِراً. وأسْلَمَ منهم هِلالٌ أوّلاً، وهو كاتب مؤرِّخٌ، من مصنَّفاتِه: «غُرَرُ البلاغة» و«تُحفَةُ الأُمَراء في تاريخ الوُزَراء»؛ توفي سنة ٤٤٨هـ. وابنُه محمَّدُ بنُ هِلالٍ هو المعروفُ بغَرْسِ النِّعْمَة: أديبٌ مترسِّلٌ مؤرِّخ، يُنْسَبُ إليه أوْ إلى غيره من الأُسْرةِ كتابُ «الهَفَوات النادرة»؛ وله تاريخٌ يُسمَّى «عُيونَ التواريخ»، جعله ذَيْلاً لتاريخ أبيه، وهذا ذَيْلٌ لتاريخ ثابت بن سِنانٍ الحَرّانيّ (ت ٣٦٥هـ) وهذا ذَيْلٌ لتاريخ الطَّبَرِيّ (ت ٣١٠هـ). وكان غَرْسُ النعمة مكرَّماً عند الخلفاء والملوك، وتوفي سنة ٤٨٠هـ. انظر الأعلام: ١/ ٧٨، ٢/ ٩٨، ٥/ ٢٨٥، ٧/ ١٣٢، ٨/ ٩٢ ومصادره.

إلى مُخالَفَةِ عادتي سَبيلٌ». واتَّصَلَ ذلك بأبي محمَّدٍ من غَيْرِ جِهَتِي، فأكَّدَ غَيْظَهُ، وأظْهَرَ الإمْلالَ به والاطِّراحَ له، وفَرَّقَ ما كانَ أعَدَّهُ على الشُّعَراءِ، وزادَهُم مُدّةَ مُقَامِ أبي الطّيبِ من الإحْسَانِ والعَطَاءِ. وتَوجَّهَ أبو الطيب إلى شِيرازَ، ثُمَّ عادَ منها، فكانَتْ وَفَاتُه في الطريقِ بينَ دَيْرِ العاقُولِ ومَدِينةِ السَّلامِ، على ما شُرِحَ في أخْبارِه. وقَدْ كانَ أبو مُحمَّدٍ اعتقَدَ أنْ يَقْطَعَهُ بالفَعَالِ الجَمِيلِ والحِبَاءِ الجَزِيلِ عن قَصْدِ شِيرازَ، فلمّا جَرَى أمْرُهُ على ما جَرَى تَغَيَّرَتْ نِيَّتُه، واستحالَتْ تِلْكَ العزيمةُ منه.

قُلْتُ: وهذا الوزيرُ أبو مُحَمَّدٍ هو المُهَلَّبِيُّ[1].

قال: وحدَّثني قال: حدثني أبو عليٍّ وَالِدِي قال: حدثني أبو إسْحاقَ وَالِدي قال: راسَلْتُ أبا الطيبِ المتنبّيَ في أنْ يَمْدَحني بقصِيدتينِ، وأعْطَيْتُه خَمْسةَ آلافِ دِرْهَمٍ، ووَسَّطْتُ بَيْني وبَيْنَهُ صَدِيقاً له ولي. فأعادَ الجَوابَ: «بأنني ما رأيتُ بالعراقِ من يستحِقُّ المَدْحَ غَيْرَكَ، ولا مَنْ أَوْجَبَ عليَّ حَقًّا سِوَاكَ؛ وإنْ أنا مَدَحْتُكَ تَنَكَّرَ لك الوزيرُ أبو محمَّدٍ المهلّبيُّ، لأنني لم أَمْدَحْهُ، وجَرَى بَيْنَنا في ذاكَ ما قَدْ عَرَفْتَهُ، فإنْ كُنْتَ لا تُراعي هذِه الحالَ ولا تُباليها فَعَلْتُ ولم أُرِدْ مِنْكَ عِوَضاً من مالٍ». قال: فنَبَّهَنِي واللّهِ إلى ما كانَ ذهَبَ عني، [و] عَلِمْتُ أنه نَصَحَنِي، فلم أُعاوِدْهُ.

١٣ ـ عَلائِقُ أبي الطيب بعَصْرِيِّيه: وذكَرَ عليُّ بنُ عِيسى الرَّبَعيُّ في كِتاب «التَّنْبيهِ» الذي رَدَّ فيه على ابنِ جِنّيٍّ في كتاب «الفَسْر»، قال: كُنْتُ يوماً عند المتنبِّي بشِيرازَ فَقِيلَ له: أبو عليٍّ الفارسيُّ بالباب، وكانت بَيْنَهُما

---

(١) أبو محمَّدٍ الحَسَنُ بنُ محمد، من وَلَدِ المهلَّب بنِ أبي صُفْرَةَ الأزْدِيّ: من كبار الوزراء الأُدباء الشُّعَراء. وَزَرَ لمُعِزّ الدولة البويهيّ والخليفةِ العباسيّ المُطِيع، فلُقِّبَ بذِي الوِزارتَيْن. توفي سنة ٣٥٢هـ، وكان أحدَ أعلام الأدب في عصره. انظر سير الذهبي: ١٦/ ١٩٧ والأعلام: ٢/ ٢١٣.

مَوَدَّةٌ، فقال: بادِرُوا إليهِ فأنْزِلُوه. فدخَلَ عليه أبو عليٍّ وأنا جالسٌ عنده، فقال: يا أبا الحَسَن، خُذْ هذا الجُزْءَ ـ فأعطاني جُزْءًا من كِتابِ «التَّذْكِرة» ـ وقال: اكْتُبْ عن الشيخ البَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ ذاكَرْتُكَ بهما، وهُما: [الطويل]

سأطْلُبُ حَقِّيْ بِالْقَنا ومَشايخٍ كأنَّهُمْ من طُوْلِ ما الْتَثَمُوا مُرْدُ

ثِقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كَثيرٍ إذا شَدُّوا قَليلٍ إذا عُدُّوا[١]

فَهُما مُثْبَتانِ في «التذكرةِ» بخَطِّي. قال: وهذا من فِعْلِ الشيخ أبي عليٍّ الفارسيّ عَظِيمٌ. قال الرَّبَعِيُّ: وكانَ قَصْدُ أبي عليٍّ الفارسيِّ نَفْعَهُ، لا التأدُّبَ والتكثُّرَ، وأيًّا قصدَ فهو كَثِيرٌ.

قَرَأْتُ بخَطِّ يَحْيَى[٢] بنِ سَلامَةَ بنِ الحُسَيْنِ بن محمد الحَصْكَفِيّ في تعليقٍ له: حُكِيَ أَنَّ السَّرِيَّ[٣] الرَّفَّاءَ، حين قصدَ سيفَ الدولةِ بنَ حَمْدانَ رَحِمَهُ اللَّه، أَنْشَدَهُ بَدِيهاً بيتينِ هُمَا: [الكامل]

إنِّي رأيْتُكَ جالِساً في مَجْلِسٍ قَعَدَ المُلوكُ به لَدَيْكَ وقامُوا

فكأنَّكَ الدَّهْرُ المُحِيطُ عليهمُ وكأنَّهُمْ من حَوْلِكَ الأيّـامُ[٤]

---

(١) الديوان: ٧٨.

(٢) أدِيبٌ شاعِرٌ خَطِيبٌ، فقيهٌ شافعيّ. قرأَ ببغدادَ على الخطيب التبريزيّ فأتقنَ علومَ العربية والأدب، ومَهَرَ في الفقه الشافعيّ. توفّيَ سنة ٥٥٣هـ، وله ديوان خُطَبٍ وديوان شِعْر. والحَصْكَفيّ كجَعْفَرِيّ: نِسْبَةٌ إلى حِصْنِ كِيْفَى، كضِيْزَى، أوْ بفتحِ الكاف، وهي على النَّحت كعَبْشَميّ؛ وحِصْنُ كِيفَى: بَلْدةٌ مُشْرِفةٌ على دجلة، بين آمِدَ وجزيرةِ ابنِ عُمَر من دِيار بَكْر. انظر معجم البلدان: ٢/ ٢٦٥ ووفيات الأعيان: ٦/ ٢٠٥ والسِّيَر: ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) هو أبو الحَسَن السَّرِيُّ بنُ أحْمَدَ الكِنْديُّ المَوْصِليّ، المعروفُ بالرَّفّاء: شاعِرٌ مشهور، من شُعَراء اليتيمة، مَدَحَ سَيْفَ الدولة وغَيْرَهُ؛ وكان مُقْتِراً غالباً، يُثْقِلُه الدَّيْنُ، وعَمِلَ في نَسْخ الكتب وَوِرَاقَتِها كما اشتغَلَ في صِباهُ برَفْءِ الثياب، ومِنْ هُنا عُرِفَ بالرَّفّاء. له ديوانُ شِعْر، ومن مصنَّفاته: «المُحِبُّ والمحبوب والمَشْمُوم والمَشْرُوب». توفي سنة ٣٦٦هـ على أكْثَرِ الأقوال، وقيل غيرُ ذلك. انظر وفيات الأعيان: ٢/ ٣٥٩ والأعلام: ٣/ ٨١.

(٤) ديوان السري، ط. القاهرة: ص ٨٢.

ثم أَنْشَدَهُ بَعْدَ ذلك ما كانَ قالَ فيهِ من الشِّعْر. وبَعْدَ يومينِ أوْ ثلاثةٍ أَنْشَدَهُ أبو الطَّيِّب المتنبّي: [الوافر]

أَيَــدْرِي الـرَّبْـعُ أَيَّ دَمٍ أَراقـا ....(١)

إلى أنْ انتهى إلى قولِه: [الوافر]

وخَـصْـرٌ تَثْبُتُ الأبْـصَـارُ فيهِ كـأَنَّ عليهِ من حَـدَقٍ نِطَاقا

قال: فقالَ السَّرِيُّ: هذا واللَّهِ مَعْنًى ما قَدَرَ عليهِ المتقدِّمون! ثُمَّ إنه حُمَّ في الحالِ حَسَداً، وتَحامَلَ إلى مَنْزِله فماتَ بَعْدَ ثلاثةِ أيّامٍ.

قُلْتُ: هكذا وَجَدْتُه بخَطِّ الحَصْكَفِيّ. والمتنبّي فارَقَ سيفَ الدولةِ في سنةِ سِتٍّ وأربعينَ وثلاثِمئة، والسَّرِيُّ تُوُفِّيَ بُعَيْدَ سنةِ سِتِّين وثلاثِمِئة ببغداد ـ على ما نَقَلَهُ الخطيبُ في تاريخِه(٢) ـ وقيل: سنةَ اثنتينِ وسِتّين وثلاثمئة؛ فعَلى هذا لا يكُونُ لهذه الحِكايةِ صِحّةٌ. وقد نَقَلَ أبو إسْحاقَ إبْراهيمُ بنُ حَبيبٍ السَّقطيُّ(٣) في تاريخِه المسمَّى «بلوامعِ الأُمُور» أنَّ السَّرِيّ تُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وثلاثمئة؛ فعَلَى هذا تكُونُ هذه الحِكايةُ مُحْتَمَلَةَ الصِّحَّة، بشَرْطِ أنْ يكُونَ موتُ السَّرِيّ بالشّام. ولم يُنْقَلْ ذلك كَيْفَ، وهُوَ أنَّ هذه القصِيدةَ من أوّلِ(٤) شِعْرِ أبي الطيبِ المتنبّي في سيفِ الدولة، واللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(١) تمامُه: وأيَّ قُلوبِ هذا الرَّكْبِ شاقَا. انظر الديوان: ١٥٤.

(٢) تاريخ بغداد: ٩/ ١٩٤.

(٣) لم أجِدْ له ترجمةً، ولكِنَّ حاجّي خليفة ذَكَرَهُ وكِتابَهُ في «كشف الظنون»: ٢/ ١٥٦٨، وسَمّاهُ كما في المتن وقال: «البِصْريّ، من أصْحابِ ابنِ جَريرِ الطبريّ». ومقتضَى ذلك أنه أدْرَكَ القرنَ الرابع، بل تأريخُه وفاةَ السَّرِيّ يَلْزَمُ منه أنه عاشَ إلى أَواسِطه. والسَّقَطِيُّ بالتحريك: بائعُ الأسقاطِ، جَمْعِ سَقَطِ المتاع؛ وهو الخسِيسُ كالخَرَزِ والملاعق. انظر الأنساب: ٣/ ٢٦٢ والقاموس: (سقط).

(٤) أرادَ أنَّ المتنبّيَ اجتمَعَ بسيفِ الدولة في حلب سنة ٣٣٧هـ كما تَقَدَّمَ، فلو سَلَّمْنا وَفاةَ الرفاء سنة ٣٤٤هـ وأنها بالشام، فكَيْفَ يجتمِعُ ذلك مع قصيدة أُنشِدَتْ قبل ذلك بنحو سبعِ

أَخْبَرنا ياقُوتُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَمَوِيُّ قال: وحدَّثَ أبو العَبّاس أحمدُ ابن إبْراهيمَ الضَّبِّيُّ(١) أَنَّ الصاحبَ إسْماعِيلَ بنَ عَبّادٍ قال بأَصْبَهانَ ـ وهو يومئذٍ على الإنْشاء ـ: بَلَغَني أنَّ هذا الرجُلَ ـ يَعْني المتنبّيَ ـ قَدْ نزَلَ بأرَّجانَ مُتوجِّهاً إلى ابنِ العَميد، ولكِنْ إنْ جاءَني خَرَجْتُ إليهِ من جَميعِ ما أَمْلِكُه. وكان جَميعُ ما يَمْلِكُه لا يبلُغُ ثلاثَمئةِ دينارٍ، فكُنّا نَعْجَبُ من بُعْدِ هِمَّتِهِ وسُموِّ نَفْسِه؛ وبَلَغَ ذلك المتنبّيَ، فلَمْ يُعَرِّجْ عليهِ ولا الْتَفَتَ إليهِ، فحقَدَها الصّاحبُ حتى حَمَلَهُ على إظْهارِ عُيوبِهِ في كِتابٍ(٢) أَلَّفَهُ، لم يَصْنَعْ فيه شيئاً، لأنه أخَذَ عليهِ مَواضعَ تَحمَّلَ فيها عليهِ.

أخْبرني بعضُ أَهْلِ الأدبِ قال: وَجَدْتُ في كِتابِ بعضِ الفُضَلاء عن أبي القاسم عبدِ(٣) الصَّمَد بن بَابَك، قال: قال أبو الفتح بنُ جِنّي: كُنْتُ أَقْرأُ ديوانَ أبي الطيب عليه، فقرَأْتُ قولَهُ في كافُور: [الطويل]

أُغالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ والشَّوْقُ أَغْلَبُ ... وأَعْجَبُ مِنْ ذا الهَجْرِ والوَصْلُ أَعْجَبُ(٤)

حتى بَلَغْتُ إلى قَوْلِه: [الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَقُولُ قصِيدةً ... فلا أَشْتكي فيها ولا أَتعتَّبُ
وَبِيْ ما يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّيْ أَقَلُّه ... ولكِنَّ قَلْبِيْ يا بْنَةَ القومِ قُلَّبُ

فَقُلْتُ له: يَعِزُّ عَلَيَّ كيفَ يكُونُ هذا الشِّعْرُ في ممدوحٍ غيرِ سيفِ

سنينَ، وأنه حُمَّ فماتَ بعدَ ثلاثٍ؟

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو «الكَشْف عن مساوئ شعر المتنبّي». انظر الأعلام: ١/ ٣١٦ ومصادره.

(٣) عبد الصَّمَد بن منصُور بن الحسن بن بابَك، شاعِرٌ بَغْداديٌّ مُجيدٌ مُكْثِر، من شُعَراء اليتيمة، بل قالَ في القاموس: (ببك): «شاعِرٌ مُفْلِقٌ» وضَبَطَ اسْمَ جَدِّه كهاجَر، وهو عَلَمٌ أعجميّ. تُوفّيَ أبو القاسم سنة ٤١٠هـ، انظر الأعلام: ٤/ ١١ ومصادره. والرِّوَايةُ في وفيات الأعيان: ١/ ١٢٢ عن ابن جني بفَرْقٍ طَفيف.

(٤) الديوان: ٣٨.

الدولة. فقال: «حَذَّرْنَاهُ وأَنْذَرْنَاهُ فما نَفَعَ! أَلَسْتُ القائلَ فيه: [الطويل]

أَخَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ ما أنتَ مالِكٌ ولا تُعْطِيَنَّ الناسَ ما أنا قائِلُ؟

فهو الذي أَعْطاني لكافورٍ بسُوءِ تَدْبيرِه وقِلّةِ تَمْيِيزِه».

وأَحْضَرَ إليَّ عِمَادُ[1] الدينِ أبو القاسم عليُّ بنُ القاسمِ بنِ عليِّ بنِ الحَسَنِ الدِّمَشْقِيّ، وَقَدْ قَدِمَ علينا حَلَبَ في رِحْلَتِه إلى خُرَاسَانَ، جُزْءًا فيهِ أَخْبَارُ سيفِ الدولةِ بنِ حَمْدانَ، تَأْليفَ أبي الحَسَنِ عليّ[2] بنِ الحُسَيْنِ الدَّيْلَمِيّ الزَّرّاد. فنَقَلْتُ منه: وكانَ لسَيْفِ الدولة مَجْلِسٌ يَحْضُرُه العُلَماءُ كُلَّ ليلةٍ فيَتَكَلَّمونَ بحَضْرَتِه، وكانَ يَحْضُرُه أبو إبْراهيمَ وابنُ ماثِلٍ القاضي وأبو طالبٍ البَغْداديُّ وغَيْرُهم؛ فوَقَعَ بينَ المتنبّي وبينَ أبي عَبْدِ اللّه الحُسَيْنِ بنِ خالَوَيْه كَلامٌ، فوثَبَ ابنُ خالويهِ على المتنبّي فضَرَبَ وَجْهَهُ بمِفتاحٍ كانَ مَعَهُ ففدَخهُ[3]، وخَرَجَ دَمُه يَسِيلُ على ثِيابِه، وغَضِبَ فمَضى إلى مِصْرَ، فامتدَحَ كافوراً الإخْشِيدِيَّ.

أَنْبَأَنا أبو القاسم[4] عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ محمدٍ القاضِي، عن أبي الحَسَن

---

(١) سِبْطُ الحافظ ابنِ عساكِرَ، محدِّثٌ كأبيه وجَدِّه. سَمِعَ الحديثَ وارتحَلَ إلى خُراسانَ، وتُوفّيَ في عَوْدَتِه منها سنة ٦١٦هـ ببغداد. انظر سير الذهبي: ٢٢/ ١٤٥، والوافي: ٢١/ ٣٩١. وقُدومُ عِمادِ الدينِ حَلَبَ كانَ في طريقِ الذهاب إلى خُراسان، لا العَوْد.

(٢) لم أجِدْ ذِكْراً له ولا لكِتابه.

(٣) في الأصل: ففتخه، بالمثناة الفوقية والخاء المعجمة، ولا وَجْهَ له. والذي أَثْبَتُّه ظاهِرٌ، ويجوزُ مع بَقاء الصُّورةِ: ففَتَحَهُ، بإهمال الحاء، أو: ففَقَخَهُ، بإعجامِها وبالقاف بَدَلَ المثناة. انظر القاموس لكُلٍّ.

(٤) قاضي القُضاة، جمالُ الدينِ الأنْصاريُّ الدِّمَشْقيُّ الشافعيُّ، المعروفُ بابنِ الحَرَسْتانيِّ، نِسْبةً إلى حَرَسْتا: من قُرى دمشق. كانَ إماماً في مَذْهَبِه، وعليه اشتَغَلَ العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام (ت ٦٦٠هـ) أوّلَ أمْرِه. توفي سنة ٦١٤هـ. انظر سير الذهبي: ٢٢/ ٨٠.

عليّ بنِ أحمدَ بنِ مَنْصُورٍ الغَسّانيِّ[١] وأبي الحَسَن علي بنِ المُسَلَّم[٢] السُّلَميّ، قالا: أخبرنا أبو نَصْرِ بنُ طَلاّبٍ[٣] قال: أَمْلَى علينا أبو عَبْدِ اللَّه المحسِّن[٤] بن علي بن كُوجُك، وأخبرنا أنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، قال: كُنْتُ بحَضْرةِ سيفِ الدولة وأبي الطيب اللُّغوي والمتنبي وأبي[٥] عبد الله بنِ خالويه، وَقَدْ جَرَتْ مَسْأَلَةٌ في اللغة تَكَلَّمَ فيها ابنُ خالويهِ مع أبي الطيب اللُّغوي، والمتنبّي ساكِتٌ؛ فقال له الأمِيرُ سيفُ الدولة: أَلا تَتَكَلَّمُ يا أبا الطيب؟ فتَكَلَّمَ فيها بما قَوَّى حُجَّةَ أبي الطيب اللُّغويّ وأَضْعَفَ قولَ ابنِ خالويهِ، فحَرِدَ منه وأَخْرَجَ من كُمِّهِ مِفْتاحَ حَدِيدٍ لِبَيْتِه لِيَلْكُمَ به المتنبّيَ!! فقالَ له المتنبّي: «اسْكُتْ وَيْحَكَ! فإنَّكَ عَجَمِيٌّ، وأَصْلُكَ خُوزِيٌّ، وصَنْعَتُكَ الحِيَاكَةُ، فما لَكَ وللعَرَبيّة؟!».

وَدَفَعَ إليَّ بعضُ الشِّرَافِ من أَهْلِ حَلَبَ كِتاباً[٦] فيهِ تاريخٌ جَمَعَهُ أبو

---

(١) فقيهٌ مالكيٌّ، محدِّثٌ نحويٌّ من أهل دِمَشْقَ. كان زاهِداً عابداً ثقةً، مقدَّماً في علومٍ شَتَّى. توفي سنة ٥٥٣هـ. انظر السير: ٢٠/ ١٨.

(٢) مفتي الشام على مَذْهَب الشافعيّ، لَقَبُه جَمَالُ الإسلام؛ كان عالماً بالتفسير والأصول والفرائض والحساب زيادةً على الفِقْه، وله تصنيفٌ. توفي سنة ٥٣٣هـ. انظر السِّيَرَ: ٢٠/ ٣١ ومصادر حاشيتِهِ كطبقات الشافعية للإسْنَويّ (ت ٧٧٢هـ) ط. الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م: ٢/ ٤٢٨ وفيه ترجمة ولده وحافدِهِ أيضاً. واستفدتُ ضَبْطَ المسلَّم ـ كمعظَّمٍ ـ نَصًّا من «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»، للعَسْقَلاني: ٤/ ١٢٨٢.

(٣) الحُسَيْنُ بنُ محمد بن أحمد الدمشقيُّ، الصَّيْداويُّ الأصل: مُقرِئٌ محدِّث. توفي سنة ٤٧٠هـ. السِّير: ١٨/ ٣٧٥. وطَلاّبٌ كشَدّادٍ، كما يُؤْخَذُ من القاموس: (طلب).

(٤) أديبٌ له شِعْرٌ، غَلَبَ عليهِ الوِرَاقةُ. صَحِبَ ابنَ خالويهِ، ورَوَى عنه وأَخَذَ منه. توفي سنة ٤١٠هـ. انظر معجم الأدباء: ٥/ ٢٢٧٨ وسمّاه المحسِّنَ بن الحُسَيْن بن علي بن كُوجُك، وَكَنَاهُ أبا القاسم؛ وإنباه الرواة: ٣/ ٢٧٣ وكَنَاه كابنِ العديم.

(٥) في الأصل: وأبو مرفوعاً، في الموضعين؛ وهو جائزٌ بالعطف على اسْمِ كان، وآثرتُ الجَرَّ للعَطْفِ على سيفِ الدولة.

(٦) تقدّمَ ذِكْرُ الكتابِ ومصنِّفِه، وههُنَا مَزِيدُ تفصِيلٍ في نَسَبِه.

غالبٍ هَمّامُ بنُ الفَضْلِ بنِ جَعْفَرِ بنِ عليّ بنِ المهذَّب المَعَرِّيُّ، قال في حَوادثِ سنةِ سَبْعٍ وثلاثين وثلاثِمئة: وفيها وصَلَ أبو الطيب المتنبّي الشاعرُ إلى سيفِ الدولة ومَدَحَهُ بالقَصيدةِ المِيميّة: [الطويل]

وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طاسِمُهْ ....

بَعْدَ انصرافه من حِصْنِ بَرْزَوَيْه[١]. وقال في حوادثِ سنةِ سِتٍّ وأربعينَ وثلاثِمئة: فيها سارَ المتنبّي من الشام إلى مِصْر.

ووَقَعَ إليَّ أجْزاءٌ من تاريخِ مُخْتارِ المُلْكِ محمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن أحْمَدَ المُسَبِّحيِّ[٢]، فقرأْتُ فيه قصيدةً لأبي الطيب يَرْثي بها أبا بَكْرِ بنَ طُغْجٍ الإِخْشِيدَ، ويُعزِّي ابْنَهُ أُنوجُورَ، بِمِصْرَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثينَ وثلاثمئة؛ والقصيدةُ ليست في دِيوانِ شِعْرِه[٣]، فقَدْ كانَ أبو الطيب صَعِدَ إلى مِصْرَ مَرّةً أُخْرَى قَبْلَ هذه المَرَّةِ التي ذكَرْناها. وأوّلُ القصِيدة: [البسيط]

هو الزَّمَانُ مُشِتٌّ بالذي جَمَعَا   في كُلِّ يومٍ تَرَى مِنْ صَرْفِه بِدَعَا

---

(١) حِصْنٌ قُرْبَ السواحلِ الشاميّة، يُضْرَبُ به المَثَلُ في الحَصَانة. ذكَرَهُ ياقوت: ١/ ٣٨٣ وضبَطَهُ بالفتح وضم الزاي وسُكون الواو وفتح الياء، وهي طريقةُ المحدِّثين لأنهم يُبْقُونَ هذه الأسماء على عُجْمَتِها؛ والنحويون يضبطونها بفتح الواو وسكون الياء وكسر الهاء، على أنها كسرةُ بِناء.

(٢) أميرٌ من أعْيانِ دولةِ العُبَيْديّين بِمِصْرَ في زمن الحاكم، مؤرِّخٌ مصنِّفٌ أديبٌ. نِسْبَتُه إلى جَدِّه. له تصانيفُ في الأدب منها «التلويح والتصريح» و«جُونَةُ الماشِطة»، وفي غيره من الموضوعات؛ وأمّا تاريخُه فقَدْ قالَ هو في حَقِّه: «التاريخُ الجَليلُ قَدْرُه، الذي يُستَغنَى بمضمونه عن غَيْره من الكتب الواردة في معانيه، وهو في أخبار مِصْرَ ومَنْ حَلَّها من الولاة والأمراء والأئمّة والخُلَفاء، وما بها من العجائب والأبنية... وأشعار الشعراء وأخبار المغنين....». وهو ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ ورقة. توفي المُسَبِّحيُّ سنة ٤٢٠هـ. قال الذهبي: كان رافضيًّا منجِّماً، سَيِّئَ الاعتقاد. انظر وفيات الأعيان: ٤/ ٣٧٧ وسير أعلام النبلاء: ١٧/ ٣٦١.

(٣) نَعَمْ، ليست في طَبَعاتِه ولا نُسْخَتِنَا الخَطّيّة، والأبياتُ الآتيةُ إذاً من نوادرِ شِعْرِ المتنبّي.

إنْ شِئتَ مُتْ أَسَفاً أوْ فابْقَ مُصْطَبِراً قد حَلَّ ما كُنْتَ تَخْشاهُ وقدْ وَقَعا
لوْ كـانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنَعَتُهُ لم يَصْنَعِ الدَّهْرُ بالإِخْشِيدِ ما صَنَعا

وهي طَوِيلةٌ.

وقرأتُ في كِتابِ أبي القاسم يَحْيَى بنِ عليّ الحَضرَميّ[1]، الذي ذَيَّلَ به تاريخَ أبي سَعِيدِ بنِ يُونُسَ[2]، وذكَرَ فيه مَنْ دخَلَ مِصْرَ من الغُرَباء، فقال: أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ الحَسَنِ الكُوفيُّ الشاعِرُ، أبو الطيب؛ يُعْرَفُ بالمتنبّي؛ رَحَلَ من مِصْرَ سِرًّا من السُّلْطان، ليلةَ النَّحْرِ سنةَ خَمْسِينَ وثلاثمئة، وَوَجَّهَ الأُسْتاذُ كافورٌ خَلْفَهُ رَواحِلَ إلى جِهَاتٍ شَتَّى، فلَمْ يُلْحَقْ.

١٤ ـ تُهَمٌ عَقَدِيّةٌ، وخِلالٌ مَذْمُومةٌ وأُخَرُ مَحْمُودةٌ: أنْشَدَنا عليُّ[3] بنُ

(١) مصنِّفٌ مشتغِلٌ بالتراجم والحديث، مِصْريٌّ حَضْرَميُّ الأصْل، يُعْرَفُ بابن الطَّحّان. له ذيلٌ على تاريخ مِصْر لابنِ يونُس، وآخَرُ على كتابِهِ في الغُرَباء الواردينَ على مِصْر كما ذكَرَ ابنُ العديم (انظر الحاشية التالية). توفي سنة ٤١٦هـ. انظر الأعلام: ٨/ ١٥٧.

(٢) هو عبدُ الرحمن بنُ أحمدَ بنِ يونُسَ بن عَبْدِ الأعْلى الصَّدَفيّ، المحدِّثُ المؤرِّخُ المِصْريّ، حَفِيدُ يونُسَ بنِ عبدِ الأعْلَى صاحب الإمام الشافعيّ. له «تاريخ مِصْر»، كبيرٌ خاصٌّ بأهْلِها، وآخَرُ صَغِيرٌ خاصٌّ بمَنْ دخَلَها من غيرِ أهْلِها. توفي سنة ٣٤٧هـ. انظر وفيات الأعيان: ٣/ ١٣٧ وسير الذهبي: ١٥/ ٥٧٨.

(٣) الكلام لابنِ يونُسَ أوْ لابنِ الطحّان صاحبِ الذيل، كما أشارَ إليهِ المؤلِّفُ. وعليُّ بنُ أحْمَدَ هذا كانَ يلي خَراجَ مِصْرَ لأبي الجيش خُمارَوَيْهِ بن أحمد بن طولُون، وفي الأنساب: ٥/ ١٦٠ طَرَفٌ من أخبارِ بَنِيهِ؛ ومنهم أبو بكر محمد بن علي المتوفَّى سنة ٣٤٥هـ، وكانَ وزيرَ أبي الجيش وكاتِبَهُ. ولم أجِدْ تَعْييناً لوفاةِ عليٍّ هذا؛ ونِسْبَتُه إلى مادَرَايَا: قريةٍ قُرْبَ واسِطٍ بالعِراق، قالَهُ ياقوت، وقال السَّمْعَانيُّ: ظنّي أنها من أعمال البصرة. وفي تاريخ بغداد: ٣/ ٧٩، في ترجمة أبي بَكْر الوزير: الماذرائي، بالذال المعجمة، وهي نسبةٌ أُخرى.
قُلْتُ: عليُّ بنُ أحْمَدَ الذي ذكَرَهُ الخَطيبُ البغداديُّ والسَّمْعَانيُّ ليسَ هو راوِيَ الأبيات عن المتنبّي فيما أظُنُّ؛ فقد كان من أهْلِ القرن الثالث وَوَلِيَ الخراجَ لخُمارويهِ المتوفَّى سنة ٢٨٢هـ، وابنُه أبو بكرٍ وُلِدَ سنة ٢٥٧هـ، فينبغي أن يكُونَ عُمِّرَ نحوَ قرنٍ ليكْتُبَ إليهِ المتنبّي في حاجةٍ له بالرملة! ولعلَّ المسمَّى هو أحَدُ حَفَدَتِه: فإنَّ له وَلَداً يُسمَّى أحْمَدَ، فلعلَّ لهذا ولداً هو عليُّ بن أحْمَدَ بنِ علي بنِ أحمد، بحيثُ تستقيمُ رِوايةُ ابنِ الطحّانِ عنه؛ وقد ذكَرَ

أَحْمَدَ المادَرائيُّ قالَ: كتَبَ أبو الطيب أحْمَدُ بنُ الحُسَيْن المتنبّي في حاجةٍ كانت له بالرَّمْلة: [مجزوء الكامل]

إِنِّــي سـأَلْـتُـك بـالـذي ... زانَ الإمــامــةَ بــالــوَصِـيّ

وأَبـــانَ فـي يــومِ الـغَـديـ ... ـــرِ لـكُـلِّ جَـبّـارٍ غَـوِيّ

فَـضْـلَ الإمــامِ عـليـهِـمُ ... بِـوِلايَـةِ الــرَّبِّ الـعَـلـيّ

إلاّ قَـصَـدْتَ لـحـاجَـتـي ... وأَعَـنْـتَ عَـبْـدَكَ يا عَـلـيّ(١)

قالَ: وكانَ يَتشيَّعُ، وقيلَ: كانَ مُلْحِداً، واللَّهُ أعْلَمُ.

قُلْتُ: وسنذكُرُ(٢) في ترجمةِ طاهرِ بنِ الحَسَنِ بن طاهرٍ حِكايةً عن الخالديَّيْنِ تَدُلُّ على أنَّ المتنبّيَ كانَ مُخالِفاً للشِّيعة.

أَنْبأَنا أبو اليُمْنِ الكِنْديُّ عن الشيخ أبي مَنْصُورٍ مَوْهُوبِ بنِ أحْمَدَ الجَوالِيقيّ(٣) قال: قالَ عليُّ(٤) بنُ حَمْزَةَ البِصْرِيُّ صاحبُ أبي الطيب

السمعانيُّ الحَسَنَ بن أحمدَ بنِ عليِّ بن أحمد، وأن ابن الطحان أرَّخ وفاته سنة ٣٩٢هـ، فيكونُ أخا المذكورِ في المتن إنْ صَحَّ ما رَجَّحْنَاهُ، والله أعلم.

(١) هذه أبياتٌ نادرةٌ مِمّا لم يُرْوَ في ديوان أبي الطيب، ودَلالَتُها إثْباتُ تَشَيُّعِه ممّا هو ظاهِرٌ في معانيها ومبانيها. والرويُّ فيها مُشَدَّدٌ يُوقَفُ عليه بالسُّكون لُزوماً، وإلاّ كان مكسوراً في الكُلِّ ما عَدَا الأخيرَ فإنه مضموم، فيكُونُ إقْواءً؛ ويُمْكِنُ الإطْلاقُ مع الكَسْرِ بقراءةِ الأخير: عَلِيِّي، مضافاً إلى ضمير المتكلم، فلا إقْواءَ حِينئذٍ.

(٢) أيْ: في «بُغية الطلب» وهو مَصْدَرُ الترجمة.

(٣) من مَشاهِير أئمّةِ اللغةِ والأدب. قرأ على الخطيب التَّبْريزيّ (ت ٥٠٢هـ) وسَمِعَ من شيوخ زمانه، وكان موصوفاً بالديانة والأمانة. من تصانيفه: «المعرَّب» وهو أشْهَرُهَا، و«شرح أدب الكاتب». توفي ببغداد سنة ٥٣٩هـ. والجَواليقيّ بالفتح وياء المَدّ، نِسْبةٌ إلى عَمَلِ الجَوالِق، جَمْعِ جُوالِقٍ بالضم كعُلابِط، وهو شِبْهُ الكِيس يُجْعَلُ المَتاعُ فيه. انظر وفيات الأعيان: ٥/٣٤٢ والقاموس: (جلق).

(٤) لُغَوِيٌّ مصنِّفٌ، وأحَدُ رُواةِ المتنبِّي. له مؤلَّفاتٌ في الرَّدّ على جَماعةٍ من أهل اللغة،كابنِ دُرَيْدٍ وابنِ الأعرابيّ والأصمعيّ، سَرَدَها ياقوتٌ وقال: إنه رآها كُلّها بمِصْر. توفّي بصِقِلّيَةَ سنة ٣٧٥هـ. وفي دارِه نزَلَ المتنبي لمّا وَرَدَ بَغْداد، فلا عَجَبَ في خُبْرِه بخِصَالِ الرجل.

المتنبّي ـ أوْ غَيْرُه مِمَّنْ صَحِبَ المتنبّيَ، شَكَّ فيهِ أبو منصورٍ ـ قالَ: بَلَوْتُ من أبي الطيب ثلاثَ خِلالٍ مَحْمُودةً، وتِلْكَ أنه ما كَذَبَ ولا زَنى ولا لاطَ؛ وبَلَوْتُ منه ثلاثَ خِلالٍ ذمِيمةٍ كُلَّ الذَّمِّ، وتلكَ أنه ما صامَ ولا صَلَّى ولا قرأَ القُرآنَ، عَفَا اللَّهُ عَنّا وعنهُ آمِينَ.

وذكَرَ ابنُ فُورَّجَةَ في كِتاب «التجنِّي على ابنِ جِنِّي»، عن أبي العَلاَءِ أحْمَدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُلَيْمَانَ المَعَرِّيّ، عن رجُلٍ من أهْلِ الشّام كانَ يَتوكَّلُ لأبي الطيب في دارِه، يُعْرَفُ بأبي سَعْدٍ ـ قال: وبَقِيَ إلى عَهْدِنا ـ قالَ:

دَعَاني أبو الطيب يوماً ونَحْنُ بحَلَبَ ـ أظُنُّه قال: ولم أكُنْ عَرَفْتُ منهُ المَيْلَ إلى اللهوِ مع النِّساءِ ولا الغِلْمان ـ فقالَ لي: «أرَأَيْتَ الغُلامَ ذا الأَصْدَاغِ الجالسَ إلى حانُوتِ كذا من السُّوق»؟ وكانَ غُلاماً وَسِيماً فَحّاشاً فيما بسَبيلِه، فقُلْتُ: نَعَمْ وأَعْرِفُه، فقال: «امْضِ فَأْتِني به، واتَّخِذْ دَعْوةً وأَنْفِقْ وأَكْثِرْ»، فقُلْتُ: وكَمْ قَدْرُ ما أُنْفِقُه؟ فلَمْ يَزِدْني على قولِهِ: «أنْفِقْ وأَكْثِرْ»، وكُنْتُ أَسْتَطْلِعُ رَأْيَهُ في جَمِيعِ ما أُنْفِقُ. فمضَيْتُ واتَّخَذْتُ له ثلاثَةَ أَلْوانٍ من الأَطْعِمَة، وصَحَفاتٍ من الحَلْواء، واسْتَدْعَيْتُ الغُلامَ فأجابَ، وأنا متعجِّبٌ من جَميعِ ما أَسْمَعُ منه، إِذْ لم تَجْرِ له عادَةٌ بمِثْلِه. فعادَ من دارِ سيفِ الدولةِ آخِرَ النهار، وقد حَضَرَ الغُلامُ وفُرِغَ من اتِّخاذِ الطَّعام؛ فقال: «قَدِّمْ ما يُؤْكَلُ وَوَاكِلْ ضَيْفَكَ»، فقدَّمْتُ الطَّعامَ فأكَلا ـ وأنا ثالِثُهُمَا ـ ثم أَجَنَّ الليلُ، فقدَّمْتُ شَمَعَةً ومِرْفَعَ دفاتِره، وكانت تلكَ عادتَهُ كُلَّ ليلةٍ، فقال: «أحضِرْ لضَيْفِكَ شَرَاباً واقْعُدْ إلى جانبِهِ فنادِمْهُ»، ففَعَلْتُ ما أمَرَني به، كُلُّ ذلك وعَيْنُه إلى الدفتر يَدْرُسُ ولا يلتفتُ إلينا إلاّ في الحِينِ بَعْدَ الحِينِ؛ فما شَرِبْنا إلاّ قليلاً حتى قال: «افْرُشْ لضَيْفِكَ وافْرُشْ لِنَفْسِك

انظر معجم الأدباء: ٤/ ١٧٥٤ والوافي: ٢٢/ ٧٤.

وبِتْ ثالِثَنا» ـ ولم أَكُنْ قَبْلَ ذلك أُبايِتُه في بَيْتِه ـ ففَعَلْتُ، وهو يَدْرُسُ حتى مَضَى من الليلِ أكْثَرُهُ، ثم أَوَى إلى فِراشِه ونامَ. فلمّا أَصْبَحْنا قُلْتُ له: ما يَصْنَعُ الضَّيْفُ(١)؟ فَقالَ: «احْبُهُ واصْرِفْهُ»، فقُلْتُ له: وكَمْ أُعْطيهِ؟ فأطْرَقَ ساعةً ثُمَّ قَالَ: «أَنْطِه(٢) ثَلاثَمِئةِ دِرْهَم»؛ فتعجَّبْتُ من ذلك، ثم جَسَّرْتُ نَفْسِي فدَنَوْتُ إليه وقُلْتُ: إنه مِمَّنْ يُجِيبُ بالشيءِ اليَسِير، وأنتَ لم تَنَلْ منه حَظًّا! فقَطَّبَ ثم قال: «أتظُنُّنِي من هؤلاءِ الفَسَقَة؟ أَنْطِه ثَلاثَمِئةِ دِرْهَمٍ ولْيَنْصَرِفْ راشِداً»! فَفَعَلْتُ ما أَمَرَني به، وصَرَفْتُه.

قالَ(٣): وهذا من بَديعِ أَخْبارِه، ولَوْلا قُوّةُ إسْنادِه لَمَا صَدَّقْتُ به.

١٥ ـ مَوَاقِفُ وأَشْعَارٌ: أنبأَنا أبو الحَسَنِ بنُ المقيَّر، عن أبي الفَتْح بنِ البَطِّيّ، عن أبي نَصْرٍ الحُمَيْدِيّ قال: أخبرني غَرْسُ النِّعْمَةِ أبو الحَسَنِ محمَّدُ بنُ هِلالِ ابنِ المُحَسِّن بنِ أَبِي إسْحاقَ الصابئ، قال: وحدثني رضي الله عنه ـ يعني والِدَهُ هِلالَ بنَ المحسِّن ـ قال: حدَّثَ الرَّضِيُّ أبو الحَسَنِ(٤) محمدُ بنُ الحُسَيْن المُوسَوِيُّ قال: حدثني أبو القاسم عَبْدُ العزيزِ بنُ يوسُف جَكّار(٥) قال: لمّا وصَلَ أبو

---

(١) المُرادُ: ما تُحِبُّ أن يَفْعَلَ، أيمكُثُ أمْ يَنْصَرِفُ؟

(٢) مَعْناه: أَعْطِهِ، لغة يمانيةٌ معروفة. انظر القاموس: (نطو).

(٣) الكلامُ لابنِ فُورَّجة.

(٤) في الأصل: أبو الحُسَيْن، بالتَّصْغِير. وهو الشاعرُ العَبّاسيُّ المُفْلِقُ المعروفُ بالشريفِ الرضِيّ، توفّي سنة ٤٠٦هـ ببغداد. وهو من شُعَراءِ «اليتيمة» وتَرْجَمَهُ كَثِيرٌ، انظر مثلاً ابن خَلِّكان: ٤/ ٤١٤.

(٥) في الأصل: حكار، بالحاء المهملة، وهو تصحيفٌ في الظاهر والصوابُ بالجيم؛ وهو في بعض مصادر ترجمته بالألف واللام، انظر «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): ٩/ ١٤٤، وفيات سنة ٣٨٨هـ. وأبو القاسم هذا وزيرٌ من الكتاب الأدباء، تَقَلَّدَ ديوان الرسائل لعضُد الدولة البويهيّ، وكان من خَواصِّه. توفي سنة ٣٨٨هـ، انظر اليتيمة: ٢/ ٣٦٩ والأعلام: ٤/ ٢٩، ومعجم الأدباء ـ وفيه ذِكْرُه عَرَضاً في مَواضِعَ منها في الجزء الأول: ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦.

والجَكّارُ كَكَتّانٍ: اسْمُ رجُلٍ، كذا في (جكر) من القاموس، والظاهرُ اشتقاقُه من الجَكَرِ

الطيب المتنبي إلى حَضْرَةِ عَضُدِ الدولة، في أَوَّل مَجْلِسٍ شاهَدَهُ فيه، قال لي عَضُدُ الدولة: اخْرُجْ واستوقِفْهُ واسْأَلْهُ كَيْفَ شاهَدَ مَجْلِسَنا، وأينَ الأُمَراءُ الذين لَقِيَهُمْ في نَفْسِه مِنّا؟ قالَ: فامتثَلْتُ ما أَمَرَني به، ولَحِقْتُه وجَلَسْتُ مَعَه، وحادَثْتُه وطاوَلْتُهُ، وأطَلْتُ معه في المعنى الذي ذكَرْتُه، فكانَ جَوَابُه عن جَميعِ ما سَمِعَهُ مني أَنْ قال: [مَشْطُور الرجز أو السريع]

«ما خَدَمَتْ عَيْنايَ قَلْبِيْ كاليَوْمْ»

فجاءَ بالجَوابِ مَوْزُوناً، واستوفَى القولَ في اختصارٍ من اللفظ.

قَرأْتُ في مجموعِ صالحِ[١] بن إبْراهيمَ بنِ رِشْدِين بخَطِّه: قال لي أبو نَصْرِ[٢] ابنُ غِياثٍ النَّصْرانيُّ الكاتِبُ: اعْتَلَّ أبو الطيب المتنبّي بمِصْرَ العِلّةَ التي وَصَفَ ـ الحُمَّى ـ في أبياتِه من القصِيدةِ المِيميّة، فكُنْتُ أُواصِلُ عِيادَتَهُ وقَضاءَ حَقِّه؛ فلمّا توَجَّهَ إلى الصَّلاح وأَبَلَّ أَغْبَبْتُ[٣] زيارَتَهُ ثِقَةً بِصَلاحِه، ولشُغْلٍ قَطَعَني عنه. فكتَبَ إليَّ: «وَصَلْتَني ـ وَصَلَكَ اللّٰهُ ـ مُعْتَلًّا، وقَطَعْتَني مُبِلًّا؛ فإنْ رأيتَ ألّا تُحَبِّبَ العِلّةَ إليَّ، ولا تُكدِّرَ الصِّحّةَ عَلَيَّ، فَعَلْتَ إنْ شاءَ اللّٰهُ»[٤].

ونَقَلْتُ من هذا المَجْمُوع بخَطِّه: ذكَرَ لي أبو العَبّاس بنُ الحُوتِ الوَرّاقُ رحِمَهُ اللّٰهُ، أنَّ أبا الطيب أنْشَدَهُ لنَفْسِه هذينِ البيتينِ: [الطّويل]

وهو اللَّجاجة؛ على أنهم قرروا أنَّ الجِيمَ والكافَ لا تجتمعان في كلمةٍ عربية، كما هو مشهور، انظر التاج: (جكر).

(١) أبو عليٍّ المَخْزُوميّ، أديبٌ مِمَّن صَحِبَ المتنبّيَ وروى عنه. توفّي سنة ٤١٠هـ. انظر اليتيمة: ١/ ٤٨٢ والوافي: ١٦/ ٢٤٦. ورِشْدِين بالكَسْر، كما في التكملة للزَّبيدي: (رشد)؛ يقال: يا رِشْدِينُ؛ أيْ: يا راشِدُ.

(٢) لم أجِدْ له ترجمةً.

(٣) أغَبَّ الزيارةَ إغْباباً: جعَلَها غِبًّا، أيْ كُلَّ أُسْبُوعٍ. والإبْلالُ: البُرْءُ. انظر القاموس: (غبب) و(بلل).

(٤) وَفَيات الأعيان: ١/ ١٢١ والوافي: ٦/ ٣٣٨.

تَضاحَكَ مِنَّا دَهْـرُنـا لِعِتَابِنا وعَلَّمَنا التَّمْويهَ لَـو نَتعلَّمُ
شريفُ زُغـاوِيٌّ، وَزانٍ مُذكِّرٌ، وأَعْمَشُ كَحّالٌ، وأَعْمَى مُنَجِّمُ[١]!!

أنْشَدَنا أبو حَفصٍ عُمَرُ بنُ عليّ بنِ قُشَام[٢] الحَلَبيُّ، قِراءةً عليهِ بها، قال: أَنْشَدَنا الحافِظُ أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ ياسِرِ الجَيّانيُّ[٣] الحافِظُ، قال: أنْشَدني أبو القاسم[٤] زاهِرُ بنُ طاهرٍ قال: أخْبَرنا أبو الحُسَيْنِ البَحِيْريُّ[٥] قال: أنْشَدَنا محمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُوسَى السُّلَمِيُّ[٦] قال:

(١) ليسا في ديوانه، وهُما من النوادر. والزُّغَاوِيُّ: المَنْسُوبُ إلى زُغَاوةَ بالضم، وهم جِنْسٌ من السُّودان تُسمَّى بِلادُهم باسمهم، وهي في نواحي النُّوبة. والمذكِّرُ: الواعِظُ، والأَعْمَشُ: ذو العَمَشِ؛ وهو ضَعْفُ البَصَرِ وسَيَلانُ الدمع غالباً. والكَحّالُ: مَنْ يُداوِي العُيونَ. والمقصودُ بهذه التقسيماتِ التمثيلُ على مُضحِكاتٍ لِتناقُضها، فالزُّغَاوِيُّ مثلاً ـ والسُّودُ مَرْذُولُونَ عند أَهْل ذلك العَصْر ـ أَبْعَدُ الناس عن شَرَفِ النَّسَبِ، وكذلك سائِرُها. انظر معجم البلدان: ٣/ ١٤٢، والقاموس: (زغو) و(ذكر) و(عمش) و(كحل).

(٢) لم أجِدْ له في كُتُبِ التراجم التي نَظَرْتُ شيئاً، ولكِنْ أَسْعَفَني القاموسُ وشَرْحُه في (قشم) و(دور). وهو عُمَر بنُ عَليّ بنِ محمَّد المعروفُ بابنِ قُشَامٍ ـ كغُرابٍ، وهو اسْمٌ لما يُؤْكَلُ، مشتقٌّ من القَشْم ـ الإمامُ المحدِّثُ الحلبيُّ، ذو التصانيفِ الكثيرة المبسوطةِ في الفنون العديدة. ولم أَقَعْ على سنةِ وَفَاتِه، ولكِنّه أَدْرَكَ في الأَقَلِّ أواخِرَ القرنِ السادس، لِروايةِ ابنِ العديم المولود سنة ٥٨٦هـ أو سنة ٥٨٨هـ عنه. وقولُه: بها، أيْ بحَلَبَ.

(٣) ذكَرَهُ السَّمْعَانيُّ في الأنساب: ٢/ ١٣٩. وتَرْجَمَهُ الذهبيُّ في السير: ٢٠/ ٥٠٩ وقال: «العَلاّمةُ أبو بكرٍ، محمد بن علي بن عبد الله بن ياسر، الأنصاريُّ الجَيّانيّ». سَمِعَ وحدّثَ كثيراً، وأَخَذَ عنه السمعانيُّ بِبَلْخ وسَمَرْقَنْدَ وبُخارَى وغيرها، وتوفي بحَلَبَ سنة ٥٦٣هـ. وانظر أيضاً الوافي: ٤/ ١٦٣. وجَيّانُ: من أشْهَرِ مُدُن الأندلس.

(٤) مُسْنِدُ خُراسانَ، أبو القاسمِ النَّيْسَابوريُّ الشَّحّاميُّ. توفي سنة ٥٣٣هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٩.

(٥) هو أحْمَدُ بنُ محمَّد بن جَعْفَر، من أَهْلِ نَيْسَابُور، محدِّثٌ ثَبْتٌ سَمِعَ أبا بَكْرٍ محمدَ بنَ إسْحاقَ بنِ خُزَيْمَةَ (ت ٣١١هـ) إمامَ نَيْسابورَ في عَصْرِه، وسَمِعَ منه الحاكِمُ (ت ٤٠٥هـ) صاحِبُ «المُسْتَدْرَك». توفي سنة ٣٧٨هـ. وابنُه أبو عَمْرٍو وحفيدُه أبو عُثمانَ محدثانِ أيضاً. انظر الأنساب: ١/ ٢٩١ ومنه استفدتُ ضَبْطَ البَحِيريّ، وهي نِسْبَةٌ إلى جَدٍّ له اسْمُه بَحِيرٌ، كأَمير.

(٦) أبو عَبْدِ الرحمنِ، السُّلَمِيُّ الأُمّ ـ نِسْبَةً إلى سُلَيْمِ بنِ منصورٍ، القَبيلةِ المُضَريّة المشهورة ـ

أنشدني محمدُ[1] بنُ الحُسَيْنِ البَغْداديُّ قال: أَنْشَدني المتنبي: [الطويل]

هَنِيئاً لكَ العِيدُ الذي أنتَ عِيدُه   وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وضَحَّى وعَيَّدا
فذا اليومُ في الأيّامِ مِثْلُكَ في الوَرَى   كما كُنْتَ فيهِمْ أَوْحداً كانَ أَوْحَدا[2]

أَخْبَرَنا الشيخُ الصالحُ أبو محمَّدٍ عبدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ علوانَ الأَسَدِيُّ[3]، قال: أخبرنا محمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ الرحمن، أبو عبدِ الرحمن الخطِيبُ[4]، قال: أَخْبَرَنا أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ مَنْصُورِ بنِ محمدٍ السَّمْعانيُّ[5] قال: سَمِعْتُ الشيخَ أبا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ أحمدَ[6] المَدِينيَّ قال: سَمِعْتُ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَميَّ قال: سَمِعْتُ السيدَ أبا الحَسَنِ[7]

الأَزْدِيُّ الأبِ، والأَزْدُ من عربِ اليَمَن؛ الإمامُ الحافِظُ المحدِّثُ، كَبيرُ الصُّوفيّة، صاحِبُ «طَبَقاتِ الصوفيّة» و«حقائقِ التفسِير» و«آداب الصُّحْبة وحُسْن العِشْرة» وغَيْرِها. توفّيَ سنة ٤١٢هـ بنَيْسابور. انظر السير: ١٧/ ٢٤٧.

(١) الأقْرَبُ أنه أبو عليٍّ محمد بنُ الحَسَن بنِ المظفَّر الحاتميّ، وبَعْضُ المَصادرِ تَجْعَلُ اسْمَ أبيهِ: الحُسَيْنَ، بالتَّصْغِير كما هُنا؛ وهو تِلْميذُ أبي عُمَرَ الزاهد (ت ٣٤٥هـ)، ومصنِّفُ «الرسالة الحاتمية» في شِعْرِ المتنبّي وعُيوبهِ وسَرِقاتِه. تَرْجَمَهُ كَثيرٌ، وانظر تاريخ بغداد: ٢/ ٢١٤ ومعجم الأدباء: ٦/ ٢٥٠٥ والسير: ١٦/ ٤٩٩. توفي الحاتمي سنة ٣٨٨هـ.

(٢) الديوان: ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) محدِّثٌ شافعيٌّ من شُيوخِ ابنِ العديم، سَمِعَ من أبي القاسم بن عساكر وغيره من الكِبار. توفي سنة ٦٢٣هـ. انظر السير: ٢٢/ ٣٠٣.

(٤) الخطيب الكُشْمِيْهَنِيّ، مُحَدِّثٌ من أَهْلِ مَرْو، توفي سنة ٥٧٨هـ. انظر الوافي: ١/ ١٦٥. وكُشْمِيْهَنُ، بضمّ فسُكُون فكَسْر، فسكون ففتح، وتُفْتَحُ الميم: قريةٌ من قُرى مَرْو؛ انظر معجم البلدان: ٤/ ٤٦٣، والقاموس: (كشمهن) وزاد فيها هاءً.

(٥) الإمامُ الحافظُ الشافعيُّ، الخُراسانيُّ المَرْوَزِيّ، من سُلالةِ السمعانيّين المحدِّثين. ترجَمَهُ ابنُه أبو سَعْدٍ في «الأنساب»: ٣/ ٣٠٠ وأثنى عليهِ ووصَفَهُ بالتفوُّقِ في العُلوم. توفي سنة ٥١٠هـ. وانظر أيضاً: السِّيَر: ١٩/ ٣٧١ ومصادره. وأمّا سَمْعانُ ـ كعَدْنان ـ الذي ينتسبون إليه فهو بَطْنٌ من تَمِيم.

(٦) علي بن أحمد بن محمد بن الأَخْرَمِ المَدِينيّ، نِسْبَتُه إلى مَدِينةِ نَيْسابور: محدِّثٌ، توفي سنة ٤٩٤هـ. انظر الأنساب: ٥/ ٢٣٦.

(٧) لم أَحْظَ بترجمةٍ له، على عِظَم الجَهْد، لِفُقْدانِ أسماءِ آبائِه، وكُنْيَتُه ونِسْبَتُه يحتمِلان الكثيرَ.

محمدَ بنَ أبي إسْماعِيلَ العَلَوِيَّ يقول: دخَلَ المتنبّي على الأستاذِ الرئيسِ أبي الفَضْلِ[١] محمدِ بنِ الحُسَيْنِ، وبَيْنَ يَدَيْهِ مَجامِرُ من آسٍ ونَرْجِسٍ قَدْ أُخْفِيَ فيها مَواضِعُ النار: لا تُرَى النارُ وَيُشَمُّ رائحةُ النَّدِّ. فقال: يا أبا الطيب، قُلْ فيهِ شيئاً. فأنْشَأَ يقُولُ: [المتقارِب]

أَحَـبُّ الـذي حَبَّتِ الأَنْفُسُ وأطْـيَـبُ ما شَـمَّـهُ المَعْطِسُ
ونَـشْـرٌ مـن الـنَّـدِّ لـكِـنَّـهُ مَـجَـامِـرُهُ الآسُ والـنَّـرْجِسُ
ولَـسْـتُ أَرَى وَهَـجـاً هاجَهُ فَهَلْ هاجَهُ عِـزُّكَ الأَقْعَسُ؟
وإنَّ الـقِـيَـامَ الـذي حَـوْلَـهُ لَتَحْسُدُ أَقْدامَها الأَرْؤُسُ[٢]

١٦ ـ مَصْرَعُ أبي الطيب: شُؤونُه وشُجونُه: أخْبَرنا أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ ابنُ محمودِ بنِ الأخْضَرِ البَغْداديُّ في كِتابِه، قال: أخبرنا الرئيسُ أبو الحَسَنِ عليُّ بنُ عليِّ بنِ نَصْرِ بنِ سَعيدٍ البِصْرِيُّ قال: أخبرنا أبو البَرَكاتِ محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بن يحيى الوكيلُ قال: أخبرنا عليُّ بنُ أَيُّوبَ بن الحُسَيْنِ بنِ السّارَبَانِ قال: وخَرَجَ ـ يَعْني المتنبّيَ ـ من شِيرازَ لثَمانٍ خَلَوْنَ من شَعْبانَ، قاصِداً إلى بَغْدادَ ثم إلى الكُوفة، حتى إذا بَلَغَ دَيْرَ العاقُولِ وخَرَجَ منهُ قَدْرَ مِيلينِ خَرَجَ عليهِ فُرْسَانٌ ورَجّالَةٌ من بَنِي أَسَدٍ وشَيْبَانَ؛ فقاتَلَهُمْ مع غُلامينِ من غِلمانِه، وقتَلُوهُ وقُتِلَ معه أحَدُ الغُلامين وهرَبَ الآخَرُ، وأخَذُوا جميعَ ما كانَ معه، وتبِعَهُم ابْنُه المُحَسَّدُ ـ طَلَباً لكُتُبِ أبيهِ ـ فقَتَلوهُ أيضاً. وذلك كُلُّه يومَ الاثنينِ لثمانٍ بَقِينَ من رَمَضَانَ، سَنَةَ أربعٍ وخَمْسِينَ وثلاثمِئة[٣].

وفي الفصل الذي عقَدَهُ الثعالبيُّ لأبي الفضل بن العميد (ت ٣٦٠هـ) من اليتيمة: ٣/ ١٩٠، ٢٠٢، ٢٠٣ ذِكْرٌ «لأبي الحَسَن العَلَويّ العَبّاسيّ» وهو أحَدُ خَواصِّه ونُدَمائِه؛ فلَعَلَّهُ هو، لروايتهِ القِصّةَ المذكورة عن مَجْلِسِ ابنِ العَمِيد، ولا يبعُدُ أن يكُونَ شَهِدَها.

(١) ابنُ العَميدِ الأبُ كما سبق.

(٢) الديوان: ١٣٣، وفيه وفي طَبَعاتِ الديوان اختلافٌ في الرواية عَمّا هُنا.

(٣) هذه الروايةُ وغَيْرُها منقولةٌ في مصادرِ ترجمةِ أبي الطيب، باختلافاتٍ في يومِ المَقْتَل

أَنْبَأَنا زَيْدُ بنُ الحَسَنِ الكِنْدِيُّ قال: أخْبَرنا أبو منصورِ بنُ زُرَيْقٍ قال: أخْبَرنا أبو بَكْرٍ أحْمَدُ بنُ عليٍّ بنِ ثابتٍ الخَطِيبُ قال[١]: خَرجَ المتنبِّي إلى فارِسَ من بَغْدادَ، فمدَحَ عَضُدَ الدولة وأقامَ عِنْدَهُ مُدَيْدةً، ثم رَجَعَ يُريدُ بَغْدادَ فقُتِلَ في الطَّريق، بالقُرْبِ من النُّعْمانيّةِ، في شَهْرِ رَمَضانَ سنة أربعٍ وخَمْسِينَ وثلاثِمِئة.

وقَرأْتُ في تاريخِ أبي محمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أحْمَدَ الفَرْغانيّ[٢]:

لَمّا هَرَبَ المتنبّي الشاعِرُ من مِصْرَ صارَ إلى الكُوفةِ فأقامَ بها، وصارَ إلى ابنِ العَميد فمَدَحَهُ، فقيلَ: إنه صارَ إليهِ منه ثلاثونَ ألفَ دِينارٍ؛ وقال له: تَمْضِي إلى عَضُدِ الدولة، فمَضَى من عندِه إليهِ، فمدحَهُ ووصَلَهُ بثلاثينَ ألفَ دِينارٍ، وفارَقَهُ على أنْ يَمْضِيَ إلى الكُوفةِ يَحْمِلُ عِيالَهُ ويَجيءُ معهم إليه. وسارَ حتى وصَلَ إلى النُّعْمانيّة ـ بإزاءِ قَرْيَةٍ تَقْرُبُ منها، يقال لها بَنُورا[٣] ـ فوَجَدَ أَثَرَ خَيْلٍ هُناك؛ فتنَسَّمَ خبَرَها، فإذا خَيْلٌ قَدْ كَمَنَتْ له، فصادفَتْهُ لأنه قَصَدَها. فطُعِنَ طَعْنَةً نُكِسَ عن فَرَسِه، فلمّا سَقَطَ إلى الأرضِ نَزَلُوا فاحْتَزُّوا رَأْسَهُ ذَبْحاً، وأخَذُوا ما كانَ مَعَهُ من المالِ وغَيْرِه، وكانَ مَذْهَبُه أن يَحْمِلَ مالَهُ مَعَهُ أينَ توجَّهَ؛ وقُتِلَ ابْنُه

ويومِ الرحيلِ عن شِيرازَ، وبينَ شَعْبانَ ورمضان، مع الاتفاق على سنة ٣٥٤هـ. انظر مثلاً: المنتظم: ١٤/ ١٦٥ ـ ١٦٧، ووفيات الأعيان: ١/ ١٢٣.

(١) تاريخ بغداد: ٤/ ١٠٥ والمنتظم. وفي الأصل: مدة مديدة، ولا يستقيم ذلك في أشْهُرٍ، وإنما هي مُدَيْدةٌ ـ بالتصغير ـ كما أثبتناه من المصدرين.

(٢) هو الأميرُ العالِمُ القائدُ عبدُ اللَّه بنُ أحمدَ بنِ جَعْفَرِ بنِ خُذْيانَ بنِ خامس. أصْلُه من فَرْغانة، من بلاد ما وراءَ النهر (أُوزْبكْستان اليوم). رَوَى عن أبي جعفرٍ الطبري المؤرخ، وله ذيلٌ على تاريخِه هو المذكورُ في المتن. توفي سنة ٣٦٢هـ. انظر تاريخ بغداد: ٩/ ٣٨٩ والسير: ١٦/ ١٣٢ والوافي: ١٧/ ٣٠.

(٣) كذا رُسِمَتْ في الأصل وفي معجم البلدان، وحَقُّها أن تكُونَ الألفُ بصُورة الياء. وبَنُورَى، كهَيُولَى مُخفَّفةً: قريةٌ قُرْبَ النُّعْمانية بينَ بَغْدادَ وواسطٍ؛ وذكَرَ ياقوتٌ في مادتها أنَّ مَقْتَلَ المتنبّي كانَ بها بحَسَبِ بعضِ الروايات، انظر معجم البلدان: ١/ ٥٠١، ٥/ ٢٩٤.

معه، وغُلامٌ من جُمْلةِ خَمْسَةِ غِلْمَةٍ كانُوا مَعَهُ، وأنَّ الغُلامَ المقتولَ قاتَلَ حتى قُتِلَ. وكانَ قَتْلُ المتنبِّي يومَ الاثنينِ لخَمْسٍ بَقِينَ من شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ أربعٍ وخمسينَ وثلاثِمئة.

قالَ الفَرْغانيّ: وحُدِّثْتُ أنه لمّا نَزَلَ المَنْزِلَ الذي رحَلَ منه فقُتِلَ، جاءَهُ قومٌ خُفَراءُ فطَلَبُوا منه خَمْسِينَ دِرْهَماً ليَسِيرُوا معه، فمنَعَهُ الشُّحُّ والكِبْرُ؛ فأَنْذَرُوا به، فكانَ من أَمْرِه ما كانَ. قال: وقيل بأنهم لمّا طَلَبُوا منه الخَفارةَ اعتذَرَ في ذلك أنْ قال لهم: «لا أُكَذِّبُ نَفْسِي في قَوْلي: [الوافر]

يُـذِمُّ لمُهْجَتِيْ سَيْفِيْ وَرُمْحِي ....[1]»

ففارَقُوهُ على سُخْطٍ وأَنْذَرُوا به، وكانَ من أمْرِه ما كانَ.

وقَرَأْتُ في جُذاذَةِ[2] طِرْسٍ مَطْرُوحٍ في النُّسْخَةِ التي وَقَعَتْ إليَّ بسَمَاعِ جَدِّ جَدِّ أبي، القاضي أبي الحَسَنِ[3] أحْمَدَ بنِ يحيى بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي جَرادةَ ـ من شِعْرِ المتنبّي ـ على محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَعْدٍ النَّحْوِيّ الحَلَبِيّ[4]، وفيها مكتوبٌ بغَيْرِ خَطِّ النُّسْخَة:

---

(١) وقَعَ الصَّدْرُ في الأصل عَجُزاً مضموماً إلى الجُمْلةِ السابقة، فبَدَوَا بيتاً تامًّا، وهو تحريفٌ. والشَّطْرُ صَدْرُ بيتٍ تمامُه: «إذا احتاجَ الوحيدُ إلى الذِّمَام»

وفي الديوان: ٢٩٣: «رَبِّيْ وسَيْفي». والبيتُ من قصيدةِ الحُمَّى التي مَطْلَعُها:

مَلُومُكما يَـجِـلُّ عـن الـمَـلام   وَوَقْـعُ فَعـالِـه فـوقَ الـكَـلام

(٢) الجُذَاذة: القُرَاضَةُ، والطِّرْسُ: الصَّحِيفة؛ فهي إذاً قِطْعةٌ جُذَّتْ من طِرْس: صَحيفةٍ يُكْتَبُ فيها. انظر القاموس: (جذذ) و(طرس). قُلْتُ: هذا مَصْدَرٌ عَجيبٌ، وتَنَبُّهُ ابنِ العديم إليهِ وحِرْصُه على الإفادةِ منه ـ مع جَهْلِهِ بكاتبِ مادّتِه ـ عُنْوانٌ على عُلوِّ كَعْبِه في فَنِّ التأريخ.

(٣) محدِّثٌ فَقِيهٌ، وهو أوّلُ مَنْ تَولَّى القَضاءَ مِنْ آلِ أبي جَرادة بحلب. توفِّي بَعْدَ سنة ٤٢٩هـ. انظر معجم الأدباء: ٥/ ٢٠٧٥.

(٤) تَقَدَّمَ في المتن أنه أَحَدُ رُواةِ المتنبّي، والإشارةُ في الحاشيةِ إلى عَدَمِ العُثورِ على تَرْجَمتِه، وهو من أَهْلِ القرنِ الرابعِ يقيناً.

المتنبّي: أبو الطيّبِ أحمدُ بنُ الحُسَيْن. عادَ من شِيرازَ من عندِ فَنَّاخُسْرُو(١) وابنِ العَمِيدِ ووزيره بأموالٍ جزيلة، فلمّا صارَ بالصافيةِ من أرضِ وَاسِطٍ وَقَعَ به جَماعةٌ من بَني أَسَدٍ وغَيْرِهم، فقتَلُوه وخَمْسَةَ غِلمانٍ كانوا مَعَهُ وَوَلَدَهُ، وسَلَبُوا المالَ، وذلك في شَوّالٍ من سنةِ أربعٍ وخَمْسِينَ وثلاثِمئة؛ وكانَ المتولّيَ لقَتْلِه رجُلٌ منهم يقال له فاتِكُ بنُ أبي جَهْلٍ، وهو ابنُ خالةِ ضَبّةَ الذي هَجاهُ المتنبّي، وكان على شاطئ دِجْلة.

وسَمِعْتُ والدي رَحِمَهُ اللَّهُ يقُولُ لي: بَلَغَنِي أنَّ المتنبّيَ لَمّا خَرَجَ عليهِ قُطّاعُ الطريقِ، ومعه ابْنُه وغِلْمانُه، أَرادَ أنْ يَنْهَزِمَ، فقالَ له ابنُه: يا أَبَتِ، وأيْنَ قَوْلُكَ: [البسيط]

الخَيْلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُنِي　　والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

فقالَ لَهُ: «قَتَلْتَني يا بنَ اللَّخْناء»(٢)! ثُمَّ ثَبَتَ وقاتَلَ حتى قُتِلَ.

سَيَّرَ إليَّ الشَّريفُ الأَجَلُّ العالِمُ تاجُ الشَّرَفِ، شَرَفُ الدين أبو عَبْدِاللَّه، محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عليٍّ الحُسَيْنِيُّ(٣)، جُزْءاً بخَطِّه في مَقْتَلِ أبي

---

(١) هو عَضُدُ الدولةِ البُوَيْهِيّ (ت ٣٧٢هـ)، مَمْدُوحُ أبي الطيب المشهورُ، وتراجِمُه كثيرةٌ منها ما في وفيات الأعيان: ٤/ ٥٠. وهو فنّا خُسْرُوْ بنُ الحَسَن بنِ بُوَيْه، وضبَطَ ابنُ خَلِّكانَ اسْمَهُ نَصًّا كما في المتن؛ ويَرِدُ في بعضِ نُسَخِ الديوان بفتح الراء ـ مع التماثُلِ في سائرِه ـ وذلك ضَبْطُ المحدِّثينَ: لأنَّ (خُسْرَوْ)، بضم فسكونٍ ففتحٍ فسكون، لفظٌ فارسيٌّ معناه: الملِك. انظر الأنساب: (الخُسْرَوْجِرْدِيّ) ومعجم الألفاظ الفارسية المعرّبة: ٥٤. ووَرَدَ الاسْمُ في بيتِ المتنبّي في مَدْحِهِ لعضُدِ الدولة (البرقوقي: ٤/ ٤١٠): [المنسرح]

أَبَا شُجاعٍ بفارِسٍ عَضُدَ الدْ　　دَوْلةِ فَنَّا خُسْرُوْ شَهَنْشاهَا

(٢) شَتْمٌ للعرب، كأنهم يقولون: يا دَنِيءَ الأصل أوْ يا لئيمَ الأُمّ. واللَّخْناءُ أصلاً: المُنْتِنَةُ الأَرْفاغِ، وهي مواضِعُ اجتماعِ العَرَقِ من الجَسَد. انظر التاج: (لخن).

(٣) شريفٌ من المشاركِين في العلوم، كُوفيُّ الأصلِ مِصْريُّ الدار، رَوَى عنه الحافظُ الدِّمْيَاطيّ (ت ٧٠٥هـ). توفي سنة ٦٦٦هـ. انظر الوافي: ٣/ ٢٣٥، ولم أجِدْ له ترجمةً في غيره، وذكَرَهُ باسْمِه وأسْماءِ آبائه وكُنْيَتِه، ولم يذكُرْ لَقَبَيْه: شَرَفَ الدين وتاج الشَّرَف ـ إنْ كان هذا

الطيب كَتَبَ فيهِ ما نَقَلْتُه. وصُورَتُه: نَقَلْتُ من خَطِّ أبي بَكْرِ محمدِ بنِ هاشم الخالديّ(١)، أحَدِ الخالِدِيَّيْنِ، في آخِرِ النُّسْخَةِ التي بخَطِّهِ من شِعْرِ أبي الطيب المتنبّي ما هذهِ صُورَتُه:

ذِكْرُ مَقْتَلِه: كُنّا كَتَبْنَا إلى أبي نَصْرٍ محمدِ بنِ المبارَكِ الجَبُّليّ(٢) نَسْأَلُه شَرْحَ ذلك ـ وهذا الرَّجُلُ من وُجُوهِ التُّنَّاءِ بهذه الناحية، وله أَدَبٌ وحُرْمَةٌ ـ فأجابنا عن كِتابِنا جَوَاباً طوِيلاً يقولُ فيه: وأَمّا ما سأَلْتُمَا عنه، من خَبَرِ مَقْتَلِ أبي الطيب المتنبّي رَحِمَهُ اللَّهُ، فأنا أَنْسُقُهُ لكُمَا وأشْرَحُه شَرْحاً بيِّناً:

اعْلَما أَنَّ مَسِيرَهُ كانَ من واسِطٍ في يوم السبتِ لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً بَقِيَتْ من شَهْرِ رَمَضانَ سنةَ أربعٍ وخَمْسِين وثلاثِمئة، وقُتِلَ بِبَيْزَعَ(٣) ـ ضَيْعَةٌ بقُرْبٍ من دَيْرِ العاقُول ـ في يومِ الأربعاء لليلتينِ بَقِيَتَا من شَهْرِ رَمَضانَ سنة أربعٍ وخمسينَ وثلاثمِئة؛ والذي تولَّى قَتْلَهُ وقَتْلَ ابنِه وغُلامِه رَجُلٌ من بَني أَسَدٍ يُقالُ له: فاتِكُ بنُ أبي الجَهْلِ بنِ فِراسِ بنِ بِدادٍ، وكانَ من قَوْلِه وهو

لَقَباً ـ وأَغْلَبُ ظَنِّي أنه هو.

(١) الخالِديّانِ: المذكورُ في المَتْنِ وأُخُوهُ أبو عُثْمانَ سَعيدُ بنُ هاشمٍ، شاعرانِ مُجيدانِ من شُعَراءِ «اليتيمة» وخواصِّ سيفِ الدولة. كانا يشترِكانِ في كثيرٍ من المنظوم، فجُمِعَ لهما دِيوانٌ يُعْرَفُ بهما، وأخبارُهما منتشِرةٌ في مصادر التاريخ والتراجم. توفي أبو بكرٍ نحو سنة ٣٨٠هـ، وأبو عثمان سنة ٣٧١هـ. انظر الأعلام: ٣/ ١٠٣ و٧/ ١٢٩ ومصادره.

(٢) ضَبَطْتُه بفتح فضمٍّ مع التشديد لموافَقَةِ الحال. فالرجُلُ ـ كما ذكَرَ ابنُ العديم ـ من التُّنَّاءِ: جَمْعِ تانئٍ وهو رئيسُ الإقليم، وزَعِيمُ فَلاّحي العَجَم، ويُسَمَّى أيضاً: الدِّهْقَانَ، انظر القاموس: (تنأ) و(دهقن)؛ فينبغي أنْ يكُونَ من رؤساءِ الإقْطاعيينَ في الناحيةِ التي قُتِلَ بها المتنبّي، ويُنْسَبَ إلى جَبُّلَ: بُلَيْدةٍ بينَ النُّعْمانيّةِ وواسِطٍ، في الجانب الشرقيّ. قاله ياقوت: ٢/ ١٠٣.

(٣) ضُبِطَتْ هكذا، كصَيْقَل، ضَبْطَ قلمٍ في معجم البلدان: ١/ ٥٢٧ وفي «مراصد الاطّلاع»، وهو مختصَرُهُ لابنِ عبد الحقّ (ت ٧٣٩هـ): ١/ ٢٤١. ويُوثِّقُ القِصّةَ أَنَّ ياقوتاً قال: «بها قُتِلَ أبو الطيب المتنبي؛ نَقَلْتُه من خَطِّ أبي بكرٍ محمد بن هاشمٍ الخالديّ»، وكَفَى بذلك اتِّفاقاً.

مُنْعَفِرٌ: قُبْحاً لهذه اللِّحْيَةِ يا سَبّابُ! وذلك أنَّ فاتِكاً هذا قَرابَةٌ لوالدةِ ضَبّة بنِ يَزِيدَ العَيْنيّ[١] الذي هَجاهُ المتنبّي بقَوْلِه: [المجتثّ]

مـا أَنْـصَـفَ الـقـومُ ضَـبّـهْ وأُمَّـــهُ الـطُّـرْطُـبّـهْ[٢]

ويقالُ: إنَّ فاتِكاً خالُ ضَبّةَ، وإنَّ الحَمِيّةَ داخَلَتْهُ لَمّا سمعَ ذِكْرَها بالقبيحِ في الشِّعْرِ؛ وما للمتنبّي شِعْرٌ أسْخَفُ من هذا الشِّعْرِ كَلاماً، فكانَ على سَخافَتِه ورَكَاكَتِه سَبَبَ قَتْلِه وقَتْلِ ابْنِه وذَهابِ مالِه!

وأمّا شَرْحُ الخَبَرِ: فإنَّ فاتِكاً كانَ صديقاً لي، وكانَ كما سُمِّيَ: فاتِكاً، لسَفْكِه الدِّمَاءَ وإقْدامِه على الأهْوال؛ فلمّا سَمِعَ الشِّعْرَ الذي هُجِيَ به ضَبّةُ أحْفَظَهُ[٣] ذلك واشْتَدَّ عليهِ، ورَجَعَ على ضَبّةَ باللَّوْم، وقال له: قدْ كانَ يَجِبُ ألّا تَجْعَلَ لشاعرٍ عليكَ سَبيلاً وأضْمَرَ غَيْرَ ما أظْهَرَ، واتَّصَلَ به انْصِرافُ المتنبّي من بَلَدِ فارسَ إلى العِراق، وأنَّ اجْتِيازَهُ بجَبُّلَ ودَيْرِ العاقُول، فلم يكُنْ يَنْزِلُ عن فَرَسِه وجَماعةٌ مَعَهُ من بني عَمِّه: رَأْيُهم في المتنبّي مِثْلُ رأْيِهِ، في طَلَبِه واسْتِعْلامِ خَبَرِه من كُلِّ صادرٍ ووارِدٍ. وكانَ فاتِكٌ يَتحرَّقُ خوفاً أنْ يَفُوتَهُ، وكانَ كثيراً ما يَجِيئُني ويَنْزِلُ عِندي؛ فقُلْتُ له يوماً وقد جاءَني، وهو يَسْأَلُ قوماً مُجْتازِينَ عنه: قَدْ أَكْثرتَ المَسْأَلَةَ عن هذا الرَّجُلِ، فأَيُّ شيءٍ عَزْمُكَ أَنْ تَفْعَلَهُ به مَتَى لَقِيتَهُ؟ قالَ: ما عَزْمي إلاّ الجَمِيلُ، وأَنْ أَعْذُلَهُ على ما أَفْحَشَ فيهِ من الهِجاء. فَقُلْتُ: هذا الأَلْيَقُ بأَخْلاقِكَ والأشْبَهُ

---

(١) كذا في الأصل: بعينٍ مهملة فمثنّاةٍ تحتيّة فَنُون، وتَرِدُ في مصادر دراسة المتنبّي ونُسَخ ديوانه بصُورةٍ أُخرى أيضاً: العُتْبيّ، بمثنّاةٍ فوقيّة ثم باءٍ موحَّدة مع إهمال العين؛ ولَعَلَّ الأخيرةَ أَصَحُّ، لكنّي أبقيتُها على حالها في المتن حِفْظاً للرواية، ولعُدْمِ الترجيح. انظر مثلاً: شرح البرقوقي: ١/ ٥٨، ١/ ٣٣٠، والديوان المخطوط: ٤٤، ٣٣٤.

(٢) الديوان: ٤٤. والطُّرْطُبّة: المسترخيةُ الثديينِ، الطَّويلَتُهما. انظر القاموس واللسان: (طرطب).

(٣) أيْ أغْضَبَهُ. القاموس: (حفظ).

بأفْعَالِكَ. فتَضاحكَ ثم قال: يا أبا نَصْر، واللّهِ لئن اكتحلَتْ عَيْنِي به أوْ جَمَعَتْنِي وإيّاهُ بُقْعَةٌ لأَسْفِكَنَّ دَمَهُ ولأَمْحَقَنَّ حَيَاتَهُ، إلاّ أَنْ يُحال بيني وبَيْنَهُ. فَقُلْتُ له: كُفَّ ـ عافَاكَ اللَّهُ ـ عن هذا القولِ، وارْجِعْ إلى اللَّهِ وأَزِلْ هذا الرَّأْيَ عن قَلْبِكَ! فإنَّ الرجُلَ شَهيرُ الاسْم بَعِيدُ الصَّوْتِ[١]، وقَتْلُكَ إيّاهُ في شِعْرٍ قالَهُ لا يَحْسُنُ؛ وَقَدْ هَجَتِ الشُّعَرَاءُ المُلوكَ في الجاهليّةِ والخُلَفاءَ في الإسلام، فما عَلِمْنَا أَنَّ شاعِراً قُتِلَ بهِجاءٍ. وقد قالَ: [الطويل]

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثُمَّ إنّيْ مَدَحْتُه وما زَالَتِ الأَشْرافُ تُهْجَى وتُمْدَحُ[٢]

ولم يَبْلُغْ جُرْمُه ما يُوْجِبُ قَتْلَهُ. فقال: يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ. وانصرَفَ.

فلَمْ يَمْضِ لهذا القول إلاّ ثَلاثةُ أيّام حتى وَافَى المتنبّي، ومَعَهُ بِغَالٌ مُوْقَرةٌ[٣] بكُلِّ شيءٍ: من الذهبِ والفِضّة والثِّياب والطِّيب والجَوْهَرِ والآلة؛ لأنه كانَ إذا سافَرَ لَمْ يُخَلِّفْ في مَنْزِلِهِ دِرْهَماً ولا ديناراً ولا ثوباً، ولا شيئاً يُساوِي دِرْهَماً واحِداً فما فَوْقَهُ! وكانَ أَكْثَرُ إشْفَاقِه على دَفاتِرِه، لأَنَّهُ كانَ قد انتخَبَها وأَحْكَمَها قِراءَةً وتَصْحِيحاً. قال[٤]: فتلَقَّيْتُه وأَنْزَلْتُه داري، وساءَلْتُه عَنْ أَخْبارِه وعَمَّنْ لَقِيَ، وكيفَ وَجَدَ مَنْ قَصَدَهُ؛ فعَرَّفَني من ذلك ما سُرِرْتُ به، وأَقْبَلَ يَصِفُ لي ابنَ العَمِيد وفَضْلَهُ وأَدَبَهُ وعِلْمَهُ[٥] وكَرَمَهُ، وسَمَاحةَ المَلِكِ فَنَّاخُسْرُوْ ورَغْبَتَهُ في الأدبِ ومَيْلَهُ إلى أَهْلِه.

فلَمّا أَمْسَيْنا قُلْتُ له: على أيِّ شيءٍ أنتَ مُجْمِعٌ؟ قال: «على أنْ أَتَّخِذَ الليْلَ

---

(١) بَعِيدُ الصَّوْتِ: بَعِيدُ الصِّيت. القاموس: (صوت).

(٢) بيتٌ دائرٌ في الألْسنة مشهورٌ، ولم أَهْتدِ إلى قائله.

(٣) مُوْقَرةٌ: محمَّلةٌ أحمالاً ثقيلةً. القاموس: (وقر).

(٤) أبو نَصْرِ الدِّهْقانُ.

(٥) في الأصل: وعمله، بتقديم الميم، تحريفٌ.

جَملاً(١)، فإنَّ السَّيرَ فيه يَخِفُّ عَلَيَّ». قُلْتُ: هذا هو الصَّوابُ ـ رَجاءَ أنْ يُخْفِيَهُ اللَيلُ ولا يُصْبِحَ إلاّ وقَدْ قَطَعَ بَلَداً بَعِيداً ـ والوَجْهُ أنْ يكُونَ مَعَكَ من رَجّالةِ هذه المَدِينة، الذينَ يَخْبُرونَ الطَّريقَ ويَعْرِفُونَ المَواضِعَ المَخُوفةَ فيه، جَماعَةٌ يَمْشُونَ بينَ يديكَ إلى بَغْدادَ. فقَطَّبَ وقال: «لِمَ قُلْتَ هذا القولَ»؟ قُلْتُ: تَسْتَأْنِسُ بهم. قال: «أمّا والجُرازُ(٢) في عُنُقي فما بي حاجَةٌ إلى مُؤْنسٍ غَيْرِه»! قُلْتُ: الأَمْرُ كما تَقُولُ، والرأْيُ في الذي أَشَرْتُ به عليكَ.

فقال: «تلويحُكَ هذا يُنْبِئُ عن تَعْرِيضٍ، وتعريضُكَ يُخْبِرُ عن تَصْرِيحٍ، فعَرِّفْني الأَمْرَ وبَيِّنْ لي الخَطْبَ». قُلْتُ: إنَّ هذا الجاهِلَ ـ فاتِكَ(٣) الأَسَدِيَّ ـ كان عندي مُنْذُ ثلاثةِ أيّام، وهو مُحْفَظٌ منك لأنك هَجَوْتَ ابنَ أُخْتِه، وقد تكلَّمَ بأشياءَ تُوْجِبُ الاحْتِراسَ والتيقُّظَ، ومَعَهُ أيضاً نَحْوُ العِشْرينَ فارِساً من بني عَمِّه، قَوْلُهم مِثْلُ قولِه. قال: وغُلامُه ـ وكانَ عاقِلاً لَبِيباً فارِساً ـ يَسْمَعُ كَلامَنا، فقال: الصَّوابُ ما رآهُ أبو نَصْرٍ: خُذْ مَعَكَ عِشْرينَ راجِلاً يَسِيرونَ بينَ يديكَ إلى بَغْدادَ. فاغْتاظَ غَيْظاً شديداً، وشَتَمَ الغُلامَ شَتْماً قَبِيحاً، وقال: «واللّهِ لا تُحُدِّثَ(٤) عنّي أني سِرْتُ في خَفارةِ أحدٍ غيرِ سَيْفي»! قُلْتُ: يا هذا، فأنا أُوجِّهُ قوماً من قِبَلي في حاجَةٍ، يَسِيرونَ بسَيْرِكَ ويكُونُونَ في خَفَارَتِكَ. قال: «واللّهِ لا فَعَلْتَ شيئاً من هذا»!! ثُمَّ

---

(١) اتَّخَذَ الليلَ جَمَلاً: سَرَى كُلَّهُ. القاموس: (جمل).

(٢) الجُرازُ كغُرَاب: السيفُ القاطِعُ. القاموس: (جرز). قُلْتُ: قد سَمَّى أبو الطيبِ سَيْفَهُ «الجُرازَ» في قوله يَمدَحُ الرُّوذْباريَّ: [الخفيف]

كفِرِنْدِيْ فِرِنْدُ سَيْفِيَ الجُرازِ   لَـذَّةُ العَيْـنِ عُـدَّةٌ لِلبِـرَازِ

انظر الديوان: ١٢٦.

(٣) كذا في الأصل، وتَرَكْتُها كما هيَ لأنها دَلالَةٌ على اللَّحْنِ في لُغَة العامّةِ في ذلك الزمان، إذْ حقُّها التنوينُ؛ على أنه يُمْكِنُ قِراءَتُها: فاتِكٌ، بالرفع خَبَراً لضمير مقدَّر بِهُوَ.

(٤) يَجُوزُ قِراءتُها أيضاً: تُحدِّثُ، مَبْنيّاً للمَعْلُوم، مُضارِعاً بِصيغةِ المخاطَب.

قال لي: «يا أبا نَصْرٍ، أَبِخُرُوءِ[١] الطَّيْرِ تُخَشِّيني، ومِنْ عَبيدِ العَصَا تَخافُ عَلَيَّ؟؟ واللَّهِ لَوْ أَنَّ مِخْصَرَتي[٢] هذه مُلْقاةٌ على شاطِئِ الفُرات، وبَنُو أَسَدٍ مُعَطَّشُونَ لخَمْسٍ، وقَدْ نَظَرُوا إلى الماءِ كبُطُونِ الحَيّاتِ[٣]، ما جَسَرَ لهم خُفٌّ ولا ظِلْفٌ أَنْ يَرِدَهُ! حَاشَ للَّهِ من فِكْرٍ أَشْتَغِلُه بهم لَحْظَ العَيْنِ»!! فقُلْتُ له: قُلْ إنْ شَاءَ اللَّهُ. فقال: «كَلِمةٌ مَقُولَةٌ! لا تَدْفَعُ مَقْضِيًّا، ولا تَسْتَجْلِبُ أَتِيًّا». ثُمَّ رَكِبَ، فكانَ آخِرَ العَهْدِ به.

قالَ: ولَمّا صَحَّ عِنْدي خَبَرُ قَتْلِه وَجَّهْتُ مَنْ دَفَنَهُ وابْنَهُ وغُلامَهُ، وذَهَبَتْ دِمَاؤُهم هَدْراً.

والحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العالَمِين، وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وعلى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبينَ الطاهرينَ وسَلَّمَ تَسْلِيماً. وكتَبَ محمدُ بنُ هاشِمٍ الخالِدِيُّ بالمَوْصِلِ، في سَنَةِ خَمْسٍ[٤] وخَمْسِين وثلاثِمئة، وهو يستغفرُ اللَّهَ من كُلِّ ذَنْبٍ وخَطِيئَةٍ، عن عَمْدٍ أَوْ خَطَأٍ.

أَمّا قَوْلُه: «أَبِخُروءِ الطَّيْرِ تُخَشِّيني، ومِنْ عَبيدِ العَصَا تخافُ عَلَيَّ»؟ فإنَّ بَنِي أَسَدٍ يُلَقَّبُونَ: خُروءَ الطَّيْرِ؛ قالَ امرؤُ القيس: [مجزوء الكامل]

فَـــرَّتْ بَـنُـو أَسَـدٍ خُـرو ءُ الـطَّـيْـرِ عَـنْ أَرْبَـابِـهـا[٥]

---

(١) جَمْعُ خُرْءٍ بالضم: وهو العَذِرةُ؛ أيْ: ما يخرُجُ من الإنسانِ وغيرِه. القاموس: (خرأ).

(٢) المِخْصَرةُ، كمِكْنَسَةٍ: ما يُتوكّأُ عليه كالعصا ونحوه. القاموس: (خصر).

(٣) شَبَّهَ الماءَ ببُطونِ الحَيّاتِ في انْسِيابه والْتِوائه، أوْ من حيثُ البياضُ، وذلك كنايةٌ عَنْ قُرْبه منهم وسُهُولةِ مَنالِه؛ والمُرادُ أنه من العِزّةِ ومَنَعَةِ الجانبِ بحيثُ إنَّ مُجرَّدَ عَصاهُ يَرُدُّهم عن حاجَتِهم من الماء، بَلْهَ إيذاءَهُ أوْ قَتْلَهُ، وهو شَبيهٌ ببيتِ عنترةَ المَنْسُوب إليه: [الوافر]

وَلَـوْ أرسَلْتُ رُمْحِيَ مَعْ جَبَانٍ لَـكَـانَ بهَيْبَتِي يَلْقَى السِّباعا

(٤) لَعَلَّ هذا أَقْدَمُ تَأْريخٍ لوفاةِ المتنبّي وصُورةِ مَقْتَله.

(٥) ليسَ في طَبَعاتِ ديوانهِ، انظُرْ مثلاً: شرح ديوان امرئ القيس لأبي سعيد السُّكَّريّ (ت ٢٧٥هـ)، ط. مركز زايد للتراث والتاريخ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ويحتمِلُ البيتُ أن يكُونَ

ويُلَقَّبُونَ أَيضاً: عَبِيدَ العَصَا؛ قال الشاعرُ ـ ونَظُنُّه امْرَأَ القَيْسِ أَيْضاً ـ: [السريع]

قُـوْلاَ لِـدُوْدَانَ عَبِيدِ العَصَا ....[1]

آخِرُ ما كان بخَطِّ أبي بَكْرٍ الخالدِيّ.

.... ما غَـرَّكُـمْ بـالأَسَـدِ الباسِلِ؟

كذا في الأَصْل، قَدْ أَتَمَّ هذا البيتَ؛ وأَظُنُّهُ بخَطِّ أخيهِ أبي عُثْمَانَ، ولا أَتَحَقَّقُه.

أَخْبَرَنا تاجُ الأُمَنَاءِ أَحْمَدُ[2] بنُ محمَّدِ بنِ الحَسَنِ ـ كِتَابَةً ـ قال: أَخْبَرنا عَمِّي أبو القاسم، عن أبي غالبٍ شُجَاعِ بنِ فارسِ بنِ الحُسَيْنِ الذُّهْليِّ[3]، قال: أنشدني الحَكِيمُ أبو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ[4] بنُ عبدِ الرَّحْمنِ الثَّقَفِيُّ النَّيْسابُوريُّ، لأبي القاسِمِ المُظَفَّرِ الزَّوْزَنيِّ الكاتبِ يَرْثي المتنبّيَ ـ قُلْتُ: هو المظفَّرُ بنُ عَليٍّ[5] ـ: [الخفيف]

مَجْزُوءاً، كما هو ظاهِرُ نَصِّه في المتن، وأَنْ يكُونَ تامًّا عَرُوضاً غيرَ أَنَّ المصنِّفَ اكتفَى ببعضه عن كُلِّه كَعادَتِهم.

(١) صَدْرُ بيتٍ له كما في الديوان: ٢/ ٥١٩، وعَجُزُهُ هو الآتي بَعْدُ. ودُوْدَانُ بنُ أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ: فرعٌ من بَنِي أَسَدٍ الذينَ أرادَ هِجَاءَهُم.

(٢) محدِّثٌ من بني عَساكِرَ الدمشقيين، رَوَى عن عَمِّه الحافظ أبي القاسم صاحب التاريخ وغيرِه. توفي سنة ٦١٠هـ. انظر السير: ٢٢/ ٢٦.

(٣) إمامٌ حافِظٌ، سَمِعَ الكثير ونَسَخَ بخَطِّه ما لم يَنْسَخْهُ أحدٌ من الورّاقِين، وكانَ مُفِيدَ وَقْتِه ببَغْداد؛ ويُعْرَفُ بالسُّهْرَوَرْدِيّ نسبةً إلى سُهْرَوَرْدَ: بلدةٍ عند زَنْجان، من بلادِ العَجَم، وبالبَغْداديّ لإقامتِه بها، وأمّا الذُّهْليُّ فلانتسابِه إلى بني ذُهْلِ بنِ شَيْبان. توفي سنة ٥٠٧هـ. انظر الأنساب: ٣/ ٣٤١، والسير: ١٩/ ٣٥٥.

(٤) لم أَظْفَرْ بترجمة له.

(٥) ذكَرَهُ الباخَرْزِيُّ (ت ٤٦٧هـ) في «دُمْيَةِ القَصْر وعُصْرة أهْل العَصْر» ط. دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م: ٢/ ٩٢١، وهي ترجمةٌ لا غَنَاءَ فيها، إذْ اقتصَرَ على إيرادِ ثلاثةِ أبْيَاتٍ في رِثاءِ

لا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هذا الزَّمَانِ ... إذْ دَهَانَا في مِثْلِ ذاكَ اللِّسَانِ
ما رَأَى الناسُ ثانِيَ المتنبِّي ... أَيُّ ثـانٍ يُـرَى لبِكْرِ الـزَّمَـانِ؟
كانَ مِنْ نَفْسِه الكَبيرةِ في جَيْـ ... ـشٍ وفي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
كـانَ فـي لَفْظِه نَبِيًّا ولكِنْ ... ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُه في المَعَاني!

أَنْشَدَنِي نَجِيبُ الدينِ[1] داوُدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعيدِ بن خَلَفِ بنِ داوُدَ الطِّيْبِيُّ التاجرُ، إِمْلاءً من لَفْظِه بحَلَبَ، قال: أنشدني شَمْسُ الدينِ ابنُ الوالي بالمَوْصِل، لأختِ[2] المتنبي تَرْثي أَخَاها المتنبّيَ لَمّا قُتِلَ: [البسيط]

يا حـازِمَ الـرَّأْيِ، إلاّ في تَهَجُّمِه ... على المَكارِهِ، غابَ البَدْرُ في الطَّفَلِ[3]
لَنِعْمَ ما عامَلَتْكَ المُرْهَفَاتُ بِهِ ... ونِعْمَ ما كُنْتَ تُوْلِيْهَا من العَمَلِ
الأَرْضُ أُمٌّ أَصَبْنَاها بِوَاحِدِها ... فاسترجَعَتْهُ ورَدَّتْهُ إلى الحَبَلِ!![4]

عالِمٍ، ولم يؤرِّخْ وَفاتَهُ ولا ذكَرَ شيئاً من أخْبارِه. وأبْياتُه مَعْزُوَّةٌ إليهِ في وفيات الأعيان: ١/ ١٢٤ والوافي: ٦/ ٣٤٣؛ وزيدَ فيها نِسْبَتُه: الطَّبَسِيّ، وطَبَسُ بالتحريك: بَلْدةٌ في البرية بين نَيْسَابُورَ وأَصْبَهان وكِرْمَان، وهُما طَبَسانِ. انظر الأنساب: ٤/ ٤٨، ووفيات الأعيان: ١/ ١٢٤. ورواية الوافي والوفيات فيها اختلافٌ يَسيرٌ عن هذه.

(١) انفرَدَ بترجمتِه ابنُ العديم في بغية الطلب: ٧/ ٣٤٣١. وهو من أعْيان التُّجّار الجَوّالينَ في الآفاق، له معرفةٌ تامّةٌ بالتواريخ وأخبار الملوك والوزراء؛ رَوَى عنه ابنُ العديم أحاديثَ وأشْعاراً، وأرّخَ وَفاتَهُ سنة ٦١٧هـ بِبُخَارَى، شهيداً بأيدي التتار. والطِّيْبِيّ بكَسْرٍ فسُكون: نِسْبَةٌ إلى طِيْب، بلدة بين واسِط والأهواز. انظر الأنساب: ٤/ ٩٥.

(٢) لم أَجِدْ في شيءٍ من المَصادر ذِكْراً لأُخْتٍ ما لأبي الطيب، ولا رِوايةً لأبْيَاتِها، وهذه زيادةٌ فريدةٌ في ترجمتِه.

(٣) الطَّفَلُ بالتحريك: الظُّلْمة. القاموس: (طفل).

(٤) في الأصل: أمٌّ أَضْنَاها، بالضاد المعجمة فالنُّون، وليس بينهما شيءٌ؛ وهو تحريفٌ صَوابُه كما أثبَتْنا: بالصاد المهملة فالباء الموحَّدة فالنون، من الإصابةِ لا من الضَّنَى.

ديوان المتنبي

قافية الهمزة

قال وقد طَلَبَ إليه سَيْفُ الدولة إجازةَ أبياتٍ لأبي ذَرٍّ سَهْلِ بن محمدٍ الكاتب، من أوّلِ الكامل والقافيةُ متداركٌ: [من الكامل]

الْقَلْبُ أَعْلَمُ يا عَـذُولُ بِدَائِهِ   وَأَحَـقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ

فَوَمَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى   قَسَماً بِـهِ وَبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ

أَأُحِـبُّـهُ وَأُحِـبُّ فِيهِ مَـلامَـةً   إِنَّ المَلامَةَ فِيهِ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ

عَجِبَ الوُشَاةُ مِنَ اللُّحاةِ وَقَوْلِهِمْ:   دَعْ مَا بَرَاكَ، ضَعُفْتَ عَنْ إخْفَائِهِ
مَا الْخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ   وَأَرَى بِطَرْفٍ لاَ يَرَى بِسَوَائِهِ
إنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بالأَسَى   أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإخَائِهِ
مَهْلاً فَإنَّ العَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ   وَتَرَفُّقاً فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ
وَهَبِ المَلامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكَرَى   مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ
لاَ تَعْذُلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ   حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ
إنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجاً بِدُمُوعِهِ   مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ
وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ   لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ
لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ: فَدَيْتُهُ   مِمَّا بِهِ، لأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ
وُقِيَ الأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإنَّهُ   مَا لاَ يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ
يَسْتَأْسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ   وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ
إنِّيْ دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً   لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إلَى أَكْفَائِهِ
فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ   مُتَصَلْصِلاً وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ
مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيَّهَا   فِي أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ
طُبِعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ   وَعَلِيُّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ

وقالَ وقد عِيبَ عليهِ قوْلُهُ فيه: «وأنَّا إذا نزَلْتَ الخِيامُ»،
من أولِ الوافرِ والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الوافر]

لَقَدْ نَسَبُوا الخِيَامَ إلى عَلاَءٍ   أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الإِبَاءِ
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثُّرَيَّا   وَلاَ سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ

وقد أَوْحَشْتَ أرضَ الشّامِ حتى ... سَلَبْتَ رُبوعَها ثَـوْبَ البَهاءِ
تَنَفَّسُ والعواصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ ... فنَعْرِفُ طِيبَ ذلك في الهواءِ

وقال يعتذرُ إلى ابنِ إسْحاقَ التَّنُوخيّ - من أوّلِ الوافر، والقافيةُ متواتِر - وقد هُجِيَ بأبْياتٍ على لِسانه فعاتَبهُ: [من الوافر]

أَتُنْكِرُ يا ابْـنَ إسْحاقٍ إخائِي ... وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إنائِي
أأنْطِقُ فِيكَ هُجْراً بَعْدَ عِلْمِي ... بأنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّماءِ
وَأَكْـرَهُ مِنْ ذُبابِ السَّيْفِ طَعْماً ... وَأَمْضَى فِي الأُمُورِ مِنَ الْقَضاءِ
وَمَا أَرْمَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّي ... فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقاءِ
وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدِيحِي ... فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئاً بالهِجاءِ
وَهَبْنِي قُلْتُ: هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ، ... أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّياءِ؟
تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْـتَ مَرْءٌ ... جُعِلْتُ فِـدَاءَهُ وَهُـمُ فِدَائِي
وَهَـاجِـيْ نَفْسِهِ مَـنْ لَـمْ يُمَيِّزْ ... كَـلامِـيَ مِـنْ كَلامِهِمُ الـهُـرَاءِ
وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي ... فَتَعْدِلَ بِـيْ أَقَـلَّ مِـنَ الْهَبَاءِ
وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَـا سُهَيْلٌ ... طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزِّنَاءِ

وقال يَمْدحُ أبا عليّ هارُونَ بنَ عَبْدِ العزيزِ الأَوارجيَّ الكاتب، من ثاني الكامل والقافيةُ متواتِر: [من الكامل]

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِي الدُّجى الرُّقَباءُ ... إذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلامِ ضِياءُ
قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهْيَ مِسْكٌ هَتْكُهَا ... وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهْيَ ذُكَاءُ
أَسَفِي عَلَى أَسَفِي الَّذِي دَلَّهْتِنِي ... عَـنْ عِلْمِهِ فَبِـهِ عَلَـيَّ خَفَاءُ

وَشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِيْ أَعْضَاءُ
مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً ... فَتَشَابَهَا، كِلْتَاهُمَا نَجْلاءُ
نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا ... تَنْدَقُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ ... وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِيْ الْجَوْزَاءُ
وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ ... أَلّا تَرَانِيَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
شِيَمُ اللَّيَالِيْ أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي ... صَدْرِيْ بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ
فَتَبِيتُ تُسْئِدُ، مُسْئِداً فِي نَيِّهَا ... إِسْآدَهَا فِي الْمَهْمَهِ الإِنْضَاءُ
أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا ... مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ
يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى ... فِيهَا كَمَا يَتَلَوَّنُ الْحِرْبَاءُ
بَيْنِيْ وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مِثْلُهُ ... شُمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ
وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ بِقَطْعِهَا ... وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ
لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي ... فَكَأَنَّهَا بِبَيَاضِهَا سَوْدَاءُ
وَكَذَا الكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ ... سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ
جَمَدَ الْقِطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى ... بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الأَنْوَاءُ
فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ ... حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الأَهْوَاءُ
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ ... حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الأَقْذَاءُ
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لاَ تَهْتَدِي ... فِي القَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَافِي جَوْلَةٌ ... فِي قَلْبِهِ وَلأُذْنِهِ إِصْغَاءُ
وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا ... فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ
مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤَمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ ... أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ

وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ ... وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ
مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُّهُ ... فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الأَعْدَاءُ
فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ ... بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ
يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى ... وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ
مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى ... فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ
وَكَأَنَّهُ مَا لاَ تَشَاءُ عُدَاتُهُ ... مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ مَا شَاؤُوا
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ ... إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ
احْمَدْ عُفَاتَكَ لاَ فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ ... فَلَتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ
لاَ تَكْثُرُ الأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ ... إِلاَّ إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الأَحْيَاءُ
وَالْقَلْبُ لاَ يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ ... حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ
لَمْ تُسْمَ يَا هَارُونُ إِلاَّ بَعْدَمَا اقْـ ... ـتَرَعَتْ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الأَسْمَاءُ
فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ ... وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ
لَعَمَمْتَ حَتَّى الْمُدْنُ مِنْكَ مِلاَءُ ... وَلَفُتَّ حَتَّى ذَا الثَّنَاءُ لَفَاءُ
وَلَجُدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخَلُ حَائِلاً ... لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السُّرُورِ بُكَاءُ
أَبْدَأْتَ شَيْئاً مِنْكَ يُعْرَفُ بَدْؤُهُ ... وَأَعَدْتَ حَتَّى أُنْكِرَ الإِبْدَاءُ
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ ... وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ
فَإِذَا سُئِلْتَ فَلاَ لأَنَّكَ مُحْوِجٌ ... وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الآلاَءُ
وَإِذَا مُدِحْتَ فَلاَ لِتَكْسِبَ رِفْعَةً ... لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الإِلَهِ ثَنَاءُ
وَإِذَا مُطِرْتَ فَلاَ لأَنَّكَ مُجْدِبٌ ... يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ

لَمْ تَحكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ
لَمْ تَلْقَ هذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلاَّ بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ
فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلاَ أُدُمُ الْهِلاَلِ لأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ
وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ
لَوْلَمْ تكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوْ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ

وغنّى مُغَنٍّ بحضْرةِ أبي محمد الحَسَنِ بن عُبيد الله بن طُغْج وأبو الطَّيِّب حاضِرٌ، فقال [من سادسِ البسيط والقَافيةُ متواتِرٌ] :

[من مخلع البسيط]

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُغَنِّي يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ
شَغَلْتَ قَلْبِيْ بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ

وقالَ يُهَنِّئُهُ [أي كافورًا] بالدّارِ الجديدةِ التي بَنَاها عند الجامع، وأنْشَدَهُ في عَشيَّةِ الاثنين، لِثَلاثٍ بَقِينَ من رَجَب سنة سِتٍّ وأربعين وثلاثمئة، من أول الخفيف والقافيةُ مُتواتِرٌ : [من الخفيف]

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدَّنِي مِنَ الْبُعَدَاءِ
وَأَنَا مِنْكَ، لا يُهَنِّئُ عُضْوٌ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأَعْضَاءِ
مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نُجُوماً آجُرُّ هذَا الْبِنَاءِ
وَلَوَ انَّ الَّذِي يَخِرُّ مِنَ الأَمْـ ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ
أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بِمَكَانٍ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلاَدُ وَمَا يَسْـ ـرَحُ بَيْنَ الْغَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ
وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْـ ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ

إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْـ ـكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلْيَاءِ
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْـ ـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ
وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيـ ـضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الأَعْدَاءِ
وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْـ ـكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيجُ الثَّنَاءِ
لا بِمَا يَبْتَنِي الْحَوَاضِرُ فِي الرِّيـ ـفِ وَمَا يَطَّبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ
نَزَلَتْ إِذْ نَزَلْتَهَا الدَّارُ فِي أَحْـ ـسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ
حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالآلاَءِ
تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْـ ـسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ
إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءِ
إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النَّـ ـفْسِ خَيْرٌ مِنِ ابْيِضَاضِ الْقَبَاءِ
كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٌ فِي وَفَاءِ
مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ نَ بِلَوْنِ الأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ
فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا نٍ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللِّقَاءِ
يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِيْ وَزَادِيْ وَمَائِي
فَارْمِ بِيْ مَا أَرَدْتَ مِنِّيْ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ
وَفُؤَادِيْ مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِيْ يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

وقال يَهْجُو السامَرّيَّ، من أولِ الوافر

والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

أَسَامَرِّيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ رَاءٍ فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْبَى الأَغْبِيَاءِ
صَغُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ أُهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَغُرْتَ عَنِ الْهِجَاءِ
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ

قافيةُ الألفِ السّاكنة

وقال وقدْ عُرِضَ عليه سَيْفٌ فأشارَ بهِ إلى بعضِ من حَضَرَ، مِنْ ثالثِ المتقارِبِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ: [من المتقارب]

أَرَى مُرْهَفاً مُدْهِشَ الصَّيْقَلَيْنِ وَبَابَةَ كُلِّ غُلامٍ عَتَا
أَتَأْذَنُ لِيْ - ولَكَ السّابِقاتُ - أُجَرِّبُهُ لَكَ فِي ذَا الْفَتَى؟

وقال عِنْدَ وُرُودِهِ الكُوفَةَ، من ثالثِ المتقارب والقافيةُ مُتَدارِكٌ: [من المتقارب]

أَلَا كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَى كُلِّ ماشِيَةِ الْهَيْذَبَى
وَكُلِّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ خَنُوفٍ، وَمَا بِيَ حُسْنُ الْمِشَى
وَلكِنَّهُنَّ حِبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الأَذَى
ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا
إِذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا
فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى
وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا بِ وَادِيْ المِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى
وَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ؟ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ: هَا

وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو … رِ مُسْتَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا
رَوَامِـيْ الْكِفَافِ وَكِبْدِ الْوِهَادِ … وَجَـارِ الْبُوَيْرَةِ وَادِيْ الْغَضَى
وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الـرِّدَا … ءِ بَيْنَ الـنَّعَـامِ وَبَيْـنَ الْمَهَا
إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ … بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى
وَلاَحَ لَهَا صَـوَرٌ وَالصَّبَاحَ … وَلاَحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى
وَمَسَّـى الْجُمَيْعِيَّ دِئْـدَاؤُهَـا … وَغَـادَى الأَضَـارِعَ ثُـمَّ الدَّنَا
فَيَا لَـكَ لَـيْلاً عَلَى أَعْكُشٍ … أَحَـمَّ الْـبِـلاَدِ خَفِـيَّ الصُّوَى
وَرَدْنَـا الرُّهَيْمَةَ فِـي جَـوْزِهِ … وَبَـاقِـيـهِ أَكْـثَـرُ مِـمَّـا مَضَى
فَلَمَّا أَنَـخْنَـا رَكَـزْنَـا الـرِّمَا … حَ فَــوْقَ مَـكَـارِمِـنَـا وَالْـعُـلاَ
وَبِـتْـنَـا نُـقَـبِّـلُ أَسْـيَـافَـنَـا … وَنَمْسَحُهَا مِـنْ دِمَـاءِ الْعِدَا
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَـنْ بِالْعِرَاقِ … وَمَـنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّـيْ الْفَتَى
وَأَنِّـيْ وَفَـيْـتُ وَأَنِّـيْ أَبَـيْـتُ … وَأَنِّـيْ عَـتَـوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا
وَمَـا كُـلُّ مَـنْ قَـالَ قَـوْلاً وَفَى … وَلاَ كُـلُّ مَـنْ سِيمَ خَسْفاً أَبَى
وَلاَ بُـدَّ لِـلْـقَـلْـبِ مِـنْ آلَـةٍ … وَرَأْيٍ يُـصَـدِّعُ صُـمَّ الصَّفَا
وَمَـنْ يَـكُ قَـلْـبٌ كَقَلْبِيْ لَهُ … يَشُقَّ إِلَـى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى
وَكُـلُّ طَـرِيـقٍ أَتَـاهُ الْفَتَى … عَلَى قَـدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا
وَنَـامَ الْـخُـوَيْـدِمُ عَـنْ لَيْلِنَا … وَقَـدْ نَـامَ قَبْلُ عَمًى لاَ كَرَى
وَكَـانَ عَـلَـى قُـرْبِـنَـا بَيْنَنَا … مَهَامِهُ مِـنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْخَصِيـ … ـيِ أَنَّ الـرُّؤُوسَ مَقَرُّ النُّهَى

فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ ... رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّهَا فِي الْخُصَى
وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ ... وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَى
بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ اهْلِ السَّوَادِ ... يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلاَ
وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقَالُ لَهُ: أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى!
وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنْ ... نَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحاً لَهُ ... وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ ... فَأَمَّا بِزِقِّ رِيَاحٍ فَلاَ
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى

قافية الباء

وقال يُخاطبُ سيفَ الدولةِ وهو سائرٌ يُريدُ الرَّقَّةَ و[قَدْ] اشتدَّ المَطَرُ بموضعٍ يُعْرَفُ بالثَّدْيين على شاطئِ الفُراتِ ،
من الأَوَّلِ منَ الوافرِ والقافيةُ متواترٌ : [من الوافر]

لِعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ ... تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرٍ عُجَابِ
حِمَالَةُ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ ... وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ

وزاد المَطَرُ فقال ارتجالاً
من البحر والقافية كالتي قَبْلَها : [من الوافر]

تَجِفُّ الأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ ... وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ
وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْباً ... وَلاَ يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابِ
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي ... مُسَايَرَةَ الأَحِبَّاءِ الطِّرَابِ

تُفِيدُ الْـجُـودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ	وَتَعْجزُ عَنْ خَلاَئِقِكَ الْعِذَابِ

وسَأَلَهُ إجازَةَ هذا البيت: [من الطويل]

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفرِ أَعْتَرِضُ الدُّمَى	فَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنكَ في الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ

فقال أبو الطيب - من أول الطويل والقافيةُ متواترٌ -: [من الطويل]

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْماً إِلَى قَلْبِي	وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلاَ حَرْبِ
تَفَرَّدَ بِالأَحْكَامِ في أَهْلِهِ الْهَوى	فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ
وَإِنِّي لَمَمْنُوعُ الْمَقَاتِلِ في الْوَغَى	وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ في الْحُبِّ
وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ	أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ في الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ

وقال يُعزِّيه في غُلامِه يَماكَ التُّركي وقد تُوفِّيَ
سَحَرَ يوم الأربعاء لِعَشْرٍ بَقِينَ من رمضان سنة أربعين وثلاثمئة،
من ثالث الطويل والقافيةُ متواترٌ: [من الطويل]

لاَ يُحْزِنِ اللَّهُ الأَمِيرَ فَإِنَّنِي	سَآخُذُ[1] مِنْ حَالاَتِهِ بِنَصِيبِ
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى	بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ
وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ	حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا	وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا	مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ
تَمَلَّكَهَا الآتِي تَمَلُّكَ سَالِبٍ	وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبِ
وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى	وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ
وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبٍ	حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ

(١) [لآخُذُ]

لَأَبْقَى يَمَاكُ في حَشَايَ صَبَابَةً … إلَى كُلِّ تُرْكِيِّ النِّجَارِ جَلِيبِ
وَمَا كُلُّ وَجْهٍ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ … وَلاَ كُلُّ جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ
لَئِنْ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَآبَةٌ … لَقَدْ ظَهَرَتْ في حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ
وَفي كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يَوْمِ تَنَاضُلٍ … وَفي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمِ رُكُوبِ
يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخِلَّ بِعَادَةٍ … وَتَدْعُوْ لأَمْرٍ وَهْوَ غَيْرُ مُجِيبِ
وَكُنْتُ إذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِماً … نَظَرْتُ إلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ
فَإنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ … فَمِنْ كَفِّ مِتْلاَفٍ أَغَرَّ وَهُوبِ
كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِدٍ … إذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ
وَلَوْلاَ أَيَادِيْ الدَّهْرِ في الْجَمْعِ بَيْنَنَا … غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
وَلَلتَّرْكُ لِلإحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ … إذَا جَعَلَ الإحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ
وَإنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ … غَنِيٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ
كَفَى بِصَفَاءِ الْوُدِّ رِقّاً لِمِثْلِهِ … وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَراً لِلَبِيبِ
فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الأَجْرَ إنَّهُ … أَجَلُّ مُثَابٍ مِنْ أَجَلِّ مُثِيبِ
فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَّ النَّجِيعُ نُحُورَهَا … يُطَاعِنُ في ضَنْكِ المَقَامِ عَصِيبِ
يَعَافُ خِيَامَ الرَّيْطِ في غَزَوَاتِهِ … فَمَا خَيْمُهُ إلاَّ غُبَارُ حُرُوبِ
عَلَيْنَا لَكَ الإسْعَادُ إنْ كَانَ نَافِعاً … بِشَقِّ قُلُوبٍ لاَ بِشَقِّ جُيُوبِ
فَرُبَّ كَئِيبٍ لَيسَ تَنْدَى جُفُونُهُ … وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَئِيبِ
تَسَلَّ بِفِكْرٍ في أَبَيْكَ فَإنَّمَا … بَكَيْتَ فَكَانَ الضِّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ
إذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا … بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ

وَلِلْوَاجِدِ المَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ … سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ العَيْنُ وَجْهَهُ … فَلَمْ تَجْرِ في آثَارِهِ بِغُرُوبِ
فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا … مُعَذَّبَةٌ في حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ
وَفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا … وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ

وقال يَمْدَحُه ويذكُرُ بناءَ مَرْعَش سنةَ إحْدى وأربعين وثلاثمئة، من الأوّلِ من الطويل والقافيةُ متواترٌ: [من الطويل]

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا … فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا
وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا … فُؤَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلاَ لُبَّا
نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً … لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا
نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ في فِعْلِهَا بِهِ … وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا
وَمَن صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ … عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا
وَكَيْفَ التِذَاذِيْ بِالأَصَائِلِ وَالضُّحَى … إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا
ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ … وَعَيْشاً كَأَنِّيْ كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا
وَفَتَّانَةَ الْعَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الْهَوَى … إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَائِحُهَا شَبَّا
لَهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ … وَلَمْ أَرَ بَدْراً قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّهْبَا
فَيَا شَوْقِ مَا أَبْقَى وَيَا لِيْ مِنَ النَّوَى … وَيَا دَمْعِ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبِ مَا أَصْبَى
لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِهَا وَبِي … وَزَوَّدَنِيْ في السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبَّا
وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوَارِيْ جُدُودَهُ … يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَا
وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِيَ الْعُلاَ … أَكَانَ تُرَاثاً مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَا

فَرُبَّ غُلاَمٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ   كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا
إذا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ   كَفَاهَا فكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ والْقَلْبَا
تُهَابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ   فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا
وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ   فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا
وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانَهُ   فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلاَدَ إِذَا عَبَّا
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى   لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا
فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنا   به تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلاً وَمِنْ زَاجِرٍ: هَلاَ   وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعاً وَمِنْ نَاثِرٍ قُصْبَا
هَنِيئاً لأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمُ   وَأَنَّكَ حِزْبَ الله صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا
وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ   فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا
فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ   وَيَوْماً بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا
سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ   وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى
أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً   وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا
كَذَا يَتْرُكُ الأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا   وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا
وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللُّقَانِ وُقُوفُهُ   صُدُورَ الْعَوَالِي وَالمُطَهَّمَةَ الْقُبَّا
مَضَى بَعْدَمَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً   كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا
وَلكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ   إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا
وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى   وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا
أَرَى كُلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ   حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بِهَا صَبَّا

فَحُبُّ الْجَبانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى ... وَحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ ... إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هذا لِذا ذَنْبَا
فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْئِهِ ... إِلَى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَواكِبَ وَالتُّرْبَا
تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخافَةً ... وَتَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَن تَلْقُطَ الْحَبَّا
وَتَرْدِي الْجِيادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبالِهَا ... وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ في طُرْقِهَا الْعُطْبَا
كَفَى عَجَباً أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ ... بَنَى مَرْعَشاً، تَبًّا لآرَائِهِمْ تَبَّا!
وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الأَنَامِ وَبَيْنَهُ ... إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا
لأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلافَةُ لِلْعِدَا ... وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا
وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً ... وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبَّا
وَلكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ ... كَرِيمُ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلاَ سَبَّا
وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ ... خَرِيقُ رِياحٍ وَاجَهَتْ غُصُناً رَطْبَا
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ ... فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا
فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكُفْرَ مُلْكُهُ ... فَهذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّا

وقال مُسْتَعْتِباً لسَيْفِ الدولةِ من القصيدةِ المِيميّة : «واحَرَّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ» ، من الثاني من الطويل والقافية [مُتدارِكٌ] : [من الطويل]

أَلاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا ... فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضارِبَا
وَمَا لِيْ إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ ... تَنَائِفَ لاَ أَشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ ... أُحَادِثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبَا
حَنَانَيْكَ مَسْؤُولاً وَلَبَّيْكَ دَاعِياً ... وَحَسْبِيَ مَوْهُوباً وَحَسْبُكَ وَاهِبَا

أَهذا[١] جزاءُ الصِّدقِ إنْ كُنْتُ صادِقاً ... أَهذَا جَزاءُ الْكذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ ... مَحا الذَّنْبَ كُلَّ المَحْوِ مَنْ جاءَ تَائِبَا

وقال وقد عُرِضَتْ عليهِ شُروخٌ له فوجَدَ فيها شَرْخاً لم يُذْهَبْ فأمَرَ بإذْهابِهِ، من أول المنسرح والقافيةُ متراكِبٌ: [من المنسرح]

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ ... وَخَاضِبِيهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ
فَلاَ تَشِينَنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا ... يَجْتَمِعُ المَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ

وقالَ وقد استَشْفَى سيفُ الدولة من دُمَّلٍ، من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ ... وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْخُطُوبُ
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ ... فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ
يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا ... وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ المِقَةِ الْحَبِيبُ
وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ
وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ ... وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ
مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ ... طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ
وَأَنْتَ الْمَلْكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا ... لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا ... وَعِثْيَرُهَا لأَرْجُلِهَا جَنِيبُ
مُجَلِّحَةً[٢] لَهَا أَرْضُ الأَعَادِي ... وَلِلسُّمْرِ المَنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ
فَقَرِّطْهَا الأَعِنَّةَ رَاجِعَاتٍ ... فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ
أَذَا دَاءٌ هَفَا بُقْرَاطُ عَنْهُ ... فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبُ
بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْوَضَّاءِ تُمْسِي ... جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ

(١) [وهذا]
(٢) [مُحجَّلةً]

فَأَغْزُو مَنْ غَـزَا وَبِـهِ اقْتِدَارِي ... وَأَرْمِـي مَنْ رَمَـى وَبِـهِ أُصِيبُ
وَلِلْحُسَّادِ عُـذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا ... عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا
فَإِنِّيَ قَـدْ وَصَلْتُ إِلَـى مَكَانٍ ... عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ

وقال يَمْدَحُه بَعْدَ رُجوعِه عَنْ بني كِلابٍ، وكانوا أَحْدَثُوا أَحْداثاً بنواحِي بالِسَ، فَسارَ إليهم فأَوْقَعَ بهم بماءَيْنِ يُعْرَفانِ بالغُبارات والخَرَّارات من جَبَلِ البِشْرِ؛ وهو على مئة وعِشْرينَ مِيلاً من حَلَبَ، من أوّلِ الوافر والقافية متواتر: [من الوافر]

بِغَيْرِكَ رَاعِيـاً عَبِثَ الذِّئَابُ ... وَغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ
وَتَمْلِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا ... فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلابُ
وَمَـا تَـرَكُـوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ ... يُعافُ الْـوِرْدُ وَالمَوْتُ الشَّرَابُ
طَلَبْتَهُمُ عَلَى الأَمْـوَاهِ حَتَّى ... تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ
فَـبِـتَّ لَـيَـالِـيـاً لا نَـوْمَ فِيهَا ... تَخُبُّ بِكَ المُسَوَّمَةُ الْعِرابُ
يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ ... كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ
وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الْفَلَوَاتِ حَتَّى ... أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمُ الْجَوَابُ
فَقَاتَلَ عَـنْ حَرِيمِهِمُ وَفَـرُّوا ... نَدَى كَفَّيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ
وَحِفْظُكَ فِيهِمُ سَلَفَيْ مَعَدٍّ ... وَأَنَّـهُـمُ الْعَشَائِرُ وَالصِّحَابُ
تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ الْعَوَالِي ... وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمُ الشِّعَابُ
وَأُسْقِطَتِ الأَجِنَّةُ فِي الْوَلَايَا ... وَأُجْهِضَتِ الْحَوائِلُ وَالسِّقَابُ
وَعَـمْـرٌو فِي مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وَكَعْبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكرٍ بَنِيهَا ... وَخَاذَلَهَا قُرَيْظٌ وَالضِّبَابُ
إِذَا مَا سِرْتَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ... تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ
فَعُدْنَ كمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ ... عَلَيْهِنَّ الْقَلاَئِدُ وَالْمَلاَبُ
يُثِبْنَكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْراً ... وَأَيْنَ مِنَ الَّذِي تُوْلِيْ الثَّوَابُ
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْناً ... وَلاَ فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابُ
وَلاَ فِي فَقْدِهِنَّ بَنِيْ كِلاَبٍ ... إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرَابُ
وَكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ فِي أُنَاسٍ ... تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصَابُ
تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
وَإِنَّهُمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا ... إِذَا تَدْعُو لِحَادِثَةٍ أَجَابُوا
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا ... بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا
وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ ... وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ
وَمَا جَهِلَتْ أَيَادِيَكَ الْبَوَادِي ... وَلكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ
وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلاَلٌ ... وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ
وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ ... وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ
فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمُ عَلِيًّا ... فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ ... فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا ... وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا
وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِي ... وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصِّعَابُ
وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلاَبَاً ... ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمُ ضَبَابُ

وَلاَقَــى دُونَ ثَـايِـهِـمُ طِعَاناً ... يُلاَقِي عِنْدَهُ الذِّئبَ الْغُرَابُ
وَخَيْلاً تَغْتَذِي رِيحَ المَوَامِي ... وَيَكْفِيهَا مِـنَ المَاءِ السَّرَابُ
وَلـكِـنْ رَبُّـهُـمْ أَسْـرَى إِلَيْهِمْ ... فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلاَ الذَّهَابُ
وَلاَ لَـيْـلٌ أَجَــنَّ وَلاَ نَـهَـارٌ ... وَلاَ خَيْلٌ حَمَلْنَ وَلاَ رِكَـابُ
رَمَـيْـتَـهُـمُ بِبَحْرٍ مِـنْ حَدِيدٍ ... لَـهُ في الْـبَـرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ
فَمَسَّاهُمْ وَبُـسْـطُـهُـمُ حَرِيرٌ ... وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُـرَابُ
وَمَــنْ فِـي كَـفِّـهِ مِـنْـهُـمْ قَـنَـاةٌ ... كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ
بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِـأَرْضِ نَجْدٍ ... وَمَـنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا ... وَفي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ
وَكُـلُّـكُـمُ أَتَــى مَـأْتَـى أَبِـيـهِ ... فَـكُـلُّ فَـعَـالِ كُلِّكُمُ عُجَابُ
كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي ... وَمِثْلَ سُـرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلاَبُ

وقال يَمْدَحُه ويُعزّيه في أُخْتِه الكُبرى التي ماتَتْ بميّافارِقينَ في شَعْبانَ سنةَ اثنتينِ وخَمْسِينَ وثلاثمئة، وكَتَبَ بها من بَغْدادَ في المحرَّم سنةَ ثلاثٍ وخَمْسِينَ، من أوّلِ البَسيط والقافيةُ [متراكِبٌ]: [من البسيط]

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِ ... كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أُجِـلُّ قَــدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً ... وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ
لاَ يَمْلِكُ الطَّرِبُ المَحْزُونُ مَنْطِقَهُ ... وَدَمْعَهُ وَهُمَا في قَبْضَةِ الطَّرَبِ
غَدَرْتَ يَا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ

وَكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ ... وَكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ تَخِبِ
طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً ... شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرَقُ بِي
تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا ... وَالْبُرْدُ فِي الطُّرْقِ وَالأَقْلامُ فِي الْكُتُبِ
كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلأْ مَوَاكِبُهَا ... دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ
وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ ... وَلَمْ تُغِثْ دَاعِياً بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ ... فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبِ؟!
يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِيْ غَيْرُ مُلْتَهِبٍ ... وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ؟
بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً ... لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَّادِ وَالأَدَبِ
وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلائِقُهَا ... وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةَ النَّشَبِ
وَهَمُّهَا فِي الْعُلَى وَالمَجْدِ(١) نَاشِئَةً ... وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيَّا حُسْنَ مَبْسِمِهَا ... وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلاَّ اللَّهُ بِالشَّنَبِ
مَسَرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُهَا ... وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلَبِ
إِذَا رَأَى - وَرَآهَا - رَأْسَ لابِسِهِ ... رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ
وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقَتْ ... كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ
وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا ... فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ
فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ ... وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ
وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا ... فِدَاءُ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَؤُبِ
فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشْبِهُهَا ... وَلاَ تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضُبِ

(١) [والمُلْكِ]

وَلاَ ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا   إلاَّ بَكَيْتُ وَلاَ وُدٌّ بِلاَ سَبَبِ[1]
قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَتِهَا   فَمَا قَنِعْتِ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ
وَلاَ رَأَيْتِ عُيُونَ الإنْسِ تُدْرِكُهَا   فَهَلْ حَسَدْتِ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ؟
وَهَلْ سَمِعْتِ سَلاَماً لِيْ أَلَمَّ بِهَا   فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ
وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ   وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيَبِ
يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا   وَقُلْ لِصَاحِبِهِ: يَا أَنْفَعَ السُّحُبِ
وَأَكْرَمَ النَّاسِ، لاَ مُسْتَثْنِياً أَحَداً   مِنَ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النُّجُبِ
قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا   وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ
وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ   إنَّا لَنَغْفُلُ وَالأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ
مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتاً كَانَ بَيْنَهُمَا   كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزَانِ مَغْفِرَةً   فَحُزْنُ كُلِّ أَخِيْ حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ
وَأَنْتُمْ نَفَرٌ[2] تَسْخُو نُفُوسُكُمُ   بِمَا يَهَبْنَ وَلاَ يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ
حَلَلْتُمُ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمِ   مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ
فَلاَ تَنَلْكَ اللَّيَالِيْ، إنَّ أَيْدِيَهَا   إذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ
وَلاَ يُعِنَّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ   فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ
وَإِنْ سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ   وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ
وَرُبَّمَا احْتَسَبَ الإنْسَانُ غَايَتَهَا   وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ   وَلاَ انْتَهَى أَرَبٌ إلاَّ إلَى أَرَبِ
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لاَ اتِّفَاقَ لَهُمْ   إلاَّ عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ

(١) [بلا وُدٍّ ولا سَبَبِ]
(٢) [مَعْشَرٌ]

فَقيلَ: تَخلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً ... وَقيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ المَرْءِ في العَطَبِ
وَمَنْ تَفَكَّرَ في الدُّنْيا وَمُهْجَتِهِ ... أَقامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

وقالَ مُجيباً له عن كِتابٍ كَتَبهُ إليهِ من مَيّافارِقينَ إلى بَغْداد، مع هديّةٍ حَسَنةٍ ومالٍ وأَمانٍ بخَطِّه، يستدعيهِ إلى الرجوعِ إلى حضْرَتهِ؛ فكتَبَ إليهِ في ذي الحِجّةِ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثمئة

[من ثالثِ المتقارِب، والقافيةُ مُتدارِكٌ]: [من المتقارب]

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ ... فَسَمْعاً لأَمْرِ أَميرِ الْعَرَبْ
وَطَوْعاً لَهُ وَابْتِهَاجاً بِهِ ... وَإنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ
وَمَا عَاقَني غَيْرُ خَوفِ الْوُشَاةِ ... وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرْقُ الْكَذِبْ
وَتَكْثيرِ قَوْمٍ وَتَقْليلِهِمْ ... وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ ... وَيَنْصُرُني قَلْبُهُ وَالْحَسَبْ
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ: أَنْتَ اللُّجَيْنُ ... وَلاَ قُلْتُ لِلشَّمْسِ: أَنتِ الذَّهَبْ
فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعيدُ الأَنَاةِ ... وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطيءُ الغَضَبْ
وَمَا لاَقَني بَلَدٌ بَعْدَكُمْ ... وَلاَ اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبْ
وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوا ... دِ أَنْكَرَ أَظْلاَفَهُ وَالْغَبَبْ
وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلاَدِ ... فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ في حَلَبْ
وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ ... لَكَانَ الْحَديدَ وَكَانُوا الْخَشَبْ
أَفي الرَّأْيِ يُشْبَهُ أَمْ في السَّخا ... ءِ أَمْ في الشَّجَاعَةِ أَمْ في الأَدَبْ
مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ ... كَريمُ الْجِرِشَّى شَريفُ النَّسَبْ

أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى   قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ
إِذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ   فَتًى لاَ يُسَرُّ بِمَا لا يَهَبْ
وَإِنِّي لأُتْبِعُ تَذْكَارَهُ   صَلاَةَ الإِلهِ وَسَقْيَ السُّحُبْ
وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِآلائِهِ   وَأَقْرُبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبْ
وَإِنْ فَارَقَتْنِيَ أَمْطَارُهُ   فَأَكْثَرُ غُدْرَانِهَا مَا نَضَبْ
أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ   وَيَا ذَا المَكَارِمِ لاَ ذَا الشُّطَبْ
وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً   وَأَعْرَفَ ذِي رُتْبَةٍ بِالرُّتَبْ
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً   وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ
بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ   فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ
وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ   فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ
وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا   ةِ: إِنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ
وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ   إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ
أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ   طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ   وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِبْ
وَلاَ تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوِّهِ   إِذَا لَمْ تَخَطَّ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ
فَغَرَّقَ مُدْنَهُمُ بِالْجُيُوشِ   وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبْ
فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِباً قَهْرَهُمْ   وَأَخْبِثْ بِهِ تَارِكاً مَا طَلَبْ
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ   وَجِئْتَ فَقَاتَلْتَهُمْ بِالْهَرَبْ
وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى   وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبْ
سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ   وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ

فَخَرُّوا لِخالِقِهِمْ سُجَّداً ... وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ
وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدًى بالرَّدَى ... وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِالْكُرَبْ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إنْ يَعُدْ ... يَعُدْ مَعَهُ المَلِكُ المُعْتَصِبْ
وَيَسْتَنْصِرانِ الَّذي يَعْبُدانِ ... وَعِنْدَهُما أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ
لِيَدْفَعَ ما نالَهُ عَنْهُما ... فَيا لَلرِّجالِ لِهَذا الْعَجَبْ
أَرَى المُسْلِمينَ مَعَ المُشْرِكيـ ... ـنَ إمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ
وَأَنْتَ مَعَ اللهِ في جانِبٍ ... قَليلُ الرُّقادِ كَثيرُ التَّعَبْ
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ ... وَدانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَبْ
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ في حاسِدٍ ... إذا ما ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَئِبْ
وَلَيْتَ شَكاتَكَ في جِسْمِهِ ... وَلَيْتَكَ تَجْزي بِبُغْضٍ وَحُبْ
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزي بِهِ نِلْتُ مِنْـ ... ـكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بأَقْوَى سَبَبْ

وقال في صِباه في تَرْكِ لِقاءِ المُلوك وقد عَذَلَهُ أبو سعيدٍ المُجَيْمِريّ، من مشطورِ الرَّجَز: [من الرجز أو السريع]

أَبا سَعيدٍ جَنِّبِ الْعِتابا ... فَرُبَّ رائِي خَطأٍ صَوابا
فإنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجّابا ... وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنا الْبَوّابا
وَإنَّ حَدَّ الصّارِمِ الْقِرْضابا ... وَالذّابِلاتِ السُّمْرَ وَالْعِرابا
يَرْفَعُ فِيما بَيْنَنا الْحِجابا

وقال وقد حضَر مع بعضِ الكِلابيين على شَرابٍ، من الكامل والقافيةُ متدارك: [مجزوء الكامل]

لأَحِـبَّـتِـي أَنْ يَـمْـلَـؤُوا ... بـالـصَّـافِـيَـاتِ الأَكْـوُبَـا
وَعَـلَـيْـهِـمُ أَنْ يَـبْـذُلُـوا ... وَعَـلَـيَّ أَلَّا أَشْـرَبَـا
حَـتَّـى تَـكُـونَ الْـبَـاتِـرَا ... تُ الـمُـسْـمِـعَـاتُ فَـأَطْـرَبَـا

وقال يَنْفِي الشَّماتَةَ عن بَني عَمّ محمَّدِ بن إِسْحاقَ التَّنُوخيّ ويَرْثِي محمَّداً، من الثاني من الطويل والقافية مُتدارِكٌ: [من الطويل]

لأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فيه نُعَاتِبُ ... وَأَيَّ رَزَايَاهُ بِـوِتْـرٍ نُطَالِبُ؟
مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ ... وَقَدْ كَانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبُ
يَزُورُ الأَعَادِيْ في سَمَاءِ عَجَاجَةٍ ... أَسِنَّتُهُ في جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ
فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا ... مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ
طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ ... لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ
مَصَائِبُ شَتَّى جُمِّعَتْ في مُصِيبَةٍ ... وَلَمْ يَكْفِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائِبُ
رَثَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ ... فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الأَقَـارِبُ
وَعَـرَّضَ أَنَّـا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ ... وَإِلاَّ فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ الْقَوَاضِبُ
أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبٍ ... لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدِبُّ الْعَقَارِبُ
أَلاَ إِنَّمَا كَانَتْ وَفَـاةُ مُحَمَّدٍ ... دَلِيلاً عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ

وقال يَمْدَحُ أبا الحُسَيْنِ المُغيثَ بن عَليّ بن بِشْرِ العِجْليَّ العِمّيَّ، من أوّل البسيط والقافية [مُتراكِبٌ]: [من البسيط]

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى في الرَّبْعِ مَا وَجَبَا ... لأَهْلِهِ وَشَفَى، أَنَّـى وَلاَ كَرَبَا
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الْفِرَاقُ لَنَا ... مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا

سَقَيْتُهُ عَــبَـرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَراً ... سَوَائِلاً مِنْ جُفُونٍ ظَنَّهَا سُحُبَا
دَارُ المُلِمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِي ... لَيْلاً فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلاَ كَذَبَا
نَـاءَيْـتُـهُ فَـدَنَـا أَدْنَـيْـتُـهُ فَنَأَى ... جَمَّشْتُهُ فَنَبَا قَبَّلْتُهُ فَأَبَى
هَـامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُنَا ... مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا
بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا ... وَعَــزَّ ذَلِـكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ ... شُعَاعُهَا وَيَـرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا: ... مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا؟
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: كَالْمُغِيثِ يُرَى ... لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا
جَاءَتْ بِأَشْجَعِ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحِ مَنْ ... أَعْطَى وَأَبْلَغِ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمَشَى ... أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ ... وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا
بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً ... وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا
وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هِبَّتُهُ ... رَطْبَ الْغِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا
مَكَارِمٌ لَكَ فُتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا ... مَنْ يَسْتَطِيعُ لأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا؟
لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ ... إِلَـيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا
فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ... أَحُثُّ رَاحِلَتَيَّ: الْفَقْرَ وَالأَدَبَـا
أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ... لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا
وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِيَّ أَخاً وَالمَشْرَفِيَّ أَبَا

بكُلِّ أشْعَثَ يَلْقى المَوْتَ مُبْتَسِماً حَتَّى كَـأَنَّ لَـهُ في قَتْله أَرَبَـا
قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرْجِهِ مَرَحاً بالْغَزْوِ أَوْ طَرَبَا
فَالمَوْتُ أَعْذَرُلِيْ وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وقال يَمْدَحُ عَلِيَّ بن منصور الحاجب،
من أوّل الكامل والقافية مُتدارِكٌ: [من الكامل]

بِأَبِيْ الشُّمُوسُ الْجَانِحاتُ غَوَارِبَا اللاَّبِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلاَبِبَا
المُنْهِبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا وَجَنَاتِهِنَّ، النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلاَتُ المُحْيِيَا تُ المُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلاَلِ غَرَائِبَا
حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِي وَخِفْنَ مُرَاقِبا فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَـوْقَ تَرَائِبَا
وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبَهُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِيْ فَكُنْتُ الذَّائِبَا
يَا حَبَّذَا المُتَحَمِّلونَ وَحَبَّذَا وَادٍ لَـثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَةَ كَاعِبَا
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخَلُّصاً مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبْنَ فِيَّ مَخَالِبَا
أَوْحَدْنَنِي وَوَجَدْنَ حُزْناً وَاحِداً مُتَنَاهِياً فَجَعَلْنَهُ لِـيَ صَاحِبَا
وَنَصَبْنَنِي غَرَضَ الرُّمَاةِ تُصِيبُنِي مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبَا
أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبَا
وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَـاءَ الـزَّمَـانُ إِلـيَّ مِنْهَا تَائِبَا
مَـلِـكٌ سِـنَـانُ قَـنَـاتِـهِ وَبَـنَـانُـهُ يَتَبَارِيَانِ دَمـاً وَعُـرْفـاً سَاكِبَا
يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لِوَفْدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبَا
كَرَماً فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَـنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبَا

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسالِماً ... وَحَـذَارِ ثُمَّ حَـذَارِ مِنْهُ مُحارِبَا
فالمَوْتُ تُعْرَفُ بالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ ... لَـمْ تَلْقَ خَلْقاً ذَاقَ مَوْتاً آيِبَا
إنْ تَلْقَهُ لاَ تَلْقَ إلاَّ قَسْطَلاً ... أَوْ جَحْفَلاً أَوْ طَاعِناً أَوْ ضَارِبَا
أَوْ هَـارِبـاً أَوْ طَالِباً أَوْ رَاغِبا ... أَوْ رَاهِباً أَوْ هَالِكاً أَوْ نَادِبَا
وَإذَا نَظَرْتَ إلى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا ... فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلاً وَقَوَاضِبَا
وَإذَا نَظَرْتَ إلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا ... تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِساً وَجَنَائِبَا
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْحَدِيدُ سَوَادَهَا ... زَنْـجـاً تَبَسَّمُ أَوْ قَـذَالاً شَائِبَا
فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهارُ بِهَا دُجَى ... لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا
قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَراً ... وَتَكَتَّبَتْ فيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا
أُسْدٌ فَرَائِسُهَا الأُسُـودُ يَقُودُهَا ... أَسَـدٌ تَصِيرُ لَهُ الأُسُـودُ ثَعَالِبَا
في رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا ... وعَـلاَ فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الحَاجِبَا
وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّراً ... وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الْغَاصِبَا
هَذَا الَّذِي أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِبا ... وَعِـدَاهُ قَتْلاً وَالـزَّمَـانَ تَجَارِبَا
وَمُخَيِّبُ الْـعُـذَّالِ فِيمَا أَمَّلُوا ... مِـنْـهُ وَلَـيْـسَ يَـرُدُّ كَفًّا خَائِبَا
هذا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِراً ... مِثْلُ الَّـذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبَا
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ ... يُهْدِي إلى عَيْنَيْكَ نُـوراً ثاقِبَا
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً ... جُـوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا
كَالشَّمْسِ في كَبِدِ السَّماءِ وَضَوْءُهَا ... يَغْشَى الْبِلاَدَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا
أَمُهَجِّنَ الْكُرَمَاءِ وَالمُزْرِيْ بِهِمْ ... وَتَـرُوكَ كُـلِّ كَرِيمِ قَـوْمٍ عَاتِبَا
شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِـدْتَ مَنَاقِبا ... وُجِـدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبَا

لَبَّيْكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبَا — إِنَّا لَنَخْبُرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبَا
تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ — وَهُجُومُ غِرٍّ لاَ يَخَافُ عَوَاقِبَا
وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ — أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلاَقِيَ طَالِبَا
خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ — لاَ تُلْزِمَنِّيَ فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا
فَلَقَدْ دَهِشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ — مَا يُدْهِشُ المَلَكَ الْحَفِيظَ الْكَاتِبَا

وقال يَمْدَحُ بَدْرَ بنَ عمّارِ بن إسماعيلَ الأَسَدِيَّ الطَّبَرِسْتانيَّ
وهو على الشراب وقد صُفَّتِ الفاكِهَةُ : [من الرمل]

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابُ — هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابُ
إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا — وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابُ
مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلاَّ حَمِدَتْهُ — جُهْدَهَا الأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ — يَتَّقِي إِخْلاَفَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ
فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لاَ يُتَرَجَّى — وَلَهُ جُودُ مُرَجًّى لاَ يُهَابُ
طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الأَحْدَاقِ شَزْراً — وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ
بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الهَوْلِ الَّذِي لَيْـ — ـسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ
بِأَبِي رِيحُكَ لاَ نَرْجِسُنَا ذَا — وَأَحَادِيثُكَ لاَ هَذَا الشَّرَابُ
لَيْسَ بِالمُنْكَرِ إِنْ بَرَّزْتَ سَبْقاً — غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ العِرَابُ

وقالَ ارتجالاً أيضاً ، وهو يَلْعَبُ بالشِّطْرَنْجِ وقد كَثُرَ المَطَرُ ،
من أول الوافر والقافيةُ مُتواتِرٌ : [مِن الوافر]

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى — عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ

تَشَكّى الأَرْضُ غَيْبَتَهُ إلَيْهِ ... وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضابِ؟
وَأُوْهِـمُ أَنَّ في الشِّطْرَنْجِ هَمِّي ... وَفِيكَ تَأمُّلي وَلَـكَ انْتِصابي
سَأَمْضِي وَالسَّلامُ عَلَيْكَ مِنِّي ... مَغِيبِيَ لَيْلَتِيْ وَغَـداً إيَابي

وقال في لُعبةٍ أُحضِرَتْ في المَجْلس فأُديرتْ فوقفَتْ حِذاءَ بَدْر ، من أوّلِ المنسرح والقافيةُ مُتَراكِبٌ : [من المنسرح]

يَا ذَا المَعَالِيْ وَمَعْدِنَ الأَدَبِ ... سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ ... وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ
أَهَـذِهِ قَابَلَتْكَ رَاقِصَةً ... أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ التَّعَبِ؟

وقال يَمْدَحُ عليَّ بنَ مُحمَّد بن سَيّار بن مُكْرَم التَّميميَّ ، وكان يُحبُّ الرَّمْيَ ويتعاطاه ، وكان له وكيلٌ يتعرَّضُ للشِّعر ، فمدحَ أبا الطيِّب فأنْفذهُ إليه ، فسارَ إليه المتنبي ، فتلقَّاهُ وأجْلسَهُ في مَرْتبةٍ وجَلَسَ بين يديه ، فأنْشدَهُ من أول الوافر [والقافيةُ متواتِرٌ] : [من الوافر]

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا ... فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَا
وَمَا سَكَنِيْ سِوَى قَتْلِ الأَعَادِي ... فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟
تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا في حَدِيثٍ ... تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا
وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمُ عَلَيْهِمْ ... حِدَاداً لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا
أَدَمْنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى ... خَلَطْنَا في عِظَامِهِمُ الْكُعُوبَا
كَأَنَّ خُيُولَنَا كَانَتْ قَدِيماً ... تُسَقَّى في قُحُوفِهِمُ الْحَلِيبَا
فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ ... تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا

يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ(١) شَوَاهَا ... فَتًى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا
شَدِيدُ الْخُنْزُوَانَةِ لاَ يُبَالِي ... أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَا
أَعَزْمِيَ طَالَ هذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ ... أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَؤُوبَا؟
كَأَنَّ الْفَجْرَ حِبٌّ مُسْتَزَارٌ ... يُرَاعِي مِنْ دُجُنَّتِهِ رَقِيبَا
كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلْيٌ عَلَيْهِ ... وَقَدْ حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الْجَبُوبَا
كَأَنَّ الْجَوَّ قَاسَى مَا أُقَاسِي ... فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَا
كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي ... فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبَا
أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِيْ كَأَنِّي ... أَعُدُّ بِهِ(٢) عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ ... يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِيْ مَشُوبَا
وَمَا مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ ... أَرَى لَهُمْ مَعِيْ فِيهَا نَصِيبَا
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى ... لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا
وَلَمَّا قَلَّتِ الإِبِلُ امْتَطَيْنَا ... إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا
مَطَايَا لاَ تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا ... وَلاَ يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبَا
وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الأَرْضِ فِينَا ... فَمَا فَارَقْتُهَا إِلاَّ جَدِيبَا
إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤَادِي ... فَلَوْلاَهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا
تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ ... وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَأَ الرَّبِيبَا
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ ... أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخاً ... يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَا
قَسَا فَالأُسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ(٣) ... وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا

(١) [خَضَبَتْ]
(٢) [بِهَا]
(٣) [يَدَيْهِ]

أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشاً ... وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا

وَقَالُوا: ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا ... فَقُلْتُ: رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا

وَهَلْ يُخْطِيْ بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا ... وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الغُيُوبَا؟

إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبَنَّا ... بِأَنْصُلِهَا لأَنْصُلِهَا نُدُوبَا

يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ ... فَلَوْلاَ الْكَسْرُ لاتَّصَلَتْ قَضِيبَا

بِكُلِّ مُقَوَّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْراً ... لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا

يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ ... وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الْهَدَفِ[١] اللَّهِيبَا

أَلَسْتَ ابْنَ الأُلَى سَعِدُوا وَسَادُوا ... وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلاَّ نَجِيبَا

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْناً ... وَصَادَ الْوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبَا

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ ... كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبَا

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ المَجْدِ فِيهِ ... وَعَادَ زَمَانُهُ الْبَالِيْ قَشِيبَا

تَيَمَّمَنِي وَكِيلُكَ مَادِحاً لِي ... وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشِّعْرِ الْغَرِيبَا

فَآجَرَكَ الإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ ... بَعَثْتَ إِلَى المَسِيحِ بِهِ طَبِيبَا

وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا ... وَلَكِنْ زِدْتَنِيْ فِيهَا أَدِيبَا

فَلاَ زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ ... وَلاَ دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا

لأُصْبِحَ آمِناً فِيكَ الرَّزَايَا ... كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا

وقال يَصِفُ مَجْلِسَيْنِ مُزَاوِيَيْنِ كان أبو مُحَمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عُبَيْدِ اللّهِ بن طُغْج جالِساً في أَحَدِهما ، وإنما زُوِيَا لِيُرَى [من] كُلّ واحِدٍ منهما ما لا يُرَى [من] صاحِبه ، من أول البسيط والقافية متراكب : [من البسيط]

(١) [رَميّة الهدَفِ]

المَجْلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا ... مُقَابَـلاَنِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الأَدَبَا
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا مَالَ ذَا رَهَباً ... وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا مَالَ ذَا [رَهَبَا]
فَلِمْ يَهَابُكَ مَا لاَ حِسَّ يَرْدَعُهُ ... إِنِّي لأُبْصِرُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عَجَبَا

وقالَ من أوّلِ الوافرِ والقافيةُ متواترٌ : [من الوافر]

تَعَرَّضَ لِيْ السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا ... فَقُلْتُ: إِلَيْكَ إِنَّ مَعِيْ السَّحَابَا
فَشِمْ فِي الْقُبَّةِ المَلِكَ المُرَجَّى ... فَأَمْسَكَ بَعْدَمَا عَزَمَ انْسِكَابَا

وقالَ وقد عَرَضَ عليه بعض الحاضرينَ مِسْكاً ، وكانَ عَلَوِيًّا ، و[أبو] محمدٍ حاضِرٌ ، من سادس البسيط والقافيةُ متواتِرٌ : [من مخلع البسيط]

الطِّيبُ مِمَّا غَنِيتُ عَنْهُ ... كَفَى بِقُرْبِ الأَمِيرِ طِيبَا
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا المَعَالِي ... كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا

واستحْسَنَ عينَ بازٍ رآهُ في مَجْلسه فقال بَدِيهاً ، من ثالث المتقارِب والقافيةُ متدارِكٌ : [من المتقارب]

أَيَا مَا أُحَيْسِنَهَا مُقْلَةً ... وَلَوْلاَ المَلاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيِّهَا ... سُوَيْدَاءُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ ... كَسَتْهُ شُعَاعاً عَلَى المَنْكِبِ

حدَّثَ أبو عُمَرَ عَبْدُ العَزيزِ بنُ الحُسَيْنِ السُّلَميُّ قال: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ [أبي] القاسم طاهر بن الحَسَنِ العَلَوِيّ، فحدَّثَني أنَّ أبا محمَّدِ بنَ عُبَيْدِ اللهِ لم يزَلْ يَسْأَلُ أبا الطَّيِّبِ مِرارًا أنْ يَخُصَّ أبا القاسِمِ بقَصيدةٍ من شِعْرِهِ يَمْدَحُه بها ، وذكر

أنه اشْتَهى ذلك، فيَمْتَنِعُ أبو الطيب ويقول: «ما قَصَدْتُ غَيْرَ الأمير، وما [أَمْدَحُ] سِواهُ»؛ فقال له أبو محمَّدٍ: «قد كُنْتُ عزمْتُ أنْ أَسْأَلَكَ قصيدةً أُخْرى فِيَّ، فاجْعَلْها فيه»، وضَمِنَ له عنه مِئاتِ دنانيرَ، فأجابَهُ إلى ذلك. قالَ محمدُ بْنُ القاسِمِ الصُّوفيُّ: فمضَيْتُ أنا والمُطَّلِبيُّ برِسالةِ طاهرٍ لوَعْدِ أبي الطَيِّب؛ فرَكِبَ مَعَنا أبو الطيب حتى دخَلْنا عليهِ، وعنده جَماعةُ أَشْرافٍ وكُتّابٍ؛ فلمّا أقْبَلَ أبو الطيب نَزَلَ أبو القاسم طاهِرٌ عن سَريره وتَلَقّاهُ بعيداً من مَكانه مُسَلِّماً عليه، ثم أخَذَ بِيَدِه فأَجْلَسَهُ في المَرْتَبةِ التي كانَ فيها جالساً وجَلَسَ بين يديهِ فتحدَّثَ مَعَهُ طويلاً، ثُمَّ أَنْشَدَهُ فخَلَعَ عليهِ للوقتِ خِلَعاً نَفيسة. قال عبدُ العزيز: وحَدَّثني عليُّ بنُ القاسمِ الكاتبُ قال: «كُنْتُ حاضِراً لهذا المَجْلِسِ، وهو كما حَدَّثَكَ به أبو بَكْرٍ الصُّوفيّ». ثم قال: «اعْلَمْ أنّي ما رأيتُ ولا سَمِعْتُ في خَبَرٍ بشاعرٍ جلَسَ المَمْدُوحُ بينَ يديهِ مُسْتَمِعاً لمدحِه غَيْرَ أبي الطيب؛ فإني رأيتُ طاهراً قد تلَقّاهُ وأجْلَسَهُ مَجْلِسَهُ وَجلَسَ بينَ يديهِ، فأَنْشَدَهُ أبو الطيب». من ثاني الطويل والقافيةُ متداركٌ: [من الطويل]

أَعِيدُوا صَباحِيْ فَهْوَ عِنْدَ الْكَواعِبِ	وَرُدُّوا رُقَادِيْ فَهْوَ لَحْظُ الْحَبائِبِ

فَـإِنَّ نَـهَـارِيْ لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ ... عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ[١] فِي غَيَاهِبِ
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا ... عَقَدْتُمْ أَعَالِيَ كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ
وَأَحْسَبُ أَنِّيْ لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكُمْ ... [لَفَارَقْتُهُ] وَالدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ
فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِيْ وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنِيْ وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ
أَرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِيْ فَعُقْتِهِ ... عَلَيْكِ بِدُرٍّ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ
وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ ... مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ
تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرَتْ بِهِ ... وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ
وَلاَ بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... يَطُولُ اسْتِمَاعِيْ بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ
يَهُونُ عَلَى مِثْلِيْ إِذَا رَامَ حَاجَةً ... وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ
كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا ... يَزُولُ وَبَاقِيْ عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ
إِلَيْكِ فَإِنِّيْ لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى ... عِضَاضَ الأَفَاعِيْ نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ
أَتَانِيْ وَعِيدُ الأَدْعِيَاءِ وَأَنَّهُمْ ... أَعَدُّوا لِيَ السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ ... فَهَلْ فِيَّ وَحْدِيْ قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ؟
إِلَيَّ لَعَمْرِيْ قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ ... كَأَنِّيْ عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ
بِـأَيِّ بِـلاَدٍ لَـمْ أُجَـرَّ ذُؤَابَـتِـي[٢] ... وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رِكَائِبِي؟
كَأَنَّ رَحِيلِيْ كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فَأَثْبَتَ كُورِيْ فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَـرِدْنَ فِنَاءَهُ ... وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ الْمَشَارِبِ
فَتًى عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُـدُودُهُ ... قِرَاعَ الأَعَادِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ
فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَرَدَّ إِلَـى أَوْطَـانِـهِ كُـلَّ غَائِبِ

(١) [فَقْدِكُمْ]
(٢) [ذَوائِبي]

كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ: النَّدَى في بَنَانِهِمْ ... أَعزُّ امِّحَاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ
أُنَـاسٌ إِذَا لاَقَـوْا عِـدًا فَكَأَنَّمَا ... سِلاَحُ الَّذِي لاَقَوْا غُبَارُ السَّلاَهِبِ
رَمَوْا بِنَوَاصِيْهَا الْقِسِيَّ فَجِئْنَهَا ... دَوَامِيْ الهَوَادِيْ سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ
أُولئِكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ ... وَأَكْثَرُ ذِكْراً مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ
نَـصَـرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ ... مِنَ الفِعْلِ لاَ فَلٌّ لَهَا في المَضَارِبِ
وَأَبْـهَـرُ آيَـاتِ التِّهَامِيِّ أَنَّـهُ ... أَبُوكَ وَأَجْدَى[1] مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ
إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ ... فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامُ المَنَاصِبِ؟
وَمَـا قَرُبَتْ أَشْبَاهُ قَـوْمٍ أَبَاعِدٍ ... وَلاَ بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَـارِبِ
إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ ... فَمَا هُـوَ إِلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ
يَقُولُونَ: تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ في الْوَرَى ... فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ في الْكَوَاكِبِ؟
عَلاَ كَتَدَ[2] الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ
وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِساً ... وَيُدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ
وَيُحْذَى عَرَانِينَ المُلُوكِ وَإِنَّهَا ... لَمِنْ قَدَمَيْهِ في أَجَلِّ المَرَاتِبِ
يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ ... وَشِبْهُهُمَا، شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ
يَرَى أَنَّ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ ... بِأَقْتَلَ مِمَّا بَـانَ مِنْكَ لِعَائِبِ
أَلاَ أَيُّهَا المَالُ الَّـذِي قَدْ أَبَادَهُ ... تَعَزَّ فَهذَا فِعْلُهُ في الْكَتَائِبِ
لَعَلَّكَ في وَقْتٍ شَغَلْتَ فُـؤَادَهُ ... عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِيْ حَدِيقَةً ... سَقَاهَا الحِجَى سَقْيَ الرِّيَاضِ السَّحَائِبِ

(١) [وإِحْدَى]
(٢) [عَلَى كَتَدِ]

فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابْنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِهَا ... لأَشْرَفِ بَيْتٍ في لُؤَيِّ بْنِ غالب

وقال يَمْدَحُ كافوراً، من ثاني البسيط والقافيةُ متواتِرٌ: [من البسيط]

مَنِ الْجَآذِرُ في زِيِّ الأَعاريبِ ... حُمْرَ الحِلَى والمَطايا والْجَلابِيبِ؟
إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا في مَعارِفِهَا ... فَمَنْ بَلاكَ بِتَسْهِيدٍ وتَعْذيبِ؟
لاَ تَجْزِني بِضَنًى بِيْ بَعْدَهَا [بَقَرٌ] ... تَجْزي دُمُوعِي مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ
سَوائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوادِجُهَا ... مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ
وَرُبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدي المَطِيِّ بِهَا ... عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ
كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأَعْرابِ خَافِيَةٍ ... أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيْبِ
أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَياضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بي
قَدْ وافَقُوا الْوَحْشَ في سُكْنَى مَراتِعِهَا ... وَخالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ
جِيرانُهَا وَهُمُ شَرُّ الْجِوارِ لَهَا ... وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ الأَصَاحِيبِ
فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ في بُيُوتِهِمِ ... وَمالُ كُلِّ أَخِيذِ المَالِ مَحْرُوبِ
مَا أَوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ ... كأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ
حُسْنُ الْحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وَفي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
أَيْنَ المَعِيزُ مِنَ الآرامِ نَاظِرَةً ... وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ في الْحُسْنِ والطِّيبِ
أَفْدِي ظِبَاءَ فَلاَةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا ... مَضْغَ الْكَلاَمِ وَلاَ صَبْغَ الْحَواجِيبِ
وَلاَ بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَاثِلَةً(١) ... أَوْراكُهُنَّ صَقِيلاتِ الْعَراقِيبِ
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوِّهَةً ... تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ في قَوْلِي وَعَادَتِهِ ... رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ في الرَّأْسِ مَكْذُوبِ

(١) [مائِلةً]

لَيتَ الْحَوادِثَ باعَتنِيْ الَّذِي أَخذَتْ ... مِنِّيْ بِحِلْمِيْ الَّذي أَعْطتْ وَتَجْرِيبي
فَمَا الْحَداثَةُ مِنْ حِلْم بِمانِعَةٍ ... قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ في الشُّبَّانِ والشِّيبِ
تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً ... قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ
مُجَرَّباً فَهِماً مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ ... مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ غَيرِ تَهْذِيبِ
حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيا نِهَايَتَهَا ... وَهَمُّهُ في ابْتِـدَاءَاتٍ وَتَشْبِيبِ
يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلَى عَدَنٍ ... إلى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّوم فَالنُّوْبِ
إذا أَتَتْها الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ ... فَمَا تَـهُـبُّ بِهَا إلاَّ بتَرْتِيبِ
وَلاَ تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ ... إلاَّ وَمِـنْـهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ
يُصَرِّفُ الأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ ... وَلَـوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ
يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ ... مِنْ[1] سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ
كَـأَنَّ كُـلَّ سُـؤَالٍ في مَسَامِعِهِ ... قَمِيصُ يُوسُفَ في أَجْفَانِ يَعْقُوبِ
إذا غَـزَتْـهُ أَعَـادِيـهِ بِمَسْأَلَةٍ ... فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيرِ مَغْلُوبِ
أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ ... مِمَّا أَرَادَ وَلاَ تَنْجُو بِتَجْبِيبِ
أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ ... عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ
قَالُوا: هَجَرْتَ إلَيهِ الْغَيْثَ، قُلْتُ لَهُمْ: ... إلَـى غُيُوثِ يَـدَيْـهِ وَالشَّآبِيبِ
إلَى الَّذِي تَهَبُ الدُّوْلاَتِ رَاحَتُهُ ... وَلاَ يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ
وَلاَ يَـرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِـهِ أَحَـداً ... وَلاَ يُفَزِّعُ مَـوْفُوراً بِمَنْكُوبِ
بَلَى يَـرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ... ذَا مِثْلِهِ في أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ
وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ ... مَا في السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ

(١) [عَنْ]

لمَّا رَأيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي ... وَفَيْنَ لِيْ وَوَفَتْ صُمُّ الأنَابِيبِ
فُتْنَ المَهالِكَ حَتَّى قَالَ قائِلُهَا: ... مَاذا لَقِينا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ!!
تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذاهِبُهُ ... لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ
يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُها ... كَأَنَّهَا سَلَبٌ في عَيْنِ مَسْلُوبِ
حَتَّى وَصَلْتُ(١) إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ ... تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ
في جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِيْ العَقْلِ تُضْحِكُهُ ... خلائِقُ النَّاسِ إضْحَاكَ الأعَاجِيبِ
فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا ... وَلِلْقَنَا وَلإدْلاجِيْ وَتَأْوِيبي
وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا ... وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِيْ يَا كُلَّ مَطْلوبي
يَا أَيُّهَا المَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ ... في الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبوبِ

وقال يَمْدَحُه وقد حَمَلَ إليهِ سِتَّمِئَةِ دينارٍ ذَهَباً سنة سبع وأربعين وثلاثمئة، من ثاني الطويل [والقافيةُ متدارِكْ] : [من الطويل]

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ ... وَأَعْجَبُ مِنْ ذا الهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ
أَمَا تَغْلَطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى ... بَغِيضاً تُنَائِيْ أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ؟
وَلِلَّهِ سَيْرِيْ مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً ... عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِيْ مَنْ جَفَوْتُهُ ... وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أَتَجَنَّبُ
وَكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ
وَقَاكَ رَدَى الأعْداءِ تَسْرِي إلَيْهِمُ ... وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلالِ المُحَجَّبُ
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ ... أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ

(١) [وَصَلْنَ]

وَعَيْنِي إِلَـى أُذْنَـيْ أَغَـرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِيْ عِنَانَهُ فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِـرَاراً فَيَلْعَبُ
وَأَصْـرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْـزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَـبُ
وَمَا الْخَيْلُ إِلاَّ كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنِ مَنْ لاَ يُجَرِّبُ
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ
لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلاَ أَشْتَكِي فِيهَا وَلاَ أَتَعَتَّبُ
وَبِيْ مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّيْ أَقَلُّهُ وَلَكِنَّ قَلْبِيْ يَا بْنَةَ الْقَوْمِ قُلَّبُ
وَأَخْلاَقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ
إِذَا تَـرَكَ الإِنْسَانُ أَهْـلاً وَرَاءَهُ وَيَـمَّـمَ كَـافُـوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ
فَتًى يَمْلأُ الأَفْعَالَ رَأْياً وَحِكْمَةً وَنَادِرَةً[1] أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ
إِذَا ضَرَبَتْ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفُّهُ تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ[2]
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّيْ أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا وَنَفْسِيْ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ
إِذَا لَمْ تَنُطْ بِيْ ضَيْعَةً أَوْ وِلاَيَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِيْ وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلٌّ حَبِيبَهُ حِذَائِيْ وَأَبْكِي مَنْ أُحِبُّ وَأَنْدُبُ
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِيْ وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ؟

(١) [وبادِرَةً]
(٢) [تَضْرِبُ]

فَإنْ [لَمْ يَكُنْ] إِلاَّ أَبُو المِسْكِ أَوْ هُمُ — فَإنَّكَ أَحلَى في فُؤادِيْ وَأَعْذَبُ
وَكُلُّ امْرِئٍ يُوْلِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ — وَكُـلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
يُرِيدُ بِكَ الْحُسَّادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ — وَسُمْرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ
وَدُونَ الَّذِي يَبْغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا — إِلَى المَوْتِ(١) مِنْهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أَشْيَبُ
إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا — وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيِّبُوا
وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاَكَ وَهَبْتَهَا — وَلَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً — لِمَنْ بَـاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعاً — وَلَيْسَ لَـهُ أُمٌّ سِـوَاكَ وَلاَ أَبُ
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ — وَمَا لَكَ إِلاَّ الْهِنْدُوَانِيَّ مِخْلَبُ
لَقِيتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ — إِلَى المَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ
وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لاَ تَهَابُهُ — ويَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ
وما عَدِمَ اللاَّقُوكَ بَأْساً وَشِدَّةً — ولكِنَّ مَنْ لاَقَـوْا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ
ثَنَاهُمْ وَبَرْقُ الْبِيضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ — عَلَيْهِمْ وبَرْقُ الْبَيْضِ فِي الْبِيضِ خُلَّبُ
سَلَلْتَ سُيُوفاً عَلَّمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ — عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ
وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ — إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وتُنْسَبُ
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ — مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِـدَاكَ وَيَعْرُبُ
وَمَـا طَرَبِيْ لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً — لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ
وتَعْذُلُنِي فِيكَ الْقَوَافِي وهِمَّتِي — كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ
وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَـمْ أَزَلْ — أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الْكَلاَمِ وَيُنْهَبُ

(١) [الشَّيْبِ]

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ ... وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ ... جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

وقالَ يهجُو كافُوراً، من ثالثِ الطَّويلِ والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الطويل]

وأَسْوَدَ أَمّا القَلْبُ منه فضَيِّقٌ ... نَخِيبٌ وأَمّا بَطْنُهُ فرَحِيبُ
يَمُوتُ به غَيْظاً على الدَّهْرِ أَهْلُه ... كما ماتَ غَيْظاً فاتِكٌ وشَبِيبُ
أَعَدْتُ على مَخْصاهُ ثُمَّ تَرَكْتُه ... يُتَبِّعُ مِنِّي الشَّمْسَ وَهْيَ تَغِيبُ
إذا ما عَدِمْتَ الأَصْلَ والعَقْلَ والنَّدَى ... فما لحياةٍ في جَنابِكَ طِيبُ

وقالَ يَمْدَحُه في شَوّالٍ سنةَ تِسعٍ وأربعينَ وثلاثمئة،
[من وزنِ السابقةِ وقافيتِها]: [من الطويل]

مُنًى كُنَّ لِيْ أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ ... فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ
لَيَالِيَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوْدَايَ فِتْنَةٌ ... وَفَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِيَ عَابُ
فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي ... وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ
جَلاَ اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ ... كَمَا انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ
وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لاَ تَشِيبُ بِشَيْبِهِ ... وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ
لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ ... وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابُ
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا ... وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْيَ كَعَابُ
وَإِنِّيْ لَنَجْمٌ تَهْتَدِي[(١)] بِيَ صُحْبَتِي ... إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ
غَنِيٌّ عَنِ الأَوْطَانِ لاَ يَسْتَفِزُّنِي ... إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ
وَعَنْ ذَمَلاَنِ الْعِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ ... وَإِلاَّ فَفِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ
وَأَصْدَى فَلاَ أُبْدِي إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً ... وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلاَتِ لُعَابُ
وَلِلسِّرِّ مِنِّيْ مَوْضِعٌ لاَ يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ وَلاَ يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ

(١) [تهتدِي صُحْبَتِيْ بِه]

وَلِلْخَوْدِ مِنِّيْ سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا ... فَـلاَةٌ إِلَـى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ
وَمَا الْعِشْقُ إِلاَّ غِـرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ ... يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وَغَيْرُ فُـؤَادِيْ لِلْغَوَانِيْ رَمِيَّةٌ ... وَغَيْرُ بَنَانِيْ لِلزُّجَاجِ(١) رِكَابُ
تَرَكْنَا لأَطْـرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ ... فَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ بِـهِنَّ لِعَابُ
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَـوَادِرٍ(٢) ... قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ ... وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَبَحْرٌ(٣) أَبُو المِسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ ... عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْـرَةٌ وَعُبَابُ
تَجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ ... بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ
وَغَالَبَهُ الأَعْـدَاءُ ثُـمَّ عَنَوْا لَهُ ... كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ
وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا المِسْكِ بِذْلَةً ... إِذَا لَمْ تَصُنْ(٤) إِلاَّ الْحَدِيدَ ثِيَابُ
وَأَوْسَـعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْراً وَخَلْفَهُ ... رِمَـاءٌ وَطَعْنٌ وَالأَمَـامَ ضِـرَابُ
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْماً إِذَا قَضَى ... قَضَاءً مُلُوكُ الأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ ... وَلَـوْ لَمْ يَقُدْهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ
أَيَا أَسَداً فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ ... وَكَـمْ أُسُـدٍ أَرْوَاحُـهُـنَّ كِـلاَبُ
وَيَا آخِذاً مِنْ دَهْـرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ ... وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ ... وَقَـدْ قَلَّ إِعْتَابٌ وَطَـالَ عِتَابُ
وَقَدْ تُحْدِثُ الأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً ... وَتَنْعَمِرُ الأَوْقَـاتُ وَهْـيَ يَبَابُ
وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ ... كَأَنَّكَ سَيْفٌ(٥) فِيهِ وَهْوَ قِرَابُ
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْناً قَرِيرَةً ... وَإِنْ كَـانَ قُرْباً بِالبِعَادِ يُشَابُ
وَهَلْ نَافِعِيْ أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا ... وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ؟

(١) [للرِّخاخ]
(٢) [حَواذِرٍ، خوادِرٍ]
(٣) [وبحرُ أَبي]
(٤) [يَصُنْ]
(٥) [نَصْلٌ]

أُقِلُّ سَلامِيْ حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ … وَأَسْكُتُ كَيْمَا لاَ يَكُونَ جَوَابُ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ … سُكُوتِيْ بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً … ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
وَمَا شِئْتُ إلاَّ أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي … عَلَى أَنَّ رَأْيِيْ فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وَأُعْلِمَ قَوْماً خَالَفُونِيْ فَشَرَّقُوا … وَغَرَّبْتُ أَنِّيْ قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا
جَرَى الْخُلْفُ إلاَّ فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ … وَأَنَّـكَ لَيْثٌ وَالمُلُوكُ ذِئَـابُ
وَأَنَّكَ إنْ قُويِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ … ذِئَاباً ـ وَلَمْ يُخْطِئْ ـ فَقَالَ: ذُبَابُ
وَإنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ … وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ
إذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالمَالُ هَيِّنٌ … وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلاَ أَنْتَ إلاَّ مُهَاجِراً … لَـهُ كُـلَّ يَـوْمٍ بَـلْـدَةٌ وَصِحَابُ
وَلكِنَّكَ الدُّنْيَا إلَـيَّ حَبِيبَةً[1] … فَمَا عَنْكَ لِيْ إلاَّ إلَيْكَ ذَهَابُ

وقالَ في صِباهُ وقد مَرَّ برجُلين قد قَتَلا جُرَذاً وأَبْرَزاه يُعَجّبان النّاسَ مِن كِبَرِه [من ثالثِ المتقارب والقافيةُ متدارِكٌ] : [من المتقارب]

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ … أَسِيرَ[2] المَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ
رَمَـاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْـعَـامِـرِيُّ … وَتَـلاَّهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْـعَـرَبْ
كِـلاَ الـرَّجُـلَـيْـنِ اتَّـلَـى قَتْلَهُ … فَأَيُّكُمَا غَـلَّ حُـرَّ السَّلَبْ؟
وَأَيُّـكُـمَـا كَـانَ مِـنْ خَلْفِهِ … فَـإنَّ بِـهِ عَـضَّـةً فِـي الـذَّنَـبْ

وقالَ في مَعْنًى جَرَى عنده بمدينةِ السَّلام، من أوّلِ المنسرِحِ والقافيةُ [مُتراكِبٌ] : [من المنسرح]

(١) [حَبِيبةٌ]
(٢) [صَرِيعَ... رَهِينَ]

في الصِّدْقِ مَنْدُوحةٌ عن الكَذِبِ والـجِـدُّ أَوْلَـى بنا من اللَّعِبِ

وقال يهجو ضَبّةَ بْنَ يَزيدَ العُتْبيَّ ويُصرِّحُ بشَتْمِهِ، لأنه لا عَقْلَ له يَعْرِفُ به التعريضَ، من المُجْتَثّ والقافيةُ متواتِرٌ: [من المجتث]

مَـا أَنْـصَـفَ الْـقَـوْمُ ضَبَّهْ وَأُمَّـــــهُ الـطُّـرْطُـبَّـهْ
رَمَــــوْا بِـــرَأْسِ أَبِـيـهِ وَبَـــاكُــوا الأُمَّ غُـلُـبَّـهْ
فَـلاَ بِـمَـنْ مَـاتَ فَـخْـرٌ وَلاَ بِـمَـنْ نِـيـكَ[1] رَغْـبَـهْ
وَإِنَّـمَـا قُـلْـتُ مَـا قُـلْـــتُ رَحْـمَـةً لاَ مَـحَـبَّـهْ
وَحِـيـلَـةً لَـكَ حَـتَّـى عُـذِرْتَ لَـوْ كُـنْتَ تِـيْـبَـهْ[2]
وَمَـا عَـلَـيْـكَ مِـنَ الْـقَـتْـــلِ إِنَّـمَـا هِـيَ ضَـرْبَـهْ
وَمَـا عَـلَـيْـكَ مِـنَ الْـغَـدْ رِ إِنَّـمَـا هُـوَ سُـبَّـهْ
وَمَـا عَـلَـيْـكَ مِـنَ الْـعَـا رِ إِنَّ أُمَّـكَ قَـحْـبَـهْ
وَمَـا يَـشُـقُّ عَـلَـى الْـكَـلْـــبِ أَنْ يَـكُـونَ ابْـنَ كَلْبَهْ
مَـا ضَـرَّهَـا مَـنْ أَتَـاهَـا وَإِنَّـمَـا ضَـرَّ صُـلْـبَـهْ
وَلَـمْ [يَـنِـكْـهَـا] وَلَـكِـنْ عِـجَـانُـهَـا [نَـاكَ] زُبَّـهْ
يَـلُـومُ ضَـبَّـةَ قَـوْمٌ وَلاَ يَـلُـومُـونَ قَـلْـبَـهْ
وَقَـلْـبُـهُ يَـتَـشَـهَّـى وَيُـلْـزِمُ الْـجِـسْـمَ ذَنْـبَـهْ
لَـوْ أَبْـصَـرَ الْـجِـذْعَ شَيْئاً أَحَـبَّ فِي الْـجِـذْعِ صَلْبَهْ
يَـا أَطْـيَـبَ الـنَّـاسِ نَفْساً وَأَلْـيَـنَ الـنَّـاسِ رُكْـبَـهْ
وَأَخْـبَـثَ الـنَّـاسِ أَصْـلاً[3] فِـي أَخْـبَـثِ الأَرْضِ تُـرْبَـهْ

(١) [بيكَ] (٣) [فِعْلاً]
(٢) [تَنْبَهْ]

وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا   تَبِيعُ أَلْفاً بِحَبَّهْ
كُلُّ الْفُعُولِ سِهَامٌ   لِمَرْيَمٍ وَهْيَ جَعْبَهْ
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّا   ءُ مِنْ لِقَاءِ الأَطِبَّهْ
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ   وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَهْ
يَا قَاتِلاً كُلَّ ضَيْفٍ   غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَهْ
وَخَوْفَ كُلِّ رَفِيقٍ   أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهْ
كَذَا خُلِقْتَ وَمَنْ ذَا الْـ   ـلَذِي يُغَالِبُ رَبَّهْ
وَمَنْ يُبَالِي بِذَمٍّ   إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهْ
أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي النَّخْـ   ـلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَهْ
عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو   فُعُولَهَا مُنْذُ سَنْبَهْ
وَهُنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرْ   نَ وَالأُحَيْرَاحُ رَطْبَهْ
وَكُلُّ غُرْمُولِ بَغْلٍ   يَرَيْنَ يَحْسُدْنَ قُنْبَهْ
فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبْـ   ـبُ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهْ
وَإِنْ يَخُنْكَ لَعَمْرِي   لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهْ
وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ   وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَهْ
مَا كُنْتَ إِلاَّ ذُبَاباً   نَفَتْكَ عَنَّا(١) مِذَبَّهْ
وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهاً   فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ
وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلاً   حَمَلْتَ رُمْحاً(٢) وَحَرْبَهْ
وَقُلْتَ: لَيْتَ بِكَفِّي   عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ

(١) [عَنْهُ]
(٢) [سَيْفاً]

إنْ أوْحَشَتْكَ المَعَالِي ... فَإنَّهَا دارُ غُرْبَهْ
أوْ آنَسَتْكَ المَخَازِي ... فَإنَّهَا لَكَ نِسْبَهْ
وَإنْ عَرَفْتَ مُرَادِي ... تَكَشَّفتْ عَنْكَ كُرْبَهْ
وَإنْ جَهِلْتَ مُرَادِي ... فَإنَّهُ بِكَ أشْبَهْ

وقال يُعزّي أبا شُجاع عَضُدَ الدولة بِعَمَّتِه، من ثاني السريع والقافيةُ متدارِكٌ: [من السريع]

آخِرُ مَا المَلْكُ مُعَزًّى بِهِ ... هَذَا الَّذِي أثَّرَ في قَلْبِهِ
لاَ جَزَعاً بَلْ أنَفاً شَابَهُ ... أنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ
لَوْ دَرَتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ ... لاسْتَحْيَتِ الأيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ
لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أنَّ الَّذِي ... لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ
وَأنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارٌ لَهُ ... لَيْسَ مُقِيماً في ذَرَا عَضْبِهِ
وَأنَّ جَدَّ(١) المَرْءِ أوْطَانُهُ ... مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ
أَخَافُ أنْ تَفْطَنَ أعْدَاؤُهُ ... فَيُجْفِلُوا خَوْفاً إلَى قُرْبِهِ
لا بُدَّ لِلإنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ ... لاَ تَقْلِبُ المُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ
يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ ... وَمَا أذَاقَ المَوْتُ مِنْ كَرْبِهِ
نَحْنُ بَنُو المَوْتَى فَمَا بَالُنَا ... نَعَافُ مَا لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ؟
تَبْخَلُ أيْدِينَا بِأرْوَاحِنَا ... عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ
فَهَذِهِ الأرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ ... وَهَذِهِ الأجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ
لَوْ فَكَّرَ العَاشِقُ في مُنْتَهَى ... حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ

(١) [حَدَّ]

لَمْ يُرَ قَـرْنُ الشَّمْسِ في شَرْقِهِ ... فَشَكَّتِ الأنْـفُسُ في غَرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِيْ الضَّأْنِ في جَهْلِهِ ... مَـوْتَـةَ[١] جَالِينُوسَ في طِبِّهِ
وَرُبَّـمَـا زَادَ عَـلَـى عُـمْرِهِ ... وَزَادَ في الأَمْـنِ عَلَى سِرْبِهِ
وَغَـايَـةُ الـمُـفْـرِطِ في سِلْمِهِ ... كَـغَـايَـةِ الـمُـفْـرِطِ في حَـرْبِـهِ
فَـلاَ قَـضَـى حَـاجَـتَـهُ طَـالِـبٌ ... فُـؤَادُهُ يَـخْـفِـقُ مِـنْ رُعْـبِـهِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى ... كَـانَ نَـدَاهُ مُـنْـتَـهَـى ذَنْـبِـهِ
وَكَـانَ مَـنْ عَـدَّدَ[٢] إِحْسَانَهُ ... كَـأَنَّـهُ أَفْـرَطَ فـي سَـبِّـهِ
يُرِيدُ مِـنْ حُـبِّ الْعُلَى عَيْشَهُ ... وَلاَ يُـرِيـدُ العَيْشَ مِـنْ حُبِّهِ
يَـحْـسَـبُـهُ دَافِـنُـهُ وَحْـدَهُ ... وَمَجْدُهُ في القَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ
وَيُـظْـهَـرُ التَّذْكِيرُ في ذِكْـرِهِ ... وَيُـسْـتَـرُ التَّأْنِيثُ في حُجْبِهِ
أُخْـتُ أَبِـي خَـيْـرِ أَمِـيـرٍ دَعَـا ... فَـقَـالَ جَـيْـشٌ لِـلْـقَـنَـا: لَـبِّـهِ
يَا عَضُدَ الـدَّوْلَـةِ، مَـنْ رُكْنُهَا ... أَبُـوهُ وَالْـقَـلْـبُ أَبُـو لُـبِّـهِ
وَمَـنْ بَـنُـوهُ زَيْـنُ آبَـائِـهِ ... كَـأَنَّـهَـا الـنَّـوْرُ عَـلَـى قُضْبِهِ
فَـخْـراً لِـدَهْـرٍ أَنْـتَ مِـنْ أَهْلِهِ ... وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ
إِنَّ الأَسَـى الْـقِـرْنُ فَـلاَ تُحْيِهِ ... وَسَـيْـفُـكَ الـصَّـبْـرُ فَـلاَ تُنْبِهِ
مَا كَانَ عِنْدِيْ أَنَّ بَـدْرَ الدُّجَى ... يُوحِشُهُ المَفْقُودُ مِـنْ شُهْبِهِ
حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا ... تَـحَـمَّـلَ الـسَّـائِـرُ فـي كُتْبِهِ
وَقَـدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِـنْ قَبْلِهِ ... فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَـنْ [سَحْبِهِ]
يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ في مَدْحِهِ ... وَيَـدْخُـلُ الإِشْـفَـاقُ في قَلْبِهِ

(١) [مِيتَةَ]
(٢) [حَدَّدَ]

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ ... وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ
إِيمَا لإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ ... إِيمَا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ
وَلَمْ أَقُلْ: «مِثْلُكَ» أَعْنِي بِهِ ... سِوَاكَ يَا فَرْداً بِلاَ مُشْبِهِ

وقال في صِباه يَهْجُو الذهبيَّ،
من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ: [من البسيط]

لَمَّا نُسِبْتَ فكُنتَ ابْناً لِغَيْرِ أَبِ ... ثُمَّ امْتُحِنْتَ(١) فَلَمْ تَرجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّيتَ بالذَّهبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ ... يَا أَيُّها اللَّقَبُ المُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ

وقال يهجُو وَرْدانَ بْنَ رَبيعةَ من طَيِّئٍ، وكان قد أَفْسَدَ عَبِيدَهُ عند
مُنْصَرَفِه [من مصر]، من الثاني من الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

لَحَا اللَّهُ وَرْدَاناً وَأُمّاً أَتَتْ بِهِ ... لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَعْلَبِ
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلاَّ دَلالَةً ... عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الأُمِّ وَالأَبِ(٢)
إِذَا كَسَبَ الإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ ... فَيَا لُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ
أَهذَا اللَّذَيَّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ؟ ... هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ
لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّئٍ ... فَلاَ تَعْذِلانِي، رُبَّ صِدْقٍ مُكَذَّبِ!

وقال أيضاً، من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

إِنْ تَكُ نَاقَتِي مَنَعَتْ غَزِيًّا ... يَخِرُّ صِرَارُهَا تَرْعَى الرِّحَابَا
فَأَيُّ فَتًى أَحَقُّ بِذَاكَ مِنِّي ... وَأَجْدَرُ فِي الْعَشِيرَةِ أَنْ يُهَابَا؟

وقال أيضاً ـ رَواها ابنُ الزُّهَيْرِيّ عنه ـ

(١) [اختُبِرْتَ]
(٢) [بالأَبِ، للأَبِ]

من أول الخفيف والقافية متواترٌ: [من الخفيف]

بِـيَـديْ أيُّها الأمِـيـرُ الأدِيـبُ ... لا لِـشَـيْءٍ إلاّ لأنِّـي غَرِيبُ
أوْ لأُمٍّ لَـهـا إذَا ذكـرَتْـنِـي ... دَمُ قَلْبٍ بدَمْعِ عَيْنٍ مَشُوبُ
إنْ أكُـنْ قَبْلَ أنْ رَأَيْتُكَ أخْطَأْ ... تُ فـإنِّـي على يديكَ أتُـوبُ
عـائـبٌ عابَنِي لَـدَيْـكَ ومنهُ ... خُلِقَتْ في ذَوِي العُيوبِ العُيوبُ

قافية التاء

وأنْفَذَ إليه سيفُ الدولةِ قولَ الشاعر: [من الطويل]

رَأى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخفَى مَكانُها ... فكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجلَّتِ

فقال أبو الطَّيِّبِ مُجيزاً والرسولُ واقفٌ، من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

لَنَا مَلِكٌ ما[1] يَطْعَمُ النَّوْمَ هَمُّهُ ... مَمَاتٌ لِحَيٍّ أوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتِ
وَيَكْبُرُ أنْ تَقْذَى بشَيْءٍ جُفُونُهُ ... إذَا مَـا رَأتْـهُ خَلَّةٌ بِـكَ فَـرَّتِ
جَزَى اللَّهُ عَنِّيْ سَيْفَ دَوْلَةِ هاشمٍ ... فإنَّ نَدَاهُ الغَمْرَ سَيْفِيْ وَدَوْلَتِي

وقال أيضاً في صِباه، من ثاني البسيط والقافيةُ متواتر: [من البسيط]

أُنْصُرْ بجُودِكَ ألْفَاظاً تَرَكْتُ بها ... في الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتّى حانَ مُرْتَحَلِي ... وَذَا الوَدَاعُ فَكُنْ أهْلاً لِمَا شِيْتَا

وقال يَمْدَحُ بَدْرَ بنَ عَمّارٍ الطَّبَرِسْتانيَّ، من أول الوافر والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

(١) [لا]

فَدَتْكَ الْخَيْلُ وَهْيَ مُسَوَّمَاتُ ... وبيضُ الهِنْدِ وَهْـيَ مُجَرَّدَاتُ

وَصَفْتُكَ في قَـوَافٍ سَائِرَاتٍ ... وَقَدْ بَقِيَتْ ـ وَإِنْ كَثُرَتْ ـ صِفَاتُ

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهْمٌ(١) ... وَفِعْلُكَ في فِعَالِهِمُ شِيَاتُ

وقال يَمْدَحُ أبا أيوبَ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ عِمْرانَ بنِ ماهَوَيْه، من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الكامل]

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا ... دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا

أَوْفَى فَكُنتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي ... بَشَراً رَأَيْـتُ أَرَقَّ مِنْ عَبَرَاتِهَا

يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أَنِينِي خَلْفَهَا ... تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا

وَكَـأَنَّـهَـا شَـجَـرٌ بَـدَتْ لكنَّهَا ... شَجَرٌ جَنَيْتُ المَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا(٢)

لَا سِرْتِ مِنْ إِبِلٍ لَوَ انِّي فَوْقَهَا ... لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَدْمَعَيَّ سِمَاتِهَا

وَحَمَلْتُ مَا حُمِّلْتِ مِنْ هٰذِي المَهَا ... وَحَمَلْتِ مَا حُمِّلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا

إِنِّيْ عَلَى شَغَفِيْ بِمَا في خُمْرِهَا ... لَأَعِـفُّ عَمَّا في سَرَاوِيلَاتِهَا(٣)

وَتَـرَى الْفُتُوَّةَ وَالمُرُوَّةَ وَالأُبُـوْ ... وَّةَ فِـيَّ كُـلُّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا

هُنَّ الثَّلَاثُ المَانِعَاتِيَ لَذَّتِي ... في خَلْوَتِيْ لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ... ثَبْتَ الْجَنَانِ كَأَنَّنِيْ لَـمْ آتِهَا

وَمَقَـانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا ... أَقْـوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا

أَقْبَلْتُهَا غُـرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا ... أَيْـدِيْ بَنِي عِمْرَانَ في جَبَهَاتِهَا

الثَّابِتِينَ فُـرُوسَـةً كَجُلُودِهَا ... في ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ في لَبَّاتِهَا

الْعَارِفِينَ بِهَا كما عَرَفَتْهُمُ ... وَالرَّاكِبِينَ جُـدُودُهُـمْ أُمَّاتِهَا

(١) [بُهْمٌ]

(٢) [بَلَوْتُ المُرَّ]

(٣) [سَرَابِيلَاتِهَا]

فَكَأنَّمَا نُتِجَتْ قِياماً تَحتَهُمْ ... وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا

إنَّ الْكِرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمُ ... مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلاَ سُوَيْدَاوَاتِهَا

تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى ... وَالمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا

سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى ... بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ ... بَلْ مِنْ سَلاَمَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا

عَجَباً لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمُلٍ ... ما حِفْظُهَا الأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا

لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سُطُورِ كِتَابَةٍ ... أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيْمَاتِهَا

يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلاً(١) ... حَتَّى مِنَ الآذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا

تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا بْنَ أَحْمَدَ قُرَّحٌ ... لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلاَتِهَا

رِعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا ... أَجْرَى مِنَ الْعَسَلاَنِ فِي قَنَوَاتِهَا

لاَ خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إلاَّ عَارِفٌ ... بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِهَا

غَلِتَ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ ... تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا

كَرَمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلاَمِكَ مَاثِلاً ... وَيَبِينُ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ ... لاَ تَخْرُجُ الأَقْمَارُ عَنْ هَالاَتِهَا

لاَ نَعْذُلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ، شَائِقٌ ... أَنْتَ الرِّجَالَ وَشَائِقٌ عِلاَّتِهَا

فَإِذَا نَوَتْ سَفَراً إِلَيْكَ سَبَقْنَهَا ... فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالاَتِهَا

وَمَنَازِلُ الْحُمَّى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا ... مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا

أَعْجَبْتَهَا شَرَفاً فَطَالَ وُقُوفُهَا ... لِتَأَمُّلِ الأَعْضَاءِ لاَ لأَذَاتِهَا

وَبَذَلْتَ مَا عَشِقَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ ... حَتَّى بَذَلْتَ لِهَذِهِ صِحَّاتِهَا

(١) [مُحَاوِلاً]

حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ ... وَتَعُودَكَ(١) الآسَادُ مِنْ غابَاتِها
وَالْجِنُّ مِنْ سُتُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ ... فَلَوَاتِها وَالطَّيْرُ مِنْ وُكُنَاتِها
ذُكِرَ الأَنَامُ لَنا فَكَانَ قَصِيدَةً ... كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِها
في النَّاسِ أَمْثِلَةٌ تَدُورُ، حَيَاتُها ... كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُها كَحَيَاتِها
هِبْتُ النِّكَاحَ حِذارَ نَسْلٍ مِثْلِهَا ... حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِها
فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ ... مَلَكَ(٢) الْبَرِيَّةَ لاسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا
مُسْتَرْخَصٌ نَظَرٌ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ ... نَظَرَتْ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِها

وقال أيضاً، من البسيط والقافيةُ متواتِرٌ: [من البسيط]

لِيْ مَنْصِبُ العَرَبِ البِيضِ المَصَالِيتِ ... ومَنْطِقٌ صِيغَ مِنْ دُرٍّ وياقُوتِ
وهِمّةٌ صارَ دُونَ العَرْشِ أَسْفَلُها ... وصارَ ما تَحْتَهُ في لُجّةِ الحُوتِ

قافية الجيم

وقال يَمْدحُ سيفَ الدولة، ويذكُرُ مَسيرَهُ إلى سَمَنْدُو وتَقَدُّمَهُ وَحْدَهُ والجيشُ سائرٌ أَمامَهُ، من أوّلِ الوافرِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

لِـهَـذَا الْـيَـوْمِ بَعْدَ غَـدٍ أَرِيـجُ ... وَنَـارٌ في الْـعَـدُوِّ لَهَا أَجِيجُ
تَبِيتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ(٣) آمِنَاتٍ ... وَتَسْلَمُ في مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ
فَلاَ زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ ... فَـرَائِـسَ أَيُّهَا الأَسَـدُ المَهِيجُ
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّآتٌ ... وَأَنْـتَ بِغَيْرِ سَيْفِكَ لاَ تَعِيجُ
وَوَجْـهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِنْ بَعِيدٍ ... إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ
بِـأَرْضٍ تَهْلِكُ الأَشْـوَاطُ فِيها ... إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الفُرُوجُ

(١) [وتَعُودَكَ]
(٢) [وَهَبَ]
(٣) [الحَواضِنُ]

تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلْكِ الرُّومِ فِيهَا ... فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجُ
أَبِالْغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى ... وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ؟
وَفِينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ ... إذا لاَقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ
نُعَوِّذُهُ مِنَ الأَعْيَانِ بَأْساً ... وَيَكْثُرُ بِالدُّعَاءِ لَهُ الضَّجِيجُ
رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيْرُ رَاضٍ ... بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ
فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو ... وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ

قافية الحاء

وقال يعتذرُ إلى سيفِ الدولة لمّا تَعتَّبَ عليه لتأخُّرِ مَدْحِه،
من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ ... وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ؟
وَقَدْ تَقْبَلُ الْعُذْرَ الْخَفِيَّ تَكَرُّمًا ... فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفاً وَهْوَ وَاضِحُ؟
وَإِنَّ مُحَالاً - إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى ... وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِيَ صَالِحُ
وَمَا كَانَ تَرْكِيَ الشِّعْرَ إلاَّ لأَنَّهُ ... تُقَصِّرُ عَنْ وَصْفِ الأَمِيرِ الْمَدَائِحُ

وقال يَمْدَحُ مُساوِرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الرُّومِيَّ في ثاني صَفَر
[من ثاني الكامل والقافيةُ متواتِرٌ]: [من الكامل]

جَلَلاً كَمَا بِيَ فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَأِ الأَغَنِّ الشِّيحُ؟
لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ(١) ... صَنَماً مِنَ الأَصْنَامِ لَوْلاَ الرُّوحُ
مَا بَالُهُ لاَحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ ... وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِيَ الْمَجْرُوحُ

(١) [وجَرَّدَتْ]

وَرَمـى وَمَا رَمَتَا يَـدَاهُ فَصَابَنِي ... سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسِّهَامُ تُرِيحُ
قَـرُبَ الْمَزَارُ وَلاَ مَـزَارَ وَإِنَّمَا ... يَغْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقِي وَيَـرُوحُ
وَفَشَتْ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا ... تَعْرِيضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ
لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ ... نَفْسِيْ أَسًـى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ
وَجَلاَ الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِناً ... حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ
فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وَطَـرْفٌ شَاخِصٌ ... وَحَشًى يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِيَ لاَنْبَرَى ... شَجَرُ الأَرَاكِ مع الْحَمَامِ يَنُوحُ
وَأَمَقَّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ ... فِي عَرْضِهِ لأَنَـاخَ وَهْيَ طَلِيحُ
نَازَعْتُهُ قُلُصَ الرِّكَابِ وَرَكْبُهَا ... خَوْفَ الْهَلاَكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ
لَوْلاَ الأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ... مَا جُشِّمَتْ خَطَراً وَرُدَّ نَصِيحُ
وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ أَمُّهَا ... فَأَتَاحَ لِيْ وَلَهَا الْحِمَامَ مُتِيحُ!
شِمْنَا ـ وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ ـ بُرُوقَهُ ... وَحَـرًى يَجُودُ وَمَا مَرَتْهُ الرِّيحُ
مَـرْجُـوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أَذِيَّـةٍ ... مَغْبُوقُ كَأْسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحُ
حَنِقٌ عَلَى بِدَرِ اللُّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ ... بِإِسَاءَةٍ وَعَـنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ
لَوْ فُـرِّقَ الْكَرَمُ الْمُفَرِّقُ مَالَهُ ... فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ
أَلْغَتْ(١) مَسَامِعُهُ الْمَلاَمَ وَغَادَرَتْ ... سِمَةً عَلَى أَنْـفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ
هَذَا الَّذِي خَلَتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُهُ فِي كُتْبِهَا مَشْرُوحُ
أَلْـبَـابُـنَـا بِـجَـمَـالِـهِ مَـبْـهُـورَةٌ ... وَسَحَابُنَا بِـنَـوَالِـهِ مَفْضُوحُ
يَغْشَى الطِّعَانَ فَلاَ يَـرُدُّ قَنَاتَهُ ... مَكْسُورَةً وَمِنَ الْكُمَاةِ صَحِيحُ

(١) [أَلِفَتْ]

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدٌ ... وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحُ
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ ... رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ
فَمَقِيلُ حُبِّ مُحِبِّهِ فَرِحٌ بِهِ ... وَمَقِيلُ غَيْظِ عَدُوِّهِ مَقْرُوحُ
يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ
يَا بْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابْنِهِ ... شَرَفاً وَلاَ كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحُ
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى ... هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحُ
لَوْ كُنْتَ بَحْراً لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ ... أَوْ كُنْتَ غَيْثاً ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ
وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلاَدِ وَأَهْلِهَا ... مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ
عَجْزٌ بِحُرٍّ فَاقَةٌ وَوَرَاءَهُ ... رِزْقُ الإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ
إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بِعِطْفَيَ عَائِذٌ ... مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَمْدُوحُ
وَذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كَلاَمُهَا ... تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ
جُهْدُ الْمُقِلِّ فَكَيْفَ بِابْنِ كَرِيمَةٍ ... تُولِيهِ خَيْراً وَاللِّسَانُ فَصِيحُ؟

وقال لرجل بَلَّغَهُ عن قوم كلاماً، من الأول من الخفيف والقافية متواترٌ: [من الخفيف]

أَنَا عَيْنُ الْمُسَوَّدِ الْجَحْجَاحِ ... هَيَّجَتْنِي[1] كِلاَبُكُمْ بِالنُّبَاحِ
أَيَكُونُ الْهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ ... أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ؟
جَهِلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلاً ... نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُؤُوسُ الرِّمَاحِ

وقال وقد حضرَ مَجْلِسَ بَدْرِ بن عَمّار، وقد أُحْضِرَتْ لُعْبَةٌ فَنُقِرَتْ فوقَفَتْ حِذَاءَ أبي الطَّيِّب،

(١) [هَجَّنَتْنِي]

من ثاني المنسرح والقافيةُ مُتواترٌ : [من المنسرح]

جَـارِيَـةٌ مَـا لِجِسْمِهَا رُوحُ ... بِالْقَلْبِ مِـنْ حُبِّهَا تَبَارِيحُ
فِـي كَفِّهَا طَـاقَـةٌ تُشِيرُ بِهَا ... لِكُلِّ طِيبٍ مِـنْ طِيبِهَا رِيحُ
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا ... وَدَمْـعُ عَيْنِي فِي الْخَدِّ مَسْفُوحُ

[و] قال وكان عند أبي محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بن طُغْج للشُّرْبِ ،
وأَرَادَ الانصراف ، من أول الوافر والقافيةُ متواترٌ : [مِنَ الوافر]

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِـدًّا ... وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السِّلَاحِ
لِأَنِّـي كُلَّمَا فَـارَقْـتُ طَرْفِي ... بَعِيدٌ بَيْـنَ جَفْنِي وَالصَّبَاحِ

وقال في مَجْلِسِ أبي مُحمَّد ، وجَرَى ذِكْرُ وَقْعةٍ فاسْتَهْوَلها
بعضُ الحاضِرِينَ ، والوَزْنُ وَزْنُ ما قَبْلَها : [من الوافر]

أَبَـاعِـثَ كُـلِّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحِ ... وَفَـارِسَ كُـلِّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحِ
وَطَـاعِـنَ كُـلِّ نَـجْـلَاءٍ غَمُوسٍ ... وَعَـاصِيَ كُـلِّ عَـذَّالٍ نَصِيحِ
سَقَانِيْ اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوماً ... دَمَ الأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ

وقالَ ، وقد نَظَرَ إلى بازيُطايِرُ حَجَلةً حتى أَخذَها ،
[من الوزن والقافية كالّتي قَبْلَها] : [من الوافر]

وَطَـائِـرَةٍ تَتَبَّعُهَا الْمَنَايَا ... عَلَى آثَـارِهَـا زَجِـلُ الْجَنَاحِ
كَـأَنَّ الـرِّيـشَ مِـنْـهُ فِي سِهَامٍ ... عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمَ مِـنْ رِيَاحِ
كَـأَنَّ رُؤُوسَ أَقْـلَامٍ غِـلَاظٍ[١] ... مُسِحْنَ بِرِيشِ جُؤْجُئِهِ الصِّحَاحِ
فَأَقْعَصَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرٍ ... لَهَا فِعْلُ الأَسِـنَّـةِ وَالصِّفَاحِ
فَقُلْتُ: لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَـوْتٍ[٢] ... وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ

(١) [غِلاظاً]
(٢) [سُوءٍ]

وقال عندما ادُّعِيَتْ قَصيدَتُه الحائيّةُ التي قَدَّمْنا ذِكْرَها ،
من ثاني الكاملِ والقافيةُ متواتِرٌ : [من الكامل]

لِمَ لا يُغَاثُ الشِّعْرُ وَهْوَ يَصيحُ ... وَيُرَى مَنَارُ الحَقِّ وَهْوَ يَلُوحُ؟
يا عُصْبَةً مَخْلُوقَةً من ظُلْمَةٍ ... ضُمُّوا جَوانِبَكُمْ فإنِّيَ يُوحُ!
وإذا فَشَا طُغْيَانُ عـادٍ فيكُمُ ... فتَأَمَّلُوا وَجْهِي فإِنِّيْ الرِّيحُ!
يا ناحِتِيْ الأَشْعَارِ من آباطِهِمْ ... فالشِّعْرُ يُنْشَدُ والصُّنَانُ يَفُوحُ!
أَنا مَنْ عَلِمْتُمْ، بَصْبِصُوا أوْ فانْبَحُوا ... فالكَلْبُ في إِثْـرِ الهِزَبْرِ نَبُوحُ
لَكُمُ الأَمَـانُ من الهِجَاءِ فإنَّهُ ... فِيْمَنْ به يُهْجَى الهِجاءُ مَديحُ
ويَـدٌ لكُمْ تِـرْكَـانُ ثَـوْبيَ، إنَّهُ ... من بَعْدِ سَرْقِ قَصائِدِيْ مَرْبُوحُ

وقال جواباً عن أَبْياتٍ أُنْفِذَتْ إليه ، يُعاتَبُ على ذِكْرِ النُّبوّة ،
من أول الكامل [والقافيةُ مُتَدارِكٌ] : [من الكامل]

نارُ الذَّرابَةِ من لِسَانِيَ تَنْقَدِحْ ... يَغْدُو عليَّ من النُّهَى ما لَمْ يَرُحْ
بَحْرٌ لو اغْتُرِفَتْ لَطائِمُ مَوْجِهِ ... بالأرضِ والسَّبْعِ الطِّباقِ لَمَا نُزِحْ
أَمْرِيْ إليَّ، فإنْ سَمَحْتُ بمُهْجَةٍ ... كَرُمَتْ عليَّ فإنَّ مِثْليَ مَنْ سَمَحْ

قافية الدال

وقال يَمْدَحُ سيفَ الدولة ، ويرثي أبا وائلٍ تَغْلِبَ
ابْنَ داوُدَ في جُمادَى الأُولَى سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة ،
من ثاني المنسرح والقافيةُ متواتِرٌ : [من المنسرح]

ما سَـدِكَـتْ عِلَّةٌ بِـمَـوْرُودِ[1] ... أَكْـرَمَ مِـنْ تَغْلبَ بْـنِ دَاوُدِ

(١) [بمَوْلُودِ]

يأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ المَوَاعِيدِ
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ المَمَاتَ عَلَى ... غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُوْدِ
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ ... وَضَرْبِهِ أَرْؤُسَ الصَّنَادِيدِ
وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ ... لِلذِّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رِعْدِيدِ
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّنَا صُبُرٌ ... وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ
وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلاَ عَجَبٌ ... ذَا الْجَزْرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ
أَيْنَ الْهِبَاتُ الَّتِي يُفَرِّقُهَا ... عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالمَوَاحِيدِ؟
سَالِمُ أَهْلِ الْوِدَادِ بَعْدَهُمُ ... يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ(١) لاَ لِتَخْلِيدِ
فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ ... أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ
إِنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي ... أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي
وَفِيَّ مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا ... آنَسَنِي بِالمَصَائِبِ السُّودِ
مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَغَاثَكَ يَا ... سَيْفَ بَنِيْ هَاشِمٍ بِمَغْمُودِ
يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْـ ... ـأَمْلاَكِ طُرًّا يَا أَصْيَدَ الصِّيْدِ
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ ... وَقْعُ قَنَا الْخَطِّ فِي اللَّغَادِيدِ
وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ ... رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ
فَصَبَّحَتْهُمْ رِعَالُهَا شُزَّباً ... بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ
تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ ... فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالأَخَادِيدِ
مَوْقِعُهُ فِي فَرَاشِ هَامِهِمُ ... وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السِّيْدِ
أَفْنَى الْحَيَاةَ الَّتِي وَهَبْتَ لَهُ ... فِي شَرَفٍ شَاكِراً وَتَسْوِيدِ

(١) [للبُعْد]

سَقيمَ جِسْمٍ صَحيحَ مَكْرُمَةٍ   مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ
ثُمَّ غَدَا قَيْدُهُ(١) الْحِمَامُ وَمَا   تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ
لاَ يَنْقُصُ الْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ   مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيِّقُ الْبِيدِ
تَهُبُّ فِي ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ   هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ
أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ   سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلاَمِيدِ
مَهْمَا يُعَزِّ الْفَتَى الأَمِيرَ(٢) بِهِ   فَلاَ بِإِقْدَامِهِ وَلاَ الْجُودِ
وَمِنْ مُنَانَا بَقَاؤُهُ أَبَداً   حَتَّى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ

وقال يَمْدَحُه، ويذكُرُ هذهِ الغَزاةَ وأنَّهُ لم يُتَمِّمْ قَصْدَ خَرْشَنَةَ بسَبَبِ الثَّلْجِ وهُجومِ الشتاءِ عليه، من ثاني الطويل والقافيةُ مُتداركٌ: [من الطويل]

عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ   وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّي لَمَاجِدُ
يَرُدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ   وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى   مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ
إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ   فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ؟
أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ   وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ   جَوَادِي، وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ؟
وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ   سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهِ الْوَلاَئِدُ؟
أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا   تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ
وَحِيدٌ مِنَ الْخُلاَّنِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ   إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

(١) [قِدُّهُ]
(٢) [يُعَزَّ الفتى الأَمِيرُ]

وَتُسْعِدُنِي في غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ ... سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
تَثَنَّى عَلَى قَـدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا ... مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ
مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِيْ عَلَى الْقَنَا ... مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُهَا وَالْـقَـلائِـدُ
وأُوْرِدُ نَفْسِيْ وَالمُهَنَّدُ في يَدِي ... مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لاَ يُجَالِدُ
وَلكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ ... عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ
خَلِيلَيَّ إِنِّيْ لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ ... فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّيْ الْقَصَائِدُ؟
فَلاَ تَعْجَبَا: إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ... وَلكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ
لهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ في الْحَرْبِ مُنْتَضٍ ... وَمِنْ عَادَةِ الإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ ... تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ
أَحَقُّهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى ... وَبالأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ
وَأَشْقَى بِلاَدِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا ... بِهذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ
شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَا ... وَجَفْنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ
مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ(١) صَرْعَى كَأَنَّهَا ... ـوَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ ـ مَسَاجِدُ
تُنَكِّسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ ... وَتَطْعُنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ المَكَايِدُ
وَتَضْرِبُهُمْ هَبْراً وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى ... كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الأَسَاوِدُ
وَتُضْحِي الْحُصُونُ الْمُشْمَخِرَّاتُ في الذُّرَا ... وَخَيْلُكَ في أَعْنَاقِهِنَّ قَلاَئِدُ
عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ ... بِهِنْزِيطَ حَتَّى ابيَضَّ بِالسَّبْيِ آمِدُ
وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فانْهَوَى ... وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلاَهُمَا وَالْجَلاَمِدُ
وَغَلَّسَ في الْـوَادِي بِهِنَّ مُشَيَّعٌ ... مُبَارَكُ ما تَحْتَ اللِّثَامَيْنِ عَابِدُ
فَتًى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلاَدِ وَوَقْتِهِ ... تَضِيقُ بِهِ أَوْقَـاتُـهُ وَالمَقَاصِدُ

(١) [والخَيْلُ]

أَخُو غَـزَوَاتٍ ما تُغِبُّ سُيُوفُهُ ... رِقابَهُمُ إلاَّ وَسَيْحَانُ جَامِدُ
فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا ... لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِيُّ النَّوَاهِدُ
تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ في الدُّجَى ... وَهُـنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ
بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ ما بَيْنَ أَهْلِهَا ... مَصَائِبُ قَـوْمٍ عِنْدَ قَـوْمٍ فَوَائِدُ
وَمِنْ شَرَفِ الإِقْـدَامِ أَنَّكَ فِيهِمُ ... عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ
وَأَنَّ دَمـاً أَجْـرَيْتَـهُ بِـكَ فَاخِرٌ ... وَأَنَّ فُـؤَاداً رُعْتَـهُ لَـكَ حَامِدُ
وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... وَلكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِـأَنَّـكَ خَالِدُ
فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْـتَ لِـوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ
وأنتَ أَبُو الهَيْجَا ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ ... تَشَابَهَ مَـوْلُـودٌ كَـرِيـمٌ وَوَالِـدُ
وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ ... وَحَـارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ
أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلاَفَةِ كُلُّهَا ... وَسَائِرُ أَمْلاَكِ الْبِلاَدِ الزَّوَائِدُ(١)
أُحِبُّكَ يا شَمْسَ الزَّمانِ وَبَدْرَهُ ... وَإِنْ لاَمَنِي فِيكَ السُّهَا وَالْفَرَاقِدُ
وَذَاكَ لأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيْسَ لأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ
فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ ... وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

وقال يَمْدَحُه ويُهَنِّئُه بالعيد، من ثاني الطويل [والقافيةُ متدارِك]: [من الطويل]

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْـرِهِ مَا تَعَوَّدَا ... وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ في الْعِدَا
وَأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ ... وَيُمْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا
وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَـرَّهُ ضَـرَّ نَفْسَهُ ... وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى

(١) [زَوائِدُ]

وَمُسْتَكبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً   رَأى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا
هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً   عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا
فَإِنِّيْ رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى   وَهذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدَا
تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ   تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا
وَتُحْيِيْ لَهُ المَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا   وَيَقْتُلُ مَا يُحْيِيْ التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا
ذَكِـــيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ   يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ   فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لأَوْرَدَا
لِذلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ   مَمَاتاً وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَوْلِدَا
سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ   ثَلاَثاً، لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا
فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ   جَمِيعاً، وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ   وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا
وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ غَيْرَهُ   وَلكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً   وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلاَصَ الْمُسَرَّدَا
وَيَمْشِي(١) بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً   وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرُّ وَجْهَهُ   جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا
فَلَوْ كَانَ يُنْجِيْ مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ   تَرَهَّبَتِ الأَمْلاَكُ مَثْنَى وَمَوْحَدَا
وَكُلُّ امْرِئٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا   يُعِدُّ لَهُ ثَوْباً مِنَ الشَّعْرِ أَسْـوَدَا
هَنِيئاً لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ   وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا
وَلاَ زَالَتِ الأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ   تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطَى مُجَدَّدَا

(١) [وتَمْشِي]

فَذَا الْيَوْمُ في الأَيَّامِ مِثْلُكَ في الْوَرَى ... كما كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدَا
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا ... وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا
فَيَا عَجَبًا مِنْ دَائِلٍ (١) أَنْتَ سَيْفُهُ ... أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَيْ مَا تَقَلَّدَا؟
وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ بَازًا لِصَيْدِهِ (٢) ... تَصَيَّدَهُ (٣) الضِّرْغَامُ فِيما تَصَيَّدَا
رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ في مَحْضِ قُدْرَةٍ ... وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدَا
وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا؟
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلاَ ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى
وَلكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْياً وَحِكْمَةً ... كَمَا فُقْتَهُمْ حَالاً وَنَفْساً وَمَحْتِدَا
يَدِقُّ عَلَى الأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ... فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا
أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ ... فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمِ (٤) ... ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ (٥) يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدَا
وَمَا أَنَا إِلاَّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ ... فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا
وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِي (٦) ... إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا
فَسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسِيرُ مُشَمِّرًا ... وَغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدَا
أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْراً (٧) فَإِنَّمَا ... بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا
وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ (٨) صَوْتِي فَإِنَّنِي ... أَنَا الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصَّدَى
تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا
وَقَيَّدْتُ نَفْسِي في ذَرَاكَ مَحَبَّةً ... وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

(١) [ذَائِلِ] (٣) [يُصَيِّرُهُ] (٥) [بِنَصْلٍ] (٧) [مَدْحاً]
(٢) [لِلصَّيْدِ بَازَهُ] (٤) [في يَدِي] (٦) [قَصَائِدِي] (٨) [بَعْدَ]

إِذَا سَأَلَ الإنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى ... وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا

وقال بَعْدَ الميميّةِ بِمصْرَ ، وقيلَ إنَّهُ أرادَهُ به ،
من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ : [من البسيط]

فَارَقْتُكُمْ فَـإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ ... قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذًى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ... أَعَانَ قَلْبِيْ عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ

وقال في صِباهُ يَمْدَحُ أبا الحُسَيْنِ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ العَلَوِيَّ ،
من أوّلِ المنسرحِ والقافيةُ متراكِبٌ : [من المنسرح]

أَهْـلاً بِـدَارٍ سَبَـاكَ أَغْيَـدُهَـا ... أَبْـعَـدُ مَـا بَـانَ عَنْكَ خُـرَّدُهَـا
ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ ... نَضِيجَةٍ فَـوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا
يَا حَادِيَيْ عِيْرِهَا[١] وَأَحْسَبُنِي ... أُوْجَـدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْـقِـدُهَـا
قِـفَـا قَلِـيـلاً بِـهَـا عَـلَـيَّ فَلا ... أَقَـلَّ[٢] مِـنْ نَـظْـرَةٍ أُزَوَّدُهَـا
فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ هَوًى[٣] ... أَحَـرُّ نَـارِ الْجَحِيمِ أَبْـرَدُهَـا
شَـابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ ... فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا
بَـانُـوا بِـخُرْعُـوبَـةٍ لَهَا كَفَلٌ ... يَـكَـادُ عِـنْـدَ الْـقِـيَـامِ يُقْعِدُهَا
رِبَـحْـلَـةٍ أَسْـمَـرٍ مُقَبَّلُهَا ... سِـبَـحْـلَـةٍ أَبْـيَـضٍ مُـجَـرَّدُهَـا
يَـا عَـاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً ... أَضَلَّهَا اللَّهُ، كَيْفَ تُرْشِدُهَا؟
لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلامُ فِي هِمَمٍ ... أَقْـرَبُـهَـا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا
بِئْسَ اللَّيَالِيْ، سَهِرْتُ مِنْ طَرَبِي ... شَوْقاً إِلَـى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا
أَحْيَيْتُهَا وَالـدُّمُـوعُ تُنْجِدُنِي ... شُـؤُونُـهَـا وَالـظَّـلامُ يُنْجِدُهَا

(١) [عِيْسِهَا] (٣) [جَوًى]
(٢) [أَقَلَّ]

لا نَاقَتِيْ تَقْبَلُ الـرَّدِيفَ وَلاَ ... بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا
شِـرَاكُـهَـا كُـوْرُهَـا وَمِشْفَرُهَا ... زِمَامُهَا وَالـشُّـسُـوعُ مِقْوَدُهَا
أَشَـدُّ عَصْفِ الـرِّيَـاحِ يَسْبِقُهُ ... تَحْتِيَ مِـنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ ... بِمِثْلِ بَطْنِ المِجَنِّ قَـرْدَدُهَـا
مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلَـى ابْـنِ عُبَيْـ ... ـدِ اللَّهِ غِيطَانُهَا وَفَـدْفَـدُهَـا
إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ ... أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُـوْرِدُهَـا
لَـهُ أَيَـــادٍ إِلَــيَّ سَـابِـقَـةٌ ... أُعَـدُّ[1] مِنْهَا وَلاَ أُعَـدِّدُهَـا
يُعْطِي فَلاَ مَطْلَهُ[2] يُكَدِّرُهَا ... بِهَـا وَلاَ مِـنَّـةٌ[3] يُنَكِّـدُهَـا
خَـيْـرُ قُـرَيْـش أَبـاً وَأَمْـجَـدُهَـا ... أَكْـثَـرُهَـا نَـائِـلاً وَأَجْـوَدُهَـا
أَطْـعَـنُـهَـا بِـالْـقَـنَـاةِ أَضْـرَبُـهَـا ... بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا
أَفْـرَسُـهَـا فَـارِسـاً وَأَطْـوَلُـهَـا ... بَـاعـاً وَمِـغْـوَارُهَـا وَسَـيِّـدُهَـا
تَـاجُ لُـؤَيِّ بْـنِ غَـالِـبٍ وَبِـهِ ... سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا
شَمْسُ ضُحَاهَا هِـلاَلُ لَيْلَتِهَا ... دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَـرْجَـدُهَـا
يَا لَيْتَ بِـيْ ضَـرْبَـةً أُتِيحَ لَهَا ... - كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ - مُحَمَّدُهَا
أَثَّـرَ فِيهَا وَفِـي الْـحَـدِيـدِ وَمَـا ... أَثَّـرَ فِـي وَجْـهِـهِ مُـهَـنَّـدُهَـا
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا ... بِمِثْلِهِ وَالْـجِـرَاحُ تَحْسُدُهَا
وَأَيْـقَـنَ الـنَّـاسُ أَنَّ زَارِعَـهَـا ... بِالمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصُدُهَا
أَصْـبَـحَ حُـسَّـادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ ... يُـحْـدِرُهَـا خَـوْفُـهُ وَيُصْعِدُهَا
تَبْكِي عَلَى الأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا ... أَنْـــذَرَهَـــا أَنَّـــهُ يُـجَـرِّدُهَـا

(١) [أَعُدُّ]
(٢) [مَطْلُهُ]
(٣) [مَنُّهُ]

لِعلمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمَاً ... وأَنَّهُ في الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا
أَطلقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ ... يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا
تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا ... وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا
إِذَا أَضَلَّ الْهُمَامُ مُهْجَتَهُ ... يَوْماً فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا
قَدْ أَجْمَعَتْ هذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي ... أَنَّكَ يَا بْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
وَأَنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً ... شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا
فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ ... رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا ... أَقْرَبُ مِنِّيْ إِلَيَّ مَوْعِدُهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْـ ... ـبِرِّ إِلَى مَنْزِلِيْ تُرَدِّدُهَا
أَقَرَّ جِلْدِيْ بِهَا عَلَيَّ فَلاَ(١) ... أَقْدِرُ حَتَّى المَمَاتِ أَجْحَدُهَا
فَعُدْ بِهَا لاَ عَدِمْتُهَا أَبَداً ... خَيْرُ صِلاَتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا

وقال في صِباهُ، من أول الخفيف والقافيةُ متواتِرٌ: [من الخفيف]

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ ... بِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ
وَعُيُونِ المَهَا وَلاَ كَعُيُونٍ ... فَتَكَتْ بِالْمُتَيَّمِ المَعْمُودِ
دَرَّ دَرُّ الصِّبَا، أَأَيَّامَ تَجْرِيـ ... ـرِ ذُيُولِيْ بِدَارِ أَثْلَةَ عُودِي
عَمْرَكَ اللَّهَ هَلْ رَأَيْتَ بُدُوراً ... طَلَعَتْ في بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ
رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا الْهُدْ ... بُ تَشُقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ
يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ(٢)
كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الْخَمْـ ... ـرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُلْمُودِ

(١) [فَمَا]
(٢) [حَلاوةُ التوحيدِ]

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْـ ـبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ
حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيْـ ـيٍ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلاَ تَجْعِيدِ
تَحْمِلُ المِسْكَ عَنْ غَدائِرِهَا الرِّيـ ـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ[1] بَرُودِ
جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْـ ـمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ
هَـذِهِ مُهْجَتِيْ لَـدَيْـكِ لِحَيْنِي فَانْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي
أَهْلُ مَا بِيْ مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيْـ ـدَ بِتَصْفِيفِ طُـرَّةٍ وَبِجِيدِ
كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلاَ دَمَ الْعُنْقُودِ
فَاسْقِنِيهَا، فِدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِيْ وَتَلِيدِي
شَيْبُ رَأْسِيْ وَذِلَّتِيْ وَنُحُولِي وَدُمُوعِيْ عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي
أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِيْ بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِيْ ثَلاَثَةً بِصُدُودِ؟
مَا مُقَامِيْ بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلا كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
مَفْرَشِيْ صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلَكِنْـ ـنَ قَمِيصِيْ مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
لأْمَةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلاَصٌ أَحْكَمَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدِ
أَيْنَ فَضْلِيْ إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـ ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ
ضَاقَ صَدْرِيْ وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ قِ قِيَامِيْ وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
أَبَداً أَقْطَعُ الْبِلاَدَ وَنَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِيْ فِي سُعُودِ
وَلَعَلِّيْ مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْـ ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ
لِسَرِيٍّ لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقُطْـ ـنِ وَمَرْوِيُّ مَرْوَ لِبْسُ الْقُرُودِ
عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ

(١) [شَتِيتٍ]

فَـرُؤُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَـبُ لِلْغَيْـ ـظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ
لاَ كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُـتَّ مُـتَّ غَـيْـرَ فَقِيدِ
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظَى وَذَرِ الذُّلْـ ـلَ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْـ ـجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ الْمَوْلُودِ
وَيُوَقَّى الْفَتَى الْمِخَشُّ وَقَدْ خَوْ وَضَ فِـي مَـاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ
لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا دَ وَعَوْذُ الْجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ
إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَـوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ
أَنَا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحَسُودِ
أَنَـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدَارَكَـهَـا اللَّـ ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

وقال ـ وقد أَنْفَذَ إليه عُبَيْدُ اللهِ [بنُ خَلِكَانَ] من خُراسان جامَةً فيها حُلْوٌ ، فردَّها وكَتَبَ في جانبها ـ من الضَّرْبِ الثاني من العَرُوضِ الثانية من الكامل ، والقافيةُ مُتواتِرٌ : [من الكامل]

أَقْصِـرْ فَلَسْتَ بِـزَائِـدِي وُدَّا بَلَغَ الْمَدَى وَتَـجَاوَزَ الْحَدَّا
أَرْسَـلْـتَـهَـا مَـمْـلُـوءَةً كَـرَمـاً فَـرَدَدْتُـهَـا مَـمْـلُـوءَةً حَـمْـدَا
جَـاءَتْـكَ تَطْفَحُ وَهْـيَ فَارِغَةٌ مَـثْـنَـى بِـهِ وَتَظُـنُّـهَـا فَـرْدَا
تَأْبَى خَلاَئِقُكَ الَّتِي شَرُفَتْ أَلَّا تَـحِـنَّ وَتَـذْكُـرَ الْـعَـهْـدَا
لَـوْ كُنْتَ عَصْراً مُنْبِتاً زَهَـراً كُنْتَ الرَّبِيعَ وَكَـانَـتِ الْـوَرْدَا

وقال يَمْدَحُ شُجَاعَ بْنَ محمدٍ الطائيَّ ، من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ : [من الكامل]

الْيَوْمَ عَهْدُكُم فَأَيْنَ المَوْعِدُ … هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْم عَهْدِكُم غَدُ
الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلباً مِنْ بَيْنِكُمْ … وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لاَ تَبْعَدُوا
إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِيْ بِجُفُونِهَا … لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِيْ الَّذِي تَتَقَلَّدُ
قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِيَ: مَنْ بِهِ؟ … وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتُهَا: المُتَنَهِّدُ
فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الحَيَاءُ بَيَاضَهَا … لَوْنِيْ كَمَا صَبَغَ اللُّجَيْنَ العَسْجَدُ
فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى … مُتَأَوِّداً غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ
عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا … سَلْبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ … وَذَوَابِلٌ وَتَوَعُّدٌ وَتَهَدُّدُ
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِيْ بَعْدَنَا … وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهْوَ مُقَيَّدُ
بَرَّحْتَ يَا مَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ … مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيْدَ العُوَّدُ
فَلَهُ بَنُو عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ الرِّضَا … وَلِكُلِّ رَكْبٍ عِيْسُهُمْ وَالفَدْفَدُ
مَنْ فِي الأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ، وَلاَ تَقُلْ: … مَنْ فِيكَ شَأْمُ، سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ؟
أَعْطَى فَقُلْتُ: لِجُودِهِ مَا يُقْتَنَى … وَسَطَا فَقُلْتُ: لِسَيْفِهِ مَا يُولَدُ
وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لأَنَّهَا … أَلِفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ
فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ … يَذْمُمْنَ مِنْهُ مَا الأَسِنَّةُ تَحْمَدُ
نِقَمٌ عَلَى نِقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا … نِعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لاَ تُجْحَدُ
فِي شَانِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ … وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ
أَسَدٌ دَمُ الأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ … مَوْتٌ فَرِيصُ المَوْتِ مِنْهُ تُرْعَدُ
مَا مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إِلا مُقْلَةٌ … سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالإِثْمِدُ

فَاللَّيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ ... وَالصُّبحُ مُنْذُ رَحلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ
مَا زِلْـتَ تَدْنُو وَهْـيَ تَعْلُو عِزَّةً ... حَتَّى تَـوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ
أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ، سِوَاهَا مِثْلُهَا ... لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ
أَبْدَى الْعُدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ ... فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ
قَطَّعْتَهُمْ حَسَداً أَرَاهُـمْ مَا بِهِمْ ... فَتَقَطَّعُوا حَسَداً لِمَنْ لاَ يَحْسُدُ
حَتَّى انْثَنَوْا وَلَوَ انَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ ... فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الجَلْمَدُ
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ ... لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هـذَا السَّيِّدُ
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كَأَنَّكَ كُلُّهَا ... وَبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ
لَهْفَانَ يَسْتَوْبِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى ... لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الْحِجَى وَالسُّؤْدُدُ
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا ... فَالأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الأَوْحَدُ
وَصُنِ الْحُسَامَ وَلاَ تُذِلْهُ فَإِنَّهُ ... يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ
يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ ... مِنْ غِمْدِهِ وكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ
رَيَّـانُ لَوْ قَـذَفَ الَّـذِي أَسْقَيْتَهُ ... لَجَرَى مِنَ المُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ
مَـا شَـارَكَتْـهُ مَنِيَّةٌ فِي مُهْجَةٍ ... إِلاَّ وَشَـفْـرَتُـهُ عَلَى يَـدِهَـا يَدُ
إِنَّ الـرَّزَايَـا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا ... حُلَفَاءُ طَيٍّ غَـوَّرُوا أَوْ أَنْجَدُوا
صِحْ يَا لَجُلْهُمَةٍ تُجِبْكَ وَإِنَّمَا ... أَشْـفَـارُ عَيْنِكَ ذَابِـلٌ وَمُهَنَّدُ
مِنْ كُلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ ... قَلْباً وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجْوَدُ
يَلْقَاكَ مُرْتَدِياً بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ... ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى والأَكْبُدُ
حَتَّى[1] يُشَارَ إِلَيْكَ: ذَا مَوْلاَهُمُ ... وَهُمُ الْمَوَالِيْ وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ

(١) [حَيٌّ]

أَنَّـى يَـكُـونُ أَبَـا الْـبَـرِيَّـةِ آدَمٌ ... وَأَبُوكَ ـ وَالثَّقَلاَنِ أَنْتَ ـ مُحَمَّدُ؟
يَفْنَى الْكَلاَمُ وَلاَ يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ ... أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لاَ يَنْفَدُ؟

وقال أيضاً في الصِّبَا ، وكانَ قومٌ قد وَشَوْا به إلى السُّلْطانِ وكَذَبُوا عليهِ وقالُوا : «قد انقادَ إليهِ جَماعةٌ من العرب ، وقَدْ عزمَ على أَخْذِ بَلَدِكَ» ، حتى أَوْحَشُوهُ منه فاعتقَلَهُ وضَيَّقَ عليه ، فَمَدَحَهُ وأَنْفَذَها إليه ولم يُنْشِدْهُ إيّاها ، من الأول من المتقارِبِ والقافيةُ متواترٌ : [من المتقارب]

أَيَـا خَـدَّدَ اللَّهُ وَرْدَ الْـخُـدُودِ ... وَقَـدَّ قُـدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ
فَـهُـنَّ أَسَـلْـنَ دَمـاً مُقْلَتِي ... وَعَذَّبْنَ قَلْبِيْ بِطُولِ الصُّدُودِ
وكَـمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ ... وكَـمْ للنَّوَى مِـنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ
فَـوَا حَسْرَتَا مَا أَمَـرَّ الْـفِرَاقَ ... وأَعْـلَـقَ نِـيـرَانَـهُ بِـالْـكُـبُـودِ
وأَغْـرَى الصَّبَابَةَ بالْعَاشِقِينَ ... وأَقْـتَـلَـهَـا لِلْمُحِبِّ العَمِيدِ
وَأَلْـهَـجَ نَفْسِيْ لِغَيْرِ الْخَنَا ... بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى والنُّهُودِ
فَـكَـانَـتْ وَكُـنَّ فِـدَاءَ الأَمِيرِ ... ولا زَالَ مِـنْ نِعْمَةٍ في مَزِيدِ
لَقَدْ حَالَ بالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ ... وحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ
فَأَنْجُمُ أمْـوَالِـهِ في النُّحُوسِ ... وأَنْـجُـمُ سُـؤَّالِـهِ في السُّعُودِ
وَلَـوْ لَـمْ أَخَـفْ غَيْرَ أَعْـدَائِـهِ ... عَـلَـيْـهِ لَـبَـشَّـرْتُـهُ بِـالْـخُـلُـودِ
رَمَى حَلَباً بِنَوَاصِيْ الْخُيُولِ[1] ... وَسُمْرٍ يُرِقْنَ دَماً في الصَّعِيدِ

(١) [الجِيَادِ]

وَبِـيـضٍ مُـسَـافِـرَةٍ مَـا يُقِمْـ ـنَ لا في الرِّقابِ وَلا في الْغُمودِ
يَـقُـدْنَ الْـفَـنَـاءَ غَـدَاةَ اللِّقَاءِ إلـى كُـلِّ جَيْشٍ كَثيرِ الْعَديدِ
فَـوَلَّـى بأشْيَاعِهِ الْخَرْشَنِيُّ كَـشَـاءٍ أَحَـسَّ بِـزَأْرِ الأُسُـودِ
يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ
فَمَنْ كالأَمِيرِ ابْـنِ بِنْتِ الأمِيـ ـرِ أوْ مَـنْ كَآبَائِهِ وَالْـجُـدُودِ
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُـمْ صِبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ في الْمُهُودِ
أَمَـالِـكَ رِقِّـي وَمَـنْ شَـأْنُـهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ
دَعَـوْتُـكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دَعَـوْتُـكَ لَمَّا بَـرَانِـيَ الْـبَـلاَءُ وَأَوْهَـنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ
وَقَـدْ كَـانَ مَشْيُهُمَا في النِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا في الْقُيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ في مَحْفِلٍ فَهَا أَنَـا في مَحْفِلٍ مِنْ قُـرُودِ
تُعَجِّلُ فِـيَّ وُجُـوبَ الْـحُـدُودِ وَحَدِّي قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ؟
وَقِيلَ: عَـدَوْتُ عَلَى الْعَالَمِيـ ـنَ بَيْنَ وِلاَدِي وَبَيْنَ القُعُودِ
فَمَا لَـكَ تَقْبَلُ زُورَ الْـكَـلاَمِ وَقَـدْرُ الشَّهَادَةِ قَـدْرُ الشُّهُودِ؟
فَلاَ تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ[1] وَلاَ تَـعْـبَـأَنَّ بِمَحْكِ اليَهُودِ
وَكُنْ فارِقاً بَيْنَ دَعْـوَى أَرَدْتُ وَدَعْـوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ
وَفِي جُودِ كَفَّيْكَ ما جُدْتَ لي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ

ونامَ أبو بَكْرٍ الطائيُّ الدِّمَشْقيُّ الشاعرُ وهو يُنْشِدُ، فأَنْبَهَهُ وقالَ له ارتجالاً، من أولِ الكامل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الكامل]

(١) [الكاذبينَ]

إنَّ القَوافِي لَـمْ تُنمْكَ وإنَّمَا مَحَقَتْكَ حَتَّى صِرْتَ ما لا يُوجَدُ
فَكأنَّ أُذْنَكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وكأنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ المُرْقِدُ

وقال يمْدَحُ محمدَ بْنَ زُرَيْق الطَّرَسُوسِيَّ،
من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ: [من البسيط]

مُحَمَّدُ بْنَ زُرَيْـقٍ ما نَرَى أَحَدًا ـ إذَا فقَدْنَاكَ ـ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وقد قَصَدْتُكَ والتَّرْحَالُ مُقْتَرِبٌ وَالـدَّارُ شَاسِعَةٌ والـزَّادُ قَدْ نَفِدَا
فَخَلِّ كَفَّكَ تَهْمِي وَاثْنِ وابِلَهَا إذا اكْتَفَيْتُ وإلاَّ أَغْـرِقِ الْبَلَدَا

وقال يمْدَحُ أبا عُبادةَ بْنَ يحيى البُحْتُرِيَّ
[مِن وزْنِ سابِقِها وقافِيتِها]: [من البسيط]

ما الشَّوْقُ مُقْتَنِعاً مِنِّيْ بذا الكَمَدِ حَتَّى أكُـونَ بلاَ قَلْبٍ وَلاَ كَبِدِ
ولا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَ الْحَبِيبُ بهَا تَشْكُو إلَيَّ وَلاَ أَشْكُو إلَى أَحَدِ
ما زالَ كُلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُهَا وَالسُّقْمُ يُنْحِلُني حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي
وكُلَّمَافاضَ دَمْعِيْ غاضَ مُصْطَبَرِي كأنَّ مَا سَالَ مِنْ جَفْنَيَّ مِنْ جَلَدِي
فأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِيْ مَنْ كَلِفْتُ بِهِ وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيَى صَوْلَةُ الأَسَدِ
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِيْ كَثْرَةُ الْعَدَدِ
مَا دَارَ فِي خَلَدِ الأَيَّامِ لِيْ فَرَحٌ أَبَا عُبَادَةَ حتى دُرْتَ في خَلَدِي
مَلْكٌ إذَا امْتَلأَتْ مالاً خَزَائِنُهُ أَذاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الأُمِّ لِلْوَلَدِ
مَاضِيْ الْجَنَانِ يُرِيهِ الْحَزْمُ قَبلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَـرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ
مَا ذَا الْبَهَاءُ وَلاَ ذَا النُّورُ مِنْ بَشَرٍ ولا السَّمَاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَاحُ يَدِ
أَيُّ الأَكُفِّ تُبَارِيْ الغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حتى إذا افترَقَا عادَتْ وَلَمْ يَعُدِ

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ المَجْدَ مِنْ مُضَرٍ ... حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ الْيَوْمَ مِنْ أُدَدِ
قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمُ ... حَسِبْتَهَا سُحُباً جادَتْ عَلَى بَلَدِ
لَمْ أُجْرِ غايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ ... إِلاَّ وَجَدْتُ مَدَاهَا غايَةَ الأَبَدِ

وقال يَمْدحُ عَلِيَّ بْنَ إبْراهِيمَ التَّنُوخِيَّ، من أولِ الوافرِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ ... لُيَيْلَتُنَا المَنُوطَةُ بالتَّنَادِي؟
كَأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ فِي دُجَاهَا ... خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ فِي حِدَادِ
أُفَكِّرُ فِي مُعَاقَرَةِ المَنَايَا ... وَقَوْدِ الْخَيْلِ مُشْرِفَةَ الهَوَادِي
زَعِيمٌ لِلْقَنَا الْخَطِّيِّ عَزْمِي ... بِسَفْكِ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالبَوَادِي
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي ... وَكَمْ هَذَا التَّمَادِيْ فِي التَّمَادِي
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المَعَالِي ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ؟
وَمَا مَاضِيْ الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ... وَلاَ يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ
مَتَى لَحَظَتْ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي ... فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ
مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي ... فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِيَ فِي ازْدِيَادِي
أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلاَ أُكَافِي ... عَلَى مَا لِلأَمِيرِ مِنَ الأَيَادِي؟
جَزَى اللَّهُ المَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْراً ... وَإِنْ تَرَكَ المَطَايَا كالمَزَادِ
فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِي ... وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ
أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ ... فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ
وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي ... وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ

فلمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحلِّي ... وَأَجْلَسَنِي على السَّبْعِ الشِّدَادِ
تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِيْ عَلَيْهِ ... وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوِسَادِ
نَلُومُكَ يا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ ... لأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى العِبَادِ
وَأَنَّكَ لاَ تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ ... هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ
كَأَنَّ سَخَاءَكَ الإِسْلاَمُ، تَخْشَى ... إذا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ
كَأَنَّ الْهَامَ في الهَيْجَا عُيُونٌ ... وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ
وَقَدْ صُغْتَ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ ... فَمَا يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤَادِ
وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطِّرَادِ
وَحَامَ بِهَا الهَلاَكُ على أُنَاسٍ ... لَهُمْ بِاللاَّذِقِيَّةِ بَغْيُ عَادِ
فَكَانَ الغَرْبُ بَحْراً مِنْ مِيَاهٍ ... وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْراً مِنْ جِيَادِ
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ ... فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الْحِدَادِ
لَقُوكَ بِأَكْبُدِ الإِبِلِ الأَبَايَا ... فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حَادِ
وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَيِّ عَنْهُمْ ... وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ
فَمَا تَرَكُوا الإِمَارَةَ لاخْتِيَارٍ ... وَلاَ انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ[1] وِدَادِ
وَلاَ اسْتَفَلُوا لِزُهْدٍ في التَّعَالِي ... وَلا انْقَادُوا سُرُوراً بِانْقِيَادِ
وَلكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ في حَشَاهُمْ ... هُبُوبَ الرِّيحِ في رِجْلِ الْجَرَادِ
وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمُ فَلَمَّا ... مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ المَعَادِ
غَمَدْتَ صَوَارِماً لَوْ لَمْ يَتُوبُوا ... مَحَوْتَهُمُ بِهَا مَحْوَ المِدَادِ
وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى ... بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ التِّلاَدِ

(١) [عَنْ]

فَلاَ تَغْرُرْكَ أَلْسِنَةٌ مَوَالٍ　　تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِ

وَكُنْ كَالمَوْتِ لاَ يَرْثِي لِبَاكٍ　　بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِ

فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ　　إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ

وَإِنَّ المَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ　　وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ

وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعاً جَبَانٌ　　فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ

يَرَى فِي النَّوْمِ رُمْحَكَ فِي كُلاَهُ　　وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السُّهَادِ

أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ　　نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ

وَظَنُّونِي مَدَحْتُهُمُ قَدِيماً　　وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمُ مُرَادِي

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ　　وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِ

مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِي　　وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلاَدِ

وقال يَمْدَحُ بَدْرَ بْنَ عَمّارٍ الأَسَدِيَّ الطَّبَرِسْتَانِيَّ ، وهو يومئذٍ يتولّى حَرْبَ طَبَرِيَّة من قِبَل أبي بَكْرٍ محمد بنِ رائق سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة ، [من أول المتقارب والقافية متواتر] : [من المتقارب]

أَحُلْماً نَرَى أَمْ زَمَاناً جَدِيدَا　　أَمِ الْخَلْقُ فِي شَخْصِ حَيٍّ أُعِيدَا؟

تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ　　كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُودَا

رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ　　لِبَدْرٍ وَلُوداً وَبَدْراً وَلِيدَا

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي　　رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَا

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى　　جَوَادٌ بَخِيلٌ بِأَلَّا يَجُودَا

يُحَدَّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهاً　　كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودَا

وَيُـقْـدِمُ إلاَّ عَـلَـى أَنْ يَفِرَّ ... وَيَـقْـدِرُ إلاَّ عَلَى أَنْ يَـزِيـدَا
كَـأَنَّ نَـوَالَـكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ ... فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَـجِـدْهُ جُـدُودَا
وَرُبَّـتَـمَـا حَمْلَةٍ في الْـوَغَـى ... رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّلَ السُّمْرَ سُودَا
وَهَـوْلٍ كَشَفْتَ وَنَصْلٍ قَصَفْتَ ... وَرُمْـحٍ تَـرَكْـتَ مُـبَـاداً مُبِيدَا
وَمَـالٍ وَهَـبْـتَ بِـلاَ مَـوْعِـدٍ ... وَقِـرْنٍ سَبَقْتَ إِلَـيْـهِ الْوَعِيدَا
بِـهَـجْرِ سُـيُـوفِكَ أَغْـمَـادَهَـا ... تَمَنَّى الطُّلَى أنْ تَكُونَ الْغُمُودَا
إِلَـى الْـهَـامِ تَـصْـدُرُ عَـنْ مِثْلِهِ ... تَرَى صَـدَراً عَنْ وُرُودٍ وُرُودَا
قَتَلْتَ نُفُوسَ الْعِدَا بالحَدِيـ ... ـدِ حَتَّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الْحَدِيدَا
فَأَنْفَدْتَ مِـنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ ... وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكْتَ النُّفُودَا
كَـأَنَّـكَ بِالْفَقْرِ تَبْغِي الغِنَى ... وَبِالمَوْتِ في الْحَرْبِ تَبْغِي الْخُلُودَا
خَـلاَئِـقُ تَـهْـدِي إِلَـى رَبِّـهَـا ... وَآيَـةُ مَـجْـدٍ أَرَاهَـا الْعَبِيدَا
مُـهَـذَّبَـةٌ حُـلْـوَةٌ مُـرَّةٌ ... حَقَرْنَا الْبِحَارَ بِهَا وَالأُسُـودَا
بَعِيدٌ عَلَى قُـرْبِـهَـا وَصْفُهَا ... تَغُولُ الظُّنُونَ وَتُنْضِي الْقَصِيدَا
فَـأَنْـتَ وَحِـيـدُ بَـنِي آدَمٍ ... وَلَـسْـتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدَا

وقال لمّا استعْظمَ قومٌ ما قالهُ في آخرِ مَرْثيةِ جدَّتِه

[من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ] : [من البسيط]

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيَّاتاً نَأَمْتُ بِهَا؛ ... لاَ تَحْسُدُنَّ عَلَى أَنْ يَنْأَمَ الأَسَدَا
لَـوْ أَنَّ ثَـمَّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بِهَا ... أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا

وقال يَمدحُ عَليَّ بْنَ محمدِ بن محمودِ بْنِ سَيّارِ بنِ مُكْرَمٍ التَّميميَّ، من الأول من الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

أَقَـلُّ فَعَالِيْ بَلْهَ أَكْـثَـرَهُ مَجْدُ ... وَذَا الْجِدُّ فيهِ ـ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ ـ جَدُّ
سَأَطْلُبُ حَقِّيْ بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ ... كأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ ما الْتَثَمُوا مُرْدُ
ثِقَالٍ إِذَا لاَقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا ... كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا
وَطَعْنٍ كأَنَّ الطَّعْنَ لاَ طَعْنَ عِنْدَهُ ... وَضَرْبٍ كأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدُ
إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِيْ عَلَى كُلِّ سابحٍ ... رِجَالٌ كَأَنَّ المَوْتَ في فَمِهَا شَهْدُ
أَذُمُّ إِلَـى هـذَا الـزَّمَـانِ أُهَيْلَهُ ... فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ
وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ ... وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ... عَـدُوًّا لَـهُ مَا مِـنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ
بِقَلْبِيْ وَإِنْ لَمْ أَرْوَ مِنْهَا مَلاَلَةٌ ... وَبِيْ عَنْ غَوَانِيْهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ
خَلِيلاَيَ دُونَ النَّاسِ حُزْنٌ وَعَبْرَةٌ ... عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهُما فَقْدُ
تَلَجُّ[(١)] دُمُوعِيْ بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا ... جُفُونِيْ لِعَيْنَيْ كُلِّ بَاكِيَةٍ خَدُّ
وَإِنِّـيْ لَتُغْنِينِيْ مِنَ المَاءِ نُغْبَةٌ ... وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَمَا تَصْبِرُ الرُّبْدُ
وَأَمْضِي كما يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتي، ... وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي المُجَلِّحَةُ العُقْدُ
وَأُكْبِرُ نَفْسِيْ عَنْ جَزَاءٍ بِغِيْبَةٍ، ... وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَا لَهُ جُهْدُ
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعِيِّ وَالغَبَا، ... وَأَعْـذِرُ في بُغْضِيْ لأَنَّهُمُ ضِدُّ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... أَيَـادٍ لَهُ عِنْدِيْ تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ
تَوَالَى[(٢)] بِلاَ وَعْدٍ وَلكِنَّ قَبْلَهَا ... شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدُ

(١) [تَلِحُّ]
(٢) [تَوَالَتْ]

سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي ... إلى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لاَ الهِنْدُ
فَلَمَّا رَآنِـي مُقْبلاً هَـزَّ نَفْسَهُ ... إلَـيَّ حُسَامٌ كُلُّ صَفْحٍ لَهُ حَدُّ
فَلَمْ أَرَ قَبْلِيْ مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ ... وَلاَ رَجُلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الأُسْدُ
كأَنَّ الْقِسِيَّ الْعَاصِيَاتِ تُطِيعُهُ ... هَوًى أَوْ بِهَا في غَيْرِ أُنْمُلِهِ زُهْدُ
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمْيِهِ ... وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ المُرْسَلِ الرَّدُّ
وَيُنْفِذُهُ في الْعَقْدِ وَهْوَ مُضَيَّقٌ ... مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ
بِنَفْسِيْ الذِي لاَ يُزْدَهَى بِخَدِيعَةٍ، ... وَإِنْ كَثُرَتْ فيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ
وَمَنْ بُعْدُهُ فَقْرٌ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنًى، ... وَمَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدُ
وَيَصْطَنِعُ المَعْرُوفَ مُبْتَدِئاً بِهِ ... وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ
وَيَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ ... كأَنَّهُمُ في الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ
وَتَأْمَنُهُ الأعْـدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ، ... وَلكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحِقْدُ
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى ... فَإنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ ... وَأَلْفٌ إذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ
لَهُمْ أَوْجُـهٌ غُـرٌّ وَأَيْـدٍ كَرِيمَةٌ ... ومَـعْـرِفَـةٌ عِـدٌّ وَأَلْـسِـنَـةٌ لُـدُّ
وَأَرْدِيَـةٌ خُضْرٌ ومُلْكٌ مُطَاعَةٌ، ... ومَـرْكُـوزَةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبَةٌ جُرْدُ
وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلاَ أَبَوَاهُمُ ... تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَابْـنُ طَابِخَةٍ أُدُّ
فَبَعْضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ ... وَبَعْضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَيَّ الَّذِي يَبْدُو
أَلُـومُ بِهِ مَنْ لاَمَنِيْ في وِدَادِهِ ... وَحُقَّ لِخَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُّ
كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرْقِهِ ... بَنِيْ اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْبُرَ المَلِكُ الْجَعْدُ

فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعُلَى ... وَلاَ فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ المِسْكُ وَالنَّدُّ

وأَرادَ سَفَراً فودَّعَهُ صديقٌ لهُ فقالَ ارتجالاً، من أولِ الكاملِ والقافيةُ مُتدارِكٌ: [من الكامل]

أَمَّــا الْـفِـرَاقُ فَـإنَّـهُ مَـا أَعْـهَـدُ ... هُـوَ تَـوْءَمِـي لَـوْ أَنَّ بَيْناً يُوْلَدُ

وَلَـقَـدْ عَلِمْنَا أَنَّـنَـا سَنُطِيعُهُ ... لَـمَّـا عَلِمْنَا أَنَّـنَـا لاَ نَخْلُدُ

وَإذَا الْجِيَادُ أَبَـا الْبَهِيِّ نَقَلْنَنَا ... عَنْكُمْ فَـأَرْدَأُ مَا رَكِبْتُ الأَجْوَدُ

مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإنَّنِي ... مَنْ لاَ يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئاً يُحْمَدُ

وقالَ يَمْدَحُ الحُسينَ بْنَ عليّ الهَمَذانيَّ، من أولِ الطويلِ والقافيةُ متواترٌ: [من الطويل]

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بُعْدُ ... فَيَا لَيْتَنِي بُعْدٌ وَيَـا لَيْتَهُ وَجْدُ

أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرَ مَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ لاَ يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ

سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكِ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا ... رُقَادٌ، وَقُلاَّمٌ رَعَى سَرْبُكُمْ وَرْدُ

مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَـأَنْ لَمْ تُفَارِقِي ... وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ

وَحَتَّى تَكَادِيْ تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي ... وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبَيَّ مِنْ رِيحِكِ النَّدُّ

إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا ... فَمِنْ عَهْدِهَا أَلَّا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ

وَإِنْ عَشِقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ... وَإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ

وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضًى ... وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ

كَذَلِكَ أَخْـلاَقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا ... يَضِلُّ بِهَا الهَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصِّبَا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ

سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتْكُمُ ... مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو

لِتَرْوَى كما تُرْوِي بِلاَداً سَكَنْتَهَا   وَيَنْبُتَ فيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالمَجْدُ

بِمَنْ تَشْخَصُ الأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ   وَيُخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ

وَتُلْقِيْ ـ وَمَا تَدْرِيْ ـ الْبَنَانُ سِلاَحَهَا   لِكَثْرَةِ إِيْمَـاءٍ إِلَـيْـهِ إِذَا يَبْدُو

ضَرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِيْ الهَامِ في الْوَغَى   خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللِّبْدُ

بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ   وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الأُسْدُ

بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ   وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ المُهَنَّدِ يَنْقَدُّ

وَسَيْفِيْ لأَنْتَ السَّيْفُ لاَ مَا تَسُلُّهُ   لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغِمْدُ

وَرُمْحِيْ لأَنْتَ الرُّمْحُ لاَ مَا تَبُلُّهُ   نَجِيعاً وَلَوْلاَ الْقَدْحُ لَمْ يُثْقِبِ الزَّنْدُ

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُمْ   لأَنَّهُمْ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا

فَشُكْرِيْ لَهُمْ شُكْرَانِ: شُكْرٌ عَلَى النَّدَى   وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ

صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ   وَأَشْخَاصُهَا في قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ   وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ

كَأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرٌ   فَفِيهَا الْعِبِدَّى والمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمسِ قَدْ لَبِسَ العُلاَ   رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدُّ!

وَغَالَ فُضُولَ الدِّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا   عَلَى بَـدَنٍ قَـدُّ الْقَنَاةِ لَـهُ قَدُّ

وَبَاشَرَ أَبْكَارَ المَكَارِمِ أَمْـرَداً   وَكَـانَ كَـذا آبَـاؤُهُ وَهُـمُ مُـرْدُ

مَدَحْتُ أَبَـاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي   مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الأَعْيُنُ الرُّمْدُ

حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا   مَخَافَةَ سَيْرِيْ، إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ

وَشَهْوَةَ عَـوْدٍ: إِنَّ جُـودَ يَمِينِهِ   ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالْـجَـوَادُ بِهَا فَـرْدُ

فَلاَ زِلْتُ أَلْقَى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا وفي يَدِهِمْ غَيْظٌ وفي يَدِيَ الرِّفْدُ
وَعِنْدِيْ قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ ومَالُهُ وعِنْدَهُمُ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ
يَرُومُونَ شَأْوِيْ في الْكَلاَمِ وَإِنَّمَا يُحَاكِيْ الْفَتَى في مَا خَلاَ الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ
فَهُمْ في جُمُوعٍ لاَ يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةٍ وَهُمْ في ضَجِيجٍ لا يُحِسُّ بِهِ الْخُلْدُ
ومِنِّيْ اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ؛ فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ!
وَجَدْتُ عَلِيًّا وابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ وهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ واسْتَوَى الْحُرُّ والْعَبْدُ
وأَصْبَحَ شِعْرِيْ مِنْهُمَا في مَكَانِهِ وفي عُنُقِ الْحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ

وسايَرَ [أبا مُحمَّد بْنَ طُغْج] وهو لا يَدْرِي أينَ يُرِيدُ بهِ؛ فلَمّا دَخَلا كَفْرَ زِنّسَ قال - من مرفَّلِ الكامِلِ والقافيةُ متواتِرٌ -: [من مجزوء الكامل]

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدْ كَالْغُمْضِ في الْجَفْنِ الْمُسَهَّدْ
مَعَجَتْ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُ مَعَ الأمِيرِ أَبِي مُحَمَّدْ
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدْ
خَضْرَاءَ حَمْرَاءَ التُّرَا بِ كَأَنَّهَا في خَدِّ أَغْيَدْ
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهاً لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدْ
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقَا ئِقِ فَهْيَ وَاحِدَةٌ لأَوْحَدْ

وهَمَّ بالانْصِرافِ من مَجْلِسِ أبي محمَّدٍ هذا فقالَ لَهُ - من السادسِ من البسيط والقافيةُ متواتِرٌ -: [من مخلَّع البسيط]

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ[١] وَغْدَا بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَا
مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا وَأَنْتَ بالمَكْرُمَاتِ أَهْدَى

(١) [الكريمَ]

فَـإنْ تَـفَـضَّـلْـتَ بِـانْـصِـرَافِـي عَـدَدْتُـهُ مِـنْ لَـدُنْـكَ رِفْـدا

واُطْلِقَ أبو محمدٍ الباشَقَ على سُمَانَاةٍ فأخَذَها،
فقال - من أول [المتقارِب] والقافيةُ متواتِرٌ -: [من المتقارب]

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ[1] بَلَغْتَ المُرَادَا وَفي كُلِّ شَأوٍ شَأَوْتَ العِبَادَا
فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا
كَأَنَّ السُّمَانَى إذَا مَا رَأَتْكَ تَصَيَّدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا

واجتازَ [أبو محمد] ببعضِ الجبال، فأثارتِ الغِلْمانُ خِشْفاً،
[فالْتَقَفَتْهُ] الكِلابُ، فقال أبو الطيبِ ارتجالاً.
من مشطورِ الرَّجَزِ [والقافيةُ مُتَدارِكٌ] -: [من الرجز]

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدِ فَرْدٍ كَيَافُوخِ الْبَعِيرِ الأَصْيَدِ
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ فِي مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ
زُرْنَاهُ لِلأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ
بِكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ
بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ عَلَى حِفَافَيْ حَنَكٍ كَالمِبْرَدِ
كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإنْ لَمْ يَحْقِدِ يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُه وَلاَ يَدِي
يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْخَشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ فَثَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِي
كَأَنَّهُ بَدْءُ عِذَارِ الأَمْرَدِ فَلَمْ يَكَدْ إلاَّ لِحَتْفٍ يَهْتَدِي
وَلَمْ يَقَعْ إلاَّ عَلَى بَطْنِ يَدِ وَلَمْ يَدَعْ لِلشَّاعِرِ المُجَوِّدِ
وَصْفاً لَهُ عِنْدَ الأَمِيرِ الأَمْجَدِ المَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدِ
الْقَانِصِ الأَبْطَالَ بِالمُهَنَّدِ ذِي النِّعَمِ الْغُرِّ الْبَوَادِي الْعُوَّدِ

(١) [شَيٍّ]

إذا أَرَدْتُ عَدَّهَا لَـمْ تُـعْـدَدِ[١] ... وَإنْ ذَكَـرْتُ فَضْلَهُ لَـمْ يَنْفَدِ

وقال فيه ارتجالاً [يودِّعه] -من [أوّلِ] البسيط والقافيةُ متراكِبٌ-: [من البسيط]

مَا ذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ ... هذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ

إِذَا السَّحَابُ زَفَتْهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعاً ... فَلاَ عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدِ

وَيَا فِرَاقَ الأمِيرِ الرَّحْبِ مَنْزِلُهُ ... إِنْ أَنْـتَ فَارَقْتَنَا يَوْماً فَلاَ تَعُدِ

ودخَلَ [على أبي العشائر الحُسَيْن بن عليّ بن حَمْدانَ] يوماً فوجَدَه على شَرَابٍ وبِيَدِه بِطّيخةُ نَدٍّ في غِشَاءِ خَيْزُرانٍ، وعلى رأْسِها عَنْبَرٌ وحولَها قِلادةُ لُؤْلُؤٍ، فحيّاهُ بها وقال له: أيَّ شيءٍ تُشْبِهُ هذه يا أبا الطيب؟ فقال ارتجالاً -مِن أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ-: [من الكامل]

وَبُنَيَّةٍ مِـنْ خَـيْـزُرَانٍ ضُـمِّنَتْ ... بِطِّيخَةً نَبَتَتْ بِـنَـارٍ فِي يَدِ

نَظَمَ الأمِيرُ لَهَا قِـلاَدَةَ لُؤْلُؤٍ ... كَفِعَالِهِ وَكَـلاَمِـهِ فِي الْمَشْهَدِ

كَالْكَأْسِ بَاشَرَهَا الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ ... زَبَـداً يَـدُورُ عَلَى شَـرَابٍ أَسْوَدِ

وقال [فيها] ارتجالاً [أيضاً] -من أول الطويل والقافيةُ متواترٌ-: [من الطويل]

وَسَـوْدَاءَ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لآلِئٌ ... لَهَا صُورَةُ الْبِطِّيخِ وَهْيَ مِنَ النَّدِّ

كَـأَنَّ بَقَايَا عَنْبَرٍ فَـوْقَ رَأْسِهَا ... طُلُوعُ رَوَاعِي[٢] الشَّيْبِ فِي الشَّعَرِ الْجَعْدِ

ولَمّا عَمِلَ القِطْعَةَ التي أوَّلُها: «وطائرةٍ تتبَّعُها المَنايا» عَجِبَ أبو العشائرِ من سُرْعَةِ خاطِرِه، فقال -من أول الوافر والقافيةُ متواترٌ-: [من الوافر]

أَتُـنْـكِـرُ مَـا نَطَقْتُ بِـهِ بَدِيهاً ... وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبْقُ الْجَوَادِ؟

(١) [أَعْدُد، أَحْدُدِ]

(٢) [دَوَاعِي]

أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً … فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ

وقال يَمْدحُ كافوراً ـ من الثاني من الطويل والقافيةُ متدارِكٌ ـ: [من الطويل]

أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لاَ تَوَدُّهُ … وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ … فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ؟

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ … فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ؟

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً … تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

رَعَى اللَّهُ عِيساً فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا … مَهاً كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ

بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ … ـ وَقَدْ رَحَلُوا ـ جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ

إِذَا سَارَتِ الأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ … تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ

وَحَالٍ كَإِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا … وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ

وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ … وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وُجْدُهُ

فَلاَ يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ … فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالمَالِ عَقْدُهُ

وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي المَجْدُ كَفُّهُ … إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالمَالُ زَنْدُهُ

فَلاَ مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ … وَلاَ مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ … وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاَهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ

وَلَكِنَّ قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّ مَا لَهُ … مَدًى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحُدُّهُ

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبُّهُ … فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعاً تَهُدُّهُ

يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَهٍ … عَلِيقِي مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ

وَأَمْضَى سِلاَحٍ قَلَّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ … رَجَاءُ أَبِي المِسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ

هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ … وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ

أَنا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ في عَشِيرَةٍ ... لَنَا وَالِـدٌ مِـنْـهُ يُفَدِّيهِ وُلْـدُهُ
فَمِنْ مَالِهِ مالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ... وَمِـنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ
نَجُرُّ الْقَنَا الْخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ ... وَتَـرْدِي بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ
وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ في كُلِّ وَابِلٍ ... دَوِيُّ الْقِسِيِّ الْفَارِسِيَّةِ رَعْـدُهُ
فَإلاَّ تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ ... فَإِنَّ الَّذِي[1] فِيهَا مِنَ النَّاسِ أُسْدُهُ
سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الَّذِي ... بِصُمِّ الْقَنَا لا بِالأَصَابِعِ نَقْدُهُ
بَلاَهَا حَوَالَيْهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ ... وَجَرَّبَهَا هَـزْلُ الطِّرَادِ وَجِـدُّهُ
أَبُو المِسْكِ لا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ ... وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِـعُـذْرِكَ حِقْدُهُ
فَيَا أَيُّهَا المَنْصُورُ بِالْجَدِّ سَعْيُهُ ... وَيَا أَيُّهَا المَنْصُورُ بِالسَّعْيِ جَدُّهُ
تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّيْ فَأَخْلَفْتَ طِيبَهُ ... وَما ضَرَّنِيْ لَمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ
لَقَدْ شَبَّ في هذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ ... لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ
أَلا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ ... فَتَسْأَلَهُ وَاللَّيْلَ يُخْبِرُ بَـرْدُهُ
وَلَيْتَكَ تَرْعَانِيْ وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ ... فَتَعْلَمَ أَنِّـيْ مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ
وَأَنِّـيْ إِذَا بَاشَرْتُ أَمْـراً أُرِيـدُهُ ... تَـدَانَـتْ أَقَاصِيهِ وَهَـانَ أَشَـدُّهُ
وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي ... إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحتَ لِيَ لاحَ فَرْدُهُ
يُقَالُ إذَا أَبْصَرْتُ جَيْشاً وَرَبَّهُ: ... أَمَامَكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ
وأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ ... قَرِيبٌ بِذِي الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ
فَـزَارَكَ مِنِّيْ مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ ... وَفي النَّاسِ إلاَّ فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ
يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ... وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذلِكَ جُهْدُهُ

(١) [الَّتي]

فإنْ نلتُ ما أَمَّلْتُ منكَ فرُبَّما | شَرِبْتُ بماءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ
وَوَعْـدُكَ فِعْلٌ قبلَ وَعْدٍ لأنَّهُ | نَظيرُ فَعالِ الصَّادِقِ القَوْلِ وَعْدُهُ
فَكُنْ في اصْطِناعِيْ مُحسِناً كمُجرِّبٍ | يَبِنْ لكَ تَقْريبُ الْجَوادِ وَشَدُّهُ
إذا كُنْتَ في شَكٍّ منَ السَّيْفِ فابْلُهُ | فَـإمَّـا تُـنَـفِّـيـهِ وإمَّـا تُـعِـدُّهُ
وَما الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلاَّ كغَيْرِهِ | إذا لَمْ يُفارِقْهُ النِّجادُ وَغِمْدُهُ
وَإنَّـكَ لَلْمَشْكُورُ في كُلِّ حالَةٍ | وَلَوْ لَمْ يكُنْ إلاَّ الْبَشاشَةَ رِفْدُهُ
فَكُلُّ نَـوالٍ كَـانَ أَوْ هُوَ كائِنٌ | فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِيَ نِدُّهُ
وَإنِّيْ لَفِيْ بَحْرٍ مِنَ الْخيرِ أَصْلُهُ | عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا(١) وَهْيَ مَدُّهُ
وَمَا رَغْبَتِيْ في عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ | وَلَكِنَّهَا في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ | وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ
فإنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ | وَقَابَلْتَهُ إلاَّ وَوَجْـهُـكَ سَعْدُهُ

وَاتَّصَلَ قومٌ منَ الغِلْمانِ بابنِ الإخْشيدِ مَوْلَى كافُورٍ فأنْكَرَ عليهِ وطالَبَهُ بتسليمِهم إليه، فَجَرَتْ بَيْنَهُما وَحْشَةٌ أيّاماً؛ ثُمَّ سَلَّمهم إليهِ فأتْلَفهُم، فاصْطَلَحا، فطُولِبَ أبو الطَّيِّبِ بأنْ يذكرَ الصُّلْحَ [فقالَ] - من أولِ الخفيفِ والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الخفيف]

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأعادي | وَأَذاعَـتْـهُ أَلْـسُـنُ الْحُـسَّـادِ
وَأَرادَتْـهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ | ـرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَـيْـنَ الـمُـرَادِ
صَارَ مَا أَوْضَعَ المُخبُّونَ فيهِ | مِنْ عِتابٍ زِيَـادَةً في الْـوِدادِ
وَكَلامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الأَحْـ | ـبَابِ سُلْطَانُهُ، عَلَى الأَضْدادِ

(١) [مَدَّهُ]

إِنَّما تُنْجِحُ[1] المَقَالةُ في المَرْ ... ءِ إذا صَادفَتْ[1] هَوًى في الْفُؤادِ
وَلعَمْرِيْ لَقَدْ هُـزِزْتَ بِمَا قِيـ ... ـلَ فَأُلْفِيتَ أَوْثَـقَ الأَطْـوَادِ
وَأَشَــارَتْ بِمَا أَبَـيْـتَ رِجَـالٌ ... كُنْتَ أَهْـدَى مِنْهَا إلى الإِرْشَـادِ
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى المُشِيرُ وَلَمْ يَجْـ ... ـهَدْ وَيُشْوِيْ الصَّوابَ بَعْدَ اجْتِهادِ
نِلْتَ مَا لا يُنالُ بالْبِيضِ وَالسُّمْـ ... ـرِ وَصُنْتَ الأَرْوَاحَ في الأَجْسَادِ
وَقَنَا الْخَطِّ في مَرَاكِزِهَا حَوْ ... لَكَ وَالمُرْهَفاتُ في الأَغْمَادِ
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُـؤَادَكَ فِيهِمْ ... سَاكِناً أَنَّ رَأْيَـهُ في الـطِّـرَادِ
فَفَدَى رَأْيَـكَ الَّـذِي لَـمْ تُفَدْهُ ... كُـلُّ رَأْيٍ مُـعَـلَّـمٍ مُستَفَادِ
وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ في طِبَاعٍ ... لَـم يُـحَـلِّـمْ تَـقَـادُمُ الـمِـيلادِ
فَبِهذَا وَمِـثْـلِـهِ سُـدْتَ يا كَا ... فُورُ واقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ
وأَطَـاعَ الَّـذِي أَطَاعَـكَ وَالطَّا ... عَـةُ لَيْستْ خَـلَائِـقَ الآسَـادِ
إِنَّمَا أَنْـتَ وَالِـدٌ وَالأَبُ الْقَا ... طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِـلِ الأَوْلَادِ
لَا عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرْ ... رَ وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ
أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجِسْمُ وَالرُّو ... حُ فَـلاَ احْتَجْتُمَا إلى الْـعُـوَّادِ
وَإِذَا كَـانَ في الأَنَابِيبِ خُلْفٌ ... وَقَعَ الطَّيْشُ في صُدُورِ الصِّعَادِ
أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا ... وَشَفَى رَبَّ فَـارِسٍ مِـنْ إِيَـادِ
وَتَوَلَّى بَنِي البَرِيدِيِّ[2] بِالْبَصْـ ... ـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا في البِلادِ
وَمُلُوكاً كَأَمْسِ في الْقُرْبِ مِنَّا ... وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا في الْبِعَادِ
بِكُمَا بِـتُّ عَـائِـذاً فِيكُمَا مِنْـ ... ـهُ وَمِـنْ كَيْدِ كُـلِّ بَـاغٍ وَعَـادِ

(١) [وافَقَتْ]
(٢) [اليزِيديّ]

وَبِلُبَّيْكُمَا الأصِيلَيْنِ أنْ تَفْـ   ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ
أوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أشْقَى عَدُوٍّ   بِالَّذِي تَذْخَرَانِهِ مِنْ عَتَادِ
هَلْ يَسُرَّنَّ بَاقِياً بَعْدَ مَاضٍ   مَا تَقُولُ الْعُدَاةُ فِي كُلِّ نَادِ؟
مَنَعَ الْوُدُّ وَالرِّعَايَةُ وَالسُّؤْ   دُدُ أنْ تَبْلُغَا إلى الأحْقَادِ
وَحُقُوقٌ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْـ   ـبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلُوبَ الْجَمَادِ
فَغَدَا الْمُلْكُ بَاهِراً مَنْ رَآهُ   شَاكِراً مَا أتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ
فِيهِ أيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْحُلْـ   ـوِ وَأيْدِي قَوْمٍ عَلَى الأكْبَادِ
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْ   فَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالأيَادِي
كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ   ـسُ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي ازْدِيَادِ
يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أذَاهَا   بِفَتًى مَارِدٍ عَلَى الْمُرَّادِ
مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أبِيٍّ   عَالِمٍ حَازِمٍ شُجَاعٍ جَوَادِ
أجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أبِي الْمِسْـ   ـكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ
كَيْفَ لاَ يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ   ضَيِّقٍ عَنْ أتِيِّهِ كُلُّ وَادِ؟

وقال [يهجوه] قبل مَسيره من مِصْرَ بيوم واحدٍ سنةَ خَمْسينَ وثلاثمئة، من الثاني من البسيط والقافيةُ متواترٌ: [من البسيط]

عِيدٌ، بِأيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ؟   بِمَا مَضَى أمْ بِأمْرٍ (١) فِيكَ تَجْدِيدُ؟
أمَّا الأحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ   فَلَيْتَ دُونَكَ بِيداً دُونَهَا بِيدُ
لَوْلاَ الْعُلَى لَمْ تَجُبْ بِي مَا أجُوبُ بِهَا   وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلاَ جَرْدَاءُ قَيْدُودُ
وَكَانَ أطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةً   أشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيدُ الأمَالِيدُ

(١) [لأمْرٍ]

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهرُ مِنْ قَلْبِيْ وَلاَ كَبِدِي شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيدُ
يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ في كُؤُوسِكُمَا أَمْ في كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ؟
أَصَخْرَةٌ أَنَا؟ مَا لِيْ لا [تُحرِّكُنِي] هَذِي المُدَامُ وَلاَ هَذِي الأَغَارِيدُ؟
إذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ[1] صَافِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ
مَاذا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيا؟ وَأَعْجَبُهُ[2] أَنِّيْ بِمَا أَنَا بَاكٍ[3] مِنْهُ مَحْسُودُ
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِناً وَيَداً أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِيْ المَوَاعِيدُ
إِنِّـي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسَانِ، فَلا كَانُوا وَلا الْجُودُ!!
مَا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْساً مِنْ نُفُوسِهِمِ إِلاَّ وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِها عُودُ
مِنْ كُلِّ رِخْوِ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لا فِي الرِّجَالِ وَلاَ النِّسْوَانِ مَعْدُودُ
أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ؟
صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ
الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلاَّ وَالْعَصَا مَعَهُ إِنَّ الْعَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِيْ أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِيْ فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ
وَلاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ
وأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ
جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِيْ وَيُمْسِكُنِي لِكَيْ يُقَالَ: عَظِيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ!

(١) [الخَمْر] (٣) [شَاكٍ]
(٢) [وأَعْجَبُها]

إِنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ ... لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْؤُودُ
وَيْلُمِّهَا خُطَّةً، وَيْلُمِّ قَابِلِها! ... لِمِثْلِهَا خُلِقَ المَهْرِيَّةُ الْقُوْدُ
وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ المَوْتِ شَارِبُهُ ... إِنَّ المَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ
مَنْ عَلَّمَ الأسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيْدُ؟
أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً؟ ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ؟
أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ ... فِي كُلِّ لُؤْمٍ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ الْجَمِيلِ، فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ؟

وقال يَمْدَحُ أبا الفضلِ محمدَ بنَ الحُسَيْنِ بن العَميد بأَرَّجَانَ، ويهنئه بالنَّيْرُوز، من الأول من الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهْ ... وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهْ
هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْـ ... ـكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ
يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ ... نَاظِرٌ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرُقَادُهْ
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُرُورٍ ... ذَا الصَّبَاحُ الَّذِي نَرَى مِيلادُهْ
عَظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الْفُرْسِ حَتَّى ... كُلُّ أَيَّامِ عَامِهِ حُسَّادُهْ
مَا لَبِسْنَا فِيهِ الأَكَالِيلَ حَتَّى ... لَبِسَتْهَا تِلاعُهُ وَوِهَادُهْ
عِنْدَ مَنْ لا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا ... سَانَ مُلْكاً بِهِ وَلاَ أَوْلاَدُهْ
عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ، فَلْسَفِيٌّ ... رَأْيُهُ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهْ
كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ: أَنَا مِنْهُ ... سَرَفٌ، قَالَ آخَرٌ: ذَا اقْتِصَادُهْ
كَيْفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِي عَنْ سَمَاءٍ ... وَالنِّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نِجَادُهْ

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ ... أعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِداً أجْدَادُهْ
كُلَّمَا اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إيَاةٌ ... تَزْعُمُ الشَّمْسُ أنَّهَا أرْآدُهْ
مَثَّلُوهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـ ... ـدِ فَفِي مِثْلِ أثْرِهِ إغْمَادُهْ
مُنْعَلٌ لاَ مِنَ الْحَفَا ذَهَباً يَحْـ ... ـمِلُ بَحْراً فِرِنْدُهُ إزْبَادُهْ
يَقْسِمُ الفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لا يَسْـ ... ـلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إلاَّ بِدَادُهْ
جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ ... وَثَنَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ
وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِي نَدَاهُ ... جِلْدُهَا مُنْفِسَاتُهُ وَعَتَادُهْ
فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ ... فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ
وَرَجَتْ رَاحَةً بِنَا لا تَرَاهَا ... وَبِلاَدٌ تَسِيرُ[1] فِيهَا بِلاَدُهْ
هَلْ لِعُذْرِي عِنْدَ الْهُمَامِ أبِي الْفَضْـ ... ـلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي مِدَادُهْ
أنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ ... مَكْرُمَاتُ الْمُعِلِّهِ عُوَّادُهْ
مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ ... عَنْ عُلاَهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهْ
إنَّنِي أصْيَدُ الْبُزَاةِ وَلكِنْـ ... ـنَ أجَلَّ النُّجُومِ لاَ أصْطَادُهْ
رُبَّ مَا لاَ يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ ... وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفُؤَادُ اعْتِقَادُهْ
مَا تَعَوَّدْتُ أنْ أرَى كَأبِي الْفَضْـ ... ـلِ وَهَذَا الَّذِي أتَاهُ اعْتِيَادُهْ
إنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْراً ... وَاضِحاً أنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ
لِلنَّدَى الْغَلْبُ، إنَّهُ فَاضَ وَالشِّعْـ ... ـرُ عِمَادِي وَابْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهْ
نَالَ ظَنِّي الأُمُورَ إلاَّ كَرِيماً ... لَيْسَ لِي نُطْقُهُ وَلاَ فِيَّ آدُهْ
ظَالِمُ الْجُودِ، كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ ... سِيمَ أنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادُهْ

(١) [نَسِيرُ]

غَمَرَتْني فَوائِدٌ شَاءَ فِيها ... أَنْ يَكُونَ الْكَلامُ مِمَّا أُفَادُهْ

مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا ... فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ

خَلَقَ اللَّهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طُرًّا ... في مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهْ

وَأَحَقَّ الْغُيُوثِ نَفْساً بِحَمْدٍ ... في زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُهْ

مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ في الْعَا ... لَمِ وَالبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهْ

زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا ... لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشِنْهُ سَوَادُهْ

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِي كَما أَهْـ ... ـدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهْ

وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ المَالِ وَالْخَيْـ ... ـلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهْ

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَاراً[1] ... كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهْ

عَدَدٌ ـ عِشْتَهُ ـ يَرَى الْجِسْمُ فيهِ ... أَرَباً لا يَرَاهُ فيمَا يُزَادُهْ

فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْباً نَمَاهَا ... مَرْبِطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهْ

وأُنْفِذَتْ إليهِ القصيدتانِ الرائيّةُ والدَّالِيَّةُ، إلى وَلَدِهِ أبي الفَتْحِ بالرَّيِّ، فعادَ الجوابُ شِعْراً قد نَظَّمَهُ في وَصْفِ أبي الطَّيِّبِ وسُرورِهِ بورودِهِ، وتقريظِ شِعْرِهِ والطَّعْنِ على مَنْ يَتعرَّضُ لقولِ الشِّعْرِ؛ فقالَ ـ والكِتابُ بيَدِهِ ـ لمُوْصِلِهِ ارتجالاً، من ثالثِ المتقارِبِ والقافيةُ متدارِكٌ: [من المتقارب]

بِكُتْبِ الأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ ... فَدَتْ يَدَ كاتِبِهِ كُلُّ يَدْ

يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنا ... وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ ما نَجِدْ

فَأَخْرَقَ رَائِيَهُ ما رَأى ... وَأَبْرَقَ نَاقِدَهُ ما انْتَقَدْ

إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ ... خَلَقْنَ لَهُ في الْقُلُوبِ الْحَسَدْ

(١) [مِهارٍ]

فَقُلْتُ، وَقَدْ فَرسَ النَّاطِقِينَ: كَذَا يَفْعَلُ الأَسَدُ ابنُ الأَسَدْ!

وقال أيضاً يَمْدَحُ ابنَ العَميدِ ويودِّعُه، من أول الطويل
والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتاباً عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَراً زَادَتْ بِه حُمْرَةُ الْخَدِّ
وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ أَطَالَتْ يَدِيْ فِي جِيْدِهَا صُحْبَةَ العِقْدِ
وَمَنْ لِيْ بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِه عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ
وأَلَّا يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئاً فَإِنَّنِي فَقَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِيْ وَلَا وَجْدِي
تَمَنٍّ يَلَذُّ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِه وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِيْ فَتِيلاً وَلَا يُجْدِي
وَغَيْظٌ عَلَى الأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَى وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الأَسِيرِ عَلَى الْقِدِّ
فَإِمَّا تَرَيْنِيْ لَا أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ فَآفَةُ غِمْدِيْ فِي دُلُوقِيْ [وَفي] حَدِّي
يَحُلُّ الْقَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي فَأَحْرِمُهُ عِرْضِيْ وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي نَجَائِبُ لا يُفْكِرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفاً مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيْمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ
إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ أَجَازَ الْقَنَا، وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ
وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الأَسَاوِدِ وَالأُسْدِ
يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الْوَحِيِّ بِعَاجِزٍ وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ
كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ(١) الْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ كَرِعْنَ بِسِبْتٍ(٢) فِي إِنَاءٍ مِنَ الْوَرْدِ
كَأَنَّا أَرَادَتْ شُكْرَنَا الأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ

(١) [اسْتَحَيْنَ]
(٢) [بِشَيْبٍ]

لَنا مَذْهَبُ الْعُبَّادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ ... وَإِتْيانِهِ نَبْغي الرَّغائِبَ بالزُّهْدِ
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ في كُلِّ جَنَّةٍ ... بِأَرْجانَ حَتَّى ما يَئِسْنا مِنَ الْخُلْدِ
تَعَرَّضُ لِـلـزُّوَّارِ أَعْناقُ خَيْلِهِ ... تَعَرُّضَ وَحْشٍ خائِفاتٍ مِنَ الطَّرْدِ
وَتَلْقَى نَواصِيها المَنايا مُشيحَةً ... وُرُودَ قَطاً صُمٍّ تَشايَحْنَ في وِرْدِ
وَتَنْسُبُ أَفْعالُ السُّيُوفِ نُفُوسَها ... إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الهِنْدِ
إِذَا الشُّرَفاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ ... أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الأَبِ وَالْجَدِّ
فَتًى فاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ ... فَما أَرْمَدَتْ أَجْفانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ
وَخالَفَهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَمَوْضِعاً ... فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدِي
يُغَيِّرُ أَلْـوانَ اللَّيالِيْ عَلَى الْعِدا ... بِمَنْشُورَةِ الرَّاياتِ مَنْصُورَةِ الْجُنْدِ
إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحاً رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ ... كَتائِبَ لاَ يَرْدِيْ الصَّباحُ كَما تَرْدِي
وَمَـبْـثُـوثَـةً لاَ تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ ... وَلاَ يُحْتَمَى مِنْها بِغَوْرٍ وَلاَ نَجْدِ
يَغُضْنَ(١) إِذَا ما عُدْنَ في مُتَفاقِدٍ ... مِنَ الْكُثْرِ غانٍ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ
حَثَتْ كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً في غُبارِهِ ... فَهُنَّ عَلَيْهِ كالطَّرائِقِ في الْبُرْدِ
فَإِنْ يَكُنِ المَهْدِيُّ مَنْ بانَ هَدْيُهُ ... فَهذا، وَإِلاَّ فَالْهُدَى ذا فَما المَهْدِيْ؟
يُعَلِّلُنا هذَا الزَّمانُ بِذا الْوَعْدِ ... وَيَخْدَعُ عَمَّا في يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ
هَلِ الْخَيْرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِالْخَيرِ غائِبٌ ... أَمِ الرُّشْدُ شَيْءٌ غائِبٌ لَيْسَ بالرُّشْدِ؟
أَأَحْـزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْـرَمَ ذِي يَدٍ ... وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَبْدِ
وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍّ جُلُوساً وَرِكْبَةً ... عَلَى المِنْبَرِ الْعالِي أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ
تَفَضَّلَتِ الأَيَّـامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَنا ... فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنا عَلَى الْحَمْدِ

(١) [يَغِضْنَ]

جَعلْنَ وَدَاعِـيْ وَاحِـداً لِثلاَثَة: جَمَالِك وَالْعِلْمِ المُبَرِّحِ وَالمَجْدِ
وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ المُنَى غيْرَ أَنَّني يُعَيِّرُنِيْ أهْلِيْ بِإدْرَاكِهَا وَحْدِي
وَكُلُّ شَرِيكٍ في السُّرُور بمُصْبَحِي أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لاَ يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي
فَجُدْ لِيْ بِقَلْبٍ إنْ رَحلْتُ فَإنَّني مُخَلِّفُ قَلْبِيْ عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي
وَلَوْ فَارَقَتْ نَفْسِيْ إلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ: أصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ العَهْدِ

وَوَرَدَ الخَبَرُ بهزيمةِ وَهْسُوذانَ بَيْنَ يَدَيْ صاحبِ رُكْنِ الدَّوْلةِ،
فقالَ - من ثاني المُنْسرِحِ والقافيةُ متواتِرٌ -: [من المنسرح]

أَزَائِـــرٌ يَـا خَـيَـالُ أَمْ عَـائِـدْ أَمْ عِنْدَ مَـوْلاَكَ أَنَّنِيْ رَاقِـدْ
لَيْسَ كما ظَنَّ، غَشْيَةٌ عَرضَتْ فَجِئْتَنِيْ فِي خِلاَلِهَا قَاصِدْ
عُـدْ وَأَعِـدْهَـا فَـحَـبَّـذَا تَلَفٌ أَلْصقَ ثَـدْيِـي بِثَدْيِك النَّاهِدْ
وَجُـدْتَ فِيـهِ بِمَا يَشِـحُّ بِـهِ مِـنَ الشَّتِيتِ المؤَشَّرِ البَارِدْ
إذَا خَـيَـالاَتُـهُ أَطَـفْـنَ بِنَا أَضْـحَـكَـهُ أَنَّـنِـيْ لَـهَـا حامِدْ
وَقَـالَ: إنْ كَـانَ قَدْ قَضَى أَرَبـاً مِنَّا فَمَا بَـالُ شَـوْقِـهِ زَائِـدْ؟
لاَ أَجْحَدُ الفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلَتْ ما لَـمْ يَكُنْ فَاعِلاً وَلاَ وَاعِـدْ
لاَ تَعْرِفُ العَيْنُ فَـرْقَ بَيْنِهِمَا كُـلُّ خَـيَـالٌ وِصَـالُـهُ نَـافِـدْ
يَا طَفْلَةَ الْكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدْ عَلَى الْبَعِيرِ المُقَلَّدِ الْوَاخِدْ
زِيدِي أَذَى مُهْجَتِيْ أَزِدْكِ هَوًى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدْ
حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرْعَهَا الْـوَارِدْ فَاحْكِ نَوَاهَا لِجَفْنِيَ السَّاهِدْ
طَـالَ بُكَائِيْ عَلَى تَذَكُّرِهَا[1] وَطُـلْـتَ حَتَّى كِلاَكُمَا وَاحِـدْ

(١) [تَذَكُّرِهِ]

مَا بَالُ هَذِي النُّجومِ حَائِرَةً — كَأَنَّهَا الْعُمْيُ مَا لَهَا قَائِدْ
أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ — أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمُ وَاجِدْ
إِنْ هَرَبُوا أُدْرِكُوا وَإِنْ وَقَفُوا — خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدْ
فَهُمْ يُرَجُّونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ — مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدْ
أَبْلَجَ لَوْ عَاذَتِ الْحَمَامُ بِهِ — مَا خَشِيَتْ رَامِياً وَلاَ صَائِدْ
أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَهْيَ تَذْكُرُهُ — مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلاَ طَارِدْ
تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبَراً — عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدْ
وَمُوْضِعاً فِي فِتَانِ نَاجِيَةٍ — يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةَ الْعَاقِدْ
يَا عَضُداً رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدْ — وَسَارِياً يَبْعَثُ الْقَطَا الهَاجِدْ
وَمُمْطِرَ المَوْتِ وَالْحَيَاةِ مَعاً — وَأَنْتَ لاَ بَارِقٌ وَلاَ رَاعِدْ
نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْـ — ـسُوْذَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدْ
يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَايَتِهِ، — وَإِنَّمَا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدْ
مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ — ـ فَذَمَّ مَا اخْتَارَ ـ لَوْ أَتَى وَافِدْ؟
بِلاَ سِلاَحٍ سِوَى رَجَائِكُمُ — فَفَازَ بِالنَّصْرِ وَانْثَنَى رَاشِدْ
يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ — عَلَى مَكَانِ المَسُودِ وَالسَّائِدْ
وَلِيتَ يَوْمَيْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ — وَلَمْ تَكُنْ دَانِياً وَلاَ شَاهِدْ
وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ — جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِدْ
وَكُلُّ خَطِّيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ — يَهُزُّهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدْ
سَوَافِكٌ مَا يَدَعْنَ فَاصِلَةً — بَيْنَ طَرِيِّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدْ

إذا المَنَايَا بَـدَتْ فَدَعْوَتُهَا ... أُبْـدِلَ نُـونـاً بِـدَالِـهِ الْـحَـائِـدْ
إِذَا دَرَى الْحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا ... خَـرَّ لَهَا فِي أَسَـاسِـهِ سَاجِدْ
مَا كَانَتِ الطِّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا ... إِلاَّ بَـعِـيـراً أَضَـلَّـهُ نَـاشِـدْ
تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلاعِ عَنْ مَلِكٍ ... قَـدْ مَسَخَتْهُ نَـعَـامَـةً شَـارِدْ
تَسْتَوْحِشُ الأَرْضُ أَنْ تُقِرَّ بِهِ ... فَكُلُّهَا مُـنْـكِـرٌ(١) لَـهُ جَاحِدْ
فَـلاَ مُـشَـادٌ وَلاَ مُشِيدٌ حَمَى ... وَلاَ مَشِيدٌ أَغْـنَـى وَلاَ شَائِدْ
فَاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهْسُوذَ مَا خُلِقُوا ... إِلاَّ لِغَيْظِ الْـعَـدُوِّ وَالْحَاسِدْ
رَأَوْكَ لَـمَّـا بَـلَـوْكَ نَـابِـتَـةً ... يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِـهِ الـرَّائِـدْ
وَخَـلِّ زِيَّـا لِـمَـنْ يُـحَـقِّـقُـهُ ... مَـا كُـلُّ دَامٍ جَـبِـيـنُـهُ عَـابِـدْ
إِنْ كَـانَ لَمْ يَعْمِدِ الأَمِيرُ لِمَا ... لَـقِـيـتَ مِـنْـهُ فَـيُـمْـنُـهُ عَـامِـدْ
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لاَ يَـرى مَعَهُ ... بُـشْـرَى بِـفَـتْـحٍ كَـأَنَّـهُ فَـاقِـدْ
وَالأَمْـــرُ لِـلَّـهِ، رُبَّ مُجْتَهِدٍ ... مَـا خَـابَ إِلاَّ لأَنَّـهُ جَـاهِـدْ
وَمُـتَّـقٍ وَالـسِّـهَـامُ مُـرْسَـلَـةٌ ... يَحِيدُ(٢) عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدْ
فَـلاَ يُـبَـلْ قَـاتِـلٌ أَعَـادِيَـهُ ... أَقَـائِـمـاً نَـالَ ذَاكَ أَمْ قَـاعِـدْ
لَيْتَ ثَنَائِيْ الَّذِي أَصُوغُ فِدَى ... مَـنْ صِيغَ فِيهِ فَـإِنَّـهُ خَـالِـدْ
لَـوَيْـتُـهُ دُمْـلُـجاً عَلَى عَضُدٍ ... لِـدَوْلَـةٍ رُكْـنُـهَـا لَـهُ وَالِـدْ

ومِمّا قالَهُ في صِباهُ بَعْضُ هذه القصيدة، شَذَّ تَمامُها. وأَوَّلُها.
من البسيط الأول والقافيةُ مُتَراكِبٌ.: [من البسيط]

سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ ... يَفْرِي طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ

(١) [آنِهُ]
(٢) [يَحِيصُ]

مَا اهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ(١) لِيَبْتُرَهُ ... إلاَّ اتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلُّدِهِ
ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أحِبَّتِهِ ... مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ
شَمْسٌ إذَا الشَّمْسُ لاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ ... تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ
إِنْ يَقْبُحِ الْحُسْنُ إلاَّ عِنْدَ طَلْعَتِهِ ... فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إلاَّ عِنْدَ سَيِّدِهِ
قَالَتْ: عَنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً، فَقُلْتُ لَهَا: ... لاَ يَصْدُرُ الْحُرُّ إلاَّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ
لَمْ أعْرِفِ الْخَيْرَ إلاَّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى ... لَمْ يُوْلَدِ الْجُودُ(٢) إلاَّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ ... لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرَدِهِ

وقال يهجُو ابن حَيْدَرَةَ، من الثاني من الكامل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الكامل]

قَطْعاً فَقَدْتُ من الزَّمَانِ تَلِيدا ... مَنْ كانَ عندَ وُجودِه مَفْقُودَا
غَلَبَ التَّبَسُّمُ يومَ ماتَ تفجُّعِي ... وغَدَا بهِ رأْيُ الحِمَامِ سَدِيدَا
يا صاحبَ الجَدَثِ الذي شَمِلَ الوَرَى ... بالجُوْدِ، أَنْ لَوْ كانَ لُؤْمُكَ جُودَا
قَدْ كُنْتَ أَنْتَنَ مِنْكَ قَبْلَ دُخولِهِ ... رِيحاً وأَكْثَرَ في الحياةِ صَدِيدَا
وأَذَلَّ جُمْجُمَةً وأَعْيَا مَنْطِقاً ... وأَقَلَّ مَعْرِفَةً وأَذْوَى عُودَا
أَسْلَمْتَ لِحْيَتَكَ الطَّويلةَ للبِلَى ... وثَوَيْتَ لا أَحَداً ولا مَحْمُودَا
ودَرَى الأَطِبَّةُ أَنَّ داءَكَ قاتِلٌ، ... حُمْقٌ شِفاؤُكَ منه كان بَعِيدَا
وفَسَادُ عَقْلِكَ نالَ جِسْمَكَ مُعْدِياً ... ولَيُفْسِدَنَّ ضَرِيحَهُ والدُّودَا
قَسَمَتْ سِتاهُ بَنِيهِ ميراثَ اسْتِهِ ... من بَعْدِهِ فغَدَوْا بَغَايَا سُودَا
لَوْ وَصَّلُوا ما اسْتَدْخَلُوا من فَيْشَةٍ ... في طُولِهِمْ بَلَغُوا السَّمَاءَ قُعودَا
بُلِيَتْ بما يَجِدُونَ كُلُّ بَخِيلَةٍ ... حَسْنَاءَ كَيْ لا تَسْتَطِيعَ صُدُودَا

(١) [غُصْنٍ]
(٢) [الخَيْرُ إلاّ مُنْذُ]

أَوْلادُ حَيْدَرَةَ الأَصاغِرُ أنفُساً ... ومَناظِراً ومَخابراً وجُـدودَا
سُودٌ ولَوْ بَهَرُوا النُّجومَ إِضاءةً ... قُلٌّ ولَوْ كَثَرُوا النُّجومَ عَديدَا
شيءٌ كَلاَ شيءٍ، لَوَ انَّكَ مِنْهُمُ ... في جَحْفَلٍ لَجِبٍ لَكُنْتَ وَحِيدَا
أَسْرِفْ لَوَ انَّكَ صادِقٌ في شَتْمِهِمْ ... في كُلِّ شيءٍ ما خَلاَ التوحيدَا

وقال في أَبي دُلَفَ، من [الأَوّل] من البسيط [والقافيةُ متراكِبٌ]: [من البسيط]

لَيْسَ العَليلُ الذي حُمّاهُ في الجَسَدِ ... مِثْلَ العَليلِ الذي حُمّاهُ في الكَبِدِ
أَقْسَمْتُ ما قَتَلَ الحُمَّى هَوَى مَلِكٍ ... قَبْلَ الأَميرِ ولا اشتاقَتْ إلى أَحَدِ
فلا تَلُمْهَا: رأَتْ شيئاً فأَعْجَبَها ... فعاوَدَتْهُ، ولَـوْ مَلَّتْكَ لَمْ تَعُدِ
أَلَيْسَ من مِحَنِ الدُّنْيَا، أَبَا دُلَفٍ، ... أَلَّا أَزُورَكَ والرُّوْحانِ في بَلَدِ؟

وقال مُجيباً مقتضِياً، من أول الوافر والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الوافر]

أُحـاوِلُ مِنْكَ تَلْيينَ الحديدِ ... وأَقْتَبِسُ الوِصَالَ مِنَ الصُّدُودِ
أَخَيْـرَ جَديلةٍ أَخْلَفْتَ ظَنِّي ... كأَنَّكَ لَسْتَ طائيَّ الجُدودِ
فَعَجِّلْها أَكُـنْ قـارُونَ إِمّـا ... جَعَلْتَ جُيوبَها عَـدَدَ الوُعودِ

وله من قصيدةٍ لم تُخرَّجْ، أَوّلُها - من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الوافر]

أَبَـى الرَّحمنُ إلاّ أَنْ أَسُـودَا ... وحَيْثُ حَلَلْتُ لم أَعْدَمْ حَسُودَا

يقُولُ فيها:

أُفـكِّـرُ في ادِّعَـائِـهِـمُ قُرَيْشاً ... وتَرْكِهِمُ النَّصارى واليَهُودَا!
وكيفَ تكاوَنُوا من غيرِ شيءٍ ... وكيفَ تناوَلُوا الغَرَضَ البَعِيدَا
أَمَا مِنْ كاتبٍ في النّاسِ يأْخُذْ ... ضِياعَهُمُ ويُشْبِعُهُمْ ثرِيدَا؟

وَمَـنْ يُحْمِيْ قُـرونَـهُـمُ بنار ... وَيَجْعَلُها لأَرْجُلهِمْ قُيودَا؟
كَذَبْتُمْ! لَيسَ للعَبّاسِ نَسْلٌ ... لأَنَّ الناسَ لا تَلِدُ الـقُـرودَا!!
أَنُـكْـذِبُ فيكُمُ الثَّقَلينِ طُـرًّا ... ونَقْبَلُكُمْ لأَنْفُسِكُمْ شُهودَا؟
أَتَـانِـيَ عن أَبـيِّ الفَضْلِ قَـوْلٌ ... جَعَلْتُ جَـوابَـهُ عنهُ القَصِيدَا
وآنَـفُ أَنْ أُجَـازِيَـهُ ولكِنْ ... رَأَيـتُ الحِلْمَ لا يَـزَعُ العَبِيدَا

قافية الذال

وقال يَمْدَحُ مُساوِرَ بْنَ محمدٍ الرُّوميَّ،
من الكاملِ الثاني والقافيةُ متواتِرٌ: [من الكامل]

أَمُـسَـاوِرٌ أَمْ قَـرْنُ شَمْس هذَا ... أَمْ لَيْثُ غَـابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا
شِمْ مَا انْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ ... قِطَعاً، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا
هَبْكَ ابْنَ يَزْدَاذَ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ ... أَتَرَى الوَرَى أَضْحَوْا بَنِيْ يَزْدَاذَا؟
غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... أَقْـفَـاءَهُـمْ وَكُبُـودَهُـمْ أَفْـلاذَا
فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمُ ... فِي ضَنْكِهِ وَاسْتَحْوَذَ اسْتِحْوَاذَا
جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فَلَمَّا جِئْتَهَا ... أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْـفُـولاذَا
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَـاكَ مُحَمَّداً ... فِي جَوْشَنٍ وَأَخَـا أَبِيكَ مُعَاذَا
أَعْجَلْتَ أَلْسُنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ ... عَنْ قَوْلِهِمْ: لاَ فَـارِسٌ إِلاَّ ذَا
غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طَلْعَةَ عَارِضٍ ... مَطَرَ المَنَايَا وَابِـلاً وَرَذَاذَا
فَغَدَا أَسِيراً قَـدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ ... بِـدَمٍ وَبَـلَّ بِـبَـوْلِـهِ الأَفْـخَـاذَا
سَـدَّتْ عَلَيْهِ المَشْرَفِيَّةُ طُرْقَهُ ... فَانْصَاعَ لاَ حَلَباً وَلاَ بَغْدَاذَا
طَلَبَ الإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشْؤُهُ ... مَا بَيْنَ كَرْخَايَا إِلَى كَلْوَاذَا!!

فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الأَسِنَةَ حُلْوَةً أَوْ ظَنَّهَا البَرْنِيَّ وَالآزَاذَا
لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ القَنَا جَعَلَ الطِّعَانَ مِنَ الطِّعَانِ مَلاذَا
مَنْ لا تُوَافِقُهُ الحَيَاةُ وَطِيبُهَا حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الإِنْفَاذَا
مُتَعَوِّداً لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا فِي البَرْدِ خَزًّا وَالهَوَاجِرِ لاذَا
أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا أَلَّا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذَا!

قافية الراء

وقال يمدحُ سيفَ الدولة وقد سَأَلَهُ المَسِيرَ معه في هذه الطريق، والوزنُ وزنُ ما قبْلَها: [من الكامل]

سِرْ، حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي العِدَا حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ
وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأَبْصَارُ
أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ
وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ
وَلَهُ ـ وَإِنْ وَهَبَ المُلُوكُ ـ مَوَاهِبٌ دَرُّ المُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ
لِلَّهِ قَلْبُكَ! مَا يَخَافُ(١) مِنَ الرَّدَى، وَيَخَافُ(٢) أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ العَارُ
وَتَحِيدُ عَنْ طَبَعِ الخَلَائِقِ كُلِّهِ وَيَحِيدُ عَنْكَ الجَحْفَلُ الجَرَّارُ
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جَارُهُ وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الجَبَّارُ
كُنْ [حَيْثُ] شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ

(١) [تخافُ]
(٢) [وتخافُ]

وَبدُونِ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضمِرٌ ... يُنْضَى المَطِيُّ وَيَقْرُبُ المُسْتَارُ
إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِيَ ضَائِعٌ ... ما لِـيْ على قَلَقِيْ إِلَيْهِ خِيَارُ
وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلُّ ماءٍ مَشْرَبٌ ... لَـوْلاَ الْعِيَالُ وَكُـلُّ أَرْضٍ دَارُ
إِذْنُ الأَمِيرِ بـأَنْ أَعُـودَ إِلَيْهِمُ ... صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الأَشْعارُ

وقالَ وقدْ خيَّرَهُ بينَ فرَسَيْنِ: دَهْماءَ وكُمَيْتٍ، من أولِ المنسرحِ والقافيةُ مُتَراكِبٌ: [من المنسرح]

اخْـتَـرْتُ دَهْـمَـاءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ ... وَمَـنْ لَـهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخِيَرُ
وَرُبَّـمَـا فَـالَـتِ الْـعُـيُـونُ وَقَـدْ ... يَـصْـدُقُ فِيهَا وَيَـكْـذِبُ النَّظَرُ
أَنْـتَ الَّـذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ ... مَـا عِـيـبَ إِلاَّ بِـأَنَّـهُ بَـشَرُ
وَأَنَّ إِعْـطَـاءَهُ الـصَّـوَارِمُ وَالْـ ... ـخَيْلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالْعَكَرُ
فَـاضِـحُ أَعْـدَائِـهِ، كَـأَنَّـهُـمُ ... لَـهُ يَـقِـلُّـونَ كُـلَّـمَـا كَـثُـرُوا
أَعَـاذَكَ الـلَّـهُ مِـنْ سِهَامِهِمِ، ... وَمُـخْـطِـئٌ مَـنْ رَمِـيُّـهُ الْقَمَرُ

وأجْمَلَ سَيْفُ الدَّوْلةِ ذِكْرَهُ وهو يُسايِرُهُ في طريقِ آمِدَ، فقالَ - من أوّلِ الكاملِ والقافيةُ متداركٌ -: [من الكامل]

أَنَـا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ ... تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنكَ فتكْرَهُ
وإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضٍ عَارِضاً ... أَيْقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَبْغِي نَصْرَهُ

وجاءَ رسولُ الأميرِ مُسْتَعْجِلاً، ومَعَهُ رُقْعَةٌ فيها بيْتانِ في كِتْمانِ السِّرِّ يَسْأَلُهُ إجازَتَهُما، وهُما للعبّاسِ بنِ الأحْنَفِ: [من المتقارب]

أَمِنِّيْ تَخَافُ انتشارَ الحديثِ ... وحَـظِّـيَ فِـي سَـتْـرِهِ أَوْفَـرُ؟

وَلَـوْ لم أَصُـنْـهُ لِبُقْيا عَلَيْكَ ... نَـظَـرْتُ لِنَفْسِيْ كما تَنْظُرُ

فقالَ في الوَقْتِ، من ثالثِ المتقارِبِ والقافيةُ متدارِكٌ: [من المتقارب]

رِضَـاكَ رِضَـايَ الَّـذِي أُوْثِـرُ ... وَسِـرُّكَ سِـرِّيْ فمَا أُظْـهِـرُ
كَفَتْكَ الـمُـرُوءَةُ مَا تَتَّقِي، ... وَآمَـنَـكَ الْـوُدُّ مَـا تَـحْـذَرُ
وَسِـرُّكُـمُ فـي الْـحَشَا مَيِّتٌ ... إذَا أُنْـشِـرَ الـسِّرُّ لا يُنْشَرُ
كأَنِّيْ عَصَتْ مُقْلَتِيْ فِيكُمُ ... وَكَـاتَـمَـتِ الْقَلْبَ ما تُبْصِرُ
وَإفْـشَـاءُ مَـا أَنَـا مُـسْـتَـوْدَعٌ ... مِـنَ الْـغَـدْرِ، وَالْـحُـرُّ لا يَغْدِرُ
إذَا مَـا قَـدَرْتُ عَـلَى نَطْقَةٍ ... فَـإنِّـيْ عَـلَـى تَـرْكِـهَـا أَقْـدَرُ
أُصَـرِّفُ نَفْسِيْ كَمَا أَشْتَهِي ... وَأَمْـلِـكُـهَـا وَالْـقَـنَـا أَحْـمَـرُ
دَوَالَـيْـكَ يَـا سَيْفَهَا دَوْلَـةً ... وأَمْـرَكَ يَـا خَيْـرَ مَـنْ يَـأْمُـرُ
أَتَـانِـيْ رَسُـولُـكَ مُسْتَعْجِلاً ... فَلَبَّاهُ شِـعْـرِيْ الَّـذِي أَذْخَـرُ
وَلَـوْ كَـانَ يَـوْمَ وَغًـى قَاتِماً ... لَـلَـبَّـاهُ سَـيْـفِـيَ وَالأشْـقَـرُ
فَـلاَ غَـفَـلَ الـدَّهْـرُ عَـنْ أَهْـلِـهِ ... فَـإنَّـكَ عَـيْـنٌ بـهَـا يَـنْـظُـرُ

وعاتَبَهُ سيفُ الدَّوْلةِ في المَيْدانِ واسْتَبْطَأَهُ في مَدْحِه، فعادَ إلى مَنْزِلِه
وكَتَبَ إليهِ [من أوّلِ المتقارب والقافيةُ متواتر]: [من المتقارب]

أَرَى ذلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا ... وَصَارَ طَوِيلُ السَّلاَمِ اخْتِصَارَا
تَـرَكْـتَـنِـيَ الْـيَـوْمَ فِي خَجْلَةٍ ... أَمُـوتُ مِـرَاراً وَأَحْـيَـا مِـرَارَا
أُسَـارِقُـكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً ... وَأَزْجُرُ في الْخَيْلِ مُهْرِيْ سِرَارَا
وَأَعْـلَـمُ أَنِّـيْ إذَا مَا اعْـتَـذَرْتُ ... إلَيْكَ أَرَادَ اعْـتِـذَارِيْ اعْتِذَارَا
كَـفَـرْتُ مَـكَـارِمَـكَ الْـبَـاهِـرَا ... تِ إنْ كَانَ ذلِكَ مِنِّيْ اخْتِيَارَا

وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إلاَّ القَليـ ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إلاَّ غِـرَارَا
وَمَـا أنَـا أَسْقَمْتُ جِسْمِيْ بِهِ، وَمَا أنَا أَضْرَمْتُ في القَلْبِ نَارَا
فَلاَ تُلْزِمَنِّي ذُنُـوبَ الـزَّمَانِ إلَـيَّ أَسَـاءَ وَإيَّـايَ ضَارَا
وَعِـنْدِيْ لَـكَ الـشُّرُدُ السَّائِرَا تُ لاَ يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأرْضِ دَارَا
قَـوَافٍ إذا سِـرْنَ عَـنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا
وَلِـيْ فِيكَ مَـا لَـمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَما لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارَا
أَشَـدُّهُـمُ فـي الـنَّدَى هِـزَّةً وأَبْـعَـدُهُـمْ في عَـدُوٍّ مُـغَـارَا
سَمَا بِكَ هَمِّي فَـوْقَ الْهُمُوم فَلَسْتُ أعُـدُّ يَـسَـاراً يَـسَارَا
وَمَـنْ كُنْتَ بَحْراً لَـهُ يا عَلِيْـ ـيُ لَـمْ يَقْبَلِ الـدُّرَّ إلاَّ كِبارَا

وقالَ يَمْدَحُه في انْسلاخِ شَهْرِ رَمَضَانَ، من البسيطِ الأوّلِ والقافيةُ مُتَراكِبٌ: [من البسيط]

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالأعْيادُ وَالْعُصُرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
تُـرِيْ الأَهِلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ
مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إلاَّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ في دَهْـرِهِ زَهَرُ
مَا يَنْتَهِيْ لَـكَ في أَيَّامِهِ كَـرَمٌ فَلاَ انْتَهَى لَكَ في أعْوَامِهِ عُمُرُ
فإنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِها شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا[1] الشَّيْبُ والْكِبَرُ

وقال [وقد جلَسَ سيفُ الدولةِ لرسُولِ مَلِكِ الرُّومِ سَنَةَ ثلاثٍ وأربعينَ وثلاثمئةٍ وأحْدَقَ به الجيشُ والغِلْمانُ، وثَقُلَ على أبي الطَّيِّبِ الدُّخُولُ

(١) [مِنْهُ]

لشِدّةِ الزّحام فاسْتَبطأهُ الأمير، فقالَ ارتجالاً ـ والوَزْنُ وزْنُ ما قبْلَها ـ: [من البسيط]

ظُلْمٌ لِذَا الْيَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ ... لا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ
تَزاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَباً ... إلى بِسَاطِكَ لِيْ سَمْعٌ ولا بَصَرُ
فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ ... مُعَايِناً وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ
الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلْكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ ... لأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ
وَإنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ ... فَمَا يَزَالُ عَلَى الأَمْلاكِ يَفْتَخِرُ
قَدِ اسْتَرَاحَتْ إلَى وَقْتٍ رِقَابُهُمُ ... مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ
وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمُ ... لِكَيْ تَجِمَّ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ
تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالأَمْطَارِ غَادِيَةً ... جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْمَطَرُ
تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً ... كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ

وقالَ يَمْدحُه ويذكُرُ وقْعَتَهُ بِبَنِي عُقَيلٍ، من الوافر الأول والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

طِوَالُ قَناً تُطَاعِنُهَا قِصَارُ ... وَقَطْرُكَ في نَدًى وَوَغًى بِحَارُ
وَفِيكَ إذَا جَنَى الجَانِي أَنَاةٌ ... تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِيَ احْتِقَارُ
وَأَخْذٌ لِلْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي ... بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوَّدْهُ نِزَارُ
تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إنْساً ... وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرُوهَا نِفَارُ
وَمَا انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ في زَمَانٍ ... فَتَدْرِيَ مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ
فَأَقْرَحَتْ(١) المَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا ... وَصَعَّرَ خَدَّهَا هَذَا العِذَارُ

(١) [فأفْدَحتْ]

وَأَطْـمَـعَ عَامِرَ البُقْيَا عَلَيْهَا ... وَنَزَّقَهَا احْتِمَالُكَ والْـوَقَـارُ
وَغَيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي ... وَأَعْجَبَهَا التَّلَبُّبُ وَالْمُغَارُ
جِيَادٌ تَعْجِزُ الأَرْسَـانُ عَنْهَا ... وَفُـرْسَـانٌ تَضِيقُ بِهَا الـدِّيَـارُ
وَكَـانَـتْ بالتَّوَقُّفِ عَـنْ رَدَاهَـا ... نُفُوساً في رَدَاهَـا تُسْتَشَارُ
وَكُنْتَ السَّيْفَ: قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ ... وفي الأَعْـدَاءِ حَـدُّكَ وَالْـغِـرَارُ
فَـأَمْـسَـتْ بِـالْـبَـدِيَّـةِ شَـفْـرَتَـاهُ ... وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحِيَارُ
وَكَـانَ بَنُو كِـلاَبٍ حَيْثُ كَعْبٌ ... فَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا
تَـلَـقَّـوْا عِـزَّ مَـوْلاَهُـمْ بِـذُلٍّ ... وَسَـارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَـارُوا
فَأَقْبَلَهَا الْـمُـرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ... ضَـوَامِـرَ لاَ هِـزَالَ وَلاَ شِيَارُ
تُثِيرُ عَلَى سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًّا ... تَـنَـاكَـرُ تَحْتَهُ لَـوْلاَ الشِّعَارُ
عَجَاجاً تَعْثُرُ العِقْبَانُ فيهِ ... كَـأَنَّ الْـجَـوَّ وَعْـثٌ أَوْ خَبَارُ
وَظَلَّ الطَّعْنُ في الْخَيْلَيْنِ خَلْساً ... كَـأَنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ
فَـلَـزَّهُـمُ الـطِّـرَادُ إِلَـى قِـتَـالٍ ... أَحَـدُّ سِـلاَحِـهِـمْ فيهِ الـفِـرَارُ
مَضَوْا مُتَسَابِقِي الأَعْضَاءِ فيهِ ... لأَرْؤُسِـهِـمْ بأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ
يَـشُـلُّـهُـمُ بِـكُـلِّ أَقَـبَّ نَـهْـدٍ ... لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ
وَكُـلِّ أَصَـمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ ... عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ
يُـغَـادِرُ كُـلَّ مُـلْـتَـفِـتٍ إِلَـيْـهِ ... وَلَـبَّـتُـهُ لِـثَـعْـلَـبِـهِ وِجَـارُ
إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضَّوْءَ عَنْهُمْ ... دَجَـا لَـيْـلاَنِ: لَـيْـلٌ وَالْـغُـبَارُ
وَإِنْ جُنْحُ الظَّلاَمِ انْجَابَ عَنْهُمْ ... أَضَـاءَ المَشْرَفِيَّةُ وَالـنَّـهَـارُ

يُبَكِّي خَلْفَهُمْ دَثْرٌ بُكَاهُ   رُغَاءٌ أَوْ ثُؤَاجٌ أَوْ يُعَارُ
غَطَا بِالْعِثْيَرِ(١) الْبَيْدَاءَ حَتَّى   تَحَيَّرَتِ(٢) الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ
وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا   كِلاَ الْجَيْشَيْنِ مِنْ نَقْعٍ إِزَارُ
وَجَاؤُوا الصَّحْصَحَانَ بِلاَ سُرُوجٍ   وَقَدْ سَقَطَ الْعِمَامَةُ وَالْخِمَارُ
وَأُرْهِقَتِ الْعَذَارَى مُرْدَفَاتٍ   وَأُوطِئَتِ الأُصَيْبِيَةُ الصِّغَارُ
وَقَدْ نُزِحَ الْغُوَيْرُ فَلاَ غُوَيْرٌ   وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ،   وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمْ دَمَارُ
أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا   فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لا يُدَارُ
وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ   وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ
يَحُفُّ أَغَرَّ لا قَوَدٌ عَلَيْهِ   وَلاَ دِيَةٌ تُسَاقُ وَلاَ اعْتِذَارُ
تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي   وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ
فَكَانُوا الأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ   عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ
إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ   بِأَرْمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْقِفَارُ
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً   فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتُ اضْطِرَارُ
إِذَا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ   فَقَتْلاَهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ
وَلَوْ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا   وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ
إِذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ   فَمَنْ يُرْعِي عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ؟
تُفَرِّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا   وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النِّجَارُ
وَمَالَ بِهَا عَلَى أَرَكٍ وَعُرْضٍ   وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ
وَأَجْفَلَ بِالْفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ   وَزَأْرُهُمُ الَّذِي زَأَرُوا خُوَارُ

(١) [بالعُنْثُر]
(٢) [تُخُيِّرَتِ]

فَهُمْ حِزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى ... بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمُ خُمَارُ
فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ في الصُّبْحِ مَالٌ ... وَلَـمْ تُـوقَـدْ لَهُمْ باللَّيْلِ نَـارُ
حِـذَارَ فَتًى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ ... فَلَيْسَ بِنَافعٍ لَـهُـمُ الْـحِـذَارُ
تَبِيتُ وُفُـودُهُـمْ تَـسْـرِيْ إِلَيْهِ ... وَجَـدْوَاهُ الَّتي سَأَلُوا اغْتِفَارُ
فَخَلَّفَهُمْ بِـرَدِّ الْبِيضِ عَنْهُمْ ... وَهَـامُـهُـمُ لَـهُ، مَعَهُمْ مُعَارُ
وَهُـمْ مِـمَّـنْ أَذَمَّ لَـهُـمْ عَلَيْهِ ... كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا ... وَلَـيْـسَ لِبَـحْـرِ نَـائِـلِهِ قَـرَارُ
وَأَضْحَى ذِكْـرُهُ في كُلِّ أَرْضٍ ... تُـدَارُ على الْغِنَاءِ بِـهِ الْعُقَارُ
تَخِرُّ لَـهُ الْقَبَائِلُ سَـاجِـدَاتٍ ... وَتَـحْـمَـدُهُ الأَسِـنَّـةُ وَالشِّفَارُ
كَـأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فيهِ ... فَفِي أَبْـصَـارِنَـا مِنْهُ انْكِسَارُ
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَـذَا عَلِيٌّ ... وَخَيْلُ اللَّهِ وَالأَسَـلُ الْحِرَارُ
يَـرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْـهُ كَعْبٌ ... بِـأَرْضٍ مَـا لِنَازِلِهَا اسْتِتَارُ
يُـوَسِّـطُـهُ الـمَـفَـاوِزَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... طِـلَابُ الطَّالِبِينَ لا الانْتِظَارُ
تَصَاهَلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ ... وَمَـا مِنْ عَـادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ
بَنُو كَعْبٍ وَمَـا أَثَّـرْتَ فِيهِمْ ... يَـدٌ لَـمْ يُـدْمِـهَـا إِلاَّ الـسِّـوَارُ
بِهَا مِـنْ قَطْعِهِ أَلَـمٌ وَنَقْصٌ ... وَفِيهَا مِـنْ جَـلَالَـتِـهِ افْتِخَارُ
لَهُمْ حَـقٌّ بِشِرْكِكَ في نِـزَارٍ ... وَأَدْنَـى الشِّرْكِ في أَصْلٍ جِوَارُ
لَـعَـلَّ بَنِيهِمُ لِبَنِيْكَ جُنْدٌ ... فَـأَوَّلُ قُـرَّحِ الْخَيْلِ المِهَارُ
وَأَنْـتَ أَبَـرُّ مَـنْ لَـوْ عُـقَّ أَفْنَى ... وَأَعْـفَـى مَـنْ عُقُوبَتُهُ الْـبَـوَارُ

وَأَقْـدَرُ مَـنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصارٌ ... وَأحْـلَـمُ مَـنْ يُحَلِّمُهُ اقْـتِـدَارُ
وَما في سَطْوَةِ الأَرْبَـابِ عَيْبٌ ... وَلاَ فـي ذِلَّـةِ الْـعُـبْـدَانِ عـارُ

وقال في صِباه يهجو رجُلاً يقالُ له سِوارٌ الرَّمْليُّ، نَزَل به في بعض أَسْفارِه فلم يُحْسِنْ قِراهُ، من ثالثِ الطويلِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

بَـقِـيَّـةُ قَـوْم آذَنُـوا بِـبَـوَارِ ... وَأَنْضاءُ أَسْفار كَشَرْب عُقَارِ
نَزَلْنَا عَلَى حُكْم الرِّيَاح بِمَسْجِدٍ ... عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبًا حَصًى وَغُبَارِ
خَلِيلَيَّ مَا هذَا مُنَاخاً لِمِثْلِنَا(١) ... فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَـلاَ بِنَهارِ
وَلاَ تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإنَّهَا ... قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ باتَ عِنْدَ سِوَارِ!

وقال في صِباه بيتاً مُفْرَداً، من أول الطويل [والقافيةُ متواتِرٌ]: [من الطويل]

إذا لَمْ تَجِدْ ما يَبْتُرُ الْفَقْرَ قَاعِداً ... فَقُمْ واطْلُبِ الشَّيْءَ الّذي يَبْتُرُ الْعُمْرَا

وقال أيضاً في صِباه ولم يُنْشِدْهَا أَحَداً، من البسيط والقافية [متراكِبٌ]: [من البسيط]

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمائِرُهُ ... وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَـوادِرُهُ
وَكاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ ... وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لاَ تَخْفَى سَرَائِرُهُ
لَوْلاَ ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شُغِفْتُ(٢) بِهِمْ ... وَلاَ بِـرَبْـرَبِـهِـمْ لَـوْلاَ جَـآذِرُهُ
مِنْ كُلِّ أَحْـوَرَ في أَنْيَابِهِ شَنَبٌ ... خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مِسْكٌ تُخَامِرُهُ
نُعْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْـجٌ نَـوَاظِـرُهُ ... حُمْرٌ غَـفَـائِـرُهُ سُـودٌ غَـدَائِـرُهُ
أَعَارَنِي سُقْمَ عَيْنَيْهِ وَحَمَّلَنِي ... مِنَ الهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ

(١) [الراكِب]
(٢) [شَقِيتُ]

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِيْ فَعَذَّبَنِي ... وَمَنْ فُؤَادِيْ عَلَى قَتْلِيْ يُضَافِرُهُ
بِـعَـوْدَةِ الـدَّوْلَـةِ الـغَـرَّاءِ ثَانِيَةً ... سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلَ سَاهِرُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِيْ لاَ صَبَاحَ لَهُ ... كَـأَنَّ أَوَّلَ يَـوْمِ الْحَشْرِ آخِـرُهُ
غَابَ الأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ ... كَادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ
قَدِ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الأَحْيَاءِ أَرْبُعُهُ ... وَخَبَّرَتْ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ
حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبَابُ لَهُ ... أَهَـلَّ لِـلَّـهِ بَـادِيـهِ وَحَـاضِـرُهُ
وَجَـدَّدَتْ فَرَحاً لاَ الغَمُّ يَطْرُدُهُ ... وَلاَ الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ
إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصُ ـ لاَ خَلَتْ أَبَداً ـ ... فَلاَ سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ
دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ ... وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ
فِي فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ ... صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ
تَمْضِي الْمَوَاكِبُ وَالأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ ... مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
قَدْ حِزْنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ ... فِي دِرْعِـهِ أَسَـدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ
حُلْوٍ خَلاَئِقُهُ شُـوْسٍ حَقَائِقُهُ ... تُحْصَى الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ
تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ ... كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ
إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ ... مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ
تَحْمَى السُّيُوفُ عَلى أَعْدَائِهِ مَعَهُ ... كَـأَنَّـهُـنَّ بَـنُـوهُ أَوْ عَـشَـائِـرُهُ
إِذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَداً ... إِلاَّ وَبَـاطِـنُـهُ لِلْعَيْنِ ظَـاهِـرُهُ
فَقَدْ تَيَقَّنَّ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ ... وَقَـدْ وَثِقْـنَ بِـأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ
تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ[١] وَثَعْلَبَةٍ ... عَلَى رُؤُوسٍ بِلاَ نَاسٍ مَغَافِرُهُ

(١) [كَعْبٍ]

فَخَاضَ بالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمُ ... وَكَانَ مِنْهُ إلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ

حَتَّى انتهَى الفرَسُ الْجَارِي وَمَا وَقَعتْ ... فِي الأَرْضِ مِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ ... وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ

وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ ... فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ

مَنْ قَالَ: لَسْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَاذِرُهُ

أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِي زَمَانِهِمِ ... بِلاَ نَظِيرٍ فَفِي رُوحِيْ أُخَاطِرُهُ

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ ... جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ

لاَ يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلاَ يَهِيضُونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ

ارْحَمْ شَبَابَ فَتًى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ ... يَدُ البِلَى وَذَوَى فِي السِّجْنِ نَاضِرُهُ

وقال يَمْدحُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ يَحْيَى البُحْتُرِيَّ، من أولِ الطويل والقافيةُ متواتر: [من الطويل]

أَرِيقُكِ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ؟ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِيْ جَمْرُ

أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدِّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ؟ ... وَذَيَّا الَّذِي قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرُ؟

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي ... فَقُلْنَ: نَرَى شَمْساً وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ!

رَأَيْنَ الَّتِي لِلسِّحْرِ فِي لَحَظَاتِهَا ... سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِي أَبَداً حُمْرُ

تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرَكَاتِهَا ... فَلَيْسَ لِرَاءٍ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ

إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ ... بِيَ الْبِيدَ عِيسٌ(١) لَحْمُهَا وَالدَّمُ الشِّعْرُ

نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا ... فَسَارَتْ وَطُولُ الأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرُ

إِلَى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ ... وَبَحْرِ نَدًى فِي مَوْجِهِ يَغْرَقُ الْبَحْرُ

(١) [عَنْسٌ]

وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ ... شَبِيهاً بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْهَجْرُ
فَتًى كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ ... رِمَاحُ المَعَالِي لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ ... فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرُ
وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ ... لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ
أَرَاهُ صَغِيراً قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ ... فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ
مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ ... تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْخَسِفِ البَدْرُ
تَرَ الْقَمَرَ الأَرْضِيَّ وَالمَلِكَ الَّذِي ... لَهُ المُلْكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالمَجْدُ وَالذِّكْرُ
كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكْرُ
لَهُ مِنَنٌ تُفْنِي الثَّنَاءَ كَأَنَّمَا ... بِهِ أَقْسَمَتْ أَلَّا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ
أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلاَّ لِأَهْلِهِ ... وَمَا لامْرِئٍ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرُ
هُمُ النَّاسُ إِلاَّ أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ ... يُغَنِّي بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ
بِمَنْ أَضْرِبُ الأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُهُ ... إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ؟

وقال يرْثِي محمدَ بْنَ إسْحاقَ التَّنُوخِيَّ، من [ثاني] الكامل والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الكامل]

إِنِّي لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرُ ... أَنَّ الْحَيَاةَ - وَإِنْ حَرَصْتَ - غُرُورُ
وَرَأَيْتُ كُلاًّ مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ ... بِتَعِلَّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ
أَمُجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ ... فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى ... أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ
مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى ... رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ

خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَـاكٍ خَلْفَهُ ... صَعقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ
وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّماءِ مَرِيضَةٌ ... وَالأَرْضُ واجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ
وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ المَلائِكِ حَوْلَهُ ... وَعُـيُـونُ أَهْـلِ اللاَّذِقِيَّةِ صُوْرُ
حَتَّى أَتَـوْا جَدَثاً كأَنَّ ضَرِيحَهُ ... فِي قَلْبِ كُـلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ
بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ الْبِلَى مِنْ مُلْكِهِ ... مُغْفٍ وَإِثْـمِـدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ
فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتُّقَى ... وَالْبَأْسُ أَجْمَعُ وَالْحِجا وَالْخِيْرُ
كَـفَـلَ الثَّنَاءُ لَـهُ بِـرَدِّ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انْـطَـوَى فَـكَـأَنَّـهُ مَنْشُورُ
وَكَأَنَّما عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ ... وكَـأَنَّ عَـازَرَ شَخْصُهُ المَقْبُورُ
فَأُعِيذُ إِخْـوَتَـهُ بِـرَبِّ مُحَمَّدٍ ... أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ
أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ ... حَـيَّـاهُ فِيهَا مُـنْـكَـرٌ وَنَـكِـيـرُ
نَفَرٌ إذا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ ... عَنْهَا فآجَالُ الْعِبَادِ حُضُورُ
وَإِذَا لَقُوا جَيْشاً تَيَقَّنَ أَنَّـهُ ... مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ
لَمْ تُثْنَ فِي طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ ... إلاَّ وَعُـمْـرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ
يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِـمْ عَنْ نِيَّةٍ ... إِنَّ المُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ
وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ ... إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ

فَسَأَلَهُ أَخُو المَيِّتِ الحُسَيْنُ بنُ إِسْحاقَ فزادَهُ فيها،
فَقَالَ - من البَحْرِ والقافيةِ كالتي قَبْلَها -: [من الكامل]

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهُـنَّ بُحُورُ ... وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُـنَّ سَعِيرُ
يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَـرَارُهُ ... فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ

صَبْراً بَنِي إِسْحاقَ عَنْهُ تَكَرُّماً … إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ … وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ
أَيَّامَ قَائِمُ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْـ … ـيُمْنَى وَبَاعُ المَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ
وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِماءٍ أَحْمَرٍ … فِي شَفْرَتَيْهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ

فجَعَلُوا الزِّيادةَ بَعْدَ قولِه: «وكأَنَّ عازِرَ شَخْصُهُ المَقْبُورُ».
وسَأَلَهُ بَنُو عَمِّ المتوفَّى أَنْ يَزِيدَ فيها ما يَنْفِي عَنْهُم
الشَّماتةَ وما ذَكَرَهُ الحُسَّادُ، فقالَ من البحرِ والقافيةِ: [من الكامل]

أَلآلِ إِبْراهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ … إِلاَّ حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ
مَا شَكَّ خابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ … أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمُ مَحْظُورُ
تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي … سَاعَاتُ لَيْلِهِمُ وَهُنَّ دُهُورُ
أَبْنَاءُ عَمٍّ، كُلُّ ذَنْبٍ لامْرِئٍ … إِلاَّ السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ … وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ
وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً … جُودِيْ بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرُ
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا … يَجْرِي بِفَصْلِ قَضَائِهِ المَقْدُورُ

ودخَلَ على عليّ بنِ إبراهيمَ التَّنُوخيّ فعَرَضَ عليه كأْساً كانت في يَدِه،
فيها شَرابٌ أَسْوَدُ، فقال ارتجالاً: «إذا ما الكأْسُ أَرْعَشَتِ اليَدَيْنِ» -
وتُذْكَرُ [في] قافيةِ النون- ثُمَّ شَرِبَها فقال،
من [أول] الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

مَرَتْكَ ابْنَ إِبْراهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ … وَهُنِّئْتَهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ
رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فِي الزُّجَاجِ بِكَفِّهِ … فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ فِي الْبَحْرِ

إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِراً	نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ

وَدَخَلَ على بَدْرِ بنِ عمّارٍ يوماً وقد أَمَرَ الغِلْمانَ أنْ يَحْجُبوا الناسَ عنه لِيَخْلُوَ للشُّرْبِ، فقالَ ارتجالاً من [أول الكامل والقافيةُ متدارِك] : [من الكامل]

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ	هَيْهَاتَ، لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ
مَنْ كَانَ ضَوءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ	لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ	وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ

وسَقَاهُ بَدْرٌ فأخذَ الشَّرابُ من أبي الطيب، وأَرادَ الانصرافَ فلم يَقْدِرْ على الكلامِ، فقالَ هذينِ البيتينِ ارتجالاً وهو لا يَدْري، فأنشدَهُ ابنُ الخُراسانيّ إيّاهُما، من سادسِ البسيط والقافيةُ متواترٌ : [من مخلع البسيط]

نَالَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهُ مِنِّي	لِلَّهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى مَحَلِّي	آآذَنٌ أَيُّهَا الأَمِيرُ؟

[وقال يصفُ لُعْبَةً في صُورةِ جاريةٍ]، وكانَ لِبَدْرٍ [بن عمّار] جليسٌ أَعْوَرُ يُعْرَفُ بابن كَرَوَّسٍ، يَحْسُدُ أبا الطيبِ لِمَا كانَ يُشاهِدُهُ من أدبه وسُرعةِ خاطره، لأنه لم يكُنْ يَجْري شيءٌ في المَجْلِسِ إلا ارتجَلَ فيه شِعْراً؛ فقالَ لبدر : أَظُنُّهُ يَعْمَلُ هذا قَبْلَ حُضوره ويُعِدُّهُ، ومِثْلُ هذا لا يَجُوزُ أن يكونَ. فقال [بدْرٌ] : فأنا أَمتحِنُه بشيءٍ أُحْضِرُه للوقت. فلمّا كَمُلَ المَجْلِسُ ودارتِ الكؤوسُ أَخْرَجَ لُعْبَةً قد اسْتَعَدَّها، لها شَعْرٌ في طُولِها، تدُورُ على لَوْلَبٍ، وإحْدَى رِجْلَيْها مَرْفُوعةٌ، وفي

يَدِها طاقةُ نَرْجِسٍ ؛ فإذا وقَفَتْ حذاءَ إنسانٍ شَرِبَ فدارَتْ ؛ [فوضَعَها من يَدِه ونَقَرها] فقال أبو الطيب ارتجالاً

من ثالث المتقارب والقافيةُ متدارِكٌ : [من المتقارب]

وَجَـارِيَـةٍ شَـعْـرُهَـا شَطْرُهَا
مُـحَـكَّـمَـةٍ نَـافِـذٍ أَمْـرُهَـا

تَـدُورُ وَفـي كَـفِّـهَـا طَـاقَـةٌ
تَضَمَّنَهَا مُـكْـرَهـاً شِـبْـرُهَـا

فَـإِنْ أَسْكَرَتْنَا فَفِي جَهْلِهَا
بِـمَـا فَـعَـلَـتْـهُ بِـنَـا عُـذْرُهَـا

وقال من أوّلِ البسيط والقافيةُ [متراكِبٌ] : [من البسيط]

إِنَّ الأَمِـيـرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَـتَـهُ
لَفَاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْراً بِهِ مُضَرُ

فِي الشَّرْبِ جارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
مَا كَـانَ وَالِـدَهَـا جِنٌّ ولاَ بَشَرُ

قَامَتْ عَلَى فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهابَتِهِ
وَلَيْسَ تَعْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

ثُمَّ قال لبدر : ما حَمَلَكَ على ما فَعَلْتَ؟ فقال : أرَدْتُ أن أَنْفِيَ الظُّنونَ عن أَدَبِك، فقال [من ثاني البسيط والقافيةُ متواتِرٌ] : [من البسيط]

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِي الظَّنَّ عَنْ أَدَبِي
وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْعَصْرِ مِقْدَارا

إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ المَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ
يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارا

فقال لهُ بَدْرٌ : بل واللهِ للدينارِ قِنْطاراً ،

فقال ارتجالاً ، من خامسِ الكاملِ والقافيةُ متواتِرٌ : [من الكامل]

بِـرَجَـاءِ جُـودِكَ يُـطْـرَدُ الْفَقْرُ
وَبِـأَنْ تُـعَـادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ

فَخَرَ الـزُّجَـاجُ بِـأَنْ شَرِبْتَ بِهِ
وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخَمْرُ

وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهْـيَ تُسْكِرُنَا
حَتَّى كَـأَنَّـكَ هَـابَـكَ السُّكْرُ

مَـا يُـرْتَـجَـى أَحَـدٌ لِمَكْرُمَةٍ	إلاَّ الإلَـــهُ وَأَنْـــتَ يَا بَــدْرُ

وقال لأبي الحَسَنِ عليّ بن أحْمَدَ الخُراسانيّ يَمْدَحُه: «لا افتخارٌ إلاّ لِمَنْ لا يُضامُ . . . .» ، فحمَلَهُ على فرَسٍ وسألَهُ المُقامَ عنده؛ فقال ـ من ثاني البسيط والقافيةُ متواتِرٌ ـ: [من البسيط]

لا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ في عَجَلٍ	فَإنَّنِي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارِ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الإنْسَانُ مُهْجَتَهُ	يَوْمَ الْوَغَى غَيْرَ قالٍ خَشْيَةَ الْعَارِ
وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أُحَارِبُهُمْ	فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي

وقال يَصِفُ مَسِيرَهُ [في البَوادي] وما لَقِيَ في أَسْفارِه، ويذُمُّ الأَعْوَرَ ابْنَ كَرَوَّسٍ، من الأول من الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

عَذِيرِيَ مِنْ عَــذَارَى مِنْ أُمُورِ	سَكَنَّ جَوانِحِيْ بَدَلَ الْخُدُورِ
وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ	عَنِ الأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ
رَكِـبْـتُ مُشَمِّراً قَـدَمِـيْ إلَيْهَا	وَكُــلَّ عُــذَافِـرٍ قَـلِـقِ الضُّفُورِ
أَوَانـاً فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِي	وَآوِنَـــةً عَـلَـى قَـتَـدِ الْبَعِيرِ
أُعَـرِّضُ لِلرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِي	وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِيَ لِلْهَجِيرِ
وَأَسْرِيْ في ظَلامِ اللَّيْلِ وَحْدِي	كَـأَنِّـيَ مِـنْـهُ فـي قَـمَـرٍ مُنِيرِ
فَقُلْ في حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا	ـ عَلَى شَغَفِيْ بِهَا ـ شَرْوَى نَقِيرِ
وَنَفْسٍ لا تُجِيبُ إلَى خَسِيسٍ	وَعَـيْـنٍ لا تُــدَارُ عَلَى نَظِيرِ
وَكَــفٍّ لا تُـنَـازِعُ مَـنْ أَتَـانِـي	يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخِيْرِي
وَقِـلَّـةِ نَـاصِـرٍ، جُوزِيتَ عَنِّي	بِـشَـرٍّ مِـنْـكَ يَـا شَـرَّ الـدُّهُـورِ

عَـدُوِّيَ كُـلُّ شَـيْءٍ فيكَ حتَّى … لَخلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدُورِ
فَلَوْ أَنِّـيْ حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ … لَجُدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ
وَلَكِنِّيْ حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي … وَمَـا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلاَ سُـرُورِ؟
فَيَا بْنَ كَـرَوَّس يا نِصْفَ أَعْمَى … وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ
تُـعَـادِينَـا لأَنَّـا غَـيْـرُ لُكْنٍ … وَتُبْغِضُنَا لأَنَّـا غَـيْـرُ عُـوْرِ
فَلَوْ كُنْتَ امْـرَأً يُهْجَى هَجَوْنَا … وَلَـكِـنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَـنْ مَسِيرِ

وقال يَمْدَحُ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ عامِرٍ الأَنْطاكِيَّ، من أول الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ … وَحِيداً، وَمَا قَوْلِيْ كَذَا وَمَعِيْ الصَّبْرُ؟
وَأَشْجَعُ مِنِّيْ كُلَّ يَوْمٍ سَلاَمَتي … وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَّسْتُ بالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا … تَقُولُ: أَمَاتَ المَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْـدَامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لِي … سِوَى مُهْجَتِيْ أَوْ كَانَ لِيْ عِنْدَهَا وِتْرُ
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا … فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ
وَلاَ تَحْسَبَنَّ المَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً … فَمَا المَجْدُ إِلاَّ السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ المُلُوكِ وَأَنْ تُرَى … لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ المَجْرُ
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّـا كَأَنَّمَا … تَدَاوَلُ سَمْعَ المَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ … عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ
وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ … مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ
عَلَيَّ لأَهْـلِ الْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ … عَلَيْهَا غُلاَمٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ

يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ ... كُؤُوسَ المَنَايَا حَيْثُ لا تُشْتَهَى الخَمْرُ
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِيْ الْـ ... ـجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ
وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكَانُنَا ... مِنَ الْعِيسِ فِيهِ: وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ
يَخِدْنَ بِنَا فِي جَـوْزِهِ وَكَأَنَّنَا ... عَلَى كُـرَةٍ أَوْ أَرْضُـهُ مَعَنَا سَفْرُ
وَيَـوْمٍ وَصَـلْـنَـاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ
وَلَـيْـلٍ وَصَـلْـنَـاهُ بِـيَـوْمٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ
وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامِراً ... عَلا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ
أَوِ ابْنَ ابْنِهِ الْبَاقِيْ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ ... يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجُزْ وَيَدِيْ صِفْرُ
وَإِنَّ سَحَاباً جَوْدُهُ مِثْلُ(١) جُودِهِ ... سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرُ
فَتًى لاَ يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَّاتِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرُ
وَلاَ يَنْفَعُ الإِمْكَانُ لَوْلاَ سَخَاؤُهُ ... وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلاَ الأَكُفُّ الْقَنَا السُّمْرُ؟
قِرَانٌ تَلاَقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ ... كَمَا يَتَلاَقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ
فَجَاءَا بِهِ صَلْتَ الْجَبِينِ مُعَظَّماً ... تَرَى النَّاسَ قُلاًّ حَوْلَهُ وَهُمُ كُثْرُ
مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْدَعاً ... هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِي مَا لَهُ جَزْرُ
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِيْ الشَّوْقُ نَحْوَهُ ... يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ
وَأَسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ ... فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ
إِلَيْكَ طَعَنَّا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ ... بِكُلِّ وَآةٍ كُـلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ
إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا(٢) ... كَأَنَّ نَوَالاً صَرَّ فِي جِلْدِهَا النِّبْرُ
فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى ... وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ
كَأَنَّكَ بَرْدُ المَاءِ لا عَيْشَ دُونَهُ ... وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ المَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعِشْرُ

(١) [شِبْهُ]
(٢) [بِنَا]

دَعانِيْ إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجا ... وَهذا الْكَلامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكادُ بُيُوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُوْرِهَا الْحِبْرُ
كَأَنَّ المَعَانِيْ فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلائِقُكَ الزُّهْرُ
وَجَنَّبَنِيْ قُرْبَ السَّلاطِينِ مَقْتُها ... وَمَا يَقْتَضِينِيْ مِنْ جَماجِمِهَا النَّسْرُ
وَإِنِّيْ رَأَيْتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَراً ... وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ
لِسَانِيْ وَعَيْنِيْ وَالْفُؤادُ وَهِمَّتِي ... أَوُدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ
وَمَا أَنَا وَحْدِيْ قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ ... وَلَكِنْ لِشِعْرِيْ فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ
وَمَا ذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقاً ... وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرُ
وَإِنِّـيْ وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ ... بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ
أَزَالَـتْ بِكَ الأَيَّـامُ عَتْبِيْ كَأَنَّمَا ... بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْـتَ لَها عُذْرُ

وقال يَمْدَحُ أبا [محمد] الحَسَنَ بن عُبَيْدِ اللهِ بن طُغْج،
من ثالثِ الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

وَوَقْتٍ وَفَى بِالدَّهْرِ لِيْ عِنْدَ وَاحِدٍ ... وَفَـى لِـيْ بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرَا
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ ... وَزَهْـرٍ تَـرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرَا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِمْ بِهِ، لاَ عَدِمْتُهُ، ... وَأَصْبَحَ دَهْرِيْ فِي ذَرَاهُ دُهُورَا

وَكَرِهَ الشُّرْبَ لمّا كَثُرَ البَخُورُ وارتفعَتْ رائحةُ النَّدِّ، فقالَ -
من المتقارب والقافيةُ متواتِرٌ -: [من المتقارب]

أَنَـشْـرُ الْكِبَاءِ وَوَجْـهُ الأَمِيرِ ... وَصَوْتُ[1] الْغِنَاءِ وَصَافِيْ الْخُمُورِ؟
فَـدَاوِ خُـمَـارِيْ بِـشُـرْبِـيْ لَهَا ... فَإِنِّيْ سَكِرْتُ بِشُرْبِ السُّرُورِ

(١) [وحُسْنُ]

وذكر أبو محمد أنَّ أباهُ اسْتَخْفى مرّةً فعرفهُ يهوديٌّ فدلَّ عليه،
فقالَ مُجيباً له، من ثالثِ [الرَّمَلِ] والقافيةُ [متراكِبٌ]: [من الرمل]

لاَ تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلى ... أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فلاَ يُنْكِرُهَا
إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ... ظُلْمَةً مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا

وسُئِلَ أبو الطَّيِّب عمّا ارتجلَهُ فيه من الشِّعْر، فأعادَهُ؛ فعجِبَ قومٌ من
حِفْظِهِ له فقال - من [أولِ الخفيف] والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الخفيف]

إنَّما أَحْفَظُ المَديحَ بِعَيْني ... لا بِقَلْبِيْ، لِمَا أَرَى في الأَمِيرِ
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ... نَظَمتْ لِيْ غَرَائِبَ المَنْثُورِ

ولَهُ فيهِ وقد اجتازَ بالرملةِ قاصداً لكافور فسألهُ المديح
[من الوزنِ والقافيةِ كالتي قَبْلَها]: [من الخفيف]

تَرْكُ مَدْحِيْكَ كَالهِجَاءِ لِنَفْسِي ... وَقَلِيلٌ لَكَ المَدِيحُ الْكَثِيرُ
غَيْرَ أَنِّيْ تَرَكْتُ مُقْتَضَبَ الشِّعْـ ... ـرِ لأَمْرٍ مِثْلِيْ به مَعْذُورُ
وَسَجَايَاكَ مَادِحَاتُكَ لاَ لَفْـ ... ـظِيْ[1] وَجُوْدٌ عَلَى كَلاَمِيْ يُغِيرُ
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أُحِبُّ بِكَفَّيْـ ... ـكَ وَأَسْقَاكَ أَيُّهذَا الأَمِيرُ

واجْتازَ بِبُسَيْطَةَ، وهو مَوْضِعٌ بأَطْرافِ الشّام، فَضَلَّ ومَنْ كانَ مَعَهُ،
فقال - من أوّلِ المتقارب والقافيةُ متواتِرٌ -: [من المتقارب]

بُسَيْطَةُ مَهْلاً، سُقِيتِ الْقِطَارَا ... تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِيْ حَيَارَى
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ ... وَظَنُّوا الصِّوَارَ عَلَيْكِ المَنَارَا
فَأَمْسَكَ صَحْبِيْ بِأَكْوَارِهِمْ ... وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا

وقال يَمْدحُ الأُسْتاذَ الرئيسَ أبا الفَضْلِ مُحَمَّدَ بنَ الحُسَيْنِ

(١) [شِعْرِي]

ابنِ محمَّدِ بنِ العَميدِ - وهي أوَّلُ ما قال فيه - بأَرَّجَانَ سنةَ أربعٍ وخمسين وثلاثمئةٍ، من أول الكامل والقافية [متدارِكٌ] : [من الكامل]

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا ... وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وابْتِسَامُكَ صَاحِباً ... لَمَّا رَآكَ وَفي الْحَشَى مَا لاَ يُرَى

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ ... فَكَتَمْنَهُ وكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا

تَعِسَ المَهَارِي غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا ... بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً في سِتْرِهِ ... لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا

لاَ تَتْرَبِ الأَيْدِي المُقِيمَةُ فَوْقَهُ ... كِسْرَى مُقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَا

يَقِيَانِ فِي أَحَدِ الهَوَادِجِ مُقْلَةً ... رَحَلَتْ فكَانَ لَهَا فُؤَادِي مَحْجِرَا

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِناً أَنْ يَحْذَرَا

وَلَوِ اسْتَطَعْتُ إِذِ اغْتَدَتْ رُوَّادُهُمْ ... لَمَنَعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا

فإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابِ فِرَاقِهِمْ ... جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يُمْطِرَا

وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ ... إلاَّ شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْباً أَخْضَرَا

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إلاَّ أَنَّهَا ... أَسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُؤْذَرَا

فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِيَ رَاحَتِي ... ضَعْفاً وَأَنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخِنْصِرَا

أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ ... وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا

أَرَجَانَ أَيَّتُهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ ... عَزْمِيَ الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيجَ مُكَسَّرَا

لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعَالَهُ ... مَا شَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الأَكْدَرَا

أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ المُبِرَّ أَلِيَّتِي ... لأُيَمِّمَنَّ أَجَلَّ بَحْرٍ جَوْهَرَا

أَفْتَى بِرُؤْيَتِهِ الأَنَـامُ وَحَاشَ لِي ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّراً أَوْ مُقْصِرَا

صُغْتُ السِّوَارَ لأَيِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ ... بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَيِّ عَبْدٍ كَبَّرَا

إِنْ لَمْ تُغِثْنِي خَيْلُهُ وَسِلاَحُهُ ... فَمَتَى أَقُودُ إِلى الأَعَادِيْ عَسْكَرَا؟

بِـأَبِـيْ وَأُمِّــيَ نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ... ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى!!

مَنْ لاَ تُرِيهِ الْحَرْبُ خَلْقاً مُقْبِلاً ... فِيهَا وَلاَ خَلْقٌ يَـرَاهُ مُـدْبِـرَا

خَنْثَى الْفُحُولَ مِنَ الْكُمَاةِ بِصَبْغِهِ ... مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعَصْفَرَا

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ ... شَرَفاً عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرَا

وَيَبِينُ فِيمَا مَـسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ ... تِيهُ الْمُدِلِّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا

يَا مَـنْ إِذَا وَرَدَ الْـبِـلاَدَ كِتَابُهُ ... قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا ارْتَكَبْتَ(١) طَرِيقَةً ... وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا؟

قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ ... وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا

فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى ... وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

وَإِذَا سَكَتَّ فَـإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ ... قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الأَصَابِعَ مِنْبَرَا

وَرَسَائِلٌ قَطَعَ الْعُدَاةُ سِحَاءَهَا ... فَـرَأَوْا قَناً وَأَسِـنَّـةً وَسَـنَـوَّرَا

فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا ... وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا

خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلاَمَهُ ... كَالْخَطِّ يَمْلأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا

أَرَأَيْــتَ هِمَّةَ نَاقَتِيْ فِي نَاقَةٍ ... نَقَلَتْ يَداً سُرُحاً وَخُفًّا مُجْمَرَا؟

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا ... طَلَباً لِقَوْمٍ يُـوقِـدُونَ الْعَنْبَرَا

وَتَكَرَّمَتْ رُكُبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ ... تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكاً أَذْفَـرَا

(١) [رَكِبْتَ]

فَأَتَتْكَ دامِيَـةَ الأَظَـلِّ كَأَنَّمَا ... حُذِيَتْ قَوائِمُهَا الْعَقِيقَ الأَحْمَرَا
بَـدَرتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا ... وَجَدَتْهُ مَشْغُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكِّرَا
مَنْ مُبْلِغُ الأَعْـرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا ... شَاهَدْتُ رِسْطَالِيسَ وَالإِسْكَنْدَرَا
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِها فَأَضافَني ... مَنْ يَنْحرُ الْبِدَرَ النُّضارَ لِمَنْ قَرَى
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ ... مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا ... رَدَّ الإِلـٰهُ نُفُوسَهُمْ وَالأَعْصُرَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّماً ... وَأَتَى «فَذَلِكَ» إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا
يَا لَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا ... نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا
وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لا تَرُدُّ فَضِيلَةً: ... الشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً ... وَأَسَـرُّ رَاحِـلَـةً وَأَرْبَـحُ مَتْجَرَا
زُحَلٌ ـ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ ـ ... لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَعْشَرَا

وكانَ مع الأمير [بآمِدَ]، أخذَهُ عندما سارَ إليها معَهُ، فدامَ المَطَرُ والريحُ وسقَطتِ الخِيَمُ، فقال ـ ولم يُنْشِدْها أحداً، فلمّا ماتَ أَلْحَقْناها بديوانِهِ مع ما قال ـ وهي هذه الأبياتُ، الأولُ من الوافرِ والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

أَآمِـدُ هَـلْ أَلَـمَّ بِـكِ النَّهَارُ ... قَدِيماً أَمْ أُثِـيـرَ بِـكِ الغُبارُ؟
إِذَا مَا الأَرْضُ كانت فيكِ ماءً ... فأَيْنَ بها لِـغَـرْقَـاكِ الـقَـرارُ؟
تَغَضَّبَتِ الشُّمُوسُ بها علينا ... وماجَتْ فوقَ أَرْؤُسِنا البِحارُ
حَنينَ البُخْتِ وَدَّعَها حَجيجٌ ... كَـأَنَّ خِـيامَـنَـا لَـهُـمُ جِـمَـارُ

فلا حَيَّا الإلهُ دِيارَ بَكْرٍ ... ولا رَوَّى مَزارِعَها القِطارُ!
بِلادٌ لا سَمينٌ مَنْ رَعاها ... ولا حَسَنٌ بأهْلِيها اليَسارُ
إذا لُبِسَ الدُّروعُ ليومِ حَرْبٍ ... فأَحْسَنُ ما لَبِسْتَ لها الفِرارُ!

وله في بُسْتانِ المُنْيَةِ بِمِصْرَ، وقد وقَعَتْ حِيطانُه من النِّيل، فقال - من الأول من البسيط والقافيةُ متراكِبٌ -: [من البسيط]

ذي الأرضُ عَمّا أتاها اليومَ غانيَةٌ ... وغَيْرُها كانَ مُحتاجاً إلى المَطَرِ
شَقَّ النَّباتَ عن البُسْتانِ رَيِّقُهُ ... مُحْيِي به جارَهُ المَيْدانَ بالشَّجَرِ
كأنَّما مُطِرَتْ فيه صَوالِجَةٌ ... تُطَرِّحُ السِّدْرَ فيه مَوْضِعَ الأُكَرِ

وله يهجُو ابنَ كَيْغَلَغَ، من الأول من الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

ألا لا خَلْقَ أَشْجَعُ من حُسَيْنٍ ... وأَطْعَنُ بالقَفا مِنْهُ النُّحورا
يَفِرُّ من الرِّماحِ إذا الْتَقَيْنا ... ويَبْلَعُها إذا كانَتْ أُيُورا!

قافية الزاي

وقال يَمْدَحُ أبا بَكْرٍ عليَّ بنَ صالحٍ الرُّوذَبارِيَّ الكاتبَ، من أول الخفيف والقافيةُ متواتِرٌ: [من الخفيف]

كَفِرِنْدِيْ فِرِنْدُ سَيْفِيْ الْجُرازِ ... لَذَّةُ الْعَيْنِ، عُدَّةٌ لِلْبِرازِ
تَحْسَبُ الماءَ خَطَّ في لَهَبِ النّا ... رِ أَدَقَّ الْخُطُوطِ فِي الأَحْرازِ
كُلَّما رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النّا ... ظِرَ مَوْجٌ كأنَّهُ مِنْكَ هازِي
وَدَقِيقٌ قَذَى[1] الْهَباءِ أَنِيقٌ ... مُتَوالٍ في مُسْتَوٍ هَزْهازِ
وَرَدَ الماءَ فَالْجَوانِبُ قَدْراً ... شَرِبَتْ وَالَّتِي تَلِيها جَوازِي

(١) [قِذى]

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى ... هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَرَّازِ
وَهْوَ لاَ تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارَيْـ ... ـهِ وَلاَ عِرَضَ مُنْتَضِيهِ المَخَازِي
يا مُزِيلَ الظَّلاَمِ عَنِّيْ وَرَوْضِي ... يَوْمَ شُرْبِيْ وَمَعْقِلِيْ فِي الْبِرَازِ
وَاليَمَانِيْ الَّذِي لَو اسْطَعْتُ كَانَتْ ... مُقْلَتِيْ غِمْدَهُ مِنَ الإِعْزَازِ
إِنَّ بَرْقِيْ إِذَا بَرَقْتَ فَعَالِي ... وَصَلِيلِيْ إِذَا صَلَلْتَ ارْتِجَازِي
لَمْ أُحَمَّلْكَ(١) مُعْلَماً هكَذَا إِلْـ ... ـلاَ لِضَرْبِ الرِّقَابِ وَالأَجْوَازِ
وَلِقَطْعِيْ بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا ... فَكِلاَنَا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غَازِي
سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ ... فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ
وَتَمَنَّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي ... طَالِبٌ لاِبْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِي
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوذَبَارِيْـ ... ـيِ وَلاَ كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَازِ
فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ المَجْدِ تَاجٌ ... كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ ... وَلَوَ انِّيْ لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِي
وَكَأَنَّ الْفَرِيدَ وَالدُّرَّ وَالْيَا ... قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ
شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ المَعَالِي ... عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالأَعْجَازِ
تَقْضَمُ الْجَمْرَ وَالْحَدِيدَ الأَعَادِي ... دُونَهُ قَضْمَ سُكَّرِ الأَهْوَازِ
بَلَّغَتْهُ الْبَلاَغَةُ الْجَهْدَ بِالْعَفْـ ... ـوِ وَنَالَ الإِسْهَابَ بِالإِيْجَازِ
حَامِلُ الْحَرْبِ وَالدِّيَاتِ عَنِ الْقَوْ ... مِ وَثِقْلِ الدُّيُونِ وَالإِعْوَازِ
كَيْفَ لاَ يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشَكَّوْا ... وَبِهِ لاَ بِمَنْ شَكَاهَا المَرَازِي
أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءِ وَمَا فِيـ ... ـهِ مَبِيتٌ لِمَالِكَ المُجْتَازِ
بِكَ أَضْحَى شَبَا الأَسِنَّةِ عِنْدِي ... كَشَبَا أَسْوُقِ الْجَرَادِ النَّوَازِي
وانْثَنَى عَنِّيَ الرُّدَيْنِيُّ حَتَّى ... دَارَ دَوْرَ الْحُرُوفِ فِي هَوَّازِ

(١) [وَلَمَ احمِلْكَ]

وَبِـآبَـائِـكَ الْـكِـرَامِ التَّأَسِّي وَالتَّسَلِّي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِي
تَرَكُوا الأَرْضَ بَعْدَمَا ذَلَّلُوهَا وَمَـشَـتْ تَحْتَهُمْ بِـلاَ مِهْمَازِ
وَأَطَاعَتْهُمُ الْجُيُوشُ وَهِيبُوا فَكَلاَمُ الْـوَرَى لَهُمْ كَالنُّحَازِ
وَهِـجَـانٍ عَلَى هِـجَانٍ تَآيَتْـ ـكَ[1] عَدِيدَ الْحُبُوبِ في الأَقْوَازِ
صَفَّهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَـوْقَ مِثْلِ الْمُلاَءِ مِثْلَ الطِّرَازِ
وَحَكَى في اللُّحُومِ فِعْلَكَ في الوَفْـ ـرِ فَـأَوْدَى بِالعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ
كُلَّمَا جَـادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَـادَتْ يَـدَاكَ بالإنْجَازِ
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ وَاضِـعُ[2] الثَّوْبِ في يَدَيْ بَزَّازِ
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهْوَ أَدْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْـدَى فِيهِ إِلَـى الإِعْجَازِ
وَمِـنَ النَّاسِ مَـنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُـعَـرَاءٌ كَـأَنَّـهَـا الْـخَـازِبَـازِ
وَيَـرَى أَنَّـهُ الْـبَـصِـيـرُ بِهذَا وَهْوَ في الْعُمْيِ ضَائِعُ الْعُكَّازِ
كُـلُّ شِـعْـرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيـ ـكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ

قافية السين

وجلسَ سَيْفُ الدولةِ للشُّرْبِ، فأَذَّنَ المؤذِّنُ وفي يدِهِ كأسٌ فوضَعَها؛
فقالَ المتنبّي - من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الوافر]

أَلاَ أَذِّنْ فَمَا أَذْكَـرْتَ نَاسِي وَلاَ لَيَّنْتَ قَلْباً وَهْـوَ قَاسِ
وَلاَ شُغِلَ الأَمِيرُ عَنِ المَعَالِي وَلاَ عَـنْ حَـقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ

وقال يمدحُ عبيدَ اللهِ [بْنَ خَلِكَانَ الطَّرابُلسيَّ]،
من أول البسيط والقافيةُ مُتَراكِبٌ: [من البسيط]

(١) [تَأَيَّتْكَ]
(٢) [يَضَعُ]

أَظَبْيَةَ الوَحْشِ لَوْلاَ ظَبْيَةُ الأَنَسِ … لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ في الْهَوَى تَعِسِ
وَلاَ سَقَيْتُ الثَّرَى وَالمُزْنُ مُخْلِفَةٌ … دَمْعاً يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسِي
وَلاَ وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْيَ ثَالِثَةٍ … ذِي أَرْسُمٍ دُرُسٍ فِي الأَرْسُمِ الدُّرُسِ
صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَآّلَ دِمْنَتِهَا … قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعَسِ
خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ … وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسِ
مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَأٍ … وَلاَ سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كُنُسِ
إِنْ تَرْمِنِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ … تَرْمِ امْرَأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلاَ نَكِسِ
يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ … بِجَبْهَةِ العَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ
أَبَا الْغَطَارِفَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمُ … وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْباً غَيْرَ مُفْتَرِسِ
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ … كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُوراً عَلَى قَبَسِ
دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ … أَغَـرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَـرِسِ
نَدٍ أَبِـيٍّ غَرٍ وَافٍ أَخِـي (١) ثِقَةٍ … جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رِضًى نَدُسِ
لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ … عَزَّ القَطَا فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَبَسِ
أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ … وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ
أَيُّ الْمُلُوكِ ـ وَهُمْ قَصْدِيْ ـ أُحَاذِرُهُ؟ … وَأَيُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِيْ وَهُمْ تُرُسِي؟

وقال ارتجالاً ـ وقد عُرِضَ عليهِ شُرْبُ الخَمْرِ فأبى ـ من أوّلِ الوافرِ والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الوافر]

أَلَـذُّ مِنَ الـمُـدَامِ الْخَنْدَرِيسِ … وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الْكُؤُوسِ

(١) [أخٍ]

مُعاطَاةُ الصَّفائِحِ وَالعَوالِي ... وَإقْحامِيْ خَميساً فِي خَميسِ
فَموْتِيَ في الْوَغى أرَبِيْ (١) لأَنِّي ... رَأيْتُ الْعَيْشَ في أرَبِ النُّفُوسِ
وَلَوْ سُقِّيْتُها بِيَدَيْ نَديمٍ ... أُسَرُّ بِهِ لَكَانَ أَبَا ضَبِيسِ

وقال يَمْدَحُ محمدَ بْنَ زُرَيْق الطَّرَسُوسِيَّ، من ثاني الكامل والقافيةُ متواترٌ: [من الكامل]

هِذي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ... ثُمَّ [انْثَنَيْتِ] وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا
وَجَعلْتِ حَظِّيَ مِنكِ حَظِّيَ في الكرَى ... وَتَرَكْتِنِيْ لِلْفَرقَدَيْنِ جَلِيسَا
قَطَّعْتِ ذَيَّاكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ ... وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوسَا
إنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإنَّ مَدَامِعِي ... تَكْفِي مَزَادَكُمُ وَتُرْوِي الْعِيسَا
حاشَى لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً ... وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا
وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعاً ... وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يَكُونَ خَسِيسَا

(١) [عَيْشِي]

خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَاذِلِيْ ... حَرْباً وَغَـادَرَتِ الْفُؤَادَ وَطِيسَا
بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّهَا ... تِيهاً وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسَا
لَمَّا وَجَـدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا ... هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا
أَبْقَى زُرَيْـقٌ لِلثُّغُورِ مُحَمَّداً ... أَبْقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسَا
إِنْ حَلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ ... أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّوْسَا
مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ ... وَرَضِيتَ أَوْحَشَ مَا كَرِهْتَ أَنِيسَا
الْخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... وَالشِّمَّرِيَّ الْمِطْعَنَ الدِّعِّيسَا
كَشَّفْتُ جَمْهَرَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ ... إِلاَّ مَسُوداً جَنْبُهُ مَرْؤُوسَا
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَـةً فِي آيَـةٍ ... تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا
وَبِـهِ يُضَنُّ عَلَى الْبَرِيَّةِ لاَ بِهَا ... وَعَلَيْهِ مِنهَا لاَ عَلَيْهَا يُوْسَى
لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ ... لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا
أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ ... فِي يَـوْمِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى
أَوْ كَـانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ... مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى
أَوْ كَـانَ لِلنِّيرَانِ ضَـوْءُ جَبِينِهِ ... عُبِدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسَا
لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِوَاحِدٍ ... وَرَأَيْـتُـهُ فَـرَأَيْـتُ مِنْهُ خَمِيسَا
وَلَحَظْتُ أُنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَوَاهِباً ... وَلَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسَالَ نُفُوسَا
يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ ... أَبَـداً وَنَـطْـرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا
صَدَقَ الْمُخَبِّرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصْفُهُ ... مَنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوسَا
بَلَدٌ أَقَمْتَ بِـهِ وَذِكْـرُكَ سَائِرٌ ... يَشْنَا الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَا

فَـإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارَقْتَهُ | وَإِذَا خَـدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسَا
إِنِّـيْ نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ | كَثُرَ الْمُدَلِّسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسَا
حَجَّبْتُهَا عَـنْ أَهْـلِ أَنْطَاكِيَّةٍ | وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَاجْتَلَيْتَ عَرُوسَا
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى القُصُورِ وَشَرُّهَا | يَأْوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا
لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا | أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا

وشَكَا إليهِ أبو إبْراهيمَ بنُ عَيّاش طُولَ قِيامهِ في مَجْلِسِ الأَسْوَد، وما يَلْقَى من الهَوان - وكانَ كافُورٌ [دَسَّ عليهِ] ذلك ليَعْلَمَ ما في نَفْسِه له - فقالَ أبو الطَّيِّبِ مُجيباً له ارتجالاً،

من أول الوافرِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

يَقِلُّ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الـرُّؤُوسِ | وَبَـذْلُ الْمُكْرَمَاتِ مِنَ النُّفُوسِ
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَـوْمٍ ضَحُوكٍ | فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمٍ عَبُوسٍ؟

وقال يهجُو كافُوراً، من السريع [الثاني]

والقافية متدارِكٌ: [من السريع]

أَنْـوكُ مِـنْ عَبْدٍ وَمِـنْ عِرْسِهِ | مَـنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ
وَإِنَّـمَـا يُـظْـهِـرُ تَحْكِيمُهُ | تَـحَكُّمَ الإِفْـسَـادِ فِـي حِسِّهِ
مَـا مَـنْ يَـرَى أَنَّـكَ فِـي وَعْـدِهِ | كَمَنْ يَـرَى أَنَّـكَ فِي حَبْسِهِ
الْـعَـبْـدُ لاَ تَـفْـضُـلُ أَخْـلاَقُـهُ | عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ
لاَ يُنْجِزُ المِيعَادَ فِي يَوْمِهِ | وَلاَ يَـعِـيْ مَا قَـالَ فِـي أَمْـسِـهِ
وَإِنَّـمَـا تَـحْـتَـالُ فِـي جَـذْبِـهِ | كَـأَنَّـكَ الْـمَـلاَّحُ فِـي قَلْسِهِ
فَـلاَ تُـرَجِّ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ | مَـرَّتْ يَـدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِـهِ

وَإنْ عَـرَاكَ الشَّكُّ في نَفْسِهِ ... بِـحَـالِـهِ فَـانْـظُـرْ إلَـى جِنْسِهِ
فَـقَـلَّـمَـا يَـلْـؤُمُ فـي ثَـوْبِـهِ ... إلاَّ الَّــذي يَـلْـؤُمُ في غِرْسِهِ
مَنْ وَجَـدَ المَذْهَبَ عَنْ قَـدْرِهِ ... لَـمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَـنْ قَنْسِهِ

وقالَ بَديهاً وقَدْ أُحضِرَ مَجْلِسَ الأُستاذِ [أبي الفضل بن العميد] مِجْمَرةٌ قَدْ حُشِيَتْ بنَرجسٍ وآسٍ حَتّى أَخْفى نارَها، وكانَ الدُّخانُ يَخْرُجُ من خِلالِها [من ثالث المتقارب والقافيةُ مُتَدارِكٌ]: [من المتقارب]

أَحَــبُّ امْـرِئٍ حَبَّتِ الأَنْـفُسُ ... وَأَطْـيَــبُ مَـا شَـمَّـهُ مَعْطِسُ
وَنَـشْـرٌ مِـنَ الـنَّـدِّ لَكِنَّما ... مَـجَـامِـرُهُ الآسُ وَالـنَّـرْجِـسُ
وَلَـسْـنَـا نَـرَى لَـهَـباً هَـاجَـهُ ... فَـهَلْ هَاجَهُ عِـزُّكَ الأَقْـعَسُ؟
وَإنَّ الْـفِـئَـامَ(١) الَّـتِي حَـوْلَـهُ ... لَتَحْسُدُ أَرْجُـلَـهَـا(٢) الأَرْؤُسُ

قافية الشين

وقالَ يَمدَحُ أبا العشائرِ الحُسَيْنَ بنَ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بن حَمْدانَ، من أولِ الوافرِ والقافيةُ متواتر: [من الوافر]

مَبيتِي مِنْ دِمَشْقَ على فِرَاشِ ... حَشَاهُ لِيْ بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِ
لَقًى لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّبْيِ لَوْناً ... وَهَـمٍّ كَالحُمَيَّا في المُشَاشِ
وَشَـوْقٍ كالتَّوَقُّدِ فـي فُـؤَادٍ ... كَجَمْرٍ في جَوَانِحَ كَالمُحَاشِ
سَقَى الدَّمُ كُلَّ نَصْلٍ غَيْرِ نَابٍ ... وَرَوَّى كُـلَّ رُمْـحٍ غَيْرِ رَاشِ
فَإنَّ الْفَارِسَ المَنْعُوتَ خَفَّتْ ... لِمُنْصُلِهِ الـفَـوَارِسُ كَالرِّيَاشِ
فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى ... كَـأَنَّ أَبَـا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشِ
وَقَدْ نُسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى ... رَدَى الأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ

(١) [القِيامَ]
(٢) [أقْدامَها]

لَقُوهُ حَاسِراً في دِرْعِ ضَرْبٍ ... دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهِبِ الْحَوَاشِي
كَـأَنَّ عَلى الجَمَاجِمِ مِنْهُ نَاراً ... وَأَيْـدِي الْقَوْمِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ
كَـأَنَّ جَـوَارِيَ المُهُجَاتِ مَاءٌ ... يُعَاوِدُهَا المُهَنَّدُ مِنْ عُطَاشِ
فَـوَلَّـوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مُفَاتٍ ... وَذِي رَمَـقٍ وَذِي عَقْلٍ مُطَاشِ
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ ... تَوَارِيْ الضَّبِّ خَافَ مِنِ احْتِرَاشِ
يُدَمِّيْ بَعْضُ أَيْدِيْ الْخَيْلِ بَعْضاً ... وَمَـا بِعُجَايَةٍ أَثَـرُ ارْتِـهَـاشِ
وَرَائِـعُـهَـا وَحِـيـدٌ لَـمْ يَـرُعْـهُ ... تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالمُسْتَجَاشِ
كَـــأَنَّ تَـلَـوِّيَ الـنُّشَّـابِ فِيهِ ... تَلَوِّيْ الخُوصِ في سَعَفِ العِشَاشِ
وَنَهْبُ نُفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى ... بِأَهْلِ المَجْدِ مِنْ نَهْبِ القُمَاشِ
تُـشَارِكُ في الـنِّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا ... بِطَانٌ لَا تُشَارِكُ في الْجِحَاشِ
وَمِـنْ قَبْلِ النِّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِي ... تَبِينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ
فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُوَرِّي ... وَيَا مَلِكَ المُلُوكِ وَلَا أُحَاشِي
كَـأَنَّـكَ نَـاظِـرٌ في كُـلِّ قَلْبٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشِ
أَأَصْبِرُ عَنْكَ؟ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ ... وَلَـمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَـلَامَ وَاشِ
وَكَيْفَ وَأَنْتَ في الرُّؤَسَاءِ عِنْدِي ... عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْخِشَاشِ؟
فَمَا خَاشِيْكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ ... وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي
تُطَاعِنُ كُـلُّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا ... وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الجِحَاشِ
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْـتَ نُورٌ ... وَإِنِّـي مِنْهُمُ لَإِلَـيْـكَ عَـاشِ
بُلِيتُ بِهِمْ بَـلَاءَ الْـوَرْدِ يَلْقَى ... أُنُـوفاً هُـنَّ أَوْلَـى بِالْخِشَاشِ
عَلَيْكَ إِذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي ... وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ في هِرَاشِ!
أَتَـى خَبَرُ الأَمِيرِ فَقِيلَ: كَرُّوا ... فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشِ!!

يَقُودُهُم إلَى الهَيْجى لَجُوجٌ   يُسِنُّ قِتَالُهُ وَالْكَرُّ نَاشِي
وَأُسْرِجَت الْكُمَيْتُ فَنَاقَلَتْ بِيْ   عَلَى إعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِي
مِنَ المُتَمَرِّدَاتِ تُذَبُّ عَنْهَا   بِرُمْحِيَ كُلُّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ
وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَنِي إلَيْهِ   حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلَّ مَاشِ
إذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ   وَشِيْكَ فَمَا يُنَكِّسُ لانْتِقَاشِ
تُزِيلُ مَخَافَةَ المَصْبُورِ عَنْهُ   وَتُلْهِي ذَا الفِيَاشِ عَنِ الْفِيَاشِ
وَمَا وُجِدَ اشْتِيَاقٌ كَاشْتِيَاقِي   وَلاَ عُرِفَ انْكِمَاشٌ كَانْكِمَاشِي
فَسِرْتُ إلَيْكَ فِي طَلَبِ المَعَالِي   وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ المَعَاشِ

قافية الضاد

وأَمَرَ سيفُ الدولة بإنفاذ خِلَعٍ إليه فقال ـ
من أول الكامل والقافية مُتدارِكٌ ـ : [من الكامل]

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ   خِلَعُ الأمِيرِ، وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ
فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ   وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ
وَإذَا وَكَلْتَ إلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ   فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ

وقال فيه وقدِ اعْتَلَّ، من أول الطويل والقافية متواترٌ : [من الطويل]

إذا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأرْضُ   وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ والْكَرَمُ المَحْضُ
وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإنَّمَا   بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِي الأعْيُنِ الْغُمْضُ
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ   لأَنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

وقال في بَدْرِ بنِ عَمّارٍ، [وقد قامَ مُنْصَرِفاً في الليل]،
من البحر والقافيةِ كالتي قبْلَها : [من الطويل]

مَضى اللَّيْلُ والفَضْلُ الَّذي لكَ لا يَمْضي ... ورُؤْياكَ أحلى في العُيونِ منَ الغُمْضِ
عَلى أنَّنيْ طُوِّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ ... شَهيدٌ بها بَعْضِيْ لِغَيْرِي عَلى بَعْضِي
سَلامُ الَّذي فَوْقَ السَّماوَاتِ عَرْشُهُ ... تُخَصُّ بِهِ يا خَيْرَ مَاشٍ عَلى الأَرْضِ

قافيةُ الطّاء

وَلَهُ بَعْدَما هَرَبَ مِن مِصْرَ يَتَشَوَّقُ ابْنَهُ ويذكُرُ سَجّاناً له يُسمّى الحُسَيْنَ، من أول البسيط والقافيةُ مُتَراكِبٌ: [من البسيط]

ما لِيْ كأَنَّ اشتياقاً ظَلَّ يعنُفُ بي ... بِمِصْرَ لا بِسِوَاها كانَ مُرْتَبَطا
وما أَفَدْتُ الغِنَى فيها ولا مَلَكَتْ ... كَفِّيْ بها مَلِكاً بالجُودِ مُغْتَبِطا
أَأَنْ هَرَبْتُ ولم أَغْلَطْ تَجَدَّدَ لي ... وَجْدٌ يُحَسِّنُ عِنْدِيْ الجَوْرَ والغَلَطا؟
لَوْلا مُحَمَّدُ[1] بَلْ لَوْلا الحُسَيْنُ لَما ... رَأَيْتُ رَأْيِيْ بِوَهْنِ العَزْمِ مُخْتَلِطا
هذا هَوَايَ وذا ابْنِيْ حُطَّ ذا سَكَنٍ ... بِمِصْرَ والشّامِ أَلْقَى دائماً خُطَطا
وَلِيْ مِنَ الأرضِ ما أُمْضِي رَوَاحِلَهُ؛ ... عَمْرِيْ لَقَدْ حَكَمَتْ فينا النَّوَى شَطَطا
يا قاتَلَ اللَّهُ قَلْبِيْ كيفَ يَنْزِعُ بي! ... أَمَا أَرَى من عِقَالِ الهَمِّ مُنْتَشَطا؟

قافيةُ العين

وقالَ وقد خَرَجَ سيفُ الدولةِ يُشيِّعُ فَتاهُ أبا شُجاعٍ يَماكَ، وقد نَفَذَ في مقدَّمتِهِ إلى الرَّقَّةِ، وقد هاجَتْ رِيحٌ شَديدةٌ، من مَشْطورِ الرَّجَزِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ: [من الرجز]

لا عَـدِمَ الْمُشَيِّعَ الْمُشَيَّعُ ... لَيْتَ الـرِّيَـاحَ صُنَّعٌ ما تَصْنَعُ
بَـكَـرْنَ ضَـرًّا وَبَـكَـرْتَ تَنْفَعُ ... وَسَجْسَجٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ زَعْـزَعُ

(١) [مُحَسَّدُ]

وَوَاحِـدٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ أَرْبَـعُ | وَأَنْـتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِـرْوَعُ

ومرَّ سَيْفُ الدولةِ في غَزاةِ السَّنبُوسِ بسَمَنْدُو ، وعَبرَ آلِسَ وهو نَهرٌ عظيمٌ ، ونزلَ على صارخةَ وخَرْشَنةَ فأخْربَ رَبضهما وكَنائسَهما وأكْثرَ القَتْلَ ، وأقامَ مكانَهُ أيّاماً ، ثُمَّ قفلَ غانماً حتى عَبرَ آلِسَ راجعاً . فلمّا أمْسى تركَ السوادَ وأكْثرَ الجيشِ ، وسارَ حتى جازَ خَرْشَنَةَ ، وبَلَغَ بَطْنَ اللُّقَانِ في غَدٍ ظُهْراً ، فلَقِيَ الدُّمُسْتُقَ وكانَ في أُلوفٍ من الخيلِ ؛ فلَمّا نَظَرَ إلى أوائِلِ خيلِ سيفِ الدولةِ انهزَمَ وقُتِلَ مِنْ فُرسانِه خَلْقٌ ، وأُسِرَ من بَطارِقَتِه وزَراوِرَتِه نَيِّفٌ على ثَمانِينَ ، وأُفْلِتَ الدُّمُسْتُقُ .

فلذلك قال أبو الطَّيِّبِ : [من البسيط]

ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وقَدْ طَلَعَتْ | سُـودُ الغَمَامِ فظَنُّوا أَنَّـهُ قَـزَعُ

وعادَ سَيْفُ الدولةِ إلى عَسْكَرِهِ وقَفَلَ غانِماً ، فلمّا وَصلَ إلى عَقَبَةٍ تُعْرَفُ بمقطَّعةِ الأثْفارِ صافَّهُ العَدُوُّ على رأْسِها ، فأخذَ سيفُ الدولةِ ساقةَ الناسِ يَحْميهم ؛ فلمّا انْحدرَ بَعْدَ عُبورِ الناسِ رَكِبَهُ العَدُوُّ فجرحَ من الفُرسانِ جَماعةً ، وفي ذلك قال أبو الطيب : [من البسيط]

وفارِسُ الخيلِ مَنْ خَفَّتْ فَوقَّرَها | في الدَّرْبِ والدَّمُ في أَعْطَافِها دُفَعُ

ونزلَ سيفُ الدولةِ على بَرْدَانَ - وهو نَهرٌ - وضَبطَ العَدُوُّ عَقبةَ السَّيْرِ ،

وهي عَقَبةٌ صَعْبَةٌ طويلةٌ ، فلم يَقْدِرْ على
صُعودِها لضِيقِها وكَثْرةِ العَدُوّ ؛ فعدَلَ مُتياسِراً
في طريقٍ وَصَفَهُ له بعضُ الأَدِلّة ، وأخَذَ ساقةَ الناس ،
وكانت الإبل كَثيرةً مُثْقَلةً مُعْيِيَةً . واعترَضَ
العَدُوُّ آخِرَ النهارِ من خَلْفِه ، فقاتَلَ إلى العَشِيّ
وأظْلَمَ الليلُ ، وتَسلَّلَ أصْحابُ الأميرِ يَطْلُبونَ
سَوادَهُم ؛ فلمّا رأى ذلك وبقيَ وَحْدَهُ في نَفَرٍ
يَسيرٍ سارَ حَتّى لَحِقَ بالسواد ، تحتَ عَقَبةٍ قريبةٍ
من بُحَيْرةِ الحَدَثِ ، فوقَفَ وقد أخذَ العَدُوُّ الجبلينِ
من الجانبينِ . وجَعَلَ سيفُ الدولةِ يستنفِرُ الناسَ
ولا يَنْفِرُ أَحَدٌ ، ومَنْ تَخلَّصَ من العقبةِ نهاراً
لم يَرْجِعْ ، ومَنْ بَقِيَ تَحْتَها لم يكُنْ له نُصْرةٌ ولا فِئَةٌ ! !
وتَخاذَلَ الناسُ ، وكانوا قد مَلّوا السَّفَرَ ، فأمَرَ
سيفُ الدولةِ بقَتْلِ البطارقةِ والزَّراوِرَةِ
وكُلِّ مَنْ كانَ في السَّلاسلِ - وكانَ فيها مِئاتٌ -
وانصرفَ سيفُ الدولة . واجتازَ أبو الطَّيِّب
آخِرَ الليلِ بجَماعةٍ من المُسْلِمينَ ، بَعْضُهم نائمٌ
بينَ القَتْلى من التَّعَب ، وبعضُهم يُحرِّكونَهُ فيُجهِزُونَ
على مَنْ تحرَّكَ ؛ فلذلك قال : [من البسيط]

وَجَدْتُموهُمْ نِياماً في دِمائِكُمُ كـأَنَّ قَتْلاكُمُ إِيّـاهُـمُ فَجَعُوا

ورجعَ سيفُ الدولةِ إلى حلَبَ، فقالَ أبو الطيب بَعْدَ القفولِ يصفُ الحالَ. وأنْشَدَها لسَيْفِ الدولةِ في جُمادى الآخرةِ سنةَ تِسْعٍ وثلاثينَ وثلاثمئةٍ. من أول البسيط والقافيةُ مُتراكِبٌ: [من البسيط]

غَيْرِيْ بِأَكْثَرِ هذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا

أَهْلُ الحَفِيظَةِ إلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُمْ وَفي التَّجَارِبِ بَعْدَ الغَيِّ ما يَزَعُ

وَمَا الْحَياةُ وَنَفْسِيْ بَعْدَمَا عَلِمَتْ أَنَّ الْحَياةَ كما لا تَشْتَهِي طَبَعُ؟

لَيْسَ الجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مَارِنُهُ أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ

أَأَطْرَحُ المَجْدَ عَنْ كِتْفِيْ وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ في غِمْدِيْ وَأَنْتَجِعُ؟

وَالمَشْرَفِيَّةُ ـ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ـ دَواءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ

وَفارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا في الدَّرْبِ وَالدَّمُ في أَعْطَافِهَا دُفَعُ

وَأَوْحَـدَتْـهُ وَمَـا في قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبَتْهُ وَمَـا في لَفْظِهِ قَذَعُ

بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِي الهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ

قَادَ المَقَانِبَ، أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ

لاَ يَعْتَقِيْ بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ كَالْمَوتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلاَ شِبَعُ

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ

لِلسَّبْيِ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا

مُخْلًى له المَرْجُ، مَنْصُوباً بِصَارِخَةٍ لَهُ المَنَابِرُ، مَشْهُوداً بِهَا الْجُمَعُ

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ … حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ
وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا … عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا
ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ … سُودُ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ
فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ … عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيُّهَا جَذَعُ
تُذْرِي اللُّقَانُ غُبَاراً فِي مَنَاخِرِهَا … وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ
كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ … فَالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِي الأَجْوَافِ مَا تَسَعُ
تَهْدِي نَوَاظِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ … مِنَ الأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمَعُ
دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ(١) طَافِحَةً … عَلَى نُفُوسِهِمُ الْمُقْوَرَّةُ الْمُزُعُ
إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجاً حَالَ بَيْنَهُمَا … أَظْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضِّلَعُ
أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ … إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ
وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبِيضِ مُنْفَلِتٌ … نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ فَزَعُ
يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْراً وَهْوَ مُخْتَبَلٌ … وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلاً وَهْوَ مُمْتَقَعُ
كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا … لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعُ
يُقَاتِلُ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ … وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ
تَغْدُو الْمَنَايَا فَلاَ تَنْفَكُّ وَاقِفَةً … حَتَّى يَقُولَ لَهَا: عُودِي، فَتَنْدَفِعُ
قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ … خَانُوا الأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا
وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَاماً فِي دِمَائِكُمُ … كَأَنَّ قَتْلاَكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا
ضَعْفَى تَعِفُّ الأَيَادِي عَنْ مِثَالِهِمُ … مِنَ الأَعَادِي وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا
لاَ تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ … فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلاَّ الْمَيِّتَ الضَّبُعُ
هَلاَّ عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ … أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ

(١) [السِّهَامِ، الفَرِّ]

تَشُقُّكُمْ بِفَتاهَا كُـلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ ما يَدَعُ
وَإِنَّما عَرَّضَ اللَّهُ الجُنُودَ بِكُمْ(١) لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ إذا رَجَعُوا
فَكُلُّ غَـزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ
يَمْشِي الْكِرامُ عَلى آثارِ غَيْرِهِمُ وَأَنْـتَ تَخْلُقُ ما تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فارِسَهُ وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرِعُ؟
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلا يَضَعُ!!
لَمْ يُسْلِمِ الْكَرُّ في الأَعْقابِ مُهْجَتَهُ إنْ كانَ أَسْلَمَهَا الأَصْحابُ وَالشِّيَعُ
لَيْتَ المُلوكَ عَلَى الأَقْدارِ مُعْطِيَةٌ فَلَمْ يَكُنْ لِدَنيءٍ عِنْدَهَا طَمَعُ!
رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَغَى فَرَأَوْا وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضِ فَاسْتَمَعُوا
لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشّاً في مُعامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ
الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ
وَمَـا الْجِبَالُ لِنَصْرانٍ بِحامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الأَعْصَمُ الصَّدَعُ
وَمَا حَمِدْتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ
فَقَدْ يُظَنُّ شُجاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَـدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَـنْ بِـهِ زَمَعُ
إِنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

وقال أيضاً في صِباهُ يَمْدَحُ عَلِيَّ بنَ أَحْمَدَ الطائيَّ،
من ثاني الطويل والقافية متدارِك: [من الطويل]

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ
أَشَـارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُدْنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الآمَاقِ وَالسُّمُ أَدْمُعُ

(١) [لَكُمْ]

حَشَايَ عَلَى جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الهَوَى ... وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا ... غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ
بِمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا ... إِلَيَّ الدَّيَاجِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ
أَتَتْ زَائِراً مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا ... وَكَالمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا ... كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ
فَشَرَّدَ إِعْظَامِيْ لَهَا مَا أَتَى بِهَا ... مِنَ النَّوْمِ وَالْتَاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ
فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا ... وَسُمُّ الأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ
تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لاَ يَذِلُّ وَيَخْضَعُ
وَلاَ ثَوْبُ مَجْدٍ غَيْرُ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ ... عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ بِلُؤْمٍ مُرَقَّعُ
وَإِنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّئٍ ... بِهِ اللَّهُ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
بِذِي كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ ... عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْهُ تَطْلُعُ
فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ(١) ... وَأَرْحَامُ مَالٍ لاَ تَنِي تَتَقَطَّعُ
فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ ... أَقَلُّ جُزَيْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ
غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمْطِرٌ لَيْسَ يُقْشِعُ ... وَلاَ الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّباً حِينَ يَلْمَعُ
إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ ... إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ
خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهِجْهَا بَنَانُهُ ... وَأَسْمَرُ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ
نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ... وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ
يَمُجُّ ظَلاَماً فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ ... وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً ... وَأَعْصَى لِمَوْلاَهُ وَذَا مِنْهُ أَطْوَعُ
بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ ... لَمَا فَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعُ

(١) [ببابه]

فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كُلَّ لَفْظَةٍ ... أُصُولَ البَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ
وَلَيْسَ كَبَحْرِ المَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ ... إِلَى حَيْثُ يَفْنَى المَاءُ حُوتٌ وَضِفْدَعُ
أَبَحْرٌ يَضُرُّ المُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ ... زُعَاقٌ(١) كَبَحْرٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ؟
يَتِيهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرِ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ ... وَيَغْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَيْلُ المُقِيمُ بِمَنْبِجٍ ... وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوْضِعُ
أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ ... وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ
وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الأَرْضِ أَوْسَعُ
وَقَلْبُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا ... وَبِالْجِنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ؟!!
أَلَا كُلُّ سَمْحٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ ... وَكُلُّ مَدِيحٍ فِي سِوَاكَ مُضَيَّعُ

وقال ارتجالاً على لِسانِ إنْسانٍ سأَلَهُ ذلك، من الكامل الثاني والقافيةُ متواترٌ: [من الكامل]

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُوعِي ... فَارَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي
أَوَمَا وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً ... مِمَّا أُرَقْرِقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي؟
مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِداً ... حَتَّى اغْتَدَى أَسَفِي عَلَى التَّوْدِيعِ
رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَكَأَنَّمَا ... أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ

وقال أيضاً في صِباهُ، من أول الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا ... وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا
فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمَّا الْتَقَيْنَا ... كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

وقال يَمْدَحُ [أبا] الحُسَيْنِ عَلِيَّ بنَ إبراهيم

(١) [ذُعَاقٌ]

التَّنُوخيَّ، من الوافر الأول والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

مُلِثَّ الْقَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعَا ... وَإِلاَّ فَاسْقِهَا السُّمَّ النَّقِيعَا
أُسَائِلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا ... فَلاَ تَدْرِي وَلاَ تُذْرِي دُمُوعَا
لَحَاهَا اللَّهُ إلاَّ مَاضِيَيْهَا ... زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدَ الشَّمُوعَا
مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَدَاحٌ ... يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا
تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا ... فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعَا
إذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجاً ... لَهُ - لَوْلاَ سَوَاعِدُهَا - نَزُوعَا
تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ ... كما تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيعَا
ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا ... يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ ... يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا
أَقُولُ لَهَا: اكْشِفِي ضُرِّيْ، وَقُولِي ... بِأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِهَا خُضُوعَا
أَخِفْتِ اللَّهَ فِي إحْيَاءِ نَفْسٍ؟ ... مَتَى عُصِيَ الإلهُ بِأَنْ أُطِيعَا؟
غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَاماً ... وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا: جَرَّ نَمْلٌ ... ثَبِيراً وَابْنُ إبْرَاهِيمَ رِيعَا
بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا ... يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَا
يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ ... كَأَنَّ بِهِ - وَلَيْسَ بِهِ - خُشُوعَا
إذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ ... فَقَدْكَ، سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعَا!
قَبُولُكَ مَنَّهُ مَنٌّ عَلَيْهِ ... وَإِلاَّ يَبْتَدِئْ يَرَهُ فَظِيعَا
لِهُونِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيماً ... وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعَا

إذا ضَرَبَ الأمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ   فمَا لِكَرَامَةٍ مَدَّ النُّطوعَا
فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إلاَّ كَثِيراً   وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إلاَّ قَرِيعَا
وَلَيْسَ مُؤَدِّباً إلاَّ بِنَصْلٍ   كَفَى الصَّمْصَامَةُ التَّعَبَ الْقَطِيعَا
عَلِيٌّ لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ مَجِيءٍ   مُبَارِزَهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا
عَلِيٌّ قَاتِلُ الْبَطَلِ المُفَدَّى   وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا
إذا اعْوَجَّ القَنَا في حَامِلِيهِ   وَجَازَ إلَى ضُلوعِهِمُ الضُّلُوعَا
وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الأكْبَادُ مِنْهُ   فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقاً أَوْ صُدُوعَا
فَحِدْ في مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ   وَإنْ كُنْتَ الْخُبَعْثِنَةَ الشَّجِيعَا
إنِ اسْتَجْرَأْتَ تَرْمُقُهُ بَعِيداً   فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْئاً مَا اسْتُطِيعَا
وَإنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَاناً   وَمَثِّلْهُ تَخِرَّ لَهُ صَرِيعَا
غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ انْتِقَاماً   فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ الْبَلَدَ المَرِيعَا
رَآنِيَ بَعْدَمَا قَطَعَ المَطَايَا   تَيَمُّمُهُ وَقَطَّعَتِ الْقُطُوعَا
فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيراً   وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنَتِي رَبِيعَا
وَجَاوَدَنِي بِأَنْ يُعْطِي وَأَحْوِي   فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخْذِي سَرِيعَا
أَمُنْسِيَّ السَّكُونَ وَحَضْرَمَوْتاً   وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعَا
قَدِ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الأعَادِي   فَرُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّلَبِ الْهُجُوعَا!
إذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشاً إلَيْهِمْ   أَسَرْتَ إلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعَا
رَضُوا بِكَ كَالرِّضَا بِالشَّيْبِ قَسْراً   وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِيَ وَالْفُرُوعَا
فَلاَ عَزَلٌ وَأَنْتَ بِلاَ سِلاَحٍ   لِحَاظُكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعَا
لَوِ اسْتَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ   قَدَدْتَ بِهِ المَغَافِرَ وَالدُّرُوعَا

لَوِ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ ... أَتَيْتَ بِـهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعَا
سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو ... فَـمَـا تُلْفَى بِـمَـرْتَـبَـةٍ قَنُوعَا
وَهَبْكَ سَمَحْتَ حَتَّى لاَ جَوادٌ ... فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لاَ رَفِيعَا؟!

وقال يَمْدَحُ عبدَ الواحدِ بنَ العباسِ بن أبي الإِصْبَع الكاتبَ، من أول الكامل والقافية متدارِكٌ: [من الكامل]

أَرَكائِبَ الأَحْبابِ، إِنَّ الأَدْمُعَا ... تَطِسُ الْخُدُودَ كَمَا تَطِسْنَ الْيَرْمَعَا
فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْناً فِي الأَزِمَّةِ خُضَّعَا
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَا ... فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا
حَتَّى كَـأَنَّ لِـكُـلِّ عَـظْـمٍ رَنَّـةً ... فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِـرْقٍ مَدْمَعَا
وَكَفَى بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحاً ... لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعَا
سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ ... سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا
فَكَأَنَّهَا وَالـدَّمْـعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ... ذَهَبٌ بِسِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا
كَشَفَتْ[1] ثَلاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَـأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

(١) [أَرْخَتْ]

رُدِّي الوِصالَ سَقى طُلولَكِ عارِضٌ ... لَوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ ما أَقْشَعا
زَجِلٌ يُريكَ الْجَوَّ ناراً وَالمَلا ... كالْبَحْرِ وَالتَّلعاتِ رَوْضاً مُمْرِعا
كَبَنانِ عَبْدِ الْواحِدِ الْغَدِقِ الَّذي ... أَرْوى وَآمَنَ مَنْ يَشاءُ وَأَفْزَعا
أَلِفَ الـمُـرُوءَةَ مُذْ نَشا فَكَأَنَّهُ ... سُقِيَ اللِّبانَ بِها صَبِيًّا مُرْضَعا
نُظِمَتْ مَواهِبُهُ عَلَيْهِ تَمائِماً ... فاعْتادَها فَإِذا سَقَطْنَ تَفَزَّعا
تَرَكَ الصَّنائِعَ كالْقَواطِعِ بارِقا ... تٍ وَالمَعالِيَ كالْعَوالِيْ شُرَّعا
مُتَبَسِّماً لِعُفاتِهِ عَنْ واضِحٍ ... تُغْشِي لَوامِعُهُ الْبُروقَ اللُّمَّعا
مُتَكَشِّفاً لِعُداتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ ... لَوْ حَكَّ مَنْكِبُها السَّماءَ لَزَعْزَعا
الْحازِمَ الْيَقِظَ الأغَرَّ الْعالِمَ الْـ ... ـفَطِنَ الأَلَدَّ الأرْيَحِيَّ الأرْوَعا
الْكاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْواهِبَ النْـ ... ـنَدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِيَّ المِصْقَعا
نَفْسٌ لَها خُلُقُ الـزَّمـانِ لأنَّهُ ... مُفْنِي النُّفوسِ مُفَرِّقٌ ما جَمَّعا
وَيَـدٌ لَها كَـرَمُ الـغَـمامِ لأَنَّـهُ ... يَسْقِي الْعِمارَةَ وَالمَكانَ الْبَلْقَعا
أَبَـداً يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وافِرٍ ... ويَلُمُّ شَعْبَ مَكارِمٍ مُتَصَدِّعا
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوى اهْـتِزازَ مُهَنَّدٍ ... ـ يَوْمَ الرَّجاءِ ـ هَزَزْتَهُ يَوْمَ الْوَغى
يا مُغْنِياً أَمَـلَ الْفَقيرِ لِقاؤُهُ ... وَدُعـاؤُهُ بَعْدَ الصَّلاةِ إذا دَعا
أَقْصِرْ ـ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ ـ جُزْتَ المَدى ... وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فارْبَعا
وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعالِ مَواضِعاً ... لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلانِ مِنْها مَوْضِعا
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُما وَما طَمِعَ امْرُؤٌ ... فيهِ وَلا طَمِعَ امْـرُؤٌ أَنْ يَطْمَعا
نَفَذَ الْقَضاءُ بِما أَرَدْتَ كأَنَّهُ ... لَكَ كُلَّما أَزْمَعْتَ شَيْئاً أَزْمَعا

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ ... عَبْدٌ إذا نَـادَيْـتَ لَبَّى مُسْرِعَا
أَكَلَتْ مَفَاخِرُكَ المَفَاخِرَ وَانْثَنَتْ ... عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيُّ وَصْفِي ظُلَّعَا
وَجَرَيْنَ مَجْرَى الشَّمْسِ في أَفْلاَكِهَا ... فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ المَطْلَعَا
لَوْ نِيطَتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلِهَا ... لَعَمَمْنَهَا(١) وَخَشِينَ(٢) أَلَّا تَقْنَعَا
فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذا ... وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا ادَّعَى
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ ... حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعَا؟
إِنْ كَانَ لا يُدْعَى الْفَتى إلاَّ كَذَا ... رَجُلاً فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعَا
إِنْ كَانَ لا يَسْعَى لِجُودٍ مَاجِدٌ ... إلاَّ كَذَا فَالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى
قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ، ابْنَهُ، ... مَرْأًى لَنَا وَإِلى الْقِيَامَةِ مَسْمَعَا

وقال يَرْثِي أبا شُجَاعٍ فاتِكاً الكَبِيرَ، وكانَ يُعْرَفُ بالمجنونِ - رُومِيًّا - وكان من أكبرِ غِلْمانِ ابنِ طُغْج، [وقد تُوفِّيَ بِمِصْرَ سنةَ خَمْسِينَ وثلاثمئة]، من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الكامل]

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَـرْدَعُ ... وَالـدَّمْـعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ
يَتَنَازَعَانِ دُمُـوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ ... هـذَا يَجِيءُ بِهَا وَهـذَا يَرْجِعُ
الـنَّـوْمُ بَعْدَ أَبِـي شُجَـاعٍ نافِرٌ ... وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ
إِنِّـي لأَجْبُنُ مِنْ فِـرَاقِ أَحِبَّتِي ... وَتُحِسُّ نَفْسِي بالحِمَامِ فَأَشْجُعُ
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأَعَادِي قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى فِيهَا ومـا يُتَوَقَّعُ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ المُحَالِ فَتَطْمَعُ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ ... مَا قَوْمُهُ، مَا يَوْمُهُ، مَا المَصْرَعُ؟

(١) [لَعَمَمْتَها]
(٢) [وخَشِيتُ]

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحابِهَا حِيناً ويُدْرِكُها الْفناءُ فتَتْبَعُ
لَمْ يُرْضِ قَلبَ أَبي شُجَاعِ مَبْلَغٌ قَبْلَ المَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَباً فمَاتَ وكُلُّ دارٍ بَلْقَعُ
وإذَا المَكَارِمُ والصَّوارِمُ والْقَنا وبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
الْمَجْدُ أَخْسَرُ والمَكَارِمُ صَفْقَةً مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الأَرْوَعُ
بَرِّدْ حَشَايَ إن اسْتَطَعْتَ بلَفْظَةٍ فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذا تَشَاءُ وتَنْفَعُ
ما كَانَ مِنْكَ إلَى خَليلٍ قَبْلَهَا ما يُسْتَرَابُ بِهِ ولا مَا يُوجِعُ
ولَقَدْ أَرَاكَ ومَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ إلاَّ نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ
ويَدٌ كَأَنَّ قِتالَهَا ونَوالَهَا فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ
يا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لا تُنْزَعُ؟!
ما زِلْتَ تَخْلَعُهَا على مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِسْتَ الْيَوْمَ مَا لا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ حَتَّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِي لا يُدْفَعُ
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ، لا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ فِيمَا عَرَاكَ وَلا سُيُوفُكَ قُطَّعُ
أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبي شُجَاعٍ فَاتِكٌ وَيَعِيشُ حاسِدُهُ الْخَصِيُّ الأَوْكَعُ؟!
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ وَقَفاً يَصِيحُ بِهَا: أَلاَ مَنْ يَصْفَعُ؟
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ، وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ

وَعَفَا الطِّرَادُ فَلاَ سِنَانٌ رَاعِفٌ ... فَـوْقَ القَنَاةِ ولا حُسَامٌ يَلْمَعُ
وَلَّـى وَكُـلُّ مُخَالِمٍ وَمُـنَادِمٍ ... بَعْدَ اللُّـزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُـوَدِّعُ
مَنْ كَـانَ فيهِ لِكُلِّ قَـوْمٍ مَلْجَأٌ ... وَلِسَيْفِهِ فِي كُـلِّ قَـوْمٍ مَرْتَعُ
إنْ حَلَّ فِي فُـرْسٍ فَفِيهَا رَبُّهَا ... كِسْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ ... أَوْ حَـلَّ فِي عُـرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ
قَدْ كَانَ أَسْـرَعَ فارسٍ في طَعْنَةٍ ... فَـرَسـاً ولَـكِـنَّ المَنِيَّةَ أَسْـرَعُ
لا قَلَّبَتْ أَيْـدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ ... رُمْحاً وَلا حَمَلَتْ جَـوَاداً أَرْبَعُ

وأَنْشَدَ صَدِيقٌ له، من كِتَابِ «الخَيْلِ» لأبي عُبيدة، وهو نَشْوانُ: [من الطويل]

تَلُومُ على أنْ أَمْنَحَ الوَرْدَ لِقْحَةً ... وما تَسْتَوِي والوَرْدَ ساعةَ تَفْزَعُ

فأَجابَهُ أبو الطَّيِّبِ، من ثاني [الطويل] والقافيةُ [متدارِكٌ]: [من الطويل]

بَلَى تَسْتَوِي والوَرْدَ، والوَرْدُ دُونَها ... إذا ما جَرَى فيها الرحيقُ [المُشَعْشَعُ]
هُمَا مَرْكَبَا أَمْنٍ وخَوْفٍ فَصِلْهُما، ... لِكُلِّ جَـوَادٍ من مُـرادِكَ مَوْضِعُ

قافية الفاء

وسَأَلَهُ سيفُ الدولةِ عن صِفَةِ فَرَسٍ يُنْفِذُهُ إليه، فقالَ
من أول الخفيف والقافيةُ متواتِرٌ: [من الخفيف]

مَوْقِعُ الْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ ... وَلَـوَ انَّ الْجِيَادَ فِيهَا[1] أُلُـوفُ
وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـ ... ـفَ، وَذَاكَ: المُطَهَّمُ المَعْرُوفُ
مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ ... كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

وقالَ في أبي دُلَفَ، وكَتَبَ بها من السِّجْنِ إليهِ في هديّةٍ وهو

(١) [فيهِ]

مُعْتَقَلٌ بحِمْصَ، وكان بَلَغَهُ قَبْلَ ذلك عنه أنه ثَلَبَهُ عِنْدَ السُّلْطانِ الذي اعتقله؛ فكَتَبَ بها من السجن.

من أول المنسرِح والقافية مُتراكِبٌ: [من المنسرح]

أَهْـوِنْ بِطُولِ الـثَّـوَاءِ وَالتَّلَفِ ... وَالسِّجْنِ وَالقَيْدِ يا أَبـا دُلَفِ

غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِـرَّكَ بِي ... وَالْجُوعُ يُرْضِي الأُسُودَ بالْجِيَفِ

كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ ... وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ

لَوْ كَـانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً ... لَمْ يَكُنِ الـدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

وقال يَمْدَحُ القاضِيَ أبا الفَرَجِ أحمدَ بنَ الحُسينِ،

من أول الطويل والقافية متَواتِرٌ: [من الطويل]

لِجِنِّيَّةٍ أَمْ غادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ؟ ... لِوَحْشِيَّةٍ، لاَ، مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ

نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ ... سَوالِفُهَا والْحَلْيُ والْخَصْرُ والرِّدْفُ

وَخَـيَّـلَ مِنْهَا مِرْطُها فَكَأَنَّما ... تَثَنَّى لَنَا خُوْطٌ وَلاَحَظَنَا خِشْفُ

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِي ... وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ

هَرَاقَتْ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهَا ... مِنَ الْوَجْدِ بِيْ، والشَّوْقُ لِيْ وَلَهَا حِلْفُ

وَمَـنْ كُلَّمَا جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَسَاهَا ثِيَاباً غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ

وَقَابَلَنِي رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ ... يَمِيلُ بِهِ بَـدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ

أَكَيْداً لَنَا يا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصْلَنَا ... فَلاَ دَارُنا تَدْنُو وَلاَ عَيْشُنَا يَصْفُو؟

أُرَدِّدُ وَيْلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً ... وأُكْثِرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ

ضَنًى في الْهَوَى كالسُّمِّ في الشَّهْدِ كَامِناً ... لَذِذْتُ بِهِ جَهْلاً وفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ!

فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِي كَأَنَّما ... أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِيْ لَهُ دُونَهَا كَهْفُ

قَليلُ الكرَى، لَوْ كَانَتِ البِيضُ وَالْقَنَا ... كآرَائِهِ ما أَغْنَتِ الْبَيْضُ والزَّغْفُ
يَقُومُ مَقامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ ... وَيَسْتَغْرِقُ الألْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ
وإنْ فَقَدَ الإعْطَاءَ حَنَّتْ يَمِينُهُ ... إلَيْهِ حَنِينَ الإلْفِ فَارَقَهُ الإلْفُ
أَدِيبٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ في أَرْضِ صَدْرِهِ ... جِبَالٌ جِبَالُ الأَرْضِ في جَنْبِهَا قُفُّ
جَوَادٌ سَمَتْ في الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُّهُ ... سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسْمَهُ كَفُّ
وأَضْحَى وبَيْنَ النَّاسِ في كُلِّ سَيِّدٍ ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي سِيَادَتِهِ خُلْفُ
يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ ... لِجَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمُ تَقْفُو
وُقُوفَيْنِ في وَقْفَيْنِ: شُكْرٍ وَنَائِلٍ ... فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وشُكْرُهُمُ وَقْفُ
ولَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا ... عَلَيْهِ فَدَامَ الفَقْدُ وانْكَشَفَ الْكَشْفُ
ومَا حَارَتِ الأَوْهَامُ فِي عُظْمِ شَأْنِهِ ... بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ في حُسْنِهِ الطَّرْفُ
وَلاَ نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الْغَيْظُ وَالأَذَى ... بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ العُرْفُ
تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ ... وبَاطِنُهُ دِينٌ وظَاهِرُهُ ظَرْفُ
أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤْمِ وَهْيَ عَوَاصِفٌ ... وَمَغْنَى الْعُلَى يُودِي ورَسْمُ النَّدَى يَعْفُو
فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعاً ... إذا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الْوُطْفُ!
وَلاَ سَاعِياً في قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً ... بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ
وَلَمْ نَرَ شَيْئاً يَحملُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ ... ويَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا ويَحْمِلُهُ طِرْفُ!
ولاَ جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ ... ومِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ ومِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ!
فَوَاعَجَبا مِنِّيْ!! أُحَاوِلُ نَعْتَهُ ... وَقَدْ فَنِيَتْ فيهِ القَرَاطِيسُ والصُّحْفُ
وَمِنْ كَثْرَةِ الأَخْبارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ ... يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفُ

وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصالٍ كَأَنَّهَا ... ثَنَايَا حَبِيبٍ لاَ يُمَلُّ لَهَا رَشْفُ
قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِيْ إِلَيْهِمُ ... كَثِيرٌ وَلكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الأَنْفُ
وَلاَ الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتِّبْرُ واحِدٌ، ... نَفُوعَانِ لِلْمُكْدِيْ وَبَيْنَهُمَا صَرْفُ
وَلَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ ... وَلا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفُ
وَلاَ وَاحِداً في ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ ... وَلاَ الْبَعْضَ مِنْ كُلٍّ وَلكِنَّكَ الضِّعْفُ
وَلاَ الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ... وَلا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ
أَقَاضِيَنَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ، ... غَلِطْتُ: وَلا الثُّلْثَانِ هَذَا وَلاَ النِّصْفُ
وَذَنْبِيَ تَقْصِيرِيْ وَمَا جِئْتُ مَادِحاً ... بِذَنْبِيْ وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو

وقال ارتجالاً، وقد أَخْرَجَ إليهِ أبو العشائرِ جَوْشَناً،
من أول الوافر والقافية متواترٌ: [من الوافر]

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ ... وَزَلَّتْ عَنْ مُبَاشِرِهِ الْحُتُوفُ
فَدَعْهُ لَقًى، فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامٍ ... جَوَاشِنُهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ

وانْتَسَبَ له بَعْضُ مَنْ رَمَاهُ على باب سَيْفِ الدولةِ
في الليلةِ التي نَشْرَحُها بَعْدَ قوله: «واحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُه شَبِمُ»
إلى أبي العشائرِ، وذَكَرَ له أَنَّهُ هو الذي أَمَرَهُم بذلك،
فقال من ثالثِ الطويل والقافيةُ متواترٌ: [من الطويل]

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِيْ إِلى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِيْ مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ
فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِيْ، وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ
وَكُلُّ وِدَادٍ لا يَدُومُ عَلَى الأَذَى ... دَوَامَ وِدَادِيْ لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ

فإنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذي سَاءَ وَاحِداً　　فَأَفْعَالُه اللائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ
وَنَفْسِيْ لَهُ ـ نَفْسِيْ الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ـ　　وَلَكِنَّ بَعْضَ المَالِكِينَ عَنِيفُ

وقال في بعض طَريقه عند مُنْصَرَفِه من مِصْرَ، وقَدْ أرَادَ أَحَدُ عَبِيدِه أنْ يَأخُذَ فَرَسَهُ فضَرَبَ وَجْهَهُ بالسَّيْفِ وقَتَلَهُ بَاقي عَبِيدِه، من ثاني المنسرِحِ والقافية متواتِرٌ: [من المنسرح]

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا　　أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا
لا يَرْحَمُ اللَّهُ أَرْؤُساً لَهُمُ　　أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا
مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ　　وَأَنْ تَكُونَ المِئُونَ آلافَا
يا شَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ　　وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا
قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِيْ　　مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِيْ وَمَنْ عَافَا
وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ　　وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلافَا
لا يُذْكَرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلا　　تُتْبِعُكَ المُقْلَتَانِ تَوْكَافَا(١)
إذا امْرُؤٌ رَاعَنِيْ بِغَدْرَتِهِ　　أَوْرَدْتُهُ الْغَايَةَ الَّتِي خَافَا

قافية القاف

وقال يَمْدَحُ سَيْفَ الدولةِ وقَدْ أَمَرَ له بفَرَسٍ دَهْمَاءَ وجارِيَةٍ، من أول الوافر والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الوافر]

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا　　وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا؟
لَنَا وَلأَهْلِهِ أَبَداً قُلُوبٌ　　تَلاَقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلاَقَى
وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاًّ،　　عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا

(١) [تَذْرَافا]

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَدْلاً ... فَحمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا
نَظَرْتُ إِلَيْهِمُ وَالْعَيْنُ شَكْرَى ... فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا
وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ ... وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقَا
وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ ... يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا
وَطَرْفٌ إنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْساً ... بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيْهَا دِهَاقَا
وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ ... كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا
سَلِيْ عَنْ سِيْرَتِيْ فَرَسِيْ وَسَيْفِي ... وَرُمْحِيَ وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا
تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْداً ... وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ المَلِكِ ائْتِلاَقَا
أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ المِسْكِ مِنْهُ ... إذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا
أَبَاحَكِ أَيُّهَا الْوَحْشُ الأَعَادِيْ ... فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا؟
وَلَوْ تَبَّعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ ... لَكَفَّكِ[1] عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ ... مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا
إِمَامٌ لِلأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا
يَكُونُ لَهُمْ إذَا غَضِبُوا حُسَاماً ... وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا
فَلاَ تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَاماً ... إذَا فَهِقَ المَكَرُّ دَماً وَضَاقَا
فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ المُهَجَ الْعَوَالِيْ ... وَحَمَّلَ هَمَّهُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا
إِذَا أُنْعِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ ـ وَإِنْ بَعُدُوا ـ جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا
وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ ... نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا

(١) [لَصَدَّكِ]

فَكانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَاباً وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُمَا فُوَاقَا
مُلاَقِيَةً نَوَاصِيْهَا المَنَايَا مُعَوَّدَةً فَوَارِسُهَا العِنَاقَا
تَبيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا
تَميلُ كَأَنَّ في الأَبْطَالِ خَمْراً عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحاً وَاغْتِبَاقَا
تَعَجَّبَتِ المُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَما أَفَاقَا
أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ العَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتِ الأَمْطَارَ فَاقَا
وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَّيْنَا القِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا
وَحَاشَا لارْتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى
وَلكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً تَرَاجَعَتِ القُرُومُ لَهُ حِقَاقَا
فَتًى لاَ تَسْلُبُ القَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الوَثَاقَا
وَلَمْ تَأْتِ الجَميلَ إلَيَّ سَهْواً وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ اسْتِرَاقَا
فَأَبْلِغْ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِي لَحَاقَا
وَهَلْ تُغْنِي الرَّسَائِلُ في عَدُوٍّ إذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًا رِقَاقَا؟
إذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا
فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إلاَّ خِدَاعاً وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إلاَّ نِفَاقَا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلاَقَا
وَلَوْلاَ قُدْرَةُ الخَلاَّقِ قُلْنَا أَعَمْداً كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا
فَلاَ حَطَّتْ لَكَ الهَيْجَاءُ سَرْجاً وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا

وقال [يَمْدَحُه] وقد وَرَدَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ يَلْتَمِسُ الفداءَ، فجَلَسَ سَيْفُ الدولةِ للرَّسُولِ وأَمَرَ الغِلْمانَ فلَبِسُوا التجافيفَ،

من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ : [من الطويل]

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيْ ... وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّيْ وَمَا بَقِي
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قَلْبَهُ ... وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ
وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى ... مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقْرِقِ
وَأَحْلَى الْهَوَى مَاشَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ ... وَفِي الْهَجْرِ ،فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي
وَغَضْبَى مِنَ الإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا ... شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِيْ بِرَيِّقِ
وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ ... سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي
وَأَجْيَادِ غِزْلَانٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِي ... فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلاَ ... عَفَافِي وَيُرْضِي الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي
سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصِّبَا مَا يَسُرُّهَا ... وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ
إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعاً بِهِ ... تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ
وَلَمْ أَرَ كَالأَلْحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعَثْنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ
أَدَرْنَ عُيُوناً حَائِرَاتٍ كَأَنَّهَا ... مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ
عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ الْبُكَا ... وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ
نُوَدِّعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ ... قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا ... إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ
هَوَادٍ لأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا ... تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي
تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ ... وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ
يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ ... وَيَرْكُزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجِلَّقِ

وَيُرْجِعُهَا حُمْراً كَأَنَّ صَحِيحَهَا … يُبَكِّي دَماً مِنْ رَحْمَةِ المُتَدَقِّقِ
فَلاَ تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ … شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ
ضَرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ … لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلاَمِ المُشَقَّقِ
كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً … كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ: ارْفُقِ
لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ … وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ
رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى … فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ
وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِراً … لأَدْرَبَ مِنْهُ بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ
وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا … قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ … فَمَا سَارَ إلاَّ فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ
فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ … شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ[1] فَمَا دَرَى … إلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي
وَلَمْ يَثْنِكَ الأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ … بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلاَمٍ مُنَمَّقِ
وَكُنْتَ إذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هذِهِ … كَتَبْتَ إلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ
فَإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأَمَانَ فَسَائِلٌ … وَإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلَقِ
وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ … أَسِيراً لِفَادٍ أَوْ رَقِيقاً لِمُعْتِقِ؟
لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا … وَمَرُّوا عَلَيْهَا رَزْدَقاً بَعْدَ رَزْدَقِ
بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً … أَنَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ
إذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُوَ بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ … أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ: الْحَقِ
وَمَا كَمَدُ الْحُسَّادِ شَيْئاً قَصَدْتُهُ … وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ

(١) [السِّمَاطِ]

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الأَمِيرُ بِرَأْيِهِ ... وَيُغْضِي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ، ... وَيَا أَيُّهَا الْمَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ

وَيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ ... وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ

إِذَا سَعَتِ الأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ ... سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَقِ

وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ

وقال يذكُرُ إيقاعَ سيف الدولةِ ببني عُقَيْلٍ وقُشَيْرٍ وبني العجْلانِ [وكلابٍ] لَمّا عاثُوا في نواحي أعْمالِه، وقَصْدَه إياهم، وإهْلاكَهُ من أهْلكَه منهم، وعَفْوَهُ عمَّنْ عفا عنه، من ثاني الطويل والقافيةُ متداركٌ: [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ ... مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ ... بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ

وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ ... كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ

بِلادٌ إِذَا زَارَ الْحِسَانَ بِغَيْرِهَا ... حَصَى تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ

سَقَتْنِي بِهَا الْقُطْرُبُّلِيَّ مَلِيحَةٌ ... عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ

سُهَادٌ لأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ ... وَسُقْمٌ لأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ ... عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ

أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ ... بَلاَ كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ

يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ ... وَصُدْغَاهُ فِي خَدَّيْ غُلامٍ مُرَاهِقِ

وَمَا الْحُسْنُ في وَجْهِ الْفَتَى شَرَفاً لَهُ — إذَا لَمْ يَكُنْ في فِعْلِهِ وَالْخَلاَئِقِ
وَمَا بَلَدُ الإنسَانِ غَيْرُ المُوافِقِ — وَلاَ أَهْلُهُ الأَدْنَوْنَ غَيْرُ الأَصادِقِ
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبَّةِ وَالْهَوَى — وَإنْ كَانَ لاَ يَخْفَى كَلاَمُ المُنَافِقِ
بِرَأْيِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إلى الرَّدَى — وَإشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإسْخَاطِ خَالِقِ؟
أَرَادُوا عَلِيًّا بالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى — وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ المُتَضَايِقِ
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إلى غَيْرِ قَاطِعٍ — وَلاَ حَمَلُوا رَأْساً إلى غَيْرِ فَالِقِ
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ — وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لاَحِقِ
وَلَمَّا كَسَا كَعْباً ثِيَاباً طَغَوْا بِهَا — رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ — سَقَى غَيْرَهُ في غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ
وَمَا يُوْجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ — كما يُوْجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ
أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا — سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ
عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ المَاءِ حُزْمَهَا — فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كالمَنَاطِقِ
فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ — طِوَالَ الْعَوَالِيْ في طِوَالِ السَّمَالِقِ
وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا — قَبَائِلَ لاَ تُعْطِي الْقُفِيَّ لِسَائِقِ
قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلاَنِ فِيهَا خَفِيَّةٌ — كَرَاءَيْنِ في أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ
تُخَلِّيهِمُ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ — وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ
يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا — بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ
أَتَى الظُّعْنَ(١) حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ(٢) — مِنَ الْخَيْلِ إلاَّ في نُحُورِ الْعَوَاتِقِ
بِكُلِّ فَلاَةٍ تُنْكِرُ الإنْسَ أَرْضُهَا — ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحَلْيِ حُمْرُ الأَيَانِقِ
وَمَلْمُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبَعِيَّةٌ — يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ

(١) [الطَّعْنَ]
(٢) [يَطِيرُ رَشَاشُهُ]

بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ … قَرِيبَةُ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ
نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ … فَمَا تَبْتَغِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ
تَوَهَّمَهَا الْأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ … تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ
فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ … سَمَاوَةُ كَلْبٍ فِي أُنُوفِ الْحَزَائِقِ
وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا … وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلَافِقِ
فَهَاجُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ … وَأَبْدَى بُيُوتاً مِنْ أَدَاحِيْ النَّقَانِقِ
وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ … وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ
وَكَانَ هَدِيراً مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا … مُهَلَّبَةَ الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ
فَمَا حَرَمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً … وَلَكِنْ كَفَاهَا الْبَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ
وَلَا شَغَلُوا صُمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ … عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ
أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا … وَيَجْعَلُ أَيْدِيْ الْأُسْدِ أَيْدِيْ الْخَرَانِقِ؟
وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا … أَرَى مَارِقاً فِي الْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ
تَعَوَّدَ أَلَّا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ … إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا … مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ
لِوَفْدِ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ … وَقَدْ طَرَدُوا الْأَظْعَانَ طَرْدَ الْوَسَائِقِ
أَعَدُّوا رِمَاحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا … بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ
فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ … وَأَسْرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقِ
تُصِيبُ الْمَجَانِيقُ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ … دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ الْبَنَادِقِ

وقال أيضاً في صِباهُ يَمْدَحُ محمدَ بْنَ أَوْسِ [بنِ مَعْنِ بن الرِّضَا الأَزْدِيِّ]،

من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ : [من الكامل]

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِيَ يَـأْرَقُ ... وَجَـوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أُرَى: ... عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَـلْـبٌ يَخْفِقُ
مَـا لاَحَ بَـرْقٌ أَوْ تَـرَنَّـمَ طَائِرٌ ... إلاَّ انْثَنَيْتُ وَلِـي فُـؤَادٌ شَيِّقُ
جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي ... نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ ... فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ!
وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِيَ، أَنَّنِي ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا
أَبَنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْـلُ مَنَازِلٍ ... أَبَـداً غُـرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ ... جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيْنَ الأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الأُلَى ... كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلاَ بَقُوا
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَيْشِهِ ... حَتَّى ثَـوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ
خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا ... أَنَّ الْكَلاَمَ لَهُمْ حَـلاَلٌ مُطْلَقُ
وَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ ... وَالمُسْتَغِرُّ(١) بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ
وَالـمَـرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ... وَالشَّيْبُ أَوْقَـرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي ... مُـسْـوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِيَ رَوْنَـقُ
حَـذَراً عَلَيْهِ قَبْلَ يَـوْمِ فِرَاقِهِ ... حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِيَ أَشْرَقُ
أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا ... فَأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الأَيْنُقُ
كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ ... مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا المَشْرِقُ
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ ... مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لاَ تُورِقُ

(١) [والمُسْتَعِزُّ]

وَتفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّناءِ رَوائِحٌ ... لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ
مِسْكِيَّةُ النَّفَحاتِ إلاَّ أنَّها ... وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لا تَعْبَقُ
أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ في عَصْرِنَا ... لاَ تَبْلُنَا بِطِلاَبِ مَا لاَ يُلْحَقُ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحمنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... أبَداً[1] وَظَنِّي أنَّهُ لاَ يَخْلُقُ
يا ذا الَّذي يَهَبُ الْجَزيلَ وَعِنْدَهُ ... أنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ
أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً ... وَانْظُرْ إلَيَّ بِرَحْمَةٍ لا أَغْرَقُ
كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ: ... «مَاتَ الْكِرَامُ» وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ

وقال يَمْدَحُ الحُسَيْنَ بْنَ إسْحاقَ التَّنُوخِيَّ، من الثاني من الطويل والقافية متدارِكٌ: [من الطويل]

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزائِقُ ... ويا قَلْبُ حَتَّى أنتَ مِمَّنْ أُفارِقُ
وَقَفْنا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنا ... فَريقَيْ هَوًى: مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
وَقَدْ صَارَتِ الأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ الْبُكا ... وَصَارَ بَهاراً في الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ
عَلَى ذا مَضَى النَّاسُ، اجْتِماعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحالِها ... وَشِبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرانِقُ
سَلِ الْبِيدَ: أَيْنَ الْجِنُّ مِنَّا بِجَوْزِها؟ ... وَعَنْ ذي الْمَهارِي: أَيْنَ مِنْهَا النَّقانِقُ؟
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا ... مُحَيَّاكَ فِيهِ فَاهْتَدَيْنا السَّمالِقُ
فَمَا زَالَ لَوْلاَ نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ ... وَلاَ جَابَهَا الرُّكْبانُ لَوْلاَ الأَيانِقُ
وَهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّني ... مِنَ السُّكْرِ في الْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبارِقُ
شَدَوْا بِابْنِ إسْحاقَ الْحُسَيْنِ فَصافَحَتْ ... ذَفارِيَهَا كِيرانُها وَالنَّمارِقُ

(١) [أَحَداً]

بِمَنْ تَقْشَعِرُّ الأَرْضُ خَوْفاً إذا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الجِبالُ الشَّوَاهِقُ
فَتًى كَالسَّحابِ الْجُوْنِ يُخْشَى وَيُرْتَجى يُرَجَّى الْحَيَا مِنهَا وَتُخْشَى الصَّوَاعِقُ
وَلكِنَّهَا تَمْضِي وَهـذَا مُخَيِّمٌ وَتَكْذِبُ أَحْيَاناً وَذَا الدَّهْرَ صَادِقُ
تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْـرِهِ وَالمَشَارِقُ
غَذَا الهِنْدُوَانِيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى فَهُنَّ مَدَارِيْهَا وَهُنَّ[1] المَخَانِقُ
تَشَقَّقُ[2] مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إذا غَزَا وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللِّحَى وَالمَفَارِقُ
يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ
يُحَاجَى بِهِ: مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتاً وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ؟
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي وَلاَ عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا اللَّهُ خَالِقُ
كَأَنَّكَ فِي الإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ
أَلاَ قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ
سَيُحْيِي بِكَ السُّمَّارُ مَا لاَحَ كَوْكَبٌ وَيَحْدُو بِكَ السُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالَ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لُحْتَ ذَابَتْ[3] فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ!
فَمَا تَرْزُقُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلاَ تَحْرِمُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ
وَلاَ تَفْتُقُ الأَيَّـامُ مَا أَنْـتَ رَاتِقٌ وَلاَ تَرْتُقُ الأَيَّـامُ مَا أَنْـتَ فَاتِقُ
لَكَ الْخَيْرُ، غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللاَّذِقِيَّةِ لاَحِقُ
هِيَ الْغَرَضُ الأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ المُنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلاَئِقُ

وقال، وقد عَرَضَ عليه بَدْرُ بنُ عَمّارٍ الصُّحْبَةَ في غَداةِ يوم كان قد سَكِرَ في لَيْلَتِهِ عِنْدَهُ، من الثالث من المتقارب والقافيةُ متداركٌ: [من المتقارب]

(١) [فَمِنْهُ، ومِنْهُ]
(٢) [تُشَقَّقُ]
(٣) [حاضَتْ]

وَجَـدْتُ الـمُـدَامَـةَ غَـلاَّبَـةً ... تُـهَـيِّـجُ لِـلْـقَـلْـبِ أَشْـوَاقَـهُ
تُـسِـيءُ مِـنَ الـمَـرْءِ تَـأْدِيـبَـهُ ... وَلَـكِـنْ تُـحَـسِّـنُ أخْـلاقَـهُ
وَأنْـفَـسُ مَـا لِـلْـفَـتَـى لُـبُّـهُ ... وَذُو الـلُّـبِّ يَـكْـرَهُ إنْـفَـاقَـهُ
وَقَـدْ مُـتُّ أَمْـسِ بِهَا مَـوْتَـةً ... وَلاَ يَشْتَهِي المَوْتَ مَنْ ذَاقَـهُ

وقال في صِفَةِ اللُّعبَةِ التي تَقدَّمَ ذِكْرُهَا ، من أول الوافر
والقافيةُ متواتِرٌ : [من الوافر]

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لا عَيْبَ فيهَا ... سِوَى أنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ
أَمَـرْتَ بِـأَنْ تُـشَالَ فَفَارَقَتْنَا ... وَمَـا أَلِـمَـتْ لِحَادِثَةِ الْـفِـرَاقِ
إذا هَجَرَتْ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ ... وَإنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ اشْتِيَاقِ

وسَأَلَهُ أبو محمد الحَسَنُ بنُ عُبَيْدِ اللّٰهِ بن طُغْجِ الشُّرْبَ فامتنَعَ ،
فقال أبو مُحمَّدٍ : «بِحَقِّي عليكَ إلاّ شَرِبْتَ» ؛ فقال
[من الوَزْنِ والقَافِيةِ كالتي قَبْلَها] : [من الوافر]

سَقَانِيْ الْخَمْرَ قَوْلُكَ لِيْ «بِحَقِّي» ... وَوُدٌّ لَـمْ تَـشُبْـهُ لِـيْ بِـمَـذْقِ
يَمِيناً لَـوْ حَلَفْتَ وَأنْـتَ نَـاءٍ ... عَلَى قَتْلِيْ بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي!

وقالَ يذكُرُ تأخُّرَ الكَلأ [بوقوعِ الثلج] عن مُهْرٍ كانَ لَه يقالُ له الطُّخْرُورُ،
واسْمُ أُمِّهِ الجَهَامَةُ، من الثاني من الرجز [والقافِيةُ متدارِكٌ] : [من الرجز]

مَا لِلْمُرُوجِ الْخُضْرِ وَالْحَدَائِقِ ... يَشْكُو خَلاَهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ؟
أَقَـامَ فيهَا الثَّلْجُ كَالمُرَافِقِ ... يَعْقِدُ فَوْقَ السِّنِّ رِيقَ الْبَاصِقِ
ثُمَّ مَضَى ـ لا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ ـ ... بِـقَـائِـدٍ مِـنْ ذَوْبِـهِ وَسَـائِـقِ
كَأنَّمَا الـطُّـخْـرُورُ بَـاغِـيْ آبِقِ ... يَأْكُلُ مِـنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لاصِقِ
كَقَشْرِكَ الْحِبْرَ عَنِ المَهَارِقِ ... أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَانِقِ[1]

(١) [بِكَالسُّوْذَانِقِ]

بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائقِ … عَبْلِ الشَّوَى مُقَارَبِ المَرَافِقِ
رَحْـبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ … ذي مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لاحِقِ
مُحَجَّلٍ نَـهْـد كُمَيْتٍ زَاهِـق … شَـادِخَـةٍ غُـرَّتُـهُ كـالـشَّـارِق
كَـأَنَّـهَـا مِـنْ لَـوْنِـهِ في بَـارِق … بَـاقٍ عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالشَّقَائِق
وَالأَبْـرَدَيْـنِ وَالْهَجِيرِ المَاحِقِ … لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِق
خَوْفُ الْجَبَانِ في فُؤَادِ الْعَاشِقِ … كَـأَنَّـهُ في رَيْـدِ طَـوْدٍ شَاهِقِ
يَشْأَى إلى المِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ … لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ المَشَارِقِ
جَاءَ إلى الْغَرْبِ مَجِيءَ السَّابِقِ … يَـتْـرُكُ في حِـجَـارَةِ الأَبَـارِقِ
آثَـارَ قَلْعِ الْحَلْيِ في المَنَاطِقِ … مَشْياً وَإنْ يَعْدُ فَكَالْخَنَادِقِ
لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ … لأَحْسَبَتْ خَـوَامِـسَ الأَيَـانِـقِ
إذا الـلِّـجَـامُ جَـاءَهُ لِـطَـارِقِ … شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاغِقِ[1]
كَأَنَّمَا الْجِلْدُ لِـعُرْيِ النَّاهِقِ … مُنْحَدِرٌ عَـنْ سِيتَيْ جُلاهِقِ
بَزَّ المَذَاكِيْ وَهْـوَ في الْعَقَائِقِ … وَزَادَ في السَّاقِ عَلَى النَّقَانِقِ
وَزَادَ في الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ … وَزَادَ في الأُذْنِ عَلَى الْخَرَانِقِ
وَزَادَ في الْحِذْرِ عَلَى الْعَقَاعِقِ … يُمَيِّزُ الْـهَـزْلَ مِـنَ الْحَقَائِقِ
وَيُـنْـذِرُ الـرَّكْـبَ بِكُلِّ سَـارِق … يُرِيكَ خُرْقاً وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ
يَحُكُّ أَنَّـى شَـاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ … قُـوبِـلَ مِـنْ آفِـقَـةٍ وَآفِـقِ
بَيْنَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْعَتَائِقِ … فَعُنْقُهُ يُرْبِي عَلَى الْبَوَاسِقِ

(١) [النّاعِقِ]

وَحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الْخانِقِ ... أُعِــدُّهُ للطَّعْنِ في الْفَيالِقِ
وَالضَّرْبِ في الأَوْجُهِ وَالمَفارِقِ ... وَالسَّيْرِ في ظِلِّ اللِّواءِ الْخافِقِ
يَحْمِلُنِيْ وَالنَّصْلُ ذُو السَّفاسِقِ ... يَقْطُرُ في كُمِّيْ عَلَى الْبَنائِقِ
لا أَلْحَظُ الدُّنْيا بِعَيْنَيْ وامِقِ ... وَلا أُبـالـي قِـلَّـةَ الـمُـرافِـقِ
أَيْ كَبْتَ كُـلِّ حاسِدٍ مُنافِقِ ... أَنْـتَ لَـنـا وَكُـلُّـنـا لِلْخالِقِ

وقال يَهْجُو [إِسْحاقَ] بْنَ كَيْغَلَغَ بَعْدَما قَتَلَهُ غِلْمانُه ، من أول البسيط والقافية مُتراكِبٌ : [من البسيط]

قالُوا لَنا: ماتَ إِسْحاقٌ، فَقُلْتُ لَهُمْ: ... هَذا الدَّواءُ الَّذي يَشْفي مِنَ الْحُمُقِ
إِنْ ماتَ ماتَ بِلا فَقْدٍ وَلا أَسَفٍ، ... أَوْ عاشَ عاشَ بِلا خَلْقٍ وَلا خُلُقِ
مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَـقَّ هامَتَهُ ... خَوْنَ الصَّديقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ في المَلَقِ
وَحَلْفَ أَلْفِ يَمينٍ غَيْرِ صادِقَةٍ ... مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ في نَسَقِ
ما زِلْـتُ أَعْرِفُهُ قِـرْداً بِلا ذَنَبٍ ... صِفْراً مِنَ الْبَأْسِ مَمْلُوءاً مِنَ النَّزَقِ
كَريشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ ساقِطَةٍ ... لا تَسْتَقِرُّ عَلَى حالٍ مِنَ الْقَلَقِ
تَسْتَغْرِقُ الْكَفُّ فَوْدَيْهِ وَمَنْكِبَهُ ... وَتَكْتَسي مِنْهُ ريحَ الْجَوْرَبِ الْعَرِقِ
فَسائِلُوا قاتِلِيهِ كَيْفَ ماتَ لَهُمْ: ... مَوْتاً مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتاً مِنَ الْفَرَقِ؟
وَأَيْنَ مَوْقِعُ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ شَبَحٍ ... بِغَيْرِ رَأْسٍ وَلا جِسْمٍ وَلا عُنُقِ
لَوْلا اللِّئامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشابَهَةٍ ... لَكانَ أَلأَمَ طِفْلٍ لُفَّ في خِرَقِ
كَـلامُ أَكْثَرِ مَنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ ... مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الآذانِ وَالْحَدَقِ!

وقال يَمْدَحُ أبا العشائِرِ [الحُسَيْنَ بنَ عليّ بنِ الحُسَيْنِ بن حَمْدانَ] ، من أول الخفيف والقافية مُتواتِرٌ : [من الخفيف]

أَتُـراهَـا لِـكَـثْـرَةِ الْـعُـشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المَآقي؟
كَيْفَ تَرْثِي التي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ ... رَاءَهَـا غيْرَ جَفْنِهَا غيْرَ رَاقِي؟
أَنْـتِ مِنَّا، فَتَنْتِ نَفْسَك، لَكِنْـ ... ـنَكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ
حُلْتِ دُونَ المَزارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْ ... تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ
إنَّ لَـحْـظـاً أَدَمْـتِـهِ وَأَدَمْـنَـا ... كَـانَ عَمْداً لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ
لَوْ عَدَا عَنْكِ غيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ ... لأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ المَنَاقِي
وَلَسِرْنَا وَلَـوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا ... مِثْلَ أَنْفاسِنَا عَلَى الأَرْمَـاقِ
مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْعُيُونِ اللَّوَاتِي ... لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ؟
قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِيْ المَوَاضِيْ ... فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِيْ الْبَوَاقِي
كاثَرَتْ نَائِلَ الأَمِيرِ مِنَ المَا ... لِ بِمَا نَـوَّلَـتْ مِـنَ الإِيْـرَاقِ
لَيْسَ إلاَّ أَبَـا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ ... سَـادَ هـذَا الأَنَـامَ باسْتِحْقَاقِ
طَاعِنُ الطَّعْنَةِ التي تَطْعَنُ الْفَيْـ ... ـلَقَ بالْذُّعْرِ وَالـدَّمِ المُهَرَاقِ
ذَاتُ فَرْغٍ كأَنَّهَا في حَشَا المُخْـ ... ـبَرِ[1] عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الإِطْرَاقِ
ضَارِبُ الْهَامِ في الْغُبَارِ وَمَا يَرْ ... هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي
فَـوْقَ شَـقَّـاءَ لـلأَشَقِّ مَجَالٌ ... بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ
مَـا رَآهَـا مُـكَـذِّبُ الـرُّسْـلِ إلاَّ ... صَدَّقَ الْقَوْلَ في صِفَاتِ الْبُرَاقِ
هَمُّهُ في ذَوِيْ الأَسِنَّةِ لاَ فِيْـ ... ـهَا وَأَطْـرَافُـهَـا لَـهُ كَالنِّطَاقِ
ثَاقِبُ الرَّأْيِ[2] ثَابِتُ الْحِلْمِ لا يَقْـ ... ـدِرُ أَمْـرٌ لَـهُ عَـلَـى إقْـلاَقِ
يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لا تَعْـ ... ـدَمْكُمُ في الْوَغَى مُتُونُ الْعِتَاقِ
بَعَثُوا الرُّعْبَ في قُلُوبِ الأَعَادِيْـ ... ـي فَكَانَ[3] الْقِتَالُ قَبْلَ التَّلاَقِي

(١) [بِرِ]
(٢) [العَقْلِ]
(٣) [الأَعَادِيْ فكَأَنَّ]

وَتَـكَـادُ الظُّبَا لِمَا عَـوَّدُوهَـا ... تَنْتَضِي نَفْسَها إِلَـى الأَعْنَاقِ
وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْـ ... ـعِ الْقَنَا أَشْفقُوا مِنَ الإِشْفَاقِ
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ في المَوْتِ حُسْناً ... كَـبُـدُورٍ تَمَامُهَا في الْمُحَاقِ
جَـاعِـلٍ دِرْعَـــهُ مَـنِـيَّـتَـهُ إنْ ... لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ العَارِ وَاقِ
كَـرَمٌ خَشَّنَ الْجَوانِبَ مِنْهُمْ ... فَهْوَ كَالْمَاءِ فِي الشِّفَارِ الرِّقَاقِ
وَمَـعَـالٍ إِذَا ادَّعَـاهَـا سِـوَاهُـمْ ... لَـزِمَـتْـهُ جِـنَـايَـةُ الـسُّـرَّاقِ
يَا بْنَ مَنْ كُلَّمَا بَـدَوْتَ بَدَا لِيْ ... غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الأَخْلاَقِ
لَـوْ تَنَكَّرْتَ في المَكَرِّ لِقَوْمٍ ... حَلَفُوا أَنَّـكَ ابْنُـهُ بِالطَّلاَقِ
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالآ ... فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ في الآفَاقِ؟
قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْـ ... ـقَاكَ إِلاَّ مَنْ سَيْفُهُ مِنْ نِفَاقِ
إِلْفُ هذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ في الأَنْـ ... ـفُسِ أَنَّ الْحِمَامَ مُرُّ المَذَاقِ
والأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ ... وَالأَسَـى لاَ يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ
كَمْ ثَـرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ ... كَـانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ في وَثَـاقِ
وَالْغِنَى فِي يَـدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِي الإِمْـلاَقِ
لَيْسَ قَوْلِيْ فِي شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـ ... ـسِ وَلَكِنْ في الشَّمْسِ كَالإِشْرَاقِ(١)
شَاعِرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـ ... ـظِ، كِلاَنَا رَبُّ الْمَعَانِيْ الدِّقَاقِ
لَمْ تَـزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلكِنْـ ... ـنَ صَهِيلَ(٢) الْجِيَادِ غَيْرُ النُّهَاقِ
لَيْتَ لِيْ مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ في الأَدْ ... هُـرِ أَوْ رِزْقِـهِ مِـنَ الأَرْزَاقِ
أَنْـتَ فِيهِ، وَكَـانَ كُـلُّ زَمَـانٍ ... يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلاَّقِ

(١) [كالشَّمْسِ في الإِشْرَاقِ]
(٢) [صُهَالَ]

وقال فيه أيضاً وقدْ ضُرِبَ له مضْرِبٌ بميّافارِقينَ على الطَّريق، فكَثُر سائلُه وغاشِيَتُه، فقال له إنْسانٌ: جعلْتَ مَضْرِبَكَ على الطَّريق. فقال: أُحِبُّ أنْ تذكر هذا يا أبا الطَّيِّب. فقال ارتجالاً، من المُنْسَرِحِ والقافيةُ [مُتَراكِبٌ]: [من المنسرح]

لاَمَ أُنَـاسٌ أَبَـا الْعَشَائِرِ فِي ... جُـودِ يَـدَيْـهِ بِـالْعَيْـنِ وَالْـوَرِقِ
وَإِنَّـمـا قِيـلَ: لِـمْ خُـلِقْـتَ كَـذَا، ... وَخَـالِـقُ الْخَـلْـقِ خَـالِـقُ الْخُلُقِ
قَـالُـوا: أَلَـمْ تَـكْـفِـهِ سَمَاحَـتُـهُ ... حَـتَّـى بَـنَـى بَـيْـتَـهُ عَـلَـى الطُّـرُقِ؟
فَـقُـلْـتُ: إِنَّ الْـفَـتَـى شَجَاعَـتُـهُ ... تُـرِيـهِ فِي الشُّحِّ صُـورَةَ الْـفَـرَقِ
بِـضَـرْبِ هَـامِ الْـكُـمَـاةِ تَـمَّ لَـهُ ... كَـسْـبُ الَّـذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ
الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّماءَ وَمَا ... يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الْحَـدَقِ
كُـنْ لُـجَّـةً أَيُّـهَا الـسَّـمَـاحُ، فَقَدْ ... آمَـنَـهُ سَـيْـفُـهُ مِـنَ الْـغَـرَقِ

[وقالَ في صِباهُ، من ثالثِ الرجزِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ]: [من الرجز المجزوء]

أَيَّ مَـحَـلٍّ أَرْتَـقِـي ... أَيَّ عَـظِـيـمٍ أَتَّـقِـي
وَكُـلُّ مَا قَـدْ خَـلَـقَ الْـ ... ـلَـهُ وَمَـا لَـمْ يَـخْـلُـقِ
مُـحْـتَـقَـرٌ فِـي هِـمَّـتِـي ... كَشَعْرَةٍ فِـي مَـفْـرِقِـي

قافية الكاف

وَأَجْمَلَ سيفُ الدولةِ ذِكْرَهُ وهو يُسايِرُهُ في طَرِيقِ آمِدَ، فقال من أول البسيطِ والقافيةُ [مُتَراكِبٌ]: [من البسيط]

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا ... وَرُبَّ قَافِيَـةٍ غَـاظَـتْ بِـهِ مَلِكَا
مَنْ يَعْرِفِ الشَّمْسَ لاَ يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا ... أَوْ يُبْصِرِ الْخَيْلَ لاَ يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا
تَسُرُّ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ ... إِنَّ الْـبِـلاَدَ وإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَا

وقال ارتجالاً وقد استَحْسَنَ سيفُ الدولةِ ومَنْ حضَرَهُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها: «أَجابَ دَمْعِي وما الداعِي سِوى طَلَلِ» [من ثالثِ الرَّمَلِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ]: [من الرمل]

إِنَّ هَـذَا الشِّعْرَ فِي الشِّعْرِ مَلَكْ ... سَـارَ فَهْوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ

عَـدَلَ الـرَّحْـمـنُ فِـيـهِ بَيْنَنَا ... فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِيْ وَالْحَمْدِ لَكْ
فَـإِذَا مَـرَّ بِـأُذْنَـيْ حَـاسِـدٍ ... صَارَ مِمَّنْ كَـانَ حَيًّا فَهَلَكْ

وقال لابن عبد الوهَّاب وقد جلس ابنُه إلى جانب المِصْباح،
من أول البسيط والقافية [متراكِبٌ] : [من البسيط]

أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا المَلِكُ؟ ... كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَا لَهَا حُبُكُ
الْفَرْقَدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ ... وَأَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكُ

وقال يَمْدحُ عُبيدَ اللهِ بن يَحْيَى البُحْتُرِيَّ،
من الثاني من البسيط والقافية متواترٌ : [من البسيط]

بَكَيْتُ يَا رَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أُبْكِيْكَا ... وَجُدْتُ بِيْ وَبِدَمْعِيْ فِي مَغَانِيْكَا
فَعِمْ صَبَاحاً لَقَدْ هَيَّجْتَ لِيْ شَجَناً ... وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّـا مُحَيُّوكَا
بِأَيِّ حُكْمِ زَمَانٍ صِرْتَ مُتَّخِذاً ... رِئْمَ الْفَلَا بَدَلاً مِنْ رِئْمِ أَهْلِيكَا؟
أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا انْبَعَثْنَ لَنَا ... إِلَّا ابْتَعَثْنَ دَماً بِاللَّحْظِ مَسْفُوكَا
وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالأَطْلَالُ مُشْرِقَةٌ ... كَـأَنَّ نُـورَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَعْلُوكَا
نَجَا امْرُؤٌ يَا بْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ ... وَخَابَ رَكْبُ رِكَابٍ[1] لَمْ يَؤُمُّوكَا!
أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا ... جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا ... عَلَى دَقِيقِ المَعَانِيْ مِنْ مَعَانِيكَا
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ ... أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا
شُكْرُ الْعُفَاةِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي ... إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكَا
وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الآفَاقِ أَوْهَمَنِي ... أَنِّـي بِقِلَّةِ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا

(١) [رَجَاءٍ]

كَفَى بأنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ في شَرَفٍ | وَإنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِيكَا
وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ | عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِيْ مِثْلَ شَانِيكَا
لَبَّي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعَنِي | يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِيْ وَأَفْدِيكَا
مَا زِلْتَ تُتْبِعُ مَا تُوْلِي يَداً بِيَدٍ | حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِيْ مِنْ أَيَادِيكَا
فَإِنْ تَقُلْ «هَا» فَعَادَاتٌ عُرِفْتَ بِهَا | أَوْ «لاَ»(١) فَإِنَّكَ لا يَسْخُو بِهَا فُوكَا

وقالَ وقَدْ وَرَدَ كِتابُ ابنِ رائقٍ على بَدْرِ بنِ عمّارٍ بإضافةِ الساحلِ إلى عَمَلِه، من الثاني من الطويلِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ: [من الطويل]

تُهَنَّا بِصُوْرٍ أَمْ نُهَنِّئُهَا بِكَا؟ | وَقَلَّ الَّذِي صُوْرٌ وَأَنْتَ لَهُ لَكَا!
وَمَا صَغُرَ الأُرْدُنُّ والسَّاحِلُ الَّذِي | حُبِيتَ بِهِ إلاّ إلى جَنْبِ قَدْرِكَا
تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حتَّى لَوَ انَّهَا | نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ نَحْوَكَا
وَأَصْبَحَ مِصْرٌ لا تَكُونُ أَمِيرَهُ | وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقْلَةٍ وَفَمٍ بَكَى

ولَهُ في صِباهُ، مُجيباً لإنْسانٍ قالَ له: «سَلَّمْتُ عليكَ فلم تَرُدَّ عَلَيَّ ولا أَجَبْتَنِي»، من ثالثَةِ الكاملِ والقافيةُ متدارِكٌ: [مجزوء الكامل]

أنَا عَاتِبٌ لِتَعَتُّبِكْ | متعجِّبٌ لتعجُّبِكْ
إذْ كُنْتُ حِينَ لَقِيتَنِي | متوجِّعاً لتغيُّبِكْ
فَشُغِلْتُ عن رَدِّ السَّلاَ | مِ وكانَ شُغْلِيَ عَنْكَ بِكْ

وقالَ ارتجالاً وقَدْ سَقَاهُ بَدْرٌ ولم تكُنْ له رَغْبةٌ في الشَّرابِ، من ثالثِ السريعِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من السريع]

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إلاّكَا | لا لِسِوَى وُدِّكَ لِيْ ذَاكَا

(١) [بِلاَ]

وَلاَ لِحُبِّيْهَا وَلِكِنَّنِي	أَمْسَيتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَاكَا

وقال له وَقَدْ كانَ تابَ من الشَّرابِ مَرّةً بَعْدَ أُخْرى بينَ يديهِ، فرآهُ يَشْرَبُ. من أول الكامل والقافيةُ مُتدارِكٌ: [من الكامل]

يَا أَيُّها المَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ	شُرَكَاؤُهُ في مِلْكِهِ لا مُلْكِهِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَنَا دَمُ كَرْمَةٍ	لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفْكِهِ
وَالصِّدْقُ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ فَنَبِّنَا:	أَمِنَ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ؟

فقال له بَدْرٌ: بَلْ من تَرْكِه.

وقال لابنِ طُغْج [وهو عند طاهر العَلَويّ]، من أول الخفيف والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الخفيف]

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرْ	رِ وَمِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَا
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْـ	ـتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَا!

ودَخَلَ إلى أبي العشائرِ فوجَدَ عنده إنساناً يُنْشِدُهُ شِعْراً يَصِفُ بِرْكَةً في دارِه، فقال ارتجالاً [من ثالث المتقارِب والقافيةُ مُتَدارِكٌ]: [من المتقارب]

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا	لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكْ
لأَنَّكَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبِحَارَ	لَتَأْنَفُ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبِرَكْ
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ: لا مَا مَلَكْـ	ـتَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلاَ مَا مَلَكْ
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرْيِهَا مَا وَهَبْتَ	وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكْ
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ	وَدُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكْ

وقال يُوَدِّعُ أبا شُجاعٍ عَضُدَ الدولة، [وهو آخِرُ ما قال]، في شَعْبانَ مِنْ سنةِ [أربعٍ وخَمْسِينَ وثلاثمئةٍ، وقُتِلَ في الطريق، من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

فِدًى لكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا   فَلاَ مَلِكٌ إذَنْ إلاَّ فَدَاكَا
وَلَوْ قُلْنَا: فِدًى لَكَ مَنْ يُسَاوِي،   دَعَوْنَا بالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلاَكَا
وَآمَنَّا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْس   وإنْ كَانَتْ لِمَمْلَكَةٍ مِلاَكَا
ومَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً   وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشِّبَاكَا
وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ(١) بِهِ كَرَاهُ   وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ السُّكَاكَا
فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمُ صَدِيقاً   لَقَدْ كَانَتْ خَلاَئِقُهُمْ عِدَاكَا
لأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَباً نَحِيفاً   إذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَا
أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي   بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا
وَقَدْ حَمَّلْتَنِي شُكْراً طَوِيلاً   ثَقِيلاً لاَ أُطِيقُ بِهِ حَرَاكَا
أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا   فَلاَ تَمْشِيْ بِنَا إلاَّ سِوَاكَا
لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً   يُعِينُ عَلَى الإقَامَةِ فِي ذَرَاكَا
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي   فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَا
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي   نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ وَمَا كَفَاكَا
أَتَتْرُكُنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ نَعْلِي   فَتَقْطَعَ مِشْيَتِيْ فِيهَا الشِّرَاكَا؟
أَرَى أَسَفِيْ وَمَا سِرْنَا شَدِيداً   فَكَيْفَ إذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَا؟
وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ   فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَا
إذَا التَّوْدِيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي: عَلَيْكَ الصَّمْتَ، لاصَاحَبْتَ فَاكَا!
وَلَوْلاَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى   مُعَاوَدَةٌ لَقُلْتُ: وَلاَ مُنَاكَا!
قَدِ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ   وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا

(١) [الحَضِيضَ]

فَأَسْتُرُ مِنكَ نَجْوَانَا وَأُخْفِي ... هُموماً قَدْ أَطَلْتُ لها الْعِرَاكَا
إذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شِدَاداً ... وَإنْ طَاوَعْتُهَا كَانَتْ رِكَاكَا
وَكَمْ دُونَ الثَّوِيَّةِ مِنْ حَزِينٍ ... يَقُولُ لَهُ قُدُومِي: ذَا بِذَاكَا
وَمِنْ عَذْبِ الرُّضَابِ إذَا أَنَخْنَا ... يُقَبِّلُ رَحْلَ تُرْوَكَ وَالْوِرَاكَا
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطِيبَ بَعْدِي ... وَقَدْ عَبِقَ[1] الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَا
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ ... وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالأَرَاكَا
يُحَدِّثُ مُقْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنِّي ... فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَا
وَأَنَّ الْبُخْتَ لاَ يُعْرِقْنَ إلاَّ ... وَقَدْ أَنْضَى الْعُذَافِرَةَ اللِّكَاكَا
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ ... إذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكَا
وَلاَ إلاَّ بِأَنْ يُصْغِيْ وَأَحْكِيْ ... فَلَيْتَهُ[2] لاَ يُتَيِّمُهُ هَوَاكَا
وَكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ لَيْسَ يَدْرِي ... أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِيَ أَمْ عُلاَكَا
وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكاً ... وَذَاكَ الشِّعْرُ فِهْرِيَ وَالْمَدَاكَا
فَلاَ تَحْمَدْهُمَا وَاحْمَدْ هُمَاماً ... إذَا لَمْ يُسْمِ حَامِدُهُ عَنَاكَا
أَغَرَّ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ ... غَداً يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَاكَا
وَفِي الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ ... وَآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا
إذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِيْ شُجَاعٍ ... لِعَيْنِيَ مِنْ نَوَايَ[3] عَلَى أُلاَكَا
فَزُلْ يَا بُعْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ ... لَهَا وَقْعُ الأَسِنَّةِ فِي حَشَاكَا
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي ... أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلاَكَا

(١) [عَلِقَ]
(٢) [فَلَيْتَكَ]
(٣) [ثَوَايَ]

فَلَوْ سِرْنَا وَفي تِشْرينَ خَمْسٌ | رَأَوْنِـي قَبْلَ أَنْ يَـرَوْا السِّمَاكَا!
يُـشَـرِّدُ يُـمْـنُ فَنَّاخُسْرَ عَنِّي | قَنا الأَعْـدَاءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَـاهُ فِي طَرِيقِي | سِلاحاً يَذْعَرُ الأَبْطَـالَ شَاكَا
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ[1] إِذَا افْتَرَقْنَا | وَكُـلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلاكَا؟
وَمَـا أَنَـا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَـوَاءٍ | يَعُودُ وَلَـمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا
حَـيِيٌّ مِـنْ إِلَـهِـيَ أَنْ يَـرَانِـي | وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا!

قال أبو بكرٍ الشَّيْبَانيُّ: حَضَرْتُ عند أبي الطَّيِّب وقد أَنْشَدْتُ: [من الطويل]

فَلَوْ أَنَّ ذا شَوْقٍ يَطِيرُ صَبَابَةً | إلى حيثُ يَهْوَاهُ لَكُنْتُ أَنا ذاكا

وسألَهُ إجازَتَهُ فقال - من أول الطويل والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الطويل]

من الشَّوْقِ والوَجْدِ المبرِّحِ إنَّني | يُمثِّلُ لِي مِنْ بَعْدِ لُقْيَاكَ لُقْيَاكَا
سأَسْلُو لذِيذَ العَيْشِ بَعْدَكَ داعياً | وأَنْسَى حَيَاةَ النَّفْسِ من قَبْلِ أَنْسَاكَا

قافية اللاّم

وقال يَمْدَحُ سيفَ الدولةِ وقد عزَمَ على الرَّحِيلِ [عن أنطاكية، وكَثُرَ المَطَرُ]، من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

رُوَيْـدَكَ أَيُّها المَلِكُ الْجَلِيلُ | تَـأَنَّ[2] وَعُـدَّهُ مِـمَّـا تُنِيلُ
وَجُـوْدَكَ بِالْمُقَامِ وَلَـوْ قَلِيلاً | فَـمَـا فِيمَا تَـجُودُ بِـهِ قَلِيلُ
لأَكْبِتَ حَاسِداً وَأَرِي عَـدُوّاً | كَأَنَّهُمَا وَدَاعُـكَ وَالرَّحِيلُ
وَيَهْدَأَ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَكْنَا: | أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قَبِيلُ؟
وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلاً فِي سَمَاحٍ | فَهَا أَنَـا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَـذُولُ

(١) [منكَ]
(٢) [تَأَيَّ]

وَمَـا أَخْشَى نُبُوَّكَ عَنْ طَرِيقٍ — وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلُ
وَكُـلُّ شَـوَاةِ غِطْرِيفٍ تَمَنَّى — لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ
وَمِـثْلِ الْعَمْقِ مَمْلُوءٍ دِمَـاءً — جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولُ
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا — فَـأَهْـوَنُ مَـا يَمُرُّ بِـهِ الْـوُحُـولُ
وَمَنْ أَمَرَ الْحُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ — أَطَاعَتْهُ الْحُزُونَةُ وَالسُّهُولُ
أَتَخْفِرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيَالِي — وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ؟
وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ — يَعِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ؟
وَمَـا لِلسَّيْفِ إِلاَّ الْقَطْعَ فِعْلٌ — وَأَنْـتَ القَاطِعُ البَرُّ الْوَصُولُ
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَّالُ: «صَبْراً!» — وَقَـدْ فَنِيَ التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ
يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ — وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ
فَلَوْ قَـدَرَ السِّنَانُ عَلَى لِسَانٍ — لَقَالَ لَـكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُـولُ
وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدْتَ فَرْداً — وَلَـكِـنْ لَـيْـسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ

وقال يَرْثي وَالِدَتَهُ ويُعزِّيهِ بها ، وقد وَرَدَ خبرُهَا إلى أَنْطاكِيَةَ في جُمادى الآخِرة سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، من البحرِ والقافيةِ كالذي قبلَهَا : [منَ الوافر]

نُـعِـدُّ الْمَشْرَفِيَّةَ وَالْـعَـوَالِـي — وَتَقْتُلُنَا الْـمَـنُـونُ بِـلاَ قِتَالِ
وَنَـرْتَـبِـطُ الـسَّـوَابِـقَ مُقْرَبَاتٍ — وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
وَمَـنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيماً؟ — وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَـى الْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ — نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِـالأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُـؤَادِيَ فِي غِشَـاءٍ مِـنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
وَهَـانَ فَمَا أُبَـالِـي بِـالـرَّزَايَا ... لأَنِّـي مَا انْتَفَعْتُ بِـأَنْ أُبَالِي
وَهَـذَا أَوَّلُ النَّـاعِيـنَ طُـرًّا ... لأَوَّلِ مَيْتَةٍ[1] فِي ذَا الْجَلاَلِ
كَـأَنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ ... وَلَـمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَـلاَةُ الـلَّـهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ ... عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ
عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً ... وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلاَلِ
فَـإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ الأَرْضِ شَخْصاً ... جَـدِيـداً ذِكْـرُنَـاهُ وَهْـوَ بَالِي
أَطَـابَ النَّفْسَ أَنَّـكِ مُتِّ مَوْتاً ... تَمَنَّتْهُ الْـبَـوَاقِـيْ وَالْـخَـوَالِـي
وَزُلْـتِ وَلَـمْ تَـرَيْ يَوْماً كَرِيهاً ... يُسَـرُّ الـرُّوحُ فِـيـهِ بِـالـزَّوَالِ
رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ[2] ... وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي الْغَوَادِي ... نَظِيرُ نَـوَالِ كَفِّكِ فِي النَّوَالِ
لِسَاحِيهِ عَلَى الأَجْدَاثِ حَفْشٌ ... كَأَيْدِيْ الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ المَخَالِي
أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ، ... وَمَا عَهْدِيْ بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِي
يَمُرُّ بِقَبْرِكِ الْعَافِي فَيَبْكِي ... وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ
وَمَـا أَهْـدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ... لَوَ انَّـكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فَعَالِ!
بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ؟ فَإِنَّ قَلْبِي ... ـ وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ ـ غَيْرُ سَالِي
نَزَلْتِ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ ... بَعُدْتِ عَنِ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ
تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ الْخُزَامَى، ... وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْـدَاءُ الطِّلاَلِ

(١) [مِيتَةٍ]
(٢) [مُسْتَظِلٌّ، مُسْتَطِيلٌ]

بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ ... طَوِيلُ الهَجْرِ مُنْبَتُّ الْحِبَالِ
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ المُزْنِ فِيهِ ... كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ المَقَالِ
يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ الشَّكَايَا، ... وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ المَعَالِي
إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ ... سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ
وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ وَلاَ اللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ
وَلاَ مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ
مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ المَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّئَالِ
وَأَبْرَزَتِ الْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الْغَوَالِي
أَتَتْهُنَّ المُصِيبَةُ غَافِلاَتٍ ... فَدَمْعُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلاَلِ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلاَ التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلاَلِ
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا ... قُبَيْلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ المِثَالِ
يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي ... أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الأَوَالِي
وَكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النَّوَاحِي ... كَحِيلٌ بِالْجَنَادِلِ وَالرِّمَالِ
وَمُغْضٍ كَانَ لا يُغْضِي لِخَطْبٍ، ... وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الهُزَالِ
أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ، ... وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ
فَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّي ... وَخَوْضَ المَوْتِ فِي الْحَرْبِ السِّجَالِ
وَحَالاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى ... وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالِ
فَلاَ غِيضَتْ بِحَارُكَ يَا جَمُوماً ... عَلَى عَلَلِ الْغَرَائِبِ وَالدِّخَالِ

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلوكاً ... كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالِ
فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وقال يَمْدَحُه ويذكُرُ استنقاذَهُ أبا وائل تَغْلِبَ بْنَ داوُدَ بْنِ حَمْدانَ لمّا أَسَرَهُ الخارجيُّ في كَلْبٍ؛ وكانَ أبو وائل ضَمِنَ لهم وهو في أَسْرِهِمْ خَيْلاً منها: العَرُوسُ وابنُ العَرُوسِ، وما اشْتَرَطوهُ عليه. وأقاموا يَنْتَظِرونَ وُصولَ الخيلِ والمالِ، فصَبَّحَهُم الجَيْشُ فأَبادَهُم، وقُتِلَ الخارجيُّ في شَعْبانَ سنةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثلاثمئة

من ثالث المتقارِبِ والقافيةُ مُتَدارِكٌ: [من المتقارب]

إِلامَ طَمَاعِيَةُ الْعَاذِلِ ... وَلاَ رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ؟
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ ... وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ
وَإِنِّي لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ ... نُحُولِيْ وَكُلَّ امْرِئٍ نَاحِلِ
وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ ... بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ
أَيُنْكِرُ خَدِّيْ دُمُوعِيْ وَقَدْ ... جَرَتْ مِنْهُ فِي مَسْلَكٍ سَابِلِ؟
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ، ... وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ؟
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لاَمَنِي، ... وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلِ
كَأَنَّ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ... ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ الْهَوَى ... ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلِ
فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النُّضَارِ ... وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ

وَمَنَّاهُمُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً ... فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى بَاسِلِ
كَأَنَّ خَلاصَ أَبِي وَائِلٍ ... مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الآفِلِ
دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ ... عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالقَائِلِ
فَلَبَّيْتَهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ ... لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ
خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضٍ ... وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلِ
فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِينَ السِّيَاطَ ... بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ
شَفَنَّ لِخَمْسٍ إِلَى مَنْ طَلَبْنَ ... قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلِ
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى (١) ... عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْغَاسِلِ
وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْمُسْتَغِيرِ ... كَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْبَائِلِ
فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ ... وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ
وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ ... صَحِيحِ الإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ ... نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ
فَلَمَّا بَدَوْتَ لأَصْحَابِهِ ... رَأَتْ أُسْدُهَا آكِلَ الآكِلِ
بِضَرْبٍ يَعُمُّهُمُ جَائِرٍ ... لَهُ فِيهِمُ قِسْمَةُ الْعَادِلِ
وَطَعْنٍ يُجَمِّعُ شُذَّانَهُمْ ... كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الحَافِلِ
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ ... تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ
فَظَلَّ يُخَضِّبُ مِنْهَا اللِّحَى ... فَتًى لا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ
وَلاَ يَسْتَغِيثُ إِلَى نَاصِرٍ ... وَلاَ يَتَضَعْضَعُ مِنْ خَاذِلِ
وَلاَ يَزَعُ الطِّرْفَ عَنْ مُقْدَمٍ ... وَلاَ يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ

(١) [البَرَى]

إذا طَلَبَ التَّبْلَ لَمْ يَشْأَهُ ... وَإِنْ كَانَ دَيْناً عَلَى مَاطِلِ
خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَاعْذِرُوا ... فَإِنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْعَاجِلِ(١)
وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ ... فَعُودُوا إلى حِمْصَ مِنْ قَابِلِ
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي ... قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ
يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمُ ... فَلَمْ تُدْرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ
أَمَامَ الْكَتِيبَةِ تُزْهَى بِهِ ... مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ
وَإِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ ... قِتَالاً بِكُمٍّ عَلَى بَازِلِ!
أَقَالَ لَهُ اللَّهُ: «لا تَلْقَهُمْ ... بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ»؟!
إذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً ... بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ
وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ ... دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ
يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ
أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ ... عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ؟
يَقُدُّ عِدَاهَا بِلاَ ضَارِبٍ ... وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلاَ حَامِلِ
تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا ... وَمَا يَتَخَلَّصْنَ(٢) لِلنَّاخِلِ
فَأَنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبِيعَ السِّبَاعِ ... فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ
وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِراً ... كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ
وَمِثْلُ الَّذِي دُسْتَهُ حَافِياً ... يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ ... لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الْجَائِلِ
وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى ... بَغِيضِ الْحُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ

(١) [في القابل]
(٢) [يَتَحَصَّلْنَ]

تَفُكُّ الْعُنَاةَ وَتُغْنِيْ الْعُفَاةَ ... وَتَـغْـفِـرُ لِلمُذْنِبِ الْجَاهِلِ
فَـهَـنَّـأَكَ الـنَّـصْـرَ مُعْطِيْكَهُ ... وَأَرْضَـــاهُ سَعْيُكَ فِي الآجِـلِ
فَـذِي الـدَّارُ أَخْـوَنُ مِنْ مُومِسٍ ... وَأَخْــدَعُ مِـنْ كِـفَّـةِ الْحَابِلِ
تَفَانَى الـرِّجَـالُ عَلَى حُبِّهَا ... وَمَــا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

وقال يَمْدَحُه عند مَسيرِه إلى ناصرِ الدولةِ أَخِيهِ، مُعِيناً له على مُعزِّ الدولةِ حِينَ قَصَدَهُ، وذلك في ذي القَعْدةِ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثلاثِمئةٍ، من الأول من البسيط [والقافيةُ مُتَراكِبٌ]: [من البسيط]

أَعْلَى المَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ ... وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ
وَمَـا تَقِرُّ سُيُوفٌ فِي مَمَالِكِهَا ... حَتَّى تُقَلْقَلَ دَهْراً قَبْلُ فِي الْقُلَلِ
مِثْلُ الأَمِيرِ بَغَى أَمْـراً فَقَرَّبَهُ ... طُولُ الرِّمَاحِ وَأَيْدِيْ الْخَيْلِ وَالإِبِلِ
وَعَـزْمَـةٌ بَعَثَتْهَا هِمَّةٌ زُحَـلٌ ... مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ
عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ ... تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ
تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتُبَ الَّتِي نَفَذَتْ ... وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالاً مِنَ الرُّسُلِ
يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلاَ يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ ... وَمَا أَعَدُّوا فَلاَ يَلْقَى سِوَى نَفَلِ
صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ ... صِيَانَةَ الذَّكَرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ
الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ ... وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلِ
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ... ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ
الْجَوُّ أَضْيَقُ مَا لاَقَاهُ سَاطِعُهَا ... وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِ
يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهْـيَ نَاظِرَةٌ ... فَمَا تُقَابِلُهُ إِلاَّ عَلَى وَجَـلِ

قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ — وَظَاهَرَ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغِيَلِ
ووَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ — لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبُنٍ — وَهْوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلِ
يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ — وَقَدْ أَغَذَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلِ
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُغْيَتَهُ — وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مُهْجَةَ الْبَطَلِ
إِذَا خَلَعْتُ[1] عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً — وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ
بِذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ — كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ
لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئَهَا — وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خِيرَةُ الدُّوَلِ
فَمَا تُكَشِّفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلَلٍ — مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ — تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضاً بِلَا رَجُلِ
مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمُ — حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ
يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمُ النَّاظِرَيْنِ لَهُ — فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ
إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ — وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ
أَجْرِ الْجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَهَا — وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُوَلِ
يَنْظُرْنَ مِنْ مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَهَا — قَرْعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ
فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ — وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلِ

وقالَ يَرْثِي ابْنَهُ أبا الهَيْجاءِ عَبْدَ اللهِ بنَ عليّ [سيفِ الدولة]، وقد تُوفّي بميّافارِقِينَ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاثِمئة، من الأول من الطويل [والقافية متواتر]: [من الطويل]

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ — وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي

(١) [جَعَلْتُ]

كأنَّكَ أبصرْتَ الَّذي بِيْ وَخِفتَهُ ... إذا عِشتَ فاختَرْتَ الحِمامَ على الثُّكْلِ
تَرَكْتَ خُدُودَ الْغَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا ... دُمُوعٌ تُذيبُ الْحُسْنَ في الأعْيُنِ النُّجلِ
تَبُلُّ الثَّرَى سُوداً مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ ... وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعَرِ الْجَثْلِ
فَإنْ تَكُ في قَبْرٍ فَإنَّكَ فِي الْحَشَى ... وَإنْ تَكُ طِفلاً فالأَسَى لَيْسَ بالطِّفْلِ
وَمِثْلُكَ لاَ يُبْكَى عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ ... ولكِنْ عَلَى قَدْرِ المَخِيلَةِ(١) وَالأَصْلِ
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الأُلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ ... نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَةُ البُخْلِ
بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ اللِّسَانِ كَغَيْرِهِ ... وَلَكِنَّ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَضْلِ
تُسَلِّيهِمُ عَلْيَاؤُهُمْ عَنْ مُصَابِهِمْ ... وَيَشْغَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ
أَقَلُّ بِلاَءً بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَا ... وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ
عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ ... فَإنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوارِمِ فِي أَهْلِ
وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلْحُزْنِ عَبْرَةً ... وَأَثْبَتَ عَقْلاً وَالْقُلُوبُ بِلاَ عَقْلِ
تَخُونُ المَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ ... وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً ... فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي
وَمَا المَوْتُ إلاَّ سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ ... يَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَيَسْعَى بِلاَ رِجْلِ
يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الْخَمِيسَ عَنِ ابْنِهِ ... وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوِلاَدَةِ لِلنَّمْلِ
بِنَفْسِيْ وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ ... إلى بَطْنِ أُمٍّ لاَ تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ
بَدَا وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابَةِ بِالرِّوَى ... وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ

(١) [الفِرَاسةِ]

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا ... إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى ... وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغْلِي
أَيَفْطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ ... وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الأَكْلِ؟
وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ ... وَيَسْمَعَ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ
وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السِّلْمِ وَالْوَغَى، ... وَيُمْسِيْ كَمَا تُمْسِيْ مَلِيكاً بِلاَ مِثْلِ
تُوَلِّيهِ أَوْسَاطَ الْبِلاَدِ رِمَاحُهُ، ... وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ
نُبَكِّيْ لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ ... تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلاَ مَوْهِبٍ جَزْلِ
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ ... تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ
هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إِلاَّ تَعِلَّةٌ، ... وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إِلاَّ أَذَى الْبَعْلِ؟
وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصِّبَا، ... فَلاَ تَحْسَبَنِّيْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ
وَمَا تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِيْ بِأَمْرِهَا، ... وَلاَ تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ ... حَيَاةٌ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ

وقال يَمْدَحُه، من أول الكامل والقافية [مُتَدارِكٌ] : [من الكامل]

لاَ الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلاَ بِمِثَالِهِ ... لَـوْلاَ ادِّكَـارُ وَدَاعِـهِ وَزِيَـالِـهِ
إِنَّ الْمُعِيدَ لَنَا الْمَنَامُ خَيَالَهُ ... كَـانَـتْ إِعَـادَتُـهُ خَـيَـالَ خَيَالِهِ
بِتْنَا يُنَاوِلُنَا الْـمُـدَامَ بِكَفِّهِ ... مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَـرَاهُ بِبَالِهِ
نَجْنِي الْكَوَاكِبَ مِنْ قَلاَئِدِ جِيدِهِ ... وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ
بِنْتُمْ عَنِ الْعَيْنِ الْقَرِيحَةِ فِيكُمُ، ... وَسَكَنْتُمُ ظَـنَّ الْـفُـؤَادِ الْوَالِهِ
فَدَنَوْتُمُ وَدُنُـوُّكُـمْ مِنْ عِنْدِهِ، ... وَسَمَحْتُمُ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ

إِنِّيْ لأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ   إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ
مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَآبَةِ وَالأَسَى   فَارَقْتُهُ فَحَدَثْنَ مِنْ تَرْحَالِهِ
وَقَدِ اسْتَقَدْتُ مِنَ الهَوَى وَأَذَقْتُهُ   مِنْ عِفَّتِيْ مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ
وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً   تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ
تَلْقَى الْوُجُوهُ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا   ضَرْبٌ يَجُولُ المَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلافَهُ   وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَهْلِهِ   بَــرَّزْتُ غَـيْـرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ   مُـعْـتَـادِهِ مُـجْـتَـابِـهِ مُغْتَالِهِ
يَمْشِي كَمَا عَدَتِ المَطِيُّ وَرَاءَهُ،   وَيَزِيدُ وَقْـتَ جَمَامِهَا وَكَلالِهِ
وَتُـــرَاعُ غَيْرَ مُعَقَّلاتٍ حَوْلَهُ   فَيَفُوتُهَا مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ،   وَغَدَا المِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا،   وَشَقَقْتُ خِيسَ المُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ
عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ   يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ
وَتَوَاضَعُ الأُمَرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ،   وَتُـرِيْ المَحَبَّةَ وَهْيَ مِنْ آكَالِهِ
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبَشُّ قَبْـ   ـلَ نَـوَالِـهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ
إِنَّ الـرِّيَـاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ   أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنِ اسْتِعْجَالِهِ
أَعْطَى وَمَنَّ عَلَى المُلُوكِ بِعَفْوِهِ   حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ
وَإِذَا غَنُوا بِعَطَائِهِ عَـنْ هَـزِّهِ،   وَالَـى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا: وَالِهِ
وَكَأَنَّمَا جَـدْوَاهُ مِـنْ إِكْـثَـارِهِ   حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْـلالِـهِ

غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِهِ، ... وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنالِهِ
وَاللَّهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ، ... وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلَى أَسْيَافِهِ ... مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبالِهِ
فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ الْعَرَمْرَمُ نَفْسَهُ، ... وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَا أَقْتالِهِ
لَمْ يَتْرُكُوا أَثَراً عَلَيْهِ مِنَ الْوَغَى ... إِلاَّ دِمَاءَهُمُ عَلَى سِرْبَالِهِ
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُباهِي وَجْهَهُ ... لا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ
وَإِذَا طَمَا الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَقُلْ لَهُ: ... دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ
وَهَبَ الذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى ... أَفْعَالَهُمْ لابْنٍ بِلاَ أَفْعَالِهِ
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التُّرَاثُ سِوَى الْعُلاَ ... قَصَدَ الْعُدَاةَ مِنَ الْقَنَا بِطِوَالِهِ
وَبِأَرْعَنٍ لَبِسَ الْعَجَاجَ إِلَيْهِمِ ... فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ
فَكَأَنَّمَا قَذِيَ النَّهارُ بِنَقْعِهِ ... أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ مِنْ إِجْلالِهِ
الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ ... فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
تَرِدُ الطِّعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ ... وَتُنَازِلُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ
كُلٌّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ ... يَا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ
دُونَ الْحَلاَوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةٌ ... لاَ تُخْتَطَى إِلاَّ عَلَى أَهْوَالِهِ
فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ ... وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إِلَى آمَالِهِ

وقال وهو يُسايِرُهُ بطَريقِ آمِدَ وقد توسَّطَ جبالاً،
من ثالث المتقارِبِ والقافية مُتدارِكٌ: [من المتقارب]

يُؤَمِّمُ ذَا السَّيْفُ آمَالَهُ ... وَلاَ يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ

إذا سَـارَ فـي مَـهْـمَـهٍ عَـمَّـهُ   وَإنْ سَـارَ فـي جَـبَـلٍ طَـالَـهُ
وَأَنْـتَ بِـمَـا نُـلْـتَـنَـا مَـالِـكٌ   يُـثَـمِّـرُ مِـنْ مَـالِـهِ مَـالَـهُ
كَـأَنَّـكَ مَـا بَـيْـنَـنَـا ضَـيْـغَـمٌ   يُـرَشِّـحُ لِـلْـفَـرْسِ أَشْـبَـالَـهُ

وقال بميّافارقين وقَدْ ضُرِبَتْ له قبْلَ رَحِيلِه خَيْمَةٌ كبيرةٌ وأشاعَ الناسُ أنَّ المُقامَ يَتَّصِلُ، فَهَبَّتِ الرِيحُ فسقطتْ، فتكلَّمَ الناسُ عند سُقُوطِها، من البحر والقافية [كالتي قبْلَها] : [من المتقارب]

أَيَـقْـدَحُ[1] فـي الْـخَيْـمَـةِ الْـعُـذَّلُ   وَتَـشْـمَـلُ مَـنْ دَهْـرَهَـا يَـشْـمَـلُ؟
وَتَـعْـلُـو الَّـذي زُحَـلٌ تَـحْـتَـهُ   مُـحَـالٌ لَـعَـمْـرُكَ مَـا تُـسْـأَلُ
فَـلِـمْ لاَ تَـلُـومُ الَّـذي لامَـهَـا   وَمَـا فَـصُّ خَـاتَـمِـهِ يَـذْبُـلُ
تَـضِـيقُ بِـشَـخْـصِـكَ أَرْجَـاؤُهَـا   وَيَـرْكُـضُ فـي الْـوَاحِـدِ الْـجَـحْـفَـلُ
وَتَـقْـصُـرُ مَـا كُـنْـتَ فـي جَـوْفِـهَـا   وَتُـرْكَـزُ فِـيـهَـا الْـقَـنَـا الـذُّبَّـلُ
وَكَـيْـفَ تَـقُـومُ عَـلَـى رَاحَـةٍ   كَـأَنَّ الْـبِـحَـارَ لَـهَـا أَنْـمُـلُ؟
فَـلَـيْـتَ وَقَـارَكَ فَـرَّقْـتَـهُ   وَحَـمَّـلْـتَ أَرْضَـكَ مَـا تَـحْـمِـلُ
فَـصَـارَ الأَنَـامُ بِـهِ سَـادَةً   وَسُـدْتَـهُـمُ بِـالَّـذي يَـفْـضُـلُ
رَأَتْ لَـوْنَ نُـورِكَ فـي لَـوْنِـهَـا   كَـلَـوْنِ الْـغَـزَالَـةِ لا يُـغْـسَـلُ
وَأَنَّ لَـهَـا شَـرَفـاً بَـاذِخـاً   وَأَنَّ الْـخِـيَـامَ بِـهَـا تَـخْـجَـلُ
فَـلاَ تُـنْـكِـرَنَّ لَـهَـا صَـرْعَـةً   فَـمِـنْ فَـرَحِ الـنَّـفْـسِ مَـا يَـقْـتُـلُ
وَلَـوْ بُـلِّـغَ الـنَّـاسُ مَـا بُـلِّـغَـتْ   لَـخَـانَـتْـهُـمُ حَـوْلَـكَ الأَرْجُـلُ
وَلَـمَّـا أَمَـرْتَ بِـتَـطْـنِـيـبِـهَـا   أُشِـيـعَ بِـأَنَّـكَ لاَ تَـرْحَـلُ

(١) [أَيَنْفَعُ]

فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا ... وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ
وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ ... وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ
فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَّلُوا(١) ... وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا؟
هُمُ يَطْلُبُونَ، فَمَنْ أَدْرَكُوا؟ ... وَهُمْ يَكْذِبُونَ، فَمَنْ يَقْبَلُ؟
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ ... وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ
وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا ... وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَا مُخْمَلُ
يُفَاجِئُ جَيْشاً بِهَا حَيْنُهُ ... وَيُنْذِرُ جَيْشاً بِهَا الْقَسْطَلُ
جَعَلْتُكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لِأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تُجْعَلُ
لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ ... لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفَهَا مُنْصُلُ
فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ ... فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمِقْصَلُ
وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا ... فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الْأَوَّلُ
وَكَيْفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ ... وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِهَا مُشْبِلُ
وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى: ... أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجِلُ(٢)؟
فَتَبًّا لِدِينِ عَبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَعْقِلُ
وَقَدْ عَرَفَتْكَ فَمَا بَالُهَا ... تَرَاكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ
وَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرَيْكُمَا ... لَبِتَّ وَأَعْلَاكُمَا الْأَسْفَلُ
أَنَلْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَّلُوا ... أَنَالَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمُلُ

وقال يَمْدَحُه ويعتذرُ إليه مِمّا خاطَبَهُ به في: «واحرَّ قَلْباهُ»، من أول البسيط والقافية مُتَراكِبٌ: [من البسيط]

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ ... دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ

(١) [أَمَّلُوا]
(٢) [تَنْجُلُ]

ظَلِلْتُ بَيْنَ أُصَيْحَابِيْ أُكَفْكِفُهُ   وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُذْرِ وَالْعَذَلِ
أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَبْرَتِيْ عَجَبٌ   كَذَاكَ كُنْتُ(1) وَمَا أَشْكُو سِوَى الكَلَلِ
وَمَـا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ   مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلِ
مَتَى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَهَا   لاَ يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ البِيضِ وَالأَسَلِ
وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِيْ مِمَّا أُرَاقِبُهُ   أَنَا الغَرِيقُ فَمَا خَوْفِيْ مِنَ الْبَلَلِ؟
مَا بَالُ كُلِّ فُـؤَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا   بِهِ الَّذِي بِيْ وَمَا بِيْ غَيْرُ مُنْتَقِلِ؟
مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الأَلْحَاظِ مَالِكَةٌ   لِمُقْلَتَيْهَا عَظِيمُ المُلْكِ فِي المُقَلِ
تَشَبَّهُ الْخَفِرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا   فِي مَشْيِهَا فَيَنَلْنَ الْحُسْنَ بِالْحِيَلِ
قَدْ ذُقْـتُ شِـدَّةَ أَيَّامِيْ وَلَذَّتَهَا   فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلاَ عَسَلِ
وَقَدْ أَرَانِيْ الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي   وَقَدْ أَرَانِيْ الْمَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَلِي
وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِياً   بِصَاحِبٍ غَيْرِ عِزْهَاةٍ وَلاَ غَزِلِ
فَـبَـاتَ بَـيْـنَ تَرَاقِيْنَا نُدَفِّعُهُ   وَلَيْسَ يَعْلَمُ بِالشَّكْوَى وَلاَ القُبَلِ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ   عَلَى ذُؤَابَتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخِلَلِ
لاَ أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلاَّ مِنْ مَضَارِبِهِ   أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمِّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ
جَادَ الأَمِيرُ بِهِ لِيْ فِي مَوَاهِبِهِ   فَزَانَهَا وَكَسَانِيْ الدِّرْعَ فِي الْحُلَلِ
وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي   بِحَمْلِهِ، مَنْ كَعَبْدِ اللَّهِ أَوْ كَعَلِي؟
مُعْطِي الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلاَهِبِ وَالْـ   ـبِيضِ الْقَوَاضِبِ وَالعَسَّالَةِ الذُّبُلِ
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهُ الأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ   مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ   وَالْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلِ

(١) [كانَتْ]

مِنْ تَغْلِبَ الْغَالِبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ ... وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجُبْنِ وَالْبَخَلِ

وَالْمَدْحُ لابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنْجِدُهُ ... بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ ... فَمَا كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ؟

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ ... فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلِ

إِنَّ الْهُمَامَ الَّذِي فَخْرُ الأَنَامِ بِهِ ... خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَّيْ خَيْرَةِ الدُّوَلِ

تُمْسِي الأَمَانِيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ ... فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ: لَيْتَ ذَلِكَ لِي

أُنْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهَجٍ ... إِلَى اخْتِلافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ

هَذَا الْمُعَدُّ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلِتاً ... أَعَدَّ هَذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطَلِ

فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ ... وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ

وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ ... تَمْشِي النَّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الْوَعِلِ؟

جَازَ الدُّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرْشَنَةٍ ... وَزَالَ عَنْهَا وَذَاكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلِ

فَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمُ ... فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْجَمَلِ

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا ... مِنْهَا رِضَاكَ، وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ؟

نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا: ... يَا غَيْرَ مُنْتَحَلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلِ

بِالشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمُ ... فَطَالِعَاهُمْ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ

وَعَرِّفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ ... أُقَلِّبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ

يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي، ... وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الإِحْسَانِ لاَ قِبَلِي

مَا كَانَ نَوْمِيَ إِلاَّ فَوْقَ مَعْرِفَتِي ... بِأَنَّ رَأْيَكَ لاَ يُؤْتَى مِنَ الزَّلَلِ

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ
لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ؛ ... فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ
وَمَا سَمِعْتُ، وَلاَ غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ ... أَذَبَّ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلِ
لأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لاَ تَكَلَّفُهُ، ... لَيْسَ التَّكَحُّلُ في الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ
وَمَا ثَنَاكَ كَلاَمُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ ... وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الهَطِلِ؟
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرٍ ... وَلاَ مِطَالٍ وَلاَ وَعْدٍ وَلاَ مَذَلِ
أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ ... غَيْرَ السَّنَوَّرِ وَالأَشْلاَءِ وَالْقُلَلِ
وَرَدَّ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضاً مُقَارَعَةً ... كَأَنَّهُ مِنْ نُفُوسِ الْقَوْمِ في جَدَلِ
لاَ زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرُضٍ ... بِعَاجِلِ النَّصْرِ في مُسْتَأْخِرِ الأَجَلِ

ولمّا أَنْشَدَ: «أَقِلْ أَنِلْ» رأى قوماً يَعُدُّونَ ألفاظَهُ،
فقال وزاد فيه وافتكَّهُ: [من البسيط]

أَقِلْ أَنِلْ أُنْ صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

فرآهم يستكثِرون الحُروفَ فقال - من الثاني من الطويل
والقافية متدارك -: [من الطويل]

عِشِ ابْقَ اسْمُ سُدْ قُدْ ... جُدْ مُرِ انْهَ رِفِ اسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ ... اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ
وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتَهُ ... لأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ

وحَضَرَ مَجْلسَ سيفِ الدولة، وعنده ابنُ حُبَيْشٍ المِصّيصيّ وبينَ يديهِ أُتْرُجٌّ
وَطَلْعٌ، وهو يَعْرِضُ الجَيْشَ، فقال لابنِ حُبيشٍ: لا تَتوهَّمْ هذا للشُّربِ،
إنما هو للشَّمّ؛ فقال أبو الطيب ارتجالاً - من أول الوافر
والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الوافر]

شَديدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ ... تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخيلِ
وَلكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيه طِيبٌ ... لَدَيْكَ مِنَ الدَّقيقِ إِلَى الْجَليلِ
وَمَيْدَانُ الْفَصاحَةِ وَالْقَوافِي ... وَمُمْتَحَنُ الْفَوارِسِ وَالْخُيُولِ

فلم يتبيَّنْ معْنى الأوّلِ لقوْمٍ حضرُوا، فقال من البحر والقافية: [من الوافر]

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأَصِيلِ ... وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيْلِي
فَعَارَضَهُ كَلامٌ كَانَ مِنْهُ ... بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ
وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشَظِّي، ... وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلى دَلِيلِ

وقال وقد لَبسَ المماليكُ التّجافِيفَ وجاؤوا بِلَبُؤَةٍ مقْتُولة معها ثلاثةُ أَشْبالٍ أحياءٍ، وذلك في يوم الاثنين لليلتين خلَتا من ذي القعْدة سنة إحْدى وأربعينَ وثلاثمئة.
من ثالثِ المتقارِبِ والقافيةُ متداركٌ: [من المتقارب]

لَقِيتَ الْعُفَاةَ بِآمَالِهَا ... وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِآجَالِهَا
وَأَقْبَلَتِ الرُّومُ تَمْشِي إِلَيْـ ... ـكَ بَيْنَ اللُّيُوثِ وَأَشْبَالِهَا
إِذَا رَأَتِ الأُسْدَ مَسْبِيَّةً ... فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا؟

ودخل عليه ليلاً وقد رُفِعَ سِلاحٌ كان بين يديه وهو في ذِكْرِهِ وَوَصْفِه، فقال - من الأول من الوافر والقافيةُ متواتِر -: [من الوافر]

وَصَفْتَ لَنَا - وَلَمْ نَرَهُ - سِلاحاً ... كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النِّزَالِ
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفَّ عَلَى دُرُوعٍ ... فَشَوَّقَ مَنْ رَآهُ إِلَى الْقِتَالِ

فَلَوْ أطْفَأْتَ نَارَكَ تَا لَدَيْهِ … قَرَأْتَ الْخَطَّ في سُودِ اللَّيَالِي
إنِ اسْتَحْسَنْتَ وَهْوَ عَلَى بِسَاطٍ … فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ
وَإنَّ بِهَا وَإنَّ بِهِ لَنَقْصاً، … وَأَنْتَ لَهَا النِّهَايَةُ فِي الكَمالِ
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتُقُ جَانِبَيْهِ[1] … لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالاً لِحَالِ

ورحَلَ سَيْفُ الدولةِ من حَلَبَ إلى دِيَارِ مُضَرَ، فبرز لحرّانَ [وأخذَ] رهائنَ [بني] قُشَيْرٍ وعُقَيْلٍ والعَجْلانِ؛ وحدثَ له بها رَأْيٌ في الغَزْوِ فعبَرَ الفُراتَ إلى دُلُوكَ وقَنْطَرةِ صَنْجَةَ إلى دَرْبِ القُلَّة، فشَنَّ الغارةَ على أرضِ عَرْقَةَ ومَلَطْيَةَ. ثُمَّ عادَ ليَعْبُرَ مِنْ دَرْبِ مَوْزارَ فوجدَ العَدُوَّ قدْ أخذَهُ عليهِ، فقتَلَ كثيراً من الأَرْمَنِ؛ فرجعَ إلى مَلَطْيَةَ وعبرَ قُباقِبَ ـ وهو نَهْرٌ ـ حتى وَرَدَ المَخاضَ على الفُراتِ تَحْتَ حِصْنٍ يُعْرَفُ بالمَنْشَارِ، فعبَرَ إلى بَطْنِ هِنْزيطَ وسُمْنِينَ، ونزلَ بحِصْنِ الرانِ. ثُمَّ رحَلَ إلى سُمَيْساطَ، فورَدَ عليه بها أَنَّ العَدُوَّ في بلدِ المُسْلِمين، فأسْرَعَ إلى دُلوكَ وعَبرَها فأدْرَكَهُ راجعاً على جَيْحانَ، فهزَمَهُ وأسَرَ قُسْطَنْطِينَ بنَ الدُّمُسْتُقِ، وجُرِحَ الدُّمُسْتُقُ في وَجْهِهِ. فقالَ أبو الطيب سنةَ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ وثلاثمئةٍ، من ثالثِ الطويلِ والقافيةُ مُتَواتِرٌ: [من الطويل]

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ … طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ
يُبِنَّ لِيَ الْبَدْرَ الَّذِي لا أُرِيدُهُ، … وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبِيلُ

(١) [حافَتَيْهِ]

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً ... وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ
وَإِنَّ رَحِيلاً وَاحِداً حَالَ بَيْنَنَا، ... وَفِي المَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ
إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ ... فَلا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً ... لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأَسِنَّةِ فَوْقَهُ ... فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ وُصُولُ
أَمَا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا ... لِعَيْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ؟
أَلَمْ يَرَ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي ... فَتَظْهَرَ فِيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ؟
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ الْفَجْرَ لَقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي[1] وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلُ
وَيَوْماً كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ عَلامَةٌ ... بَعَثْتَ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اثَّارَ عَاشِقٌ ... وَلا طُلِبَتْ عِنْدَ الظَّلامِ ذُحُولُ
وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ ... تَرُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا ... وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السِّهَامَ خُيُولُ
شَوَائِلَ تَشْوَالَ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا ... لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ
وَمَا هِيَ إِلاَّ خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ ... بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَناً وَنُصُولُ
هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ ... بِأَرْعَنَ وَطْءُ المَوْتِ فِيهِ ثَقِيلُ
وَخَيْلٍ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ
فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكَ وَصَنْجَةٍ ... عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةٌ وَرَعِيلُ
عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطُّرْقِ رِفْعَةٌ ... وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الأَنِيسِ خُمُولُ
فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً ... قِبَاحاً وَأَمَّا خَلْقُهَا فَجَمِيلُ

(١) [كَبِدِي]

سَحَائِبُ يُمْطِرْنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمُ   فَكُلُّ مَكَانٍ بالسُّيُوفِ غَسِيلُ
وَأَمْسَى السَّبَايَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرْقَةٍ   كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلاَتِ ذُيُولُ
وَعَادَتْ فَظَنُّوهَا بِمَوْزَارَ قُفَّلاً   وَلَيْسَ لَهَا إلاَّ الدُّخُولَ قُفُولُ
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَمْعِ خَوْضاً كَأَنَّهُ   بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخُضْهُ كَفِيلُ
تُسَايِرُهَا النِّيرَانُ في كُلِّ مَسْلَكٍ   بِهِ الْقَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُولُ
وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ في دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ   مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ
وَأَضْعَفْنَ مَا كُلِّفْنَهُ مِنْ قُبَاقِبٍ   فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ
وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الفُرَاتِ كَأَنَّمَا   تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ   سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ
تَرَاهُ كَأَنَّ المَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ   وَأَقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ
وَفي بَطْنِ هِنْزِيطٍ وَسِمْنِينَ لِلظُّبَا   وَصُمِّ القَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ
طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا   لَهَا غُرَرٌ مَا تَنْقَضِي وَحُجُولُ
تَمَلُّ الْحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا،   فَتُلْقِي إلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ
وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى،   وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلأَمِيرِ ذَلِيلُ
وَفي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلاَهُ مَلاَلَةٌ،   وَفي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلاَهُ فُلُولُ
وَدُونَ سُمَيْسَاطَ المَطَامِيرُ وَالمَلاَ،   وَأَوْدِيَةٌ مَجْهُولَةٌ وَهُجُولُ
لَبِسْنَ الدُّجَى فيهَا إلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ   وَلِلرُّومِ خَطْبٌ في الْبِلاَدِ جَلِيلُ
فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ   دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ
وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ،   وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ

فأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ … فَتَى بَأْسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ

جَوَادٌ عَلَى الْعِلاَّتِ بِالمَالِ كُلِّهِ … وَلَـكِـنَّـهُ بـالـدَّارِعِـيـنَ بَخِيلُ

فَـوَدَّعَ قَتْلاَهُمْ وَشَـيَّـعَ فَلَّهُمْ … بِضَرْبٍ حُزُونُ الْبَيْضِ فيهِ سُهُولُ

عَلَى قَلْبِ قُسطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ، … وَإِنْ كَانَ فِي سَاقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ

لَعَلَّكَ يَوماً يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ … فَكَمْ هَـارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَـؤُولُ

نَجَوْتَ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً … وَخَلَّفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ

أَتُسْلِمُ لِلْخَطِّيَّةِ ابْنَكَ هَارِباً، … وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ؟

بِوَجْهِكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرِشَّةٍ … نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّـةٌ وَعَـوِيـلُ

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وَعَرْضُهَا؟ … عَلِيٌّ شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ!!

إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلاَّ فَرِيسَةً … غَـذَاهُ وَلَـمْ يَنْفَعْكَ أَنَّـكَ فِيلُ

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ … هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ(١) … فَقَدْ عَلَّمَ الأَيَّـامَ كَيْفَ تَصُولُ

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِياً، … فَإِنَّكَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلُ

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ … فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ … إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ

وَمَا لِكَلاَمِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِي … أُصُـولٌ وَلاَ لِلْقَائِلِيهِ أُصُـولُ

أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى … وَأَهْـدَأُ وَالأَفْـكَـارُ فِـيَّ تَجُولُ

سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ … إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ

وَلاَ تَطْمَعَنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ … وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَـهُ وَتُنِيلُ

(١) [صَوْلَةً]

وَإنَّا لَنَلْقَى الْحادثَاتِ بأَنْفُسٍ كَثيرُ الـرّزَايَـا عِنْدَهُنَّ قَليلُ
يَهُونُ عَلَيْنَا أنْ تُصابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْـرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ
فَتيهاً وَفَخْراً تَغْلِبَ بْنَةَ وَائِلٍ، فَأَنْتِ لِخَيْرِ الْفَاخِرِينَ قَبيلُ
يَغُمُّ عَلِيًّا أنْ يَـمُوتَ عَـدُوُّهُ إذا لَـمْ تَغُلْهُ بالأسِنَّةِ غُـولُ
شَريكُ المَنَايَا، وَالنُّفُوسُ غَنيمَةٌ، فَكُلُّ مَمَاتٍ لَـمْ يُمِتْهُ غُلُولُ
فَإنْ تكُنِ الـدَّوْلاَتُ قِسْماً فَإنَّهَا لِمَنْ وَرَدَ المَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيا عَلَى النَّفْسِ ساعَةً، وَلِلْبيضِ فِي هَامِ الْكُماةِ صَليلُ

وقال وقد وَجَدَ سيفُ الدولةِ علّةً، وقد دخَلَ عليهِ رسُولُ مَلِكِ الرُّومِ فقال: «الساعةَ يُسَرُّ الرَّسُولُ بهذه العِلّة»، من أول المتقارِبِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من المتقارب]

فُـدِيـتَ، بماذا يُسَرُّ الرسُولُ وأنتَ الصحيحُ بِذَا لا العَليلُ؟
عَـواقِـبُ هـذا تَـسُـوءُ الـعَـدُوَّ وتَـثْـبُـتُ فـيـهِ وهـذا يَـزُولُ

وذكرَ فضلَ العَرَبِ والأَكْرادِ فسأَلَ أبا الطيبِ عنهما، فقال ارتجالاً من مَشْطُورِ الرجزِ والقافيةُ متدارِكٌ: [من الرجز]

إنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الأنَامِ سَائِلاَ فَخَيْرُهُمْ أَكْـثَـرُهُـمْ فَضَائِلاَ
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يا هُمَامُ وَائِلاَ الطَّاعِنِينَ في الْـوَغَـى أوَائِـلاَ
وَالْعَاذِلِينَ في النَّدَى الْعَوَاذِلاَ قَـدْ فَضَلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلاَ

وقال يَمْدَحُه بَعْدَ دُخولِ رسولِ [ملك] الرومِ عليه في شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ وأربعين وثلاثمئة،

من الثاني من الطويل والقافية متدارِكٌ: [من الطويل]

دُرُوعٌ لِمَلْكِ الرُّومِ هذي الرَّسَائِلُ ... يَـرُدُّ بِهَا عَـنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا ... عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ

وَأَنَّى اهْتَدَى هذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ ... وَمَا سَكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ؟

وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي جِيَادَهُ ... وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ؟

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ ... وَتَنْقَدُّ تَحتَ الذُّعْرِ مِنْهُ المَفَاصِلُ

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطَيْنِ مَشْيَهُ ... إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الأَفَاكِلُ

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ ... سَمِيُّكَ وَالْخِلُ الَّذِي لا يُزَايِلُ

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمِعٌ ... وَأَبْصَرَ مِنْهُ المَوْتَ وَالمَوْتُ هَائِلُ

وَقَبَّلَ كُمًّا قَبَّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ ... وَكُـلُّ كَمِيٍّ وَاقِـفٌ مُتَضَائِلُ

وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأَظْفَرُ طَالِبٍ ... هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كُمِّكَ وَاصِلُ

مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشِّفَاهُ وَدُونَـهُ ... صُدُورُ المَذَاكِي وَالرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ

فَمَا بَلَّغَتْهُ مَـا أَرَادَ كَـرَامَـةٌ ... عَلَيْكَ ولكِنْ لَمْ يَخِبْ لَكَ سَائِلُ

وَأَكْـبَـرَ مِـنْـهُ هِـمَّـةً بَعَثَتْ بِهِ ... إِلَيْكَ الْعِدَا وَاسْتَنْظَرَتْهُ الْجَحَافِلُ

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ، ... وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ

تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ ... وَطَابِعُهُ الرَّحْمنُ وَالمَجْدُ صَاقِلُ

وَمَـا لَوْنُهُ مِمّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ، ... وَلاَ حَـدُّهُ مِمّا تَجُسُّ الأَنَامِلُ

إِذَا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا ... عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ

رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النَّوَافِلُ كُلُّهَا ... لَدَيْهِ وَلاَ تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ

فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالأَسْرِ سَاقَهُمْ ... فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالأَسْرُ فَاعِلُ

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَـادَةٌ ... وَجَاؤُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلاَسِلُ

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ ... كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلوكُ جَدَاوِلُ
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَائِبٌ ... فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ
كَرِيمٌ، مَتَى اسْتُوهِبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ ... وَقَدْ لَقِحَتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ(١)
أَذَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ... وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِيْ شُوَيْعِرٌ ... ضَعِيفٌ يُقَاوِينِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ؟
لِسَانِيْ بِنُطْقِيْ صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ ... وَقَلْبِيْ بِصَمْتِيْ ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ
وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ ... وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ
وَمَا التِّيْهُ طِبِّيْ فِيهِمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ
وَأَكْبَرُ تِيهِي أَنَّنِيْ بِكَ وَاثِقٌ ... وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِيْ لَكَ آمِلُ
لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةً ... يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلُ
رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ ... وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدٌ ... وَلَوْ حَارَبَتْهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ
وَمَا كَانَ أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا ... وَأَلْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوِلُ
قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى ... إِذَا لَثَّمَتْهُ بِالْغُبَارِ الْقَنَابِلُ
تُدَبِّرُ شَرْقَ الأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفُّهُ ... وَلَيْسَ لَهَا وَقْتاً عَنِ الْجُودِ شَاغِلُ
يُتَبِّعُ هُرَّابَ الرِّجَالِ مُرَادُهُ ... فَمَنْ فَرَّ حَرْباً عَارَضَتْهُ الْغَوَائِلُ
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَداً لَهُ ... تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ
فَتًى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهْوَ كَامِلٌ ... لَهُ كَامِلاً حَتَّى يُرَى وَهْوَ شَامِلُ
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ رَازَتْ نُفُوسَهَا ... فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِيكُ الْحُلَاحِلُ

(١) [نَازِلُ]

أطاعتْكَ في أَرْوَاحِها وَتَصرَّفَتْ بأَمْرِكَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبائِلُ
وَكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنا مَـدَدٌ لَهُ وَمَا يَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إلاَّ الْعَوامِلُ
رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَقْتَضِ الطَّعْنُ في الْوَغى إِلَيْكَ انْقِيَاداً لاقْتَضَتْهُ الشَّمَائِلُ
وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُّلَّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ

وقال يُعَزِّيه بأُخْتِهِ الصُّغْرَى، ويُسَلِّيه بِبَقَاءِ الكُبْرَى، وتُوفِّيَتْ بميّافارِقِينَ في يوم الأربعاء النِّصْفِ من شهرِ رمضانَ سنةَ أربعٍ وأربعين وثلاثمئة، من أوَّلِ الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

إنْ يَكُنْ صَبرُ ذِي الرَّزِيَّةِ فَضْلاَ تَكُنِ الأَفْضَلَ الأعَـزَّ الأَجَلاَّ
أَنْتَ يا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الأَحْـ ـبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعَزِّيكَ عَقْلاَ
وَبِأَلْفَاظِكَ اهْـتَـدَى فَـإِذَا عَزْ زَاكَ قَـالَ الَّـذِي لَـهُ قُلْتَ قَبْلاَ
قَدْ بَلَوْتَ الْخُطُوبَ مُرًّا وَحُلْواً وَسَلَكْتَ الأَيَّـامَ حَزْناً وَسَهْلاَ
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْماً فَمَا يُغْـ ـرِبُ قَـوْلاً وَلاَ يُـجَدِّدُ فِعْلاَ
أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظاً وَعَقْلاَ وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْراً وَجَهْلاَ
لَـكَ إِلْـفٌ يَـجُرُّهُ[1] وَإِذَا مَا كَرُمَ الأَصْلُ كَانَ للإِلْفِ أَصْلاَ
وَوَفَـاءٌ نَـبَـتَّ فِـيـهِ وَلَـكِـنْ لَـمْ يَـزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْـلاَ
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْناً[2] لَدَمْعٌ بَـعَـثَـتْـهُ رِعَـايَـةٌ فـاسْـتَـهَـلاَّ
أَيْنَ ذِي الرِّقَّةُ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْ بِ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلاَّ؟
أَيْـنَ خَلَّفْتَهَا غَـدَاةَ لَقِيتَ الرْ رُومَ وَالْهَامُ بالصَّوَارِمِ تُفْلَى؟
قَاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً جَعَلَ الْقِسْمُ[3] نَفْسَهُ فِيكَ عَدْلاَ
فَـإِذَا قِسْتَ مَا أَخَـذْنَ بِمَا أَغْـ ـدَرْنَ سَرَّى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَّى

(١) [تَجُرُّهُ]
(٢) [عَيْناً]
(٣) [القَسْمَ]

وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى   وَتَبيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى
وَلَعَمْرِيْ لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايَا   بالأعَادِيْ فَكَيْفَ يَطْلُبْنَ شُغْلاَ؟
وَكَم انْتَشْتَ بالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْـ   ـرِ أسِيراً وَبالنَّوَالِ مُقِلاًّ
عَدَّهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا   صَالَ خَتْلاً رَآهُ أَدْرَكَ تَبْلاَ
كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ: أَنْتَ تُبْلِيـ   ـهِ وَتَبْقَى فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلَى
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُدَاةُ كمَا رَا   مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا لِشَخْصِكَ ظِلاًّ
وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بَعْضاً   مِنْ نُفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكْتَ كُلاًّ
قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلكِنْ   تَرَكَ الرامِحِينَ رُمْحُكَ عُزْلاَ
لَوْ يَكُونُ الذِي وَرَدْتَ مِنَ الْفَجْـ   ـعَةِ طَعْناً أَوْرَدْتَهُ الْخَيْلَ قُبْلاَ
وَلَكَشَّفْتَ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ   طَالَمَا كَشَّفَ الكُرُوبَ وَجَلَّى
خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدْ   دُ وَإنْ كَانَت المُسَمَّاةَ(١) ثُكْلاَ
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْواً   ذَاتُ خِدْرٍ أَرَادَتِ المَوْتَ بَعْلاَ
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْـ   ـسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَلْـ   ـلَ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفَ مَلاَّ
آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ   فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ المَرْءِ وَلَّى
أَبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْـ   ـيا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلاَ
فَكَفَتْ كَوْنَ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمْـ   ـمَ وَخِلٍّ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلاَّ
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لاَ تَحْـ   ـفَظُ عَهْداً وَلاَ تُتَمِّمُ وَصْلاَ
كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا   وَبِفَكِّ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى

(١) [المُسَمَّاةُ]

شِيَمُ الْغَانِيَاتِ فِيها فَلاَ أَدْ ... رِي لِذَا أَنَّثَ اسْمَهَا النَّاسُ أَمْ لاَ

يَا مَلِيكَ الْوَرى الْمُفَرِّقَ مَحْياً ... ومَمَاتاً فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلاَّ

قَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَنْـ ... ـتَ حُسَاماً بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى

فَبِهِ أَغْنَتِ الْمَوَالِيَ بَذْلاَ ... وَبِهِ أَفْنَتِ الأَعَادِيَ قَتْلاَ

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْراً ... وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلاَ

وَإِذَا الأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْساً ... وَإِذَا الأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلاَ

وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَتِيبَةِ وَالطَّعْـ ... ـنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى

أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعُقُولَ فَمَا تُدْ ... رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلاَ!

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أَعْيا ... هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلاَّ

فَإِذَا ما اشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ ... قَالَ: لاَ زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلاَ

وَوَرَدَ الخبَرُ على سَيْفِ الدولة، آخِرَ نَهارِ يومِ السبتِ لِسِتٍّ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة أربع وأربعينَ وثلاثمئة، بأنَّ العَدُوَّ وجُيوشَ النَّصْرانيَّة قد نازلوا ثَغْرَ الحدَثِ في يوم الأحد، وصَعُبَ عليهم تَمامُ بِنائِها. فنَفَرَ من وَقْتِه إلى ظَهْرِ المدينة حتى لَحِقَهُ الجيشُ، ثُمَّ سارَ إليهم؛ فلمّا أَشْرَفَتْ أوائلُ خَيْلِه بعَقَبَةٍ يقالُ لها: العَبْرَى، رَحَلَ العَدُوُّ وهَرَبُوا. ثُمَّ وافاها بَعْدَ رحيلِهِمْ عنها، فأَخْبَرَهُ صاحِبُه بها أنهم نَقَبُوا عليهم نُقُوباً تَهَوَّرَتْ عليهم فقَتَلَتْهُمْ. فقالَ أبو الطيب.

من أول الخفيف والقافية مُتَواتِرٌ -: [من الخفيف]

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى ... هَـكَـذَا هَـكَـذَا وَإلاَّ فَـلاَ لاَ
شَـرَفٌ يَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْـ ... ـهِ وَعِـزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْـبَـالاَ
حَالُ أَعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدْ ... دَوْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالاَ
كُلَّمَا أَعْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيراً ... أَعْجَلَتْهُ[1] جِيَادُهُ الإِعْجَالاَ
فَأَتَتْهُمْ خَوارِقَ الأَرْضِ مَا تَحْـ ... ـمِلُ إلاَّ الْحَدِيدَ والأَبْـطَالاَ
خَافِيَاتِ الأَلْوانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْـ ... ـعُ عَلَيْهَا بَـرَاقِـعـاً وَجِـلالاَ
حَالَفَتْهُ صُـدُورُهَـا وَالْعَوَالِي ... لَتَـخُـوضَـنَّ دُونَـهُ الأَهْـوَالاَ
وَلَتَمْضِنَّ حَيْثُ لا يَجِدُ الرُّمْـ ... ـحُ مَـدَاراً وَلاَ الْحِصَانُ مَجَالاَ
لاَ أَلُـومُ ابْـنَ لاَوُنٍ مَلِكَ الرُّو ... مِ وَإِنْ كَـانَ مَا تَمَنَّى مُحَالاَ
أَقْـلَـقَـتْـهُ بَـنِـيَّـةٌ بَـيْـنَ أُذْنَـيْـ ... ـهِ وَبَـانٍ بَغَى السَّمَاءَ فَنَالاَ
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنْـ ... ـيُ فَغَطَّى جَبِينَهُ وَالْـقَـذَالاَ
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْـ ... ـغَرَ فِيهَا وَتَـجْـمَـعُ الآجَـالاَ
وَتُوافِيهِمُ بِهَا فِي الْقَنَا السُّمْـ ... ـرِ كَمَا وَافَتِ الْعِطَاشُ الصِّلاَلاَ
قَـصَـدُوا هَـدْمَ سُـورِهَـا فَبَنَوْهُ ... وَأَتَـوْا كَـيْ يُـقَـصِّـرُوهُ فَطَالاَ
وَاسْتَجَرُّوا مَكَايِدَ الْحَرْبِ حَتَّى ... تَـرَكُـوهَـا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَـالاَ
رُبَّ أَمْرٍ أَتَـاكَ لاَ تَحْمَدُ الْفُعْـ ... ـعَالَ فِيهِ وَتَـحْـمَـدُ الأَفْـعَـالاَ
وَقِـسِـيٍّ رُمِـيـتَ عَنْهَا فَـرَدَّتْ ... فِي قُلُوبِ الرُّمَاةِ عَنْكَ النِّصَالاَ
أَخَذُوا الطُّرْقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّسْـ ... ـلَ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِرْسَـالاَ
وَهُـمُ الْبَحْرُ ذُو الْـغَـوَارِبِ إلاَّ ... أَنَّـهُ صَـارَ عِـنْـدَ بَـحْـرِكَ آلاَ

(١) [أَعْجَلَتْهُمْ]

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنْـ   ـنَ الْقِتَالَ الّذِي كَفَاكَ الْقِتَالاَ
وَالَّـذِي قَطَّعَ الرِّقَابَ مِنَ الضَّرْ   بِ بِكَـفَّـيْـكَ قَـطَّـعَ الآمَـالاَ
وَالثَّبَاتُ الَّـذِي أَجَـادُوا قَدِيماً   عَـلَّـمَ الثَّابِتِينَ ذَا الإِجْـفَـالاَ
نَـزَلُـوا فِـي مَـصَـارِعٍ عَرَفُوهَا   يَنْدُبُونَ الأَعْـمَـامَ والأَخْـوَالاَ
تَحمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الْهَا   مِ وَتُـذْرِي عَلَيْهِمُ الأَوْصَـالاَ
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا   وَتُـرِيـهِ لِـكُـلِّ عُـضْـوٍ مِـثَـالاَ
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكاً   قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالاَ
وَإِذَا حَـاوَلَـتْ طِعَانَكَ خَيْلٌ   أَبْـصَـرَتْ أَذْرُعَ الْقَنَا أَمْيَالاَ
بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِيناً،   فَتَوَلَّوْا، وفِي الشِّمَالِ شِمَالاَ
يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِياً لَيْسَ تَدْرِي   أَسُـيُـوفاً حَمَلْنَ أَمْ أَغْـلاَلاَ
وَوُجُـوهـاً أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْـهٌ   تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَـهُ وَالْجَمَالاَ
وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنْـ   ـنِ زَوَالاً وَلِـلْـمُـرَادِ انْتِقَالاَ
وَإِذَا مَا خَـلاَ الْجَبَانُ بِـأَرْضٍ   طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْـدَهُ وَالنِّزَالاَ
أَقْسَمُوا لاَ رَأَوْكَ إِلاَّ بِقَلْبٍ   طَالَمَا غَـرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجَالاَ
أَيُّ عَـيْـنٍ تَـأَمَّـلَـتْـكَ فَلاَقَتْـ   ـكَ وَطَـرْفٍ رَنَـا إِلَيْكَ فَـآلاَ؟
مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْـ   ـشَ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالاَ؟
مَا لِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الأَرْ   ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهِلاَلاَ؟!
إِنَّ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ وَالأَحْـ   ـدَبِ وَالنَّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيَالاَ
غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا،   فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاَ

فَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعَرُوسِ اخْتِيَالا وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلالا
وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَّرِدِ الأَكْـ ـعُبِ جَوْرَ الزَّمَانِ والأَوْجَالا
وَظُبًا تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الحِلْـ ـلِ فَقَدْ أَفْنَت الدِّمَاءَ حَلالا
في خَميسٍ مِنَ الأُسُودِ بَئِيسٍ يَفْتَرِسْنَ النُّفُوسَ والأَمْوَالا
إنَّمَا أَنْفُسُ الأَنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيَالا
مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلابًا وَاغْتِصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالا
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْغَضَنْفَرَ الرِّئْبَالا

وأَنْفَذَ إليه سيفُ الدولة هدايا وهو ببَغْدادَ، وتَفَقَّدَهُ بأَشْياءَ واسْتَدْعاهُ؛ فقالَ بالكوفةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ من مِصْرَ - ووصَلَتْ إلى حلب - سنة اثنتَيْنِ وخَمْسينَ وثلاثمِئَة،
[من البحر والقافية كالتي قَبْلَها] : [من الخفيف]

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ المَتْبُولُ
كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثْتُ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الأَمَانَاتِ عَيْنَا هَا، وَخَانَتْ قُلُوبَهُنَّ العُقُولُ
تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ[1] الشَّوْ قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ
وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ، فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ
زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ مَا دَا مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ
وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِي هَذِهِ الدُّنْـ ـيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ
مَنْ رَآهَا بِعَيْنِهَا شَاقَهُ الْقُطْـ ـطَانُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ
إِنْ تَرَيْنِي أَدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ
صَحِبَتْنِي عَلَى الْفَلاةِ فَتَاةٌ عَادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ

(١) [طَرَبِ]

سَتَرَتْكِ الْحِجَالُ عَنْهَا ولكِنْ بِكِ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ
مِثْلُهَا أَنْتِ: لَوَّحَتْنِي وَأَسْقَمْـ ـتِ وَزَادَتْ أَبْهَاكُمَا الْعُطْبُولُ
نَحْنُ أَدْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ
وكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ
لاَ أقَمْنَا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا بَ وَلاَ يُمْكِنُ المَكَانَ الرَّحِيلُ
كُلَّمَا رَحَّبَتْ بِنَا الرَّوْضُ قُلْنَا: حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ
فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ
وَالمُسَمَّوْنَ بِالأَمِيرِ كَثِيرٌ والأَمِيرُ الَّذِي بِهَا المَأْمُولُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقاً وَغَرْباً وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ
وَمَعِي أَيْنَما سَلَكْتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بِوَجْهِي كَفِيلُ
وَإِذَا العَذْلُ فِي النَّدَى زَارَ سَمْعاً فَفِدَاهُ الْعَذُولُ وَالْمَعْذُولُ
وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمُ مِنْ يَدَيْهِ نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلاَصٌ زَغْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ
كُلَّمَا صَبَّحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ: هذِي السُّيُولُ
دَهِمَتْهُ تُطَايِرُ الزَّرَدَ الْمُحْـ ـكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطِيرُ النَّسِيلُ
تَقْنِصُ الْخَيْلَ خَيْلُهُ قَنَصَ الْوَحْـ ـشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ
وَإِذَا الْحَرْبُ أَعْرَضَتْ زَعَمَ الْهَوْ لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ
وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمَانُ صَحِيحٌ وَإِذَا اعْتَلَّ فَالزَّمَانُ عَلِيلُ
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ(١) وَجْهٌ جَمِيلُ

(١) [نَثَاهُ]

لَـيْـسَ إلاَّكَ يَـا عَـلـيُّ هُـمَـامٌ ... سَيْفُهُ دُونَ عِـرْضِـهِ مَسْلُولُ
كَيْفَ لا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ ... وَسَـرَايَـاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ؟
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الأَعَادِي ... رَبَـطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ
وَدَرَى مَـنْ أَعَـزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ ... فِيهِمَا أَنَّـهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ
أَنْـتَ طُـوْلَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَازٍ ... فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ؟
وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ ... فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ؟
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيـ ... ـكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ
مَا الَّـذِي عِـنْـدَهُ تُـدَارُ الْمَنَايَا ... كَالذي عِـنْـدَهُ تُـدَارُ الشَّمُولُ
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَاداً ... وَزَمَـانِـي بِـأَنْ أَرَاكَ بَخِيلُ
نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا: ... مَرْتَعِي مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلُ
إنْ تَـبَـوَّأْتُ غَيْرَ دُنْـيَـايَ دَاراً ... وَأَتَـانِـي نَيْلٌ فَـأَنْـتَ الْمُنِيلُ
مِنْ عَبِيدِي إنْ عِشْتَ لِي أَلْفُ كَافُو ... رٍ وَلِـي مِـنْ نَـدَاكَ رِيـفٌ وَنِيلُ
مَا أُبَـالِـي إذَا اتَّقَتْكَ الـرَّزَايَـا ... مَـنْ دَهَتْهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُولُ

وقال ارتجالاً وهو صَبِيٌّ في المكتب، وقد قيل له: «ما أَحْسَنَ هذه الوَفْرَةَ»!
من أول السريع والقافيةُ مترادِف: [من السريع]

لاَ تَحْسُنُ الْـوَفْـرَةُ حَتَّى تُرَى ... مَنْشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالْ
عَـلَـى فَـتًـى مُعْتَقِلٍ صَـعْـدَةً ... يَعُلُّهَا مِـنْ كُـلِّ وَافِـي السِّبَالْ

وقال أيضاً في الصِّبَا، من أول الطويل والقافيةُ متواتر: [من الطويل]

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذَلِكُمُ النَّصْلِ ... بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ؟

أَرَى مِنْ فِرِنْدِيْ قِطْعَةً فِي فِرِنْدِهِ ... وَجَوْدَةُ ضَرْبِ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ
وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي ... أَرَتْكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ
أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِيْ بِمَا وَكَأَنَّهُ ... فَمَا أَحَدٌ فَوْقِيْ وَلاَ أَحَدٌ مِثْلِي
وَذَرْنِـيْ وَإِيَّـاهُ وَطِرْفِيْ وَذَابِلِي ... نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَانْظُرَنْ فِعْلِي

وقال أيضاً في صِباهُ يَمْدحُ سعيدَ بنَ كِلاب الكِلابيَّ،
من أول البسيط والقافيةُ متراكِبُ: [من البسيط]

أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلاَ ... وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِيْ وَمَا عَدَلاَ
وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَداً ... وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِيْ كَمَا نَحِلاَ
لَوْلاَ مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ ... لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلاَ
بِمَا بِجَفْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً ... يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدْتِ فَلاَ
إِلاَّ يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ ... شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلاَ
يُجَنُّ(١) شَوْقاً فَلَوْلاَ أَنَّ رَائِحَةً ... تَزُورُهُ فِي رِيَاحِ الشَّرْقِ مَا عَقَلاَ
هَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِيْ تَرَيْ حُرَقاً ... مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفاً مِنْهَا فَقَدْ وَأَلاَ
عَلَّ الأَمِيرَ يَرَى ذُلِّيْ فَيَشْفَعَ لِي ... إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِيْ فِي الْهَوَى مَثَلاَ
أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَمِي ... لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلاَ
وَأَنَّنِي غَيْرُ مُحْصٍ فَضْلَ وَالِدِهِ ... وَنَائِلٌ دُونَ نَيْلِيْ وَصْفَهُ زُحَلاَ
قَيْـلٌ بِمَنْبِجَ مَـثْـوَاهُ وَنَائِلُهُ ... فِي الأُفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلاَ
يَلُوحُ بَدْرُ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ ... وَيَحْمِلُ الْمَوْتُ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلاَ
تُرَابُهُ فِي كِلاَبٍ كُحْلُ أَعْيُنِهَا ... وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَذَلاَ

(١) [يَحِنُّ]

مُهذَّبُ الجدِّ يُستَسْقَى الغمامُ بِهِ ... حُلْوٌ كأنَّ على أَخْلاقِه عَسَلا
لِنُورِهِ في سَماءِ الْفَخرِ مُخْتَرَقٌ ... لَوْ صاعَدَ الفِكْرُ فيه الدَّهرَ ما نَزَلا
هُوَ الأميرُ الَّذي بادَتْ تَميمُ بِهِ ... قِدْماً وَساقَ إلَيْها حَيْنُها الأَجَلا
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصرِ مُقْبِلَةٌ ... وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوانٍ أَسْلَمُوا الْحِلَلا
وَضاقَتِ الأَرْضُ حَتَّى كانَ هارِبُهُمْ ... إذا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلا
فَبَعْدَهُ وَإلى ذا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ ... بِالْخَيْلِ في لَهَواتِ الطِّفْلِ ما سَعَلا
فَقَدْ تَرَكْتَ الأُلَى لاقَيْتَهُمْ جَزَراً ... وَقَدْ قَتَلْتَ الأُلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلا
كَمْ مَهْمَهٍ قَذَفٍ قَلْبُ الدَّليلِ بِهِ ... قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضانِيْ بَعْدَما مَطَلا
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرْفِيْ فِي مَفاوِزِهِ ... وَحُرَّ وَجْهِيْ بِحَرِّ الشَّمْسِ إذْ أَفَلا
أَنْكَحْتُ صُمَّ حَصاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ ... تَغَشْمَرَتْ بِيْ إلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلا
لَوْ كُنْتَ حَشْوَ قَميصِيْ فَوْقَ نُمْرُقِها ... سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيطانِها زَجَلا
حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسٍ ماتَ أَكْثَرُها ... وَلَيْتَني عِشْتُ مِنْها بِالَّذي فَضَلا
أَرْجُو نَداكَ وَلا أَخْشَى المِطالَ بِهِ ... يا مَنْ إذا وَهَبَ الدُّنْيا فَقَدْ بَخِلا

وقال ارتجالاً في صِباه. وقد أَهْدَى له عُبيدُ اللهِ بنُ [خَلِكانَ مِنْ] خُراسانَ هديةً فيها سَمَكٌ من سُكَّرٍ ولوزٍ في عسل. من أول المُنْسَرِحِ والقافيةُ متراكِبٌ: [من المنسرح]

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الأَمَلِ ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُماتِ فِي شُغُلِ
تَمَثَّلُوا حاتِماً وَلَوْ عَقَلُوا ... لَكُنْتَ فِي الْجُودِ غايَةَ المَثَلِ
أَهْلاً وَسَهْلاً بِما بَعَثْتَ بِهِ ... إيهاً أَبَا قاسِمٍ وَبالرُّسُلِ
هَدِيَّةٌ ما رَأَيْتُ مُهْدِيَها ... إلَّا رَأَيْتُ الْعِبادَ فِي رَجُلِ

أَقَـلُّ مَـا فِـي أَقَلِّـهَـا سَمَكٌ ... يَلْعَبُ فِي بِرْكَـةٍ مِـنَ الْعَسَلِ
كَيفَ أُكَـافِـيْ عَلَى أَجَـلِّ يَدٍ ... مَـنْ لاَ يَـرَى أَنَّهَا يَـدٌ قِبَلِي؟

وقال في بَدْرِ بنِ عَمّارٍ، من ثاني الكامل والقافيةُ متواترٌ: [من الكامل]

أَحْبَبْتُ بِـرَّكَ إذْ أَرَدْتَ رَحِيلا ... فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلا
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي المَكَارِمِ رَاغِبٌ ... صَـبٌّ إِلَيْهَا بُـكْـرَةً وَأَصِـيلا
فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَـيَّ هَدِيَّةً ... مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرْفَهَا التَّأْمِيلا
بِرٌّ يَخِفُّ عَلَى يَدَيْكَ قَبُولُهُ، ... وَيَـكُـونُ مَحْمِلُهُ عَلَيَّ ثَقِيلا

وقال أيضاً في الصِّبَا، من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

قِفَا تَرَيَا وَدْقِـيْ فَهَاتَا الْمَخَايِلُ ... وَلاَ تَخْشَيَا خُلْفاً لِمَا أَنَا قَائِلُ
رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ ... وَآخَـرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ
وَمِنْ جَاهِلٍ بِيْ وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ... وَيَجْهَلُ عِلْمِيْ أَنَّـهُ بِيَ جَاهِلُ
وَيَجْهَلُ أَنِّيْ مَالِكَ الأَرْضِ مُعْسِرٌ ... وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكَيْنِ رَاجِلُ
تُحَقِّرُ عِنْدِيْ هِمَّتِيْ كُلَّ مَطْلَبٍ ... وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِيْ المَدَى المُتَطَاوِلُ
وَمَا زِلْتُ طَوْداً لاَ تَزُولُ مَنَاكِبِي ... إلى أَنْ بَـدَتْ لِلضَّيْـمِ فِيَّ زَلاَزِلُ
فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الذي قَلْقَلَ الْحَشَا ... قَـلاَقِـلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ
إِذَا اللَّيْلُ وَارَانَـا أَرَتْنَا خِفَافُهَا ... بِقَدْحِ الْحَصَى مَا لاَ تُرِينَا المَشَاعِلُ
كَأَنِّيْ مِنَ الوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ[١] مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بِيْ بِحَاراً مَا لَهُنَّ سَوَاحِلُ
يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الْبِلاَدَ مَسَامِعِي، ... وَأَنِّـيَ فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَـوَاذِلُ
وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ المَجْدِ وَالْعُلاَ ... تَسَاوَى[٢] المَحَايِي عِنْدَهُ وَالمَقَاتِلُ

(١) [مَتْنِ]
(٢) [تَسَاوَ]

أَلاَ لَيْسَتِ الْحَاجَاتُ إلاَّ نُفُوسَكُمْ ... وَلَيْس لَنَا إلاَّ السُّيُوفَ وَسَائِلُ
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ ... وَلاَ صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهْوَ بَاخِلُ
غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي ... وَلَيْس بِغَثٍّ أَنْ تَغِثَّ المَآكِلُ

وقال يَمْدَحُ أبا المُنْتَصِر شُجاعَ بْنَ مُحَمَّدٍ الطائيَّ المَنْبِجيَّ، من الطويل الأول والقافيةُ متواتر: [من الطويل]

عَزِيزُ أَسًى[1] مَنْ دَاؤُهُ الْحَدَقُ النُّجْلُ ... عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إلَيَّ، فَمَنْظَرِي ... نَذِيرٌ إلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الهَوَى سَهْلُ
وَمَا هِيَ إلاَّ لَحْظَةٌ بَعْدَ لَحْظَةٍ ... إذَا نَزَلَتْ في قَلْبِهِ رَحَلَ الْعَقْلُ
جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي في مَفَاصِلِي ... فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ
وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً ... فَمَا فَوْقَهَا إلاَّ وَفِيهَا لَهُ فِعْلُ
إذَا عَذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ: ... حُبَيِّبَتَا، قَلْبَا، فُؤَادَا، هَيَا جُمْلُ
كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكِ سَدَّ مَسَامِعِي ... عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ
كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ[2] يَعْشَقُ مُقْلَتِي، ... فَبَيْنَهُمَا في كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ
أُحِبُّ الَّتي في الْبَدْرِ مِنْهَا مَشَابِهٌ، ... وَأَشْكُو إلى مَنْ لا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ
إلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا، إلى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... شُجَاعِ الَّذِي لِلَّهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ
إلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِي طَيِّئٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ
إلَـى سَيِّدٍ لَـوْ بَشَّرَ اللَّهُ أُمَّـةً ... بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِـهِ الرُّسْلُ
إلَى الْقَابِضِ الأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِي ... تُحَدِّثُ عَنْ وَقَفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ
إلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ ... تَجَمَّعَ في تَشْتِيتِهِ لِلْعُلاَ شَمْلُ

(١) [عَزِيزٌ أَسًا]
(٢) [العَيْنِ]

هُمَامٌ إذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصلُ
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ المَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الأَرْضِ لانْقَطَعَ النَّسْلُ
عَلَى سَابِحٍ مَوْجَ المَنَايَا بِنَحْرِهِ غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ
وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِه فَلَمْ تُغْضِ إلاَّ وَالسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ
إذَا قِيلَ رِفْقاً قَالَ: لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
وَلَوْلاَ تَوَلِّيْ نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ عَنِ الأَرْضِ لانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الحِمْلُ
تَبَاعَدَتِ الآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إلاَّ إلَى بَابِكَ السُّبْلُ
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى فَأَسْمَعَهُمْ: هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إنْجَازُ وَعْدٍ وَلاَ مَطْلُ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إحْصَائِهَا القَطْرُ وَالرَّمْلُ
وَمَا تَنْقِمُ الأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا لأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ؟
وَمَـا عَـزَّهُ فِيهَا مُـرَادٌ أَرَادَهُ وَإنْ عَزَّ إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
كَفَى ثُعَلاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ وَدَهْرٌ[1] لأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لاَ تَخْلُو
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَـرْقَـكَ فَاقَةٌ وَلاَ فِي بِلاَدٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ

وقال يَمْدَحُ عبدَ الرحمن بنَ المُبارَكِ الأنطاكيَّ، من أول الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

صِلَةُ الْهَجْرِ لِيْ وَهَجْرُ الْوِصَالِ نَكَسَانِيْ فِي السُّقْمِ نُكْسَ الْهِلاَلِ
فَغَدَا الْجِسْمُ نَاقِصاً، وَالَّذِي يَنْـ ـقُصُ مِنْهُ يَـزِيـدُ فِي بَلْبَالِي
قِفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالدَّوِّ مِنْ رَيْـ ـيَا كَخَالٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ

(١) [ودَهْراً]

بِطُلُولٍ كأنَّهُنَّ نُجُومٌ ... فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي
وَنُؤيٍّ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِنْـ ... ـنَ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالِ
لاَ تَلُمْنِيْ فَإِنَّنِيْ أَعْشَقُ الْعُشْـ ... ـشَاقِ فِيهَا يَا أَعْذَلَ الْعُذَّالِ
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَّةِ الذَّوْ ... واقِ حَرَّ الْفَلاَ وَبَرْدَ الظِّلاَلِ
فَهْوَ أَمْضَى فِي الرَّوْعِ مِنْ مَلَكِ المَوْ ... تِ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خَيَالِ
وَلِحَتْفٍ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مُحِبٌّ ... وَلِعُمْرٍ يَطُولُ فِي الذُّلِّ قَالِي
نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنِّ فِي زِيِّ نَاسٍ ... فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجِمَالِ
مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بنَا فِي الْـ ... ـبِيدِ مَشْيَ الأَيَّامِ فِي الآجَالِ
كُلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيَامِيمِ فِيهَا ... أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذُّبَالِ
عامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضِّرْ ... غَامَةِ ابْنِ المُبَارَكِ المِفْضَالِ
مَنْ يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيْمانَ فِي المُلْـ ... ـكِ جَلالاً وَيُوسُفاً فِي الْجَمَالِ
وَرَبِيعاً يُضَاحِكُ الْغَيْثُ فِيهِ ... زَهَرَ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ المَعَالِي
نَفَحَتْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ ... رَدَّ رُوحاً فِي مَيِّتِ الآمَالِ
هَمُّ عَبْدِ الرَّحْمنِ نَفْعُ المَوَالِي ... وَبَوَارُ الأَعْدَاءِ وَالأَمْوَالِ
أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ، وَالطَّعْـ ... ـنُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرِّئْبَالِ
وَالْجِرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتٌ ... سَبَقَتْ قَبْلَ سَيْبِهِ بِسُؤَالِ
ذَا السِّرَاجُ المُنِيرُ هذَا النَّقِيُّ الْـ ... ـجَيْبِ هذَا بَقِيَّةُ الأَبْدَالِ
فَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِي الْـ ... ـمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ
وَامْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ... ئِكُمَا تُشْفَيَا مِنَ الإِعْلاَلِ
مَالِئاً مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقَ وَالْغَرْ ... بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْـ ... ـيَا، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشِّمَالِ

نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْـ ... ـرُ، وَأَلْحَاظُهُ الظُّبَا وَالْعَوَالِي
وَلَهُ فِي جَمَاجِمِ المَالِ ضَرْبٌ ... وَقْعُهُ فِي جَمَاجِمِ الأَبْطَالِ
فَهُمُ لاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْ ... مِ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ
رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ ... دِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالِ
فَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لاقَتِ الْمَا ... ءَ فَصَارَتْ عُذُوبَةً فِي الزُّلَالِ
وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتِ النَّا ... سَ فَصَارَتْ رَكَانَةً فِي الْجِبَالِ
لَسْتُ مِمَّنْ يَغُرُّهُ حُبُّكَ السِّلْـ ... ـمَ أَلَّا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ
ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيـ ... ـكَ ذَلِيلاً وَقِلَّةُ الأَشْكَالِ
وَاغْتِفَارٌ لَوْ غَيَّرَ السُّخْطُ مِنْهُ ... جُعِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ
لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَا ... ءً وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالِ
وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْناً وَأَلْقَى ... لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الأَطْفَالِ
أَنْتَ طَوْراً أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّمْـ ... ـمِ وَطَوْراً أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ
إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا ... سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي

ودخَلَ أبو الطَّيِّب على أبي عليّ الأَوَارجيّ يوماً، فقال له أبو عليّ: «وَدِدْنا أَنَّك كُنْتَ مَعَنا يا أبا الطيبِ اليومَ»، فقال: «لِمَ»؟ قال: «رَكِبْنا ومعَنا كَلْبٌ لابنِ مالكٍ، فطَرَدْنا به وَحْدَهُ ظَبْياً ولم يكُنْ لنا صقْرٌ، واستَحْسَنْتُ صَيْدَهُ إيّاهُ». قال أبو الطيب: «أنا قليلُ الرَّغْبةِ في مِثْلِ هذا»؛ قال أبو عليّ: «إنما اشتهيتُ أنْ تراهُ فتَسْتَحْسِنَهُ فتَقُولَ

فيه شيئاً» ، قال : «أنا أفْعَلُ» . وتحدَّثَ أبو عليّ ثُمَّ قال :
«أُحبُّ أنْ تفْعَلَ ما وعَدْتني بِه» ، قال : «أنا أفْعَل ،
وقد أحْفَيْتَ السُّؤال ؛ تحبُّ أنْ يكونَ ذلك الساعةَ»؟ قال :
«أيُمكنُ مِثْلُ هذا»؟ قال : «نعَمْ ، وقدْ حكَّمْتُكَ في الوَزْنِ والقافية» ،
قال : «بل الأَمْرُ فيهما لك» . فأخذَ أبو الطيب دَرْجاً ،
وأخذَ أبو عليّ دَرْجاً يكْتُبُ فيه كتاباً إلى إنسان ؛ فقطعَ عليه أبو الطيب
الكِتابَ الذي كانَ يَكْتُبُه ، وأنْشَدَهُ من مَشْطور الرَّجز
والقافيةُ مُتدارِكٌ : [من الرجز]

وَمَـنْـزِلٍ لَـيْـسَ لَـنَـا بِـمَـنْـزِلِ
وَلاَ لِغَيْرِ الْـغَـادِيَـاتِ الْـهُطَّلِ
نَـدِيْ الْخُزَامَى ذَفِـرِ الْقَرَنْفُلِ
مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لَـمْ يُحَلَّلِ
عَـنَّ لَنَا فِيهِ مُـرَاعِـيْ مُـغْـزِلِ
مُحَيَّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ المَوْئِلِ
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيْدِ عَنْ لُبْسِ الْحُلِيْ
وَعَـادَةُ الْـعُـرْيِ عَـنِ التَّفَضُّلِ
كَـأَنَّـهُ مُـضَـمَّـخٌ بِـصَـنْـدَلِ
مُعْتَرِضاً بِمِثْلِ قَـرْنِ الأَيِّـلِ
يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ
فَحَلَّ كَـلاَّبِـيْ وَثَـاقَ الأَحْبُلِ
عَنْ أَشْـدَقَ مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلِ
أَقَبَّ سَـاطٍ شَـرِسٍ شَمَـرْدَلِ
مِنْهَا إذَا يُـثْـغَ لَـهُ لاَ يَـغْـزَلِ
مُؤَجَّدِ الْفِقْرَةِ رِخْـوِ المَفْصِلِ
لَـهُ إذَا أَدْبَـرَ لَـحْـظُ المُقْبِلِ
كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِـنْ سَجَنْجَلِ
يَعْدُو إذَا أَحْزَنَ عَدْوَ المُسْهِلِ
إِذَا تَلاَ جَـاءَ المَدَى وَقَـدْ تُلِي
يُقْعِيْ جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ المُصْطَلِي
بِـأَرْبَـعٍ مَـجْـدُولَـةٍ لَـمْ تُجْدَلِ
فُتْلِ الأَيَـادِيْ رَبِـذَاتِ الأَرْجُـلِ
آثَـارُهَـا أَمْثَالُهَا فِي الْجَنْدَلِ
يَكَادُ فِي الْـوَثْـبِ مِـنَ التَّفَتُّلِ
يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ

وَبَيْـنَ أَعْـلاَهُ وَبَيْـنَ الأَسْفَلِ شَبيهُ وَسْمِيِّ الْحِضَارِ بِالوَلِيْ

كَـأَنَّـهُ مُضَبَّرٌ مِنْ جَـرْوَلِ مُـوَثَّـقٌ عَـلَـى رِمَـاحٍ ذُبَّـلِ

ذِي ذَنَـبٍ أَجْـرَدَ غَيْرِ أَعْـزَلِ يَخُطُّ فِي الأَرْضِ حِسَابَ الْجُمَّلِ

كَـأَنَّـهُ مِـنْ جِسْمِـهِ بِمَـعْـزِلِ لَوْ كَانَ يُبْلِيْ السَّوْطَ تَحْرِيكٌ بَلِيْ

نَيْلُ الْمُنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الْمُرْسِلِ وَعُقْلَةُ الظَّبْيِ وَحَتْفُ التَّتْفُلِ

فانْبَرَيَا فَذَّيْنِ تَحْتَ القَسْطَلِ قَـدْ ضَمِنَ الآخِـرُ قَتْلَ الأَوَّلِ

فِي هَـبْـوَةٍ كِلاهُمَا لَـمْ يَذْهَلِ لا يَأْتَلِيْ فِي تَـرْكِ أَلَّا يَأْتَلِي

مُقْتَحِماً عَلَى الْمَكَانِ الأَهْوَلِ يَخَالُ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجَدْوَلِ

حتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ: «نِلْتَ، افْعَلِ» افْتَرَّ عَـنْ مَـذْرُوبَـةٍ كالأَنْصُلِ

لاَ تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّيْقَلِ مُرَكَّبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ

كَأَنَّهَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمْأَلِ كَـأَنَّـهَـا مِـنْ ثِـقَـلٍ فِـي يَـذْبُـلِ

كَأَنَّهَا مِـنْ سَعَةٍ فِـي هَوْجَلِ كَـأَنَّـهُ مِـنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ

عَلَّمَ بُـقْـرَاطَ فِصَادَ الأَكْحَلِ فَـحَـالَ مَـا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ

وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي المِرْجَلِ فَلَمْ يَضِرْنَا مَعْهُ فَقْدُ الأَجْـدَلِ

إِذَا بَقِيتَ سَالِماً أَبَـا عَلِيْ فَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ثُـمَّ لِيْ

وقال يَمْدَحُ بَدْرَ بْنَ عَمّار ، وكانَ قَدْ وَجَدَ عِلَّةً فَفَصَدَهُ الطَّبيبُ ، فَغَرَقَ المِبْضَعُ فوقَ حقِّه ، فقال أبو الطيب .

من أول المنسرح والقافيةُ مُتَراكِبٌ .: [من المنسرح]

أَبْـعَـدُ نَـأْيِ المَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي البُعْدِ مَا لاَ تُكَلَّفُ الإِبِلُ

مَلُولَةٌ مَا يَـدُومُ، لَـيْسَ لَهَا ... مِـنْ مَـلَـلٍ دائِـمٍ بِـهَـا مَـلَـلُ
كَـأَنَّـمَـا قَـدُّهَـا إِذَا انْفَتَلَتْ ... سَكْرَانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهَا ثَمِلُ
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ ... كَـأَنَّـهُ مِـنْ فِـرَاقِـهَـا وَجِـلُ
بِـيْ حَـرُّ شَـوْقٍ إِلَـى تَرَشُّفِهَا ... يَنْفَصِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ
الثَّغْرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخَلْخَلُ وَالْـ ... ـمِعْصَمُ دَائِيْ وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ
وَمَـهْـمَـهٍ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي ... تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الذُّلُلُ
بِـصَارِمِـيْ مُـرْتَـدٍ، بِمَخْبُرَتِي ... مُـجْـتَـزِئٌ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ
إِذَا صَـدِيـقٌ نَـكِـرْتُ جَانِبَهُ ... لَـمْ تُعْيِنِيْ فِي فِـرَاقِـهِ الْحِيَلُ
فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ، ... وَفِـي بِـلَادٍ مِـنْ أُخْـتِـهَـا بَـدَلُ
وَفِي اعْتِمَارِ[1] الأَمِيرِ بَدْرِ بْنِ عَمْـ ... ـمَارٍ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغُلُ
أَصْبَحَ مَـالٌ[2] كَمَالِهِ لِذَوِي الْـ ... ـحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلُ
هَـانَ عَلَى قَلْبِهِ الـزَّمَـانُ فَمَا ... يَـبِـيـنُ فِـيـهِ غَـمٌّ وَلَا جَـذَلُ
يَـكَـادُ مِـنْ طَـاعَـةِ الْحِمَامِ لَهُ ... يَـقْـتُـلُ مَـنْ مَـا دَنَـا لَـهُ أَجَـلُ
يَكَادُ مِـنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا ... يَفْعَلُ قَـبْـلَ الْـفِـعَـالِ يَنْفَعِلُ
تُـعْـرَفُ فِـي عَـيْـنِـهِ حَقَائِقُهُ ... كَـأَنَّـهُ بِـالـذَّكَـاءِ مُـكْـتَـحِـلُ
أُشْـفِـقُ عِـنْـدَ اتِّـقَـادِ فِـكْـرَتِـهِ ... عَلَيْهِ مِنْهَا، أَخَـافُ يَشْتَعِلُ
أَغَـرُّ أَعْـدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا ... بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي فَعَلُوا
يُقْبِلُهُمْ وَجْـهَ كُـلِّ سَابِحَةٍ ... أَرْبَـعُـهَـا قَـبْـلَ طَـرْفِـهَـا تَـصِـلُ
جَـرْدَاءَ مِـلْءِ الْـحِـزَامِ مُجْفَرَةٍ ... تَكُونُ مِثْلَيْ عَسِيبِهَا الْخُصَلُ

(١) [اعْتِمَادِ]
(٢) [مالاً]

إنْ أَدْبَـرَتْ قُلْتَ: لاَ تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ: مَا لَهَا كَفَلُ
وَالطَّعْنُ شَزْرٌ وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَـأَنَّـمَـا فِـي فُـؤَادِهَـا وَهَـلُ
قَدْ صَبغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَجَلُ
وَالْخَيْلُ تَبْكِي جُلُودُهَا عَرَقاً بِـأَدْمُـعٍ مَـا تَسُحُّـهَا مُـقَـلُ
سَـارَ وَلاَ قَـفْـرَ مِـنْ مَـوَاكِـبِـهِ كَـأَنَّـمَـا كُـلُّ سَبْسَبٍ جَبَلُ
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِـدَّةُ مَـا قَـدْ تَضَايَقَ الأَسَـلُ
يَـا بَـدْرُ يَـا بَحْرُ يَـا غَمَامَةُ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ
إنّ الْـبَـنَـانَ الَّـذِي تُقَلِّبُهُ عِـنْـدَكَ فِـي كُـلِّ مَـوْضِـعٍ مَثَلُ
إنَّـكَ مِـنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَـبُـوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءِ مَا امْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا
أَنْتَ نَقِيضُ اسْمِهِ إذَا اخْتَلَفَتْ قَوَاضِبُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ
أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلـ ـكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ
كَـتِـيـبَـةٌ لَـسْـتَ رَبَّـهَـا نَـفَـلُ وَبَـلْـدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ
قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتّى اشْتَكَتْكَ الرِّكَابُ وَالسُّبُلُ
لَـمْ تُـبْـقِ إلاَّ قَـلِـيـلَ عَـافِـيَـةٍ قَدْ وَفَـدَتْ تَجْتَدِيْكَهَا الْعِلَلُ
عُـذْرُ الْمَلُومَيْنِ فِيكَ أَنَّهُمَا آسٍ جَـبَـانٌ وَمِـبْـضَـعٌ بَطَلُ
مَـدَدْتَ فِي رَاحَـةِ الطَّبِيبِ يَداً وَمَـا دَرَى كَيْفَ يُقْطَعُ الأَمَلُ
إنْ يَكُنِ الْبَضْعُ ضَرَّ بَاطِنَهَا فَـرُبَّـمَـا ضَـرَّ ظَـهْـرَهَـا الْقُبَلُ
يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلاَ يَشُقُّ فِي عِـرْقِ جُودِهَا الْعَذَلُ

خَـامَـرَهُ إذْ مَـدَدْتَـهَـا جَـزَعٌ ... كَـأَنَّـهُ مِـنْ حَـذَاقَـةٍ عَـجِـلُ
جَـازَ حُـدُودَ اجْـتِـهَـادِهِ فَأَتَى ... غَيْرَ اجْـتِـهَـادٍ، لأُمِّـهِ الْهَبَلُ!
أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطْـ ... ـطَبْعُ وَعِـنْـدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ
ارْثِ لَهَا إِنَّـهَـا بِمَا مَلَكَتْ ... وَبِـالَّـذِي قَـدْ أَسَـلْـتَ تَنْهَمِلُ
مِثْلُكَ يا بَـدْرُ لا يَـكُـونُ وَلاَ ... تَصْلُحُ إلاَّ لِمِثْلِكَ الـدُّوَلُ

وقال فيه أيضاً - من أول الوافر والقافيةُ متواترٌ -: [من الوافر]

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالاَ ... وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لاَ الْجِمَالاَ
تَـوَلَّـوْا بَـغْـتَـةً فَـكَـأَنَّ بَيْناً ... تَهَيَّبَنِي فَـفَـاجَـأَنِـي اغْتِيالاَ
فَـكَـانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلاً ... وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالاَ
كَأَنَّ الْعِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي ... مُـنَـاخَـاتٍ فَلَمّا ثُـرْنَ سَـالاَ
وَحَجَّبَتِ النَّوَى الظَّبِيَاتِ عَنِّي ... فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالاَ
لَبِسْنَ الْـوَشْـيَ لاَ مُتَجَمِّلاَتٍ ... وَلكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالاَ
وَضَـفَّـرْنَ الْغَدَائِرَ لاَ لِحُسْنٍ ... وَلكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعَرِ الضَّلاَلاَ
بِجِسْمِي مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ... وِشَـاحِـيَ ثَقْبَ لُـؤْلُـؤَةٍ لَجَالاَ
وَلَـوْلاَ أَنَّـنِـي فِي غَـيْـرِ نَـوْمٍ ... لَكُنْتُ أَظُـنُّـنِـي مِـنِّـيْ خَيَالاَ
بَـدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ خُـوْطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَـتْ غَـزَالاَ
وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ ... لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالاَ
كَـأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالاَ
كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي ... صُـرُوفٌ لَمْ يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالاَ
أَشَـدُّ الْغَمِّ عِنْدِيَ فِي سُـرُورٍ ... تَيَقَّنَ عَـنْـهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالاَ
أَلِفْتُ تَرَحُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي ... قُـتُـودِيَ وَالْـغُـرَيْـرِيَّ الْجُلاَلاَ

فَمَا حَاوَلْتُ في أَرْضٍ مُقاماً ... وَلاَ أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالاَ
عَلَى قَلَقٍ كَـأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي ... أُوَجِّـهُـهَـا جَنُوباً أَوْ شَمالاَ
إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الَّـذي لَمْ ... يَكُنْ في غُـرَّةِ الشَّهْرِ الْهِلالاَ
وَلَـمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَـانَ فِيهِ ... وَلَـمْ يَـزَلِ الأَمِـيرَ وَلَـنْ يَـزالاَ
بِـلاَ مِـثْلٍ وَإِنْ أَبْـصَـرْتَ فِيهِ ... لِـكُـلِّ مُـغَـيَّبٍ حَـسَـنٍ مِـثَـالاَ
حُـسَـامٌ لابْـنِ رَائِـقٍ الْمُرجَّى ... حُـسَـامِ الْمُتَّقِي أَيَّـامَ صَـالاَ
سِـنَـانٌ في قَـنَـاةِ بَـنِـيْ مَعَدٍّ ... بَنِيْ أَسَـدٍ إِذَا دَعَـوُا الـنِّـزَالاَ
أَعَـزُّ مُـغَـالِـبٍ كَـفًّـا وَسَـيْـفاً ... وَمَـقْـدِرَةً وَمَـحْـمِـيَـةً وَآلاَ
وَأَشْـرَفُ فَاخِرٍ نَفْساً وَقَوْماً ... وَأَكْـرَمُ مُـنْـتَـمٍ عَـمًّـا وَخَـالاَ
يَـكُـونُ أَحَـقُّ إِثْـنَـاءٍ عَلَيْهِ ... عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا مُحَالاَ
وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ ... إِذَا لَـمْ يَـتَّـرِكْ أَحَـدٌ مَـقَـالاَ
فَيَا بْـنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَـدْنٍ ... مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطَلُ السُّعَالاَ
وَيَا بْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ ... مِنَ الْعَرَبِ الأَسَافِلَ وَالْقِلاَلاَ
أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي ... وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالاَ؟
وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَرِيضٍ ... يَـجِـدْ مُـرًّا بِـهِ الْـمَـاءَ الـزُّلاَلاَ
وَقَـالُـوا: هَـلْ يُبَلِّغُكَ الثُّرَيَّا؟ ... فَقُلْتُ: نَعَمْ إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالاَ!!
هُوَ الْمُفْنِيْ الْمَذَاكِيَ وَالأَعَادِيْ ... وَبِيضَ الْهِنْدِ وَالسُّمْرَ الطِّوَالاَ
وَقَـائِـدُهَـا مُـسَـوَّمَـةً خِفَافاً ... عَـلَـى حَـيٍّ تُـصَـبِّـحُـهُ ثِـقَـالاَ
جَـوَائِـلَ بِـالْـقُـنِـيِّ مُثَقَّفَاتٍ ... كَـأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الـذُّبَـالاَ

إذَا وَطِئَتْ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً ... يَفِئْنَ لِـوَطْءِ أَرْجُلِهَا رِمَالاَ
جَوَابُ مُسَائِلِي: «أَلَهُ نَظِيرٌ؟»: ... «وَلاَ لَكَ فِي سُؤَالِكَ، لاَ، أَلاَ لاَ»
لَقَدْ أَمِنَتْ بِكَ الإِعْـدَامَ نَفْسٌ ... تَـعُـدُّ رَجَـاءَهَـا إِيَّـاكَ مَـالاَ
وَقَدْ وَجِلَتْ قُلُوبٌ مِنْكَ حَتَّى ... غَـدَتْ أَوْجَالُـهَـا فِيهَا وِجَـالاَ
سُـرُورُكَ أَنْ تَسُرَّ النَّاسَ طُرًّا ... تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِـهِ الـدَّلاَلاَ
إذَا سَأَلُـوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ ... وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالاَ
وَأَسْـعَـدُ مَـنْ رَأَيْنَـا مُسْتَمِيحٌ ... يُنِيلُ الْمُسْتَمَاحَ بِـأَنْ يَنَالاَ
يُفَارِقُ سَهْمُكَ الرَّجُلَ الْمُلاَقَى ... فِرَاقَ الْقَوْسِ مَا لاَقَى الرِّجَالاَ
فَمَا تَقِفُ السِّهَامُ عَلَى قَـرَارٍ ... كَـأَنَّ الرِّيشَ يَطَّلِبُ النِّصَالاَ
سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى ... وَجَـاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى
وَأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَـهُ شِمَالاَ
أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِيَ فِي سَمَاءٍ ... وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالاَ
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا ... وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمَهْدِ الْكَمَالاَ

وقال فيه ـ وقد خرَجَ إلى أسَدٍ فهاجَهُ عن فريستِه، فوثَبَ على كَفَلِ فرَسِه وأعجَلَهُ عن استِلالِ سَيْفِه، فضربَهُ بسوْطِه، وخرجَ إلى آخرَ فهربَ منه ـ من ثاني الكامل والقافيةُ مُتواترٌ: [من الكامل]

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلَا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولاَ
يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَـادَرَتْ ... فِي حَدِّ قَلْبِيَ مَا حَيِيتُ فُلُولاَ
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلاَءِ سُؤْلِيَ إِنَّمَا ... أَجَلِيَ تَمَثَّلَ فِي فُـؤَادِي سُوْلاَ

أَجدُ الْجفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً ... وَالصَّبْرَ إلاَّ فِي نَـوَاكِ جَمِيلاَ
وَأَرَى تَدَلُّلك الْكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وأرى قَلِيلَ تَـدَلُّـلٍ مَمْلُولاَ
تَشْكُو رَوَادِفَـكِ المَطِيَّةُ فَوْقَهَا ... شَكْوَى الَّتِي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلاَ
وَيُغِيرُنِيْ جَذْبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِهَا ... فَمهَا إلَـيْـكِ كَطَالِبٍ تَقْبِيلاَ
حَدَقُ الْحِسَانِ مِنَ الْغَوَانِي هِجْنَ لِي ... يَـوْمَ الْـفِـرَاقِ صَبَابَةً وَغَلِيلاَ
حَدَقٌ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا ... بَـدْرُ بْـنُ عَمَّارِ بْـنِ إسْمَاعِيلاَ
الْفَارِجُ الْكُرَبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا ... وَالتَّارِكُ المَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلاَ
مَحِكٌ إذَا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلاَ
نَطِقٌ إذَا حَـطَّ الْـكَـلاَمُ لِثَامَهُ ... أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولاَ
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلاَ
وَكَـأَنَّ بَرْقاً فِي مُتُونِ غَمَامَةٍ ... هِـنْـدِيُّـهُ فِـي كَـفِّـهِ مَـسْـلُـولاَ
وَمَحَلُّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِباً ... لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَـدْنَ مَسِيلاَ
رَقَّـتْ مَـضَـارِبُـهُ فَهُنَّ كَأَنَّما ... يُبْدِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولاَ
أَمُعَفِّرَ اللَّيْثِ الْهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ ... لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولاَ؟
وَقَعَتْ عَلَى الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ... نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولاَ
وَرْدٌ إذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِباً ... وَرَدَ الْـفُـرَاتَ زَئِـيـرُهُ وَالنِّيلاَ
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لاَبِسٌ ... فِـي غِيلِهِ مِـنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلاَ
مَـا قُـوبِـلَـتْ عَـيْـنَـاهُ إلاَّ ظُنَّتَا ... تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلولاَ
فِـي وَحْـدَةِ الـرُّهْـبَـانِ إلاَّ أَنَّـهُ ... لاَ يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلاَ

يَطَأُ الثَّرَى(١) مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ، فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلاَ
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلاَ
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولاَ
قَصُرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَا فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولاَ
أَلْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ دُونَهَا، وَقَرُبْتَ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلاَ
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ، وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولاَ
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا: مَتْناً أَزَلَّ وَسَاعِداً مَفْتُولاَ
فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلاَ
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ، لَوْلاَ أَنَّهَا تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلاَ
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا وَيُظَنُّ عَقْدُ عِنَانِهَا مَحْلُولاَ
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولاَ
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلاَ
وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّنَى لاَ يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلاَ
أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاَ
وَالْعَارُ مَضَّاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلاَ
سَبَقَ الْتِقَاءَكَهُ بِوَثْبَةِ هَاجِمٍ لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لَجَازَكَ مِيلاَ
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلاَ
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولاَ
سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مَهُولاَ

(١) [الْبَرَى]

وَأَمَـرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِـرَارُهُ، وَكَقَتْلِـهِ أَلَّا يَـمُـوتَ قَتِيلاَ
تَلفُ الّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظَ الّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلاَ
لَوْ كَـانَ عِلْمُكَ بالإلهِ مُقَسَّماً فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ الإلهُ رَسُولاَ
لَوْ كَانَ لَفْظُكَ فِيهِمُ مَا أَنْزَلَ الْـ ـقُرْآنَ والتَّـوْرَاةَ وَالإنْجِيلاَ
لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيْهِمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيْهِمُ لَـمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلاَ
فَلَقَدْ عُرِفتَ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً، وَلَقَدْ جُهِلْتَ، وَمَا جُهِلْتَ خُمُولاَ
نَطَقَتْ بِسُؤْدُدِكَ الْحَمَامُ تَغَنِّيًا، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلاَ
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ المَعَالِيَ نَافِذاً فِيهَا وَلاَ كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولاَ

ورأى أبو الطيب إلى جانبه ثياباً مَطْويّةً فسألَ عنها،
فَقِيلَ له: «هذه ثِيابُ الوِلاية»؛ فقال ارتجالاً - وكانَ عليلاً -
من أول الوافر والقافيةُ متواتر: [من الوافر]

أَرَى حُـلَـلاً مُـطَـوَّاةً حِسَاناً عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا اعْتِلاَلِي
وَهَبْكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجْتَ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ؟
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَـا الأَعَالِي مَعَ الأُولَـى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ
تُلاَحِظُكَ الْعُيُونُ وَأَنْـتَ فِيهَا كَـأَنَّ عَلَيْكَ أَفْـئِدَةَ الـرِّجَالِ
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلاَمٍ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ

وسَقاهُ شَراباً - وكان به رَغْبَةٌ عنه - فشَرِبَهُ،
وقال من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الكامل]

عَذَلَتْ مُنَادَمَةُ الأَمِيرِ عَوَاذِلِي فِي شُرْبِهَا وَكَفَتْ جَوَابَ السَّائِلِ
مَطَرَتْ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَاصْطِنَاعُكَ حَامِلِي

فَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي ... وَالْقَوْلُ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ؟

وقال فيه أيضاً، من البحر والقافية كالذي قبْلَها: [من الكامل]

بَدْرٌ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَّالِهِ ... يَوْماً تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ
تَتَحَيَّرُ الأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ، ... وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ
قَمَراً نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِعٍ ... مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لا بَأْسِهِ ... كَرَماً لأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ
إِنْ يُفْنِ مَا يَحْوِي فَقَدْ أَبْقَى بِهِ ... ذِكْراً يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ

وسألَهُ أبو الطيب حاجةً فقضاها له، فقام وهو يقول.
من [ثاني السريع] والقافية متدارِكٌ: [من السريع]

قَدْ أُبْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَّةً ... وَعِفْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا
أَنْتَ الَّذِي طُولُ بَقَاءٍ لَهُ ... خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يَمْدَحُ القاضيَ أبا الفَضْلِ أحمدَ بْنَ عبدِ اللهِ الأنطاكيَّ،
من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الكامل]

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ
يَعْلَمْنَ ذَاكِ وَمَا عَلِمْتِ وَإِنَّمَا ... أَوْلاَكُمَا بِبُكَى (١) عَلَيْهِ الْعَاقِلُ
وَأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ الْمُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ؟
تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظِّبَاءِ وَعِنْدَهُ ... مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلُ
اللاَّءِ أَفْتَكُهَا الْجَبَانُ بِمُهْجَتِي ... وَأَحَبُّهَا قُرْباً إِلَيَّ الْبَاخِلُ
الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرٌ ... وَالْخَاتِلاَتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ

(١) [يُبْكَى]

كَافأَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا … فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ
مِنْ طَاعِنِيْ ثُغَرِ الرِّجَالِ جَآذِرٌ … وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلاَخِلُ
وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا … مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ
كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ(١) شَوْقاً بَعْدَمَا … غَرِيَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ
دُونَ التَّعَانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ … نَصْبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ
اِنْعَمْ وَلَذَّ فَلِلأُمُورِ أَوَاخِرٌ … أَبَداً إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ
مَا دُمْتَ مِنْ أَرَبِ الْحِسَانِ فَإِنَّمَا … رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلُ
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا … قُبَلٌ يُزَوَّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلُ
جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذٌ خَالِصٌ … مِمَّا يَشُوبُ وَلاَ سُرُورٌ كَامِلُ
حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: رُؤْ … يَتُهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ
مَمْطُورَةٌ طُرُقِيْ إِلَيْهَا دُونَهَا(٢) … مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلُ
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ … تَثْنِي الأَزِمَّةَ وَالْمَطِيُّ ذَوَامِلُ
لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَا … بِ وَلِلْبِحَارِ وَلِلأُسُودِ شَمَائِلُ
وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَانِ وَالأَدَبِ الْمُفَا … دِ وَمِلْحَيَاةِ وَمِلْمَمَاتِ مَنَاهِلُ
لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَبُ الْوُفُودِ حَوَالَهُ … لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلاَةِ النَّاهِلُ
يَدْرِي بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ … مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضاً لَهَا وَمُوَلِّياً … أَحْدَاقُنَا وَتَحَارُ حِينَ يُقَابِلُ
كَلِمَاتُهُ قُضُبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ … كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَهُنَّ مَفَاصِلُ
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا … حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ(٣)

(١) [شَجَرْتَكَ] [سَحَرَتْكَ] (٣) [قَبَائِلُ]
(٢) [إِليهِ وَدُونَهُ]

وَقتَلْنَ دفراً وَالدُّهَيْمَ فَمَا تُرَى | أُمُّ الـدُّهَـيْـمِ وَأُمُّ دَفْـرٍ هَابِلُ
عَلاَّمَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللُّجُّ الَّذِي | لاَ يَنْتَهِي وَلِـكُـلِّ لُـجٍّ سَاحِلُ
لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ | وَلَـدَ النِّسَاءُ وَمَـا لَهُنَّ قَوَابِلُ
لَوْ بَـانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ | لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ انْثَى الْحَامِلُ
لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعاً | هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلاَمِ مَشَاعِلُ
سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ | فَبَدَا، وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ؟
جَفَخَتْ ـ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا ـ بِهِمْ | شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الأَغَرِّ دَلاَئِلُ
مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ، كَبِيرُهُمْ | وَصَغِيرُهُمْ عَفُّ الإِزَارِ حُلاَحِلُ
يَا افْخَرْ[1] فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلاَثَةٌ: | مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ
وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِي بَعْدَمَا | عَرَفُوا: أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتَ لِي: | «قَصَّرْتَ»، فَالإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ
لاَ تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا | بَيْتاً وَلَكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ
مَا نَـالَ أَهْـلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ | شِعْرِي وَلاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ | فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِيْ بِأَنِّي كَامِلُ
مَنْ لِيْ بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعِي | أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيَّ فِيهِمْ بَاقِلُ؟
وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ | لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ
الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ | وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ
مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ | قَلَماً بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ[2] أَنَامِلُ

وقال يذُمُّ قوماً بِقِلَّةِ العِلْمِ، من الأول من الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

(١) [فافْخَرْ]
(٢) [ثَنَاكَ]

أَمَاتَكُمُ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمُ الْجَهْلُ | وَجَرَّكُمُ مِنْ خِفَّةٍ بِكُمُ النَّمْلُ
وُلَيْدَ أُبَيِّ الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَا لَكُمْ | فَطِنْتُمْ إلى الدَّعْوَى وَمَا لَكُمُ عَقْلُ؟
وَلَوْ ضَرَبَتْكُمْ مَنْجَنِيقِي وَأَصْلُكُمْ | قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ، فَكَيْفَ وَلا أَصْلُ؟
وَلَوْ كُنْتُمُ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ | لَمَا كُنْتُمُ نَسْلَ الَّذِي مَا لَهُ نَسْلُ

وقال وقد كان عندَ ابنِ طُغْجٍ وعنده بَخُورٌ، فجعلَ يَضْرِبُه بكُمِّه ويقول: سَوْقاً إلى أبي الطيب - من مخلَّع البسيط والقافيةُ متواتِرٌ -: [من مخلع البسيط]

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ | وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ
إنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبَخُورِ: سَوْقاً | فَهَكَذا قُلْتَ فِي النَّوَالِ

وبَلَغَهُ من بعضِ الغُزاةِ وهو بدمَشْقَ أنَّ ابنَ كَيْغَلَغَ لم يزَلْ يذكُرُه في بلادِ الروم [ويتهدَّدُه]، فقال - من الثالث من الطويل [والقافيةُ متواتِرٌ] -: [من الطويل]

أَتَانِي كَلامُ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيَغْلَغٍ | يَجُوبُ حُزُوناً بَيْنَنَا وَسُهُولاَ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ | وَبَيْنِيْ سِوَى رُمْحِيْ لَكَانَ طَوِيلاَ
وَإِسْحَاقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ | ولكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلاَ
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ | وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلاَ
وَيَكْذِبُ، مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ | لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلاَ

وقال يَمْدَحُ أبا العَشائِرِ الحُسَيْنَ بْنَ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ حَمْدانَ، ويُعرِّضُ بقَوْمٍ لَحِقَهُ منهم أذى، من أوّلِ المنسرح والقافيةُ متراكِبٌ: [من المنسرح]

لاَ تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلاَ طَلَلَهْ | أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ

قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ   وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ
خَلاَ وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشَنَا   وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ إِبِلَهْ
لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ   مَا رَضِيَ الشَّمْسَ بُرْجُهُ بَدَلَهْ
أُحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَدْؤُرَهُ   وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهْ
يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَهْيَ ظَامِئَةٌ   إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبُهَا هَطِلَهْ
وَاحَرَبَا مِنْكِ يَا جِدَايَتَهَا   مُقِيمَةً فَاعْلَمِي وَمُرْتَحِلَهْ
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا   وَلَسْتِ فِيهَا لَخِلْتُهَا تَفِلَهْ
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْـ   ـبَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهْ
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ   مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيَلَهْ
فَخْراً لِعَضْبٍ أَرُوحُ مُشْتَمِلَهْ   وَسَمْهَرِيٍّ أَرُوحُ مُعْتَقِلَهْ
وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ   مُرْتَدِياً خَيْرَهُ وَمُنْتَعِلَهْ
أَنَا الَّذِي بَيَّنَ الإِلَهُ بِهِ الْـ   ـأَقْدَارَ وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهْ
جَوْهَرَةٌ يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا   وَغُصَّةٌ لاَ تُسِيغُهَا السَّفِلَهْ
إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أُكَادُ بِهِ   أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهْ
فَلاَ مُبَالٍ وَلاَ مُدَاجٍ وَلاَ   وَانٍ وَلاَ عَاجِزٌ وَلاَ تُكَلَهْ
وَدَارِعٍ سِفْتُهُ فَخَرَّ لَقًى   فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَهْ
وَسَامِعٍ رُعْتُهُ بِقَافِيَةٍ   يَحَارُ فِيهَا الْمُنَقِّحُ الْقُوَلَهْ
وَرُبَّمَا أُشْهِدُ الطَّعَامَ مَعِي   مَنْ لاَ يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهْ
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ   وَالدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ

مُسْتَحْيِياً مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ ... أَسْحبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَلَهْ
أَسْحَبُهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ... ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَهْ
وَبِيضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ ... أَوَّلُ مَحْمُولِ سَيْبِهِ الْحَمَلَهْ
مَا لِيَ لا أَمْدَحُ الْحُسَيْنَ وَلا ... أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهْ
أَأَخْفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ خَبَراً ... أَمْ بَلَغَ الْكَيْذُبَانُ مَا أَمَلَهْ؟
أَمْ لَيْسَ ضَرَّابَ كُلِّ جُمْجُمَةٍ ... مَنْخُوَّةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعِلَهْ
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ ... لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنْطِقٌ عَذَلَهْ
وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لا يُفَتِّرُهُ ... لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزِمٌ هَزَلَهْ
وَفَارِسَ الأَحْمَرِ الْمُكَلِّلَ فِي ... طَيِّئٍ الْمُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ
لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ ... أَقْسَمَ بِاللَّهِ لا رَأَتْ كَفَلَهْ
فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ، ... أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِي فَعَلَهْ
الْقَاطِعُ(١) الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلا ... بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ
فَوَاهِبٌ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ، ... وَطَاعِنٌ وَالْهِبَاتُ مُتَّصِلَهْ
وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلادَ سَرَى ... وَكُلَّمَا خِيفَ مَنْزِلٌ نَزَلَهْ
وَكُلَّمَا جَاهَرَ الْعَدُوَّ ضُحًى ... أَمْكَنَ حَتَّى كَأَنَّهُ خَتَلَهْ
يَحْتَقِرُ الْبِيضَ وَاللِّدَانَ إِذَا ... سَنَّ عَلَيْهِ الدِّلاصَ أَوْ نَثَلَهْ
قَدْ هَذَّبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةُ لِي ... وَهَذَّبَتْ شِعْرِيَ الْفَصَاحَةُ لَهْ
فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدَهُ، ... لا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلَّ مَنْ حَمَلَهْ

وكَتَبَ أبو الطيب إلى كافورٍ يستأْذِنُه في المَسِيرِ إلى بَلَدِ الرَّمْلَةِ،

(١) [القاتل، القائل]

لِتَنجُز مالٍ له بها ، فأجابَهُ : «لا واللهِ ـ أطال بَقاءَكَ ـ ما نُكلِّفُكَ المَسيرَ ، ولكنّا نُنفِذُ إليهِ مَنْ يأتيكَ به في أسْرَعِ وَقْتٍ» .

فقالَ أبو الطيب ارتجالاً ، من أول الوافر والقافيةُ مُتَواتِرٌ : [من الوافر]

أَتَحْلِفُ لا تُكَلِّفُني مَسيراً ... إلى بَلَدٍ أُحاوِلُ فيهِ مالا
وَأَنْتَ مُكَلِّفي أَنْبى مَكاناً ... وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حالا
إذا سِرْنا عَنِ الْفُسْطاطِ يَوْماً ... فَلَقِّنِيَ الْفَوارِسَ وَالرِّجالا
لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فارَقْتَ مِنِّي ... وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِي مُحالا

وكانَ أبو شُجَاعٍ فاتِكُ الكبيرُ مَعْروفاً [بالمَجْنُون] ، وكانَ رُوميًّا أُخِذَ وهو صَغيرٌ ـ ومَعَهُ أخٌ وأُخْتٌ له ـ من بَلَدِ الرُّوم ، قُرْبَ حِصْنٍ يُعْرَفُ بذي الكَلاعِ ؛ فتَعَلَّمَ الخطَّ بفِلَسْطِينَ ، وهو مِمَّنْ أخَذَهُ ابنُ طُغْج بالرَّمْلَة غَصْباً من سَيِّده ، فأعْتَقَهُ سَيِّدُه فحَصَل في أيديهم حُرًّا في عِدّةِ المماليك ، كَريمَ النَّفْسِ بَعيدَ الهِمّة . وكانَ في أيّامِ الأسْوَدِ مُقيماً بالفَيُّوم من أعْمالِ مِصْر ، وهو بَلَدٌ كثيرُ الأمْراض لا يَصِحُّ به جِسْمٌ ؛ وإنّما أقامَ به أَنَفَةً وحَياءً من الناسِ أنْ يَرْكَبَ معه ، وكانَ الأسْوَدُ يَخافُه ، ويُكْرِمُهُ فزَعاً وفي نَفْسِه منه ما في نَفْسِه . فاستَحْكَمَتِ العِلَّةُ في بَدَنِه ودخلَ إلى مِصْرَ لِيَتعالَجَ ، فكانَ يُراسِلُ أبا الطَّيِّبِ بالسَّلام ولا يُمْكِنُه الاجتماعُ معَهُ ، ثم اجتمَعا

في الصَّحْراء ، فأرْسَلَ إلى أبي الطَّيّب هَدِيّةً خَطِيرةً قيمتُها ألْفُ مِثْقال ، فقال يَمْدَحُه لسَبْعٍ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثمئة ، من البسيطِ الثاني [والقافية متواتر] : [من البسيط]

لا خَيلَ عِندَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
وَاجْزِ الأميرَ الَّذِي نُعْماهُ فَاجِئَةٌ ... بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النّاسِ أقْوالُ
فَرُبَّمَا جَزَتِ الإحْسانَ مُوْلِيَهُ ... خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ
وَإنْ تكُنْ مُحْكَماتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُني ... ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهالُ
وَمَا شَكَرْتُ لأنَّ المَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِيَ إكْثارٌ وَإقْلالُ
لكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أنْ يُجادَ لَنَا، ... وَأنَّنَا بِقَضاءِ الْحَقِّ بُخّالُ
فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِباخِ الأرْضِ هَطّالُ
غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظّارِ مَوْقِعُهُ ... أنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهّالُ
لاَ يُدْرِكُ المَجْدَ إلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعّالُ
لاَ وارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ ما وَهَبَتْ ... وَلاَ كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَآّلُ
قَالَ الزَّمانُ لَهُ قَوْلاً فَأفْهَمَهُ؛ ... إنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإمْساكِ عَذّالُ
تَدْرِي الْقَنَاةُ إذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأبْطالُ
كَفاتِكٍ وَدُخولُ الْكافِ مَنْقَصَةٌ ... كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أمْثالُ
الْقَائِدِ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ عِداهُ وَهْيَ أشْبالُ
الْقَاتِلِ السَّيْفَ في جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّيُوفِ كَما لِلنَّاسِ آجالُ
تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ ... وَمَالُهُ بِأقاصِي الأرْضِ أهْمالُ

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ: عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ
تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ كأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطِّيبِ آصَالُ
لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ[1] مِنْهُ فِي الشِّيزَى وَأَوْصَالُ
لاَ يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلاَ وَلَدٍ إِلاَّ إِذَا حَفَزَ الأَضْيَافَ تَرْحَالُ
يُرْوِي صَدَى الأَرْضِ مِنْ فَضْلاَتِ مَا شَرِبُوا مَحْضُ اللِّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالُ
تَقْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ
تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ
لاَ يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الأُطَيْفَالُ
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلاَّلُ
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ، وَفِيهَا الْمَاءُ وَالآلُ
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ، وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لاَ بُدَّ لَهُ وَلَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ
إِذَا الْعِدَا نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَداً مُجَاهِرٌ، وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي بِتَوَقِّي مَا أَتَى نَالُوا؟
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلاَ مِيمٌ وَلاَ دَالُ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِيِّ سِرْبَالُ

(١) [خَرَاذِلٌ]

وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَقَدْ غَمَرْتَ نَـوَالاً أَيُّهَا النَّالُ؟
لَطُفْتَ رَأْيَكَ في بِرِّيْ وَتَكْرِمَتِي ... إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلأَخْبَارِ تَجْوَالُ ... وَلِلْكَوَاكِبِ في كَفَّيْكَ آمَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِيْ طُولُ لاَبِسِهِ؛ ... إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ ... فَإِنَّ قَـدْرَكَ في الأَقْـدَارِ يَخْتَالُ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لاَ تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا ... إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ
وَلاَ تَعُدُّكَ صَوَّاناً لِمُهْجَتِهَا ... إِلاَّ وَأَنْـتَ لَهَا في الـرَّوْعِ بَذَّالُ
لَوْلاَ الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ: ... الْجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْـدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّـمَا يَبْلُغُ الإِنْسَـانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ[1] شِمْلاَلُ
إِنَّا لَفِي زَمَـنٍ تَـرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي، وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

ونَجَمَ خارجيٌّ من بني كِلابٍ بظَهْرِ الكوفةِ، فسارَ إليها، فخرَجَ إليهِ أهْلُها وسُلْطانُها؛ وخرَجَ أبو الطيب معَهم وغِلمانُه فيهم، فأبْلى بلاءً حسَناً وأُصيبَ فرَسٌ له تحت عبدٍ من عبيدِه، فحمَلَهُ أبو الحسَنِ محمَّدُ بْنُ عُمَرَ بن يحيى العَلَويُّ على فرَسٍ، وجَرَحَ غلامٌ له فرَسَيْنِ وقتَلَ رجُلاً. واختلَفَتْ بَنُو كلابٍ على صاحبِها، وتفرَّقوا عنه فرحَلَ عنهم. وبلَغَ الخَبَرُ بغْداذَ، فأنْفَذَ إليهم معزُّ الدولةِ دِلّيرَ بن لَشْكَرُوزَ الدَّيْلَميَّ في جماعةٍ من القُوّاد، فَوافاهُم بعْدَ رَحيلِ بني كِلابٍ؛ فأنْفَذَ إلى أبي الطيب ساعةَ نزَلَ ثِياباً من خزٍّ

(١) [بالرِّجْلِ]

وديباج ودبيقيّ. فقال يمدحه ـ وأنشده إيّاها وهما على فرسَيْهما، وكان تحت دِلّيْر فرسٌ أصفرُ جوادٌ كريمٌ ثقيلٌ، فقادهُ إليه؛ وذلك في ذي الحِجّة من سنة ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثمئة ـ من أول الطويل والقافية متواترٌ: [من الطويل]

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ ... وَمَنْ ذا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فيهِ مِنْ جَهْلِ؟

لِهِنَّكِ أَوْلَى لائِمٍ بِمَلامَةٍ، ... وَأَحْوَجُ مِمَّنْ تَعْذُلِينَ إلى الْعَذْلِ

تَقُولينَ: مَا في النَّاسِ مِثْلَكَ عاشِقٌ؛ ... جِدِيْ مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي

مُحِبٌّ كَنَى بِالْبِيضِ عَنْ مُرْهَفاتِهِ، ... وَبِالْحُسْنِ في أَجْسامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ

وَبِالسُّمْرِ عَنْ سُمْرِ الْقَنا غَيْرَ أَنَّنِي ... جَناها أَحِبَّائِي وَأَطْرافُها رُسْلِي

عَدِمْتُ فُؤاداً لَمْ تَبِتْ فيهِ فَضْلَةٌ ... لِغَيْرِ الثَّنايا الْغُرِّ وَالْحَدَقِ النُّجْلِ

فَمَا حَرَمَتْ حَسْناءُ بِالْهَجْرِ غِبْطَةً، ... وَلا بَلَّغَتْها مَنْ شَكا الْهَجْرَ بِالْوَصْلِ

ذَرِينِيْ أَنَلْ مَا لاَ يُنالُ مِنَ الْعُلَى ... فَصَعْبُ الْعُلَى في الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ في السَّهْلِ

تُرِيدِينَ لُقْيانَ الْمَعالِي رَخيصَةً، ... وَلا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إبَرِ النَّحْلِ

حَذِرْتِ عَلَيْنا الْمَوْتَ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي، ... وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيِّ عاقِبَةٍ تُجْلِي

فَلَسْتُ غَبِيناً لَوْ شَرَيْتُ(١) مَنِيَّتِي ... بِإكْرامِ دِلِّيرَ بْنِ لَشْكَرَوَزٍّ لِي

تُمِرُّ الأَنابِيبُ الْخَواطِرُ بَيْنَنا، ... وَنَذْكُرُ إقْبالَ الأَمِيرِ فَتَحْلَوْلِي

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّها سَبَبٌ لَهُ ... لَزادَ سُرُورِي بِالزِّيادَةِ في الْقَتْلِ

فَلاَ عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِراقَيْنِ فِتْنَةً ... دَعَتْكَ إلَيْها كاشِفَ الْخَوْفِ وَالْمَحْلِ

ظَلِلْنا إذا أَنْبَى الْحَديدُ نُصُولَنا ... نُجَرِّدُ ذِكْراً مِنْكَ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ

(١) [شَرِبْتُ]

وَنَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنِ اسْمِكَ فِي الْوَغَى ... بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَّابِنَا وَمِـنَ النَّبْلِ
فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا ... فَقَدْ هَزَمَ الأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ
وَمَازِلْتُ أَطْوِي الْقَلْبَ قَبْلَ اجْتِمَاعِنَا ... عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالسُّبْلِ
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ ... غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الأَهْلِ
وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ ... أَبَتْ رَعْيَهَا إِلاَّ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً ... فَكَانَ لَكَ الْفَضْلاَنِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبَّعُ الْوَبْلَ رَائِداً ... كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ ... وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ
أَرَادَتْ كِلاَبٌ أَنْ تَفُوزَ(١) بِدَوْلَةٍ ... لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشُّوَيْهَاتِ وَالإِبْلِ؟!
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الوَحْشَ وَحْدَهَا ... وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ
وَقَـادَ لَهَا دِلِّـيْـرُ كُـلَّ طِـمِـرَّةٍ ... تُنِيفُ بِخَدَّيْهَا سَحُوقٌ مِنَ النَّخْلِ
وَكُلَّ جَوَادٍ تَلْطِمُ الأَرْضَ كَفُّهُ ... بِأَغْنَى عَنِ النَّعْلِ الْحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ
فَوَلَّتْ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّفَتْ ... وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرِّجْلِ
تُحَاذِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَهْيَ ذَلِيلَةٌ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ الذُّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ
وَأَهْـدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ ... كَرِيمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ
تَتَبَّعَ آثَـارَ الـرَّزَايَا بِـجُـودِهِ ... تَتَبُّعَ آثَـارِ الأَسِـنَّـةِ بِالْفُتْلِ
شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَيْفُهُ وَنَوَالُهُ ... مِنَ الدَّاءِ، حَتَّى الثَّاكِلاَتِ مِنَ الثُّكْلِ
عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ ... وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ
شُجَاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ ... إِذَا زَارَهَا فَدَّتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ

(١) [تَقُومَ]

وَرَيَّانُ لاَ تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ   وَعَطْشَانُ لاَ تَرْوَى يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ
فَتَمْلِيكُ دِلِّيرٍ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ   شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ
وَمَا دَامَ دِلِّيرٌ يَهُزُّ حُسَامَهُ   فَلاَ نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلاَ شِبْلِ
وَمَا دَامَ دِلِّيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ   فَلاَ خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلِّ
فَتًى لاَ يُرَجِّي أَنْ تَتِمَّ طَهَارَةٌ   لِمَنْ لَمْ يُطَهِّرْ رَاحَتَيْهِ مِنَ الْبُخْلِ
فَلاَ قَطَعَ الرَّحْمنُ أَصْلاً أَتَى بِهِ   فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الأَصْلِ

وقال يَمْدَحُ عَضُدَ الدولة، وكانَ قَدْ وَرَدَ الخَبَرُ بانهزام وَهْسُوذَانَ في سَنَةِ أربع [وخَمْسِينَ] وثلاثمئة، من [رابع] الكامل والقافيةُ [مُتَراكِبٌ]: [من الكامل]

اِثْلِثْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلَلُ   نَبْكِي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الإِبِلُ
أَوْ لاَ فَلاَ عَتْبٌ عَلَى طَلَلٍ   إِنَّ الطُّلُولَ لِمِثْلِهَا فُعُلُ
لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعْتَذِراً:   «بِيْ غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ»
«أَبْكَاكَ أَنَّكَ بَعْضُ مَنْ شَغَفُوا   لَمْ أَبْكِ أَنِّيَ بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا»
إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا   أَيَّامُهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُوَلُ
الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا   مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا
فِي مُقْلَتَيْ رَشَأٍ تُدِيرُهُمَا   بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهَا الْحِلَلُ
تَشْكُو الْمَطَاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا   وَصُدُودِهَا، وَمَنِ الَّذِي تَصِلُ؟
مَا أَسْأَرَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ   تَرَكَتْهُ وَهْوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ
قَالَتْ: أَلاَ تَصْحُو، فَقُلْتُ لَهَا: أَعْلَمْتِنِي أَنَّ الْهَوَى ثَمَلُ

لَـوْ أنَّ فَـنّـاخُـسْـرَ صَبَّحَكُمْ ... وَبَـرزْتِ وَحْـدَكِ عاقَهُ الْغَزَلُ
وَتَـفَـرَّقَـتْ عَـنْـكُـمْ كَتائِبُهُ ... إنّ الـمِـلاَحَ خَـوَادِعٌ قُـتُـلُ
ما كُـنْـتِ فَـاعِـلَـةً وَضَيْفُكُمْ ... مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكِ الْبَخَلُ؟
أَتُمَنِّعينَ قِـرًى فَتَفْتَضِحي ... أمْ تَبْذُلِينَ لَـهُ الّـذِي يَسَلُ؟
بَـلْ لاَ يَحُلُّ بِحَيْثُ حَـلَّ بِهِ ... بُـخْـلٌ وَلاَ جَـوْرٌ وَلاَ وَجَـلُ
مَلِكٌ إذَا مَـا الـرُّمْـحُ أدرَكَـهُ ... طَـنَـبٌ ذَكَـرْنَـاهُ فَـيَـعْـتَـدِلُ
إنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا ... عَمّا يَـسُـوسُ بِـهِ فَقَدْ غَفَلُوا
حتَّى أتَـى الدُّنْيا ابْـنُ بَجْدَتِها ... فَشَكَا إلَـيْـهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
شَكْوَى الْعَلِيلِ إلى الْكَفِيلِ لَهُ ... ألّا تَـمُـرَّ بِـجِسْمِهِ الْـعِـلَـلُ
قَالَتْ ـ فَلاَ كَذَبَتْ ـ شَجَاعَتُهُ: ... أَقْـدِمْ فَنَفْسُكَ مَـا لَهَا أَجَـلُ
فَهُوَ النِّهَايَةُ إنْ جَـرَى مَثَلٌ ... أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغًى: مَنِ الْبَطَلُ؟
عُـدَدُ الْـوُفُـودِ الْعَامِدِينَ لَهُ ... دُونَ السِّلاَحِ الشُّكْلُ وَالْعُقُلُ
فَلِشُكْلِهِمْ في خَيْلِهِ عَمَلٌ، ... وَلِعُقْلِهِمْ في بُخْتِهِ شُغُلُ
تُمْسِي عَلَى أَيْـدِي مَوَاهِبِهِ ... هِـيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوِ الْـبَـدَلُ
يُـشْـتَـاقُ مِـنْ يَـدِهِ إلَـى سَبَلٍ ... شَـوْقـاً إلَـيْـهِ يَـنْـبُـتُ الأَسَـلُ
سَبَلٌ تَـطُـولُ المَكْرُمَاتُ بِهِ ... وَالمَجْدُ لاَ الْـحَـوْذَانُ وَالنَّفَلُ
وَإلَـى حَصَى أَرْضٍ أَقَـامَ بِهَا ... بِـالـنَّـاسِ مِـنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ
إنْ لَـمْ تُخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ ... فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذْخَرُ الْقُبَلُ؟
في وَجْـهِـهِ مِـنْ نُـورِ خَالِقِهِ ... قُـدَرٌ هِـيَ الآيَـاتُ وَالـرُّسُـلُ

وَإِذَا الْقُلوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ ... رَضِيَتْ بِحُكْمِ سُيُوفِهِ الْقُلَلُ

وَإِذَا الْخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ ... سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ

أَرَضِيتَ وَهْسُوْذَانُ مَا حَكَمَتْ ... أَمْ تَسْتَزِيدُ؟ لأُمِّكَ الْهَبَلُ!

وَرَدَتْ بِلاَدَكَ غَيْرَ مُغْمَدَةٍ، ... وَكَأَنَّهَا بَيْنَ الْقَنَا شُعَلُ

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ، ... وَالْخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبَلُ

فَأَتَوْكَ لَيْسَ لِمَنْ أَتَوْا قِبَلٌ ... بِهِمُ وَلَيْسَ بِمَنْ نَأَوْا خَلَلُ

لَمْ يَدْرِ مَنْ بِالرَّيِّ أَنَّهُمُ ... فَصَلُوا وَلاَ يَدْرِي إِذَا قَفَلُوا

فَأَتَيْتَ مُعْتَزِماً وَلاَ أَسَدٌ، ... وَمَضَيْتَ مُنْهَزِماً وَلاَ وَعِلُ

تُعْطِي سِلاَحَهُمُ وَرَاحَهُمُ ... مَا لَمْ تَكُنْ لِتَنَالَهُ الْمُقَلُ

أَسْخَى الْمُلوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ ... مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ

لَوْلاَ الْجَهَالَةُ مَا دَلَفْتَ إِلَى ... قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإِنَّمَا تَفَلُوا

لاَ أَقْبَلُوا سِرًّا وَلاَ ظَفِرُوا ... غَدْراً وَلاَ نَصَرَتْهُمُ الْغِيَلُ

لاَ تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ ... إِلاَّ إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْحِيَلُ

لاَ يَسْتَحِي أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ: ... نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ أَوْ فَضَلُوا

قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا ... أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلُوا عَدَلُوا

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا، ... فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةً نَزَلُوا

قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمَهُمْ، ... فَإِذَا تَعَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا

لاَ يَشْهَرُونَ عَلَى مُخَالِفِهِمْ ... سَيْفاً يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ

فَأَبُو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا ... وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا

حلفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُـرَّةِ[1] ذَا ... في المَهْدِ أَنْ لاَ فَاتَهُمْ أَمَلُ

[و] خَرَجَ عَضُدُ الدولة وتاجُ المِلّة يتصيَّدُ بموضع يُعْرَفُ بدَشْتِ الأَرْزَنِ - ومعَهُ أبو الطيب - بجميع آلاتِ الصَّيْد كلِّها، من الكلاب والفُهود والبُزاة والصُّقور وغير ذلك، فلم يَطِرْ طائرٌ ولا ثارَ وَحْشٌ إلاّ صِيْدَ، وحُمِلَتْ معَهُ الفِيلَةُ. فقالَ أبو الطَّيِّب يَصِفُ ذلك، سنة أرْبَعٍ وخَمْسينَ وثلاثمِئةٍ، من سادسِ السَّريع والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من السريع أو الرجز]

مَـا أَجْـدَرَ الأَيَّـامَ وَاللَّيَالِي ... بِـأَنْ تَـقُـولَ مَـا لَـهُ وَمَـا لِي
لاَ أَنْ يَـكُـونَ هـكَـذَا مَقَالِي ... فَتًى بنِيرَانِ الْـحُـرُوبِ صالِ
مِنْهَا شَـرَابِـيْ وَبِهَا اغْتِسَالِي ... لاَ تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِـيْ بِبَالِ
لَوْ جَـذَبَ الـزَّرَّادُ مِنْ أَذْيَالِي ... مُخَيِّراً لِـيْ صَنْعَتَيْ سِرْبَالِ
مَا سُمْتُهُ سَـرْدَ سِـوَى سِـرْوَالِ ... وَكَـيْـفَ لاَ وَإِنَّـمَـا إِدْلاَلِـي
بِفَارِسِ المَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ ... أَبِـي شُـجَـاعٍ قَـاتِـلِ الأَبْـطَـالِ
سَاقِيْ كُؤُوسِ المَوْتِ وَالْجِرْيَالِ ... لَمَّا أَصَارَ الْقُفْصَ أَمْسِ الْخَالِي
وَقَـتَّـلَ الْـكُـرْدَ عَـنِ الْـقِـتَـالِ ... حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالإِجْفَالِ
فَـهَـالِـكٌ وَطَـائِـعٌ وَجَـالِـي ... وَاقْتَنَصَ الْفُرْسَانَ بِالْعَوَالِي
وَالْـعُـتُـقِ المُحْدَثَةِ الصِّقَالِ ... سَارَ لِصَيْدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ
وَفِـي رِقَـاقِ الأَرْضِ وَالـرِّمَـالِ ... عَلَى دِمَـاءِ الإِنْـسِ وَالأَوْصَـالِ
مُـنْـفَـرِدَ المُهْرِ عَـنِ الـرِّعَـالِ ... مِـنْ عِظَمِ الهِمَّةِ لاَ المَلاَلِ

(١) [نِعْمَة، نَغْمَة]

وَشِدَّةِ الضَّنِّ لاَ الاسْتِبْدَالِ ... مَا يَتَحَرَّكْنَ سِوَى انْسِلاَلِ
فَهُنَّ يُضْرَبْنَ عَلَى التَّصْهَالِ ... كُلُّ عَلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالِ
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةَ السُّعَالِ ... مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إلَى الزَّوَالِ
فَلَمْ يَئِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلِ ... وَمَا عَدَا فَانْغَلَّ فِي الأَدْغَالِ
وَمَا احْتَمَى بِالماءِ وَالدِّحَالِ ... مِنَ الْحَرَامِ اللَّحْمِ وَالْحَلاَلِ
إنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الآجَالِ ... سَقْياً لِدَشْتِ الأَرْزَنِ الطِّوَالِ
بَيْنَ الْمُرُوجِ الْفِيحِ وَالأَغْيَالِ ... مُجَاوِرِ الْخِنْزِيرِ لِلرِّئْبَالِ
دَانِيْ الْخَنَانِيصِ مِنَ الأَشْبَالِ ... مُشْتَرِفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ
مُجْتَمِعِ الأَضْدَادِ وَالأَشْكَالِ ... كَأَنَّ فَنَّاخُسْرَ ذَا الإفْضَالِ
خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمالِ ... فَجَاءَهَا بِالْفِيلِ وَالْفَيَّالِ
فَقِيْدَتِ الأُيَّلُ فِي الْحِبَالِ ... طَوْعَ وُهُوقِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ
تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الأَرْسَالِ ... مُعْتَمَّةً بِيُبَّسِ الأَجْذَالِ
وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الأَحْمَالِ ... قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِي
لاَ تَشْرَكُ الأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ ... إذَا تَلَفَّتْنَ إلَى الأَظْلاَلِ
أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الأَمْثَالِ ... كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلإذْلاَلِ
زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَّالِ ... وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعاً فِي حَالِ
لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ ... وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الأَوْعَالِ
مُرْتَدِيَاتٍ بِقِسِيِّ الضَّالِ ... نَوَاخِسَ الأَطْرَافِ لِلأَكْفَالِ
يَكَدْنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الآطَالِ ... لَهَا لِحًى سُودٌ بِلاَ سِبَالِ

يَصْلُحنَ للإضْحَاك لاَ الإجْلاَلِ ... كُلُّ أَثِيثٍ نَبْتُها مِتْفَالِ
لَمْ تُغْذَ بِالْمِسْك وَلاَ الْغَوالِي ... تَرْضَى مِنَ الأَدْهَانِ بِالأَبْوَالِ
وَمِنْ ذَكِيِّ المِسْكِ بِالدَّمَالِ ... لَوْ سُرِّحَتْ في عَارِضَيْ مُحْتَالِ
لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ المَالِ ... بَيْنَ قُضَاةِ السَّوْءِ وَالأَطْفَالِ
شَبِيهَةِ الإدْبَارِ بالإقْبَالِ ... لاَ تُؤْثِرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ
فَاخْتَلَفَتْ في وَابِلَيْ نِبَالِ ... مِنْ أَسْفَلِ الطَّوْدِ وَمِنْ مُعَالِ
قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرِّجَالِ ... في كُلِّ كِبْدٍ كَبِدَيْ نِصَالِ
فَهُنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِلاَلِ ... مَقْلُوبَةَ الأَظْلاَفِ وَالإرْقَالِ
يُرْقِلْنَ في الْجَوِّ عَلَى المَحَالِ ... في طُرُقٍ سَرِيعَةِ الإيصَالِ
يَنَمْنَ فيهَا نِيْمَةَ المِكْسَالِ(١) ... عَلَى الْقُفِيِّ أَعْجَلَ الْعِجَالِ
لاَ يَتَشَكَّيْنَ مِنَ الْكَلاَلِ، ... وَلاَ يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلاَلِ
فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ ... تَشْوِيقُ إكْثَارٍ إلَى إقْلاَلِ
فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ في بَلْبَالِ ... يَخَفْنَ في سَلْمَى وَفي قِيَالِ
نَوَافِرَ الضِّبَابِ وَالأَوْرَالِ ... وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّئَالِ
وَالظَّبْيِ وَالْخَنْسَاءِ وَالذَّيَّالِ ... يَسْمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الأَزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ ... فُحُولُهَا وَالْعُوذُ وَالمَتَالِي
تَوَدُّ لَوْ يُتْحِفُهَا بِوَالِ ... يَرْكَبُهَا بِالْخُطْمِ وَالرِّحَالِ
يُؤْمِنُهَا مِنْ هذِهِ الأَهْوَالِ ... وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلاَ تُبَالِي
وَمَاءَ كُلِّ مُسْبِلٍ هَطَّالِ ... يَا أَقْدَرَ السُّفَّارِ وَالْقُفَّالِ

(١) [الكِسَال]

لَوْ شئْتَ صِدْتَ الأُسْدَ بالثَّعالِي — أَوْ شِئْتَ غَرَّقْتَ الْعِدَا بالآلِ
وَلَـوْ جَعَلْتَ مَـوْضِعَ الإلالِ — لآلِـئـاً قَـتَـلْـتَ بِـالـلآلِـي
لَـمْ يَـبْـقَ إلاّ طَـرْدُ السَّعالِي — في الظُّلَم الْغَائِبَة الْـهِـلاَلِ
عَـلَى ظُـهُـورِ الإبِـلِ الأُبَّـالِ — فَـقَـدْ بَـلَـغْـتَ غـايَـةَ الآمَـالِ
فَلَمْ تَـدَعْ مِنْهَا سِوَى المُحَالِ — في لا مَـكَـانٍ عِـنْـدَ لا مَـنَـالِ
يَـا عَضُدَ الـدَّوْلَـةِ وَالمَعَالِي — النَّسَبُ الْحَلْيُ وَأَنْـتَ الْحَالِي
بـالأَبِ لاَ بالشَّنْفِ وَالْخَلْخَالِ — حَلْياً تَحَلَّى مِنكَ بِالجَمَالِ
وَرُبَّ قُـبْـحٍ (١) وَحُـلًى ثِقَالِ — أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ في المِعْطَالِ
فَخْرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالأَفْعَالِ — مِنْ قَبْلِه بِالْعَمِّ وَالأَخْـوَالِ

وقالَ في صِباهُ في الشِّطْرَنْج، من أول الوافر والقافية متواتر: [من الوافر]

أَرَى الشِّطْرَنْجَ لَوْ كانَتْ رِجالاَ — تَـهُـزُّ صَفَائِحاً وقَـنـاً طِـوالاَ
لَـغَادَرَتِ الثَّواكِلَ مُعْوِلاتٍ — بِسَاحَتِنا وأَطْـوَلَـتِ القِتَالاَ
ولكِنِّيْ أَرَى خَشَباً ضَعِيفاً — إذا شَهِدَ الوَغَى لَمْ يُـدْعَ آلاَ
ولم يُصْدِرْنَ حُمْراً كُنَّ بِيضاً — ولم يَغْشَيْنَ من مَـوْتٍ ظِلالاَ
فَلَوْ كُنّا نُحارِبُ حَرْبَ هذِي — لَبَاقَيْنا على الـدَّهْـرِ الجِبالاَ

وقالَ في الشَّمْعَةِ، من ثالثِ الرَّجزِ والقافيةُ مُتدارِكٌ: [مجزوء الرجز]

مَـجْـدولـةٌ فـي حُـسْـنِـهـا — تَـحْـكِـي لَـنـا قَـدَّ الأَسَـلْ
كَـأنَّـهـا عُـمْـرُ الـفَـتَـى — والـنّـارُ فـيـهـا كـالأَجَـلْ

قافية الميم

(١) [فَتْخٍ]

وقال يَمدَحُ سيفَ الدولة عِنْدَ نُزولهِ أنطاكيةَ ومُنْصَرَفِهِ من حِصْنِ بَرْزُوَيْه، في جُمادى الآخرة سنةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثلاثمئة، من ثاني الطويل والقافِيةُ مُتدارِكٌ: [من الطويل]

وَفاؤُكُما كَالرَّبعِ أَشْجاهُ طاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفاهُ ساجِمُهْ
وَمَا أَنَا إِلاَّ عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ ... أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لائِمُهْ
وَقَدْ يَتزَيَّا بِالْهَوى غَيْرُ أَهْلِهِ ... وَيَسْتَصْحِبُ الإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُلاَئِمُهْ
بَلِيتُ بِلَى الأَطْلاَلِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا ... وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهْ
كَئِيباً تَوَقَّانِيَ الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى ... كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الْخَيْلِ حَازِمُهْ
قِفِي تَغْرَمِ(١) الأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي ... بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهْ
سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللَّهُ، إِنَّمَا ... عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ
وَمَا حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكِ فِي الدُّجَى ... إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكِ عَادِمُهْ
إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ الْعُيُونُ بِنَظْرَةٍ ... أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ
حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ ... فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهْ
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ ... وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ
وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ ... وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمُلاَزِمُهْ
وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ ... وَلاَ عَلَّمَتْنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهْ
فَلاَ يَتَّهِمْنِي الْكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي ... رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلاَقِمُهْ
مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ ... فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهْ؟

(١) [تَغْرَمِي]

وَتكْملَةُ الْعَيشِ الصِّبَا وَعقيبُهُ ... وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ
وَمَا خضبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لأَنَّهُ ... قَبيحٌ وَلكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّه ... حَيَا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحُكْهَا سَحَابَةٌ ... وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغَنَّ حَمَائِمُهْ
وَفَوْقَ حَوَاشِيْ كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ ... مِنَ الدُّرِّ سِمْطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحاً بِهَا ... يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ وَيُسَالِمُهْ
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كَأَنَّهُ ... تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى(١) ضَرَاغِمُهْ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لأَبْلَجَ لا تِيجَانَ إِلاَّ عَمَائِمُهْ
تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ ... وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ
قِيَاماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ
قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً ... وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهْ
لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى ... بِهَا عَسْكَراً لَمْ يَبْقَ إِلاَّ جَمَاجِمُهْ
أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ ... وَمَوْطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلاَغِمُهْ
فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُهُ، ... وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَهُ، ... وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلاَطِمُهْ
سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ
سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتّى لَقِيتُهُ ... عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ
مَهَالِكَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذِّئْبَ نَفْسُهُ، ... وَلاَ حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهْ
فَأَبْصَرْتُ بَدْراً لا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ، ... وَخَاطَبْتُ بَحْراً لا يَرَى الْعِبْرَ عَائِمُهْ

(١) [وتُذْأَى]

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ ... بِلاَ وَاصِفٍ وَالشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ
وَكُنْتُ إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً ... سَرَيْتُ وَكُنْتُ السِّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهْ
لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِماً، ... فَلاَ المَجْدُ مُخْفِيهِ وَلاَ الضَّرْبُ ثَالِمُهْ
عَلَى عَاتِقِ المَلْكِ الأغَرِّ نِجَادُهُ، ... وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ قَائِمُهْ
تُحَارِبُهُ الأَعْدَاءُ وَهْيَ عَبِيدُهُ، ... وَتَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَهْيَ غَنَائِمُهْ
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ، ... وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَادِمُهْ
وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ، ... وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفاً لَظَالِمُهْ
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ، ... وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهْ

وقال يَمْدَحُه، وقد عَزَمَ على الرحيل عن أَنطاكية،
من أول الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ؟ ... نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَأَنْتَ الغَمَامُ
نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيـ ... ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأَيَّامُ
فِي سَبِيلِ الْعُلَى قِتَالُكَ وَالسِّلْـ ... ـمُ وَهَذَا المُقَامُ وَالإِجْذَامُ
لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الخَيْـ ... ـلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ ... وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً ... تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ
وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا ... وَكَذَا تَقْلَقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ
وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْـ ... ـرِ لَوَ انَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطِبْهُ حِمَامُ ... كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلاَمُ

أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا ... مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَغَى سَاكِنَ الْقَلْـ ... ـبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى ... تَتَلاَقَى الْفِهَاقُ وَالأَقْدَامُ
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ ... فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلاَدُ سُرُورٌ، ... وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ
كُلَّمَا قِيلَ: «قَدْ تَنَاهَى» أَرَانَا ... كَرَماً مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ
وَكِفَاحاً تَكِعُّ عَنْهُ الأَعَادِي ... وَارْتِيَاحاً يَحَارُ فِيهِ الأَنَامُ
إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمَّلِ سَيْفُ الدْ ... دَوْلَةِ الْمَلْكُ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ
فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي ... وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلاَمُ

وقال أيضاً يَمْدَحُه، من أول الكامل والقافية متدارِكٌ: [من الكامل]

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمِ ... وَمِنِ ارْتِيَاحِكَ فِي غَمَامٍ دَائِمِ
وَمِنِ احْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بِهِ ... فِيمَا أُلاَحِظُهُ بِعَيْنَيْ حَالِمِ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا ... حَتَّى بَلاَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ
وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ، ... وَإِذَا تَخَتَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ
وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَا فِي مَعْرَكٍ ... هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ
أَبْدَى سَخَاؤُكَ عَجْزَ كُلِّ مُشَمِّرٍ ... فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرْعَ الْكَاتِمِ

وقال يَمْدَحُه بمَيّافارقِينَ، وقد نزلها وأمرَ الغِلْمانَ
والجيشَ أنْ يَرْكَبُوا بالسّلاحِ والتجافيف،
في شوّالٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة،
من ثاني الطويل والقافيةُ مُتداركٌ: [من الطويل]

إذا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ ... أَكُـلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ؟
لَحُبُّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَـى فَإِنَّهُ ... بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُخْتَمُ
أَطعْتُ الْغَوَانِيْ قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِرِي ... إلى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ
تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... يُطَبِّقُ فِي أَوْصَـالِـهِ وَيُصَمِّمُ
فَجازَ لَهُ حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ ... وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مِيْسَمُ
كَأَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ، ... فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمُوا
وَلاَ كُتُبَ إلاَّ الْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ ... وَلاَ رُسُلٌ إلاَّ الْخَمِيسُ الْعَرَمْرَمُ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ، ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ فَمُ
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ ... وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ
ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ ... بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ
تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... نُجُومٌ لَـهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهَـمُ
يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَالِ مَنْ لا حَمَلْنَهُ، ... وَمِنْ قِصَدِ الْمُرَّانِ مَا لاَ يُقَوَّمُ
فَهُنَّ مَعَ السِّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسَّلٌ ... وَهُنَّ مَعَ النِّيْنَانِ فِي الْمَاءِ[1] عُوَّمُ
وَهُنَّ مَعَ الْغِزْلاَنِ فِي الْوَادِ كُمَّنٌ، ... وَهُنَّ مَعَ الْعِقْبَانِ فِي النِّيْقِ حُوَّمُ
إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ ... بِـهِـنَّ وَفِـي لَبَّاتِهِنَّ يُحَطَّمُ
بِغُرَّتِهِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ وَالْحِجَا ... وَبَذْلِ اللُّهَا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمُ
يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لاَ يَـوَدُّهُ، ... وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لاَ يُنَجِّمُ
أَجَـارَ عَلَى الأَيَّـامِ حَتّى ظَنَنْتُهُ ... تُطَالِبُهُ بِـالـرَّدِّ عَـادٌ وَجُـرْهُـمُ
ضَلاَلاً لِهَذِي الرِّيحِ، مَاذَا تُرِيدُهُ؟ ... وَهَدْياً لِهَذَا السَّيْلِ، مَاذَا يُؤَمِّمُ؟

(١) [البَحْرِ]

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَبْلُ الَّذي رَامَ ثَنْيَنا فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الْحَديدُ الْمُثَلَّمُ؟
وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحابُ بِصَوْبِهِ تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْباً وَأَكْرَمُ
فَباشَرَ وَجْهاً طَالَما بَاشَرَ الْقَنا وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَما بَلَّهَا الدَّمُ
تَلاكَ ـ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَهُ ـ مِنَ الشَّأْمِ: يَتْلُو الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ
فَزَارَ الَّتي زَارَتْ بِكَ الْخَيْلُ قَبْرَهَا وَجَشَّمَهُ الشَّوْقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بَهَاؤُهُ عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّؤَابَةِ مِنْهُمُ
حَوَالَيْهِ بَحْرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ مِنَ الْخَيْلِ أَيْهَمُ
تَسَاوَتْ بِهِ الأَقْطَارُ حَتّى كَأَنَّهُ يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الجِبَالِ وَيَنْظِمُ
وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ
يَمُدُّ يَدَيْهِ في الْمُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمُ
كَأَجْنَاسِهَا رَايَاتُهَا وَشِعَارُهَا وَمَا لَبِسَتْهُ وَالسِّلاحُ الْمُسَمَّمُ
وَأَدَّبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ
تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسْمِعُهَا لَحْظاً وَمَا يَتَكَلَّمُ
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرِقُّ لِمَيَّافَارِقِينَ وَتَرْحَمُ
وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالْمَنَاكِبِ زَحْمَةً دَرَتْ أَيُّ سُورَيْهَا الضَّعِيفُ الْمُهَدَّمُ
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ
لَهَا فِي الْوَغَى زِيُّ الْفَوارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ
وَمَا ذَاكَ بُخْلاً بِالنُّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بِالشَّرِّ أَحْزَمُ
أَتَحْسَبُ بِيضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنَّكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ!

إِذا نَحْنُ سَمَّيْناكَ خِلْنَا سُيُوفَنا   مِنَ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ
وَلَمْ نَرَ مَلْكاً قَطُّ يُدْعَى بِدُونِهِ   فَيَرْضَى، وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ
أَخَـذْتَ عَلَى الأَعْـدَاءِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ   مِنَ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ
فَلاَ مَوْتَ إِلاَّ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى   وَلاَ رِزْقَ إِلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ

وقال يُعاتِبُ سيفَ الدولة في مَجْلِسِه،
لِما كانَ يَلْقَى بحَضْرَتِهِ من قومٍ يَحْسُدونَه فلا يُنْكِرُ عليهم،
وذلك في رَجَب سنةَ إحْدَى وأربعينَ وثلاثمئة،
من أوّلِ البسيط والقافيةُ مُتَراكِبٌ: [من البسيط]

وَاحَـرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ   وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ
مَا لِي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدِي   وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ؟
إِنْ كَـانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ   فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ   وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمُ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمِ   وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الأَحْسَنِ الشِّيَمُ
فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمَّمْتَهُ ظَفَرٌ   فِي طَيِّهِ أَسَـفٌ فِي طَيِّهِ نِعَمُ
قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ   لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لاَ تَصْنَعُ الْبُهَمُ
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيْسَ يَلْزَمُهَا   أَلَّا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلاَ عَلَمُ
أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشاً فَانْثَنَى هَرَباً   تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهِمَمُ؟
عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ   وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا
أَمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ   تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ؟

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاَّ في مُعَامَلَتِي ... فيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخصْمُ وَالْحَكَمُ
أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ... أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوارُ وَالظُّلَمُ
أَنَا الّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِيْ مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِيْ عَنْ شَوارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِيْ مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ
رِجْلاَهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ(١) وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِداً ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّيْ الْقُوْرُ وَالأَكَمُ
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ... فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ؛ ... إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ ... وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي ... أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِيْ صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

(١) [والحَرْبُ والضَّرْبُ]

أَرَى النَّوَى تَقْتَضِينِي كُلَّ مَرْحَلَةٍ ... لاَ تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ مَيَامِنِنَا ... لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ
شَرُّ الْبِلاَدِ مَكَانٌ لاَ صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ
وَشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخَمُ
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ ... تَجُوزُ عِنْدَكَ لا عُرْبٌ وَلاَ عَجَمُ؟
هَذَا عِتَابُكَ إِلاَّ أَنَّهُ مِقَةٌ ... قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلاَّ أَنَّهُ كَلِمُ

وقال وقد عُوفِيَ سيفُ الدولة من عِلَّةٍ كانتْ به
يُخاطِبُه في شَهْرِ رمَضانَ سنةَ اثْنَتَيْنِ وأربعينَ [وثلاثمئة]،
من البحرِ والقافيةِ كالتي قَبْلَها: [من البسيط]

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ ... وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الأَلَمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ ... بِهَا الْمَكَارِمُ وَانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ
وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا ... كَأَنَّمَا فَقْدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ
وَلاَحَ بَرْقُكَ لِي مِنْ عَارِضَيْ مَلِكٍ ... مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلاَّ حَيْثُ يَبْتَسِمُ
يُسْمَى الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ ... وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ؟
تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ ... وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ
وَأَخْلَصَ اللَّهُ لِلإِسْلاَمِ نُصْرَتَهُ ... وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلاَئِهِ الأُمَمُ
وَمَا أَخُصُّكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ: ... إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا!

وقالَ وقَدْ رأى بعضُ النّاسِ مناماً

وأبياتاً يذكُرُ أنَّهُ رآها في نومه يشكو فيها الفقرَ ،

فقالَ أبو الطيب - من أول الخفيف والقافيةُ متواترٌ - : [من الخفيف]

قَدْ سَمِعْنَا ما قُلتَ فِي الأَحْلاَمِ ... وأَنَلْنَاكَ بَدْرَةً فِي الْمَنَامِ
وانْتَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلاَ شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدْرَ الْكَلاَمِ
كُنْتَ فِي مَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ الأَقْلاَمِ؟
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الإِعْدَامَ لاَ رَقْدَةٌ مَعَ الإِعْدَامِ
افْتَحِ الْجَفْنَ وَاتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الأَنَامِ
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلاَ مِنْهُ بَدِيلٌ وَلاَ لِمَا رَامَ حَامِي
كُلُّ آبَائِهِ كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا وَلكِنَّهُ كَرِيمُ الْكِرَامِ

وسارَ سَيْفُ الدولة نَحْوَ ثَغْرِ الحَدَث لبنائها ، وقَدْ كان أَهْلُها سَلَّمُوها إلى الدُّمُسْتُقِ بالأمان سنةَ سَبْع وثَلثين وثلاثمئة ؛ فنزلَها سَيْفُ الدَّوْلَةِ يومَ الأربعاءِ لاَثْنَتَيْ عَشْرَةَ ليلةً بَقِيَتْ من جُمادى الآخِرةِ سنةَ ثلاث وأربعين وثلاثمئة ، وبدأ مِنْ يومِهِ فخطَّ الأَساسَ ، وحَفَرَ أوَّلَهُ بِيَدِه ابتغاءَ ما عندَ اللّهِ . فلمّا كانَ يومُ الجُمعةِ نازَلَهُ ابنُ الفَقّاسِ الدُّمُسْتُقُ في نحوِ خَمْسينَ ألْفَ فارسٍ وراجلٍ ، ووَقَعتِ المُصافَّةُ يومَ الاثنين سَلْخَ جُمادى الآخِرة ، من أول النهار إلى وَقْتِ العَصْرِ ؛ فحَمَلَ عليه سيفُ الدولةِ بنَفْسِه في نحوِ خَمْسِمئةِ غُلامٍ من خاصّتِه ،

فأظفرَهُ اللهُ بهم ، وقتلَ أكْثَرَهم واستبْقى البَعْضَ . وأقامَ حتى بَنى الحدثَ ، ووضَعَ بِيَدِهِ آخِرَ شُرّافةٍ منها في يوم الثلاثاء لِثلاثَ عَشْرةَ خَلَتْ من رَجَب ؛ فقال أبو الطيب في التاريخ ، من الطويل الثاني والقافية [مُتدارِكٌ] : [من الطويل]

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتي الْعَزائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ المَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغيرِ صِغارُهَا ... وتَصْغُرُ في عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظائمُ

يُكلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجزَتْ عنهُ الجُيُوشُ الخضَارِمُ

ويَطْلُبُ عندَ النَّاسِ ما عِندَ نَفْسهِ ... وذلِـكَ ما لا تَدَّعيهِ الضَّراغِمُ

يُفَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلاحَهُ ... نُسُورُ الْمَلا(١) أَحْداثُها والْقَشاعِمُ

وَمَا ضرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخالبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيافُهُ وَالْقَوائِمُ

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمائِمُ؟

سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَماجِمُ

بَناهَا فَأَعْلَى وَالْقَنا تَقْرَعُ الْقَنا ... وَمَـوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاطِمُ

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمائِمُ

طَـرِيـدَةُ دَهْـرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِّيِّ وَالدَّهْرُ رَاغِمُ

تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَـوارِمُ

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ

وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ وَالرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعائِمُ؟

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلاَ عَاشَ ظَالِمُ

(١) [الفلا]

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كأَنَّهُمْ   سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ
إذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ   ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ
خَمِيسٌ بشَرْقِ الأرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ   وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ   فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إلاَّ التَّرَاجِمُ
فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ
تَقَطَّعَ مَا لاَ يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا   وَفَرَّ مِنَ الأبْطَالِ مَنْ لاَ يُصَادِمُ
وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى   إلَى قَوْلِ قَوْمٍ: أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً   تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ   وَصَارَ إلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ
حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتّى طَرَحْتَهَا   وَحَتّى كأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا   مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ   كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَا   وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا   بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلاَدِمُ
إذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا   كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الأَرَاقِمُ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ   قَفَاهُ عَلَى الإقْدَامِ لِلْوَجْهِ لاَئِمُ؟
أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتّى يَذُوقَهُ   وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمُ؟
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ   وَبِالصِّهْرِ حَمْلاَتُ الأمِيرِ الْغَوَاشِمُ

مَضى يَشْكُرُ الأَصْحابَ فِي فَوْتِهِ الظُّبَا ... بِما شَغَلَتْها هامُهُمْ وَالْمَعاصِمُ
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْواتَ السُّيُوفِ أَعاجِمُ
يُسَرُّ بِمَا أَعْطاكَ لاَ عَنْ جَهالَةٍ ... وَلكِنَّ مَغْنُوماً نَجا مِنْكَ غانِمُ
وَلَسْتَ مَلِيكاً هازِماً لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هازِمُ
تَشَرَّفُ عَدْنانٌ بِهِ لاَ رَبِيعَةٌ ... وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيا بِهِ لاَ الْعَواصِمُ
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي ناظِمُ
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطاياكَ فِي الْوَغَى ... فَلاَ أَنَا مَذْمُومٌ وَلاَ أَنْتَ نادِمُ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْها بِرِجْلِهِ ... إِذا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ الْغَماغِمُ
أَلا أَيُّها السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ[1] مُغْمَداً ... وَلاَ فِيهِ[2] مُرْتابٌ وَلاَ مِنْهُ عاصِمُ
هَنِيئاً لِضَرْبِ الْهامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى ... وَراجِيكَ وَالإِسْلاَمِ أَنَّكَ سالِمُ
وَلِمْ لاَ يَقِي الرَّحْمنُ حَدَّيْكَ ما وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هامَ الْعِدا بِكَ دائِمُ؟

ودخلَ إليه وُجُوهُ أَهْلِ الثَّغْرِ، مَعهُمْ رَسُولُ مَلِكِ الرُّوم يَسْأَلُه الفِدَاءَ والهُدْنَةَ، وذلك في يوم الأحد لثلاث عَشْرَةَ ليلةً بَقِيَتْ من المحرَّم سنة أربع وأربعينَ وثلاثمئة؛ فأَنْشَدَ هذه القصيدة، وهي من [ثالثِ] الطَّويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

أَراعَ كَذا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمامُ ... وَسَحَّ لَهُ رُسْلَ الْمُلُوكِ غَمامُ
وَدانَتْ لَهُ الدُّنْيا فَأَصْبَحَ جالِساً، ... وَأَيّامُها فِيما يُرِيدُ قِيامُ؟
إِذا زارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غازِياً ... كَفاها لِمامٌ لَوْ كَفاهُ لِمامُ
فَتًى تَتْبَعُ الأَزْمانُ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ ... لِكُلِّ زَمانٍ فِي يَدَيْهِ زِمامُ

(١) [لَسْتَ]
(٢) [فيكَ] [مِنْكَ]

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسْلُ أَمْناً وَغِبْطَةً، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ لَيْسَ تَنَامُ
حِذَاراً لِمُعْرَوْرِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً إِلَى الطَّعْنِ قُبْلاً مَا لَهُنَّ لِجَامُ
تُعَطَّفُ فِيهِ وَالأَعِنَّةُ شَعْرُهَا، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلاَمُ
وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامُ وَلاَ الْقَنَا إذا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ
إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسْلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ كَأَنَّهُمُ فِيمَا وَهَبْتَ مَلاَمُ؟
وَإِنْ كُنْتَ لاَ تُعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً فَعَوْذُ الأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ
وَإِنَّ نُفُوساً أَمَّمَتْكَ مَنِيعَةٌ وَإِنَّ دِمَاءً أَمَّلَتْكَ حَرَامُ
إذا خَافَ مَلْكٌ مِنْ مَلِيكٍ أَجَرْتَهُ وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجِوَارَ تُسَامُ
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ وَحَوْلَكَ بِالْكُتْبِ اللِّطَافِ زِحَامُ
تَغُرُّ حَلاَوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ
وَشَرُّ الْحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ
فَلَوْ كَانَ صُلْحاً لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ
وَمَنٌّ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمِ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لاَ يَكَادُ يُرَامُ
كَتَائِبُ جَاؤُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا
وَعَزَّتْ قَدِيماً فِي ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا
عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلاَةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلاَمُ
وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إِمَامَهُمْ، وَأَنْتَ لأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامُ
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ، وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامُ

حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلاثَةٌ: ... جَـوَادٌ وَرُمْـحٌ ذَابِـلٌ وَحُسَامُ

أَذا الْحَرْبِ قَدْ أَتْعَبْتَهَا فَالْهَ سَاعَةً ... لِيُغْمَدَ نَصلٌ أَوْ يُحَلَّ حِـزَامُ

وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهُدْنَةٍ، ... فإنَّ الَّـذِي يَعْمَرْنَ عِنْدَكَ عَامُ

وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهْيَ كَثِيرَةٌ، ... وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ

مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ، ... وَفِيهَا رِقَـابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَـامُ

وَرَبَّوْا لَكَ الأَوْلادَ حَتَّى تُصِيبَهَا، ... وَقَـدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَـبَّ غُلامُ

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا ... إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا

فَلَيْسَ لِشَمْسٍ مُذْ أَنَرْتَ إِنَارَةٌ، ... وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَامُ

وقال وقَدْ وَدَّعَهُ يُرِيدُ المَسِيرَ إلى إِقْطَاعِهِ بِمَعَرَّةِ النُّعْمان،
من ثاني الطويل والقافيةُ مُتدارِكٌ: [من الطويل]

أَيَـا رَامِياً يُصْمِي فُـؤَادَ مَرَامِهِ ... تُرَبِّي عِـدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ، فِي ثِيَابِهِ ... عَلَى طِرْفِهِ، مِنْ دَارِه، بِحُسَامِهِ

وَمَا مَطَرَتْنِيهِ مِنَ الْبِيضِ وَالْقَنَا ... وَرُومِ الْعِبِدَّى هَاطِلاتُ غَمَامِهِ

فَتًى يَهَبُ الإِقْلِيمَ بِالمَالِ وَالْقُرَى ... وَمَـنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ

وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتُهُ مِنْ نَوَالِهِ ... جَـزَاءً لِمَا خُوِّلْتُهُ مِـنْ كَلامِهِ

فَلا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ ... مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِثَامِهِ

وَلا زَالَ تَجْتَازُ الْبُدُورُ بِوَجْهِهِ ... تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ

وفَزِعَ الناسُ لخيلٍ لَقِيَتْ سَرِيَّةَ الأميرِ ببلدِ الرُّوم،
فَرَكِبَ ومعه أبو الطّيبِ، فوجَدَها سالمةً غانمةً. وأراهُ سَيْفَهُ

مَفْلولاً من الضَّرْب ، فتمثَّلَ بقَوْلِ النابغة : [من الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِـرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمـانِ يوم حَليمةٍ ... إلى اليوم، قد جُرِّبْنَ كُلَّ التجارِبِ

فأنْشَدَهُ أبو الطيب مُجِيباً له ارتجالاً ،
من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ : [من الوافر]

رَأَيْـتُـكَ تُوْسِعُ الشُّعَرَاءَ نَيْلاً ... حَدِيثَهُمُ الْمُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا
فَتُعْطِيْ مَنْ بَقَى مَـالاً جَسِيماً ... وَتُعْطِيْ مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيمَا
سَمِعْتُكَ مُنْشِداً بَيْتَيْ زِيَـادٍ ... نَشِيداً مِـثْـلَ مُـنْـشِدِهِ كَرِيمَا
فَمَا أَنْـكَـرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ ... غَبَطْتُ بِـذَاكَ أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا

وقالَ وقد اجتازَ برأسِ عَيْنٍ سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ [وثلاثمئة] ،
وقد أَوْقَعَ سيفُ الدولةِ بعَمْرِو بنِ حابس من بني أَسَدٍ ،
وبني ضَبَّةَ ورِيَاحٍ من بني تميم ؛ ولم يُنْشِدْها إيَّاهُ ،
فلمّا لَقِيَهُ بأَنْطاكِيَةَ دخلَتْ في جُمْلَةِ مَدائِحه .
وقيلَ : إنها من شِعْرِهِ في صِبَاه . من ثاني الكامل والقافيةُ متواتِرٌ : [من الكامل]

ذِكَـرُ الصِّبَا وَمَـرَاتِـعُ الآرَامِ ... جَلَبَتْ حِمَامِيَ قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي
دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي ... عَرَصَاتِهَا كَـتَـكَـاثُـرِ الـلُّـوَّامِ
فَكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ[1] بِهَا ... تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُـرْوَةَ بْنِ حِزَامِ
وَلَطَالَمَا أَفْنَيْتُ رِيقَ كِعَابِهَا ... فِيهَا وَأَفْنَتْ بِالْعِتَابِ كَلاَمِي
قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ مَجَانَةً ... وَتَـجُـرُّ ذَيْـلَـيْ شِـرَّةٍ وَعُـرَامِ

(١) [وَقَفَتْ]

لَيسَ القِبَابُ عَلى الرِّكَابِ وَإِنَّمَا … هُـنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلامِ
لَيتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْحَصَى … لِخِفَافِهِنَّ مَفَاصِلِيْ وَعِظَامِي
مُتَلاحِظَيْنِ نَسُحُّ مَاءَ شُؤُونِنَا … حَـذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ فِي الأَكْمَامِ
أَرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا … مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الأَقْدَامِ
لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنَ كُنَّ كَصَبْرِنَا … عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامِ
لَمْ يَتْرُكُوا لِيَ صَاحِباً إِلاَّ الأَسَى … وَذَمِيلَ دِعْبِلَةٍ[1] كَفَحْلِ نَعَامِ
وَتَعَذُّرُ الأَحْـرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا … ـ إِلاَّ إِلَيْكَ ـ عَلَيَّ فَرْجَ حَرَامِ
أَنْـتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَـانٍ أَهْلُهُ … وُلِـدَتْ مَكَارِمُهُمْ لِغَيْرِ تَمَامِ
أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ النَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ … عَلَماً عَلَى الإِفْضَالِ وَالإِنْعَامِ
صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ … لَكَـأَنَّـهُ وَعَـدَدْتَ سِنَّ غُـلامِ
وَرَفَلْتَ فِي حُلَلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا … عَـدَمُ الثَّنَاءِ نِهَايَةُ الإِعْـدَامِ
عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى، … مَا يَصْنَعُ الصَّمْصَامُ بِالصَّمْصَامِ؟
إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ … فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الإِسْـلامِ
مَـلِـكٌ زَهَـتْ بِمَكَانِهِ أَيَّـامُـهُ … حَتّى افْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الأَيَّـامِ
وَتَخَالُهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلامَهُمْ … مِـنْ حِلْمِهِ فَهُمُ بِـلا أَحْـلامِ
وَإِذَا امْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ … عَنْ أَوْحَـدِيِّ النَّقْضِ وَالإِبْـرَامِ
وَإِذَا سَـأَلْـتَ بَنَانَهُ عَـنْ نَيْلِهِ … لَمْ يَـرْضَ بِالدُّنْيَا قَضَاءَ ذِمَـامِ
مَهْلاً، أَلاَ لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا … فِي عَمْرِو حَابٍ وَضَبَّةَ الأَغْتَامِ!
لَمَّا تَحَكَّمَتِ الأَسِـنَّـةُ فِيهِمِ … جَارَتْ، وَهُنَّ يَجُرْنَ فِي الأَحْكَامِ

(١) [ذِعْلِبَةٍ]

فتَرَكْتَهُمْ خَلَلَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الأَجْسَامِ
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءِ قَتَامِ
وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فُلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الأَيْتَامِ
عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجِمَةٌ عَنِ الإِحْجَامِ
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَالَكَ رَامَ غَيْرَ مَرَامِ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدِّعٍ وَسَقَى ثَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامِ
وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقِكَ الْقَمْقَامِ
فَلَقَدْ رَمَى بَلَدَ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أَرْعَنَ كَالْغِطَمِّ لُهَامِ
قَوْمٌ تَفَرَّسَتِ الْمَنَايَا فِيكُمُ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ
تَاللَّهِ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ لَوْلَاكُمُ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ

وتُحُدِّثَ بحضْرةِ سيفِ الدولة أَنَّ البطريقَ أَقْسَمَ عند مَلِكِه أنه يُعارِضُ الأميرَ في الدَّرْبِ ولا يَهْرُبُ منه، وسأَلَهُ إمْدادَهُ بالجُيوشِ؛ ففعلَ، فخيَّبَ اللّهُ ظَنَّهُ وهَزَمَهُ. فقالَ أبو الطيب سنةَ خَمْسٍ وأربعينَ وثلاثمئة، وهي آخِرُ قصيدةٍ قالَها بحضرةِ سيفِ الدولةِ - قال أبو الفتح: قُلْتُ لأبي الطيب: ليسَ في جميعِ شِعْرِكَ أعْلَى كلاماً من هذه القصِيدة، فاعترَفَ بذلك وقال: كانت وَداعاً - من الأول من البسيط والقافيةُ مُتراكِبٌ: [من البسيط]

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ؟
وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِيعَادِ مُتَّهَمُ

آلَى الْفَتَى ابْنُ شُمُشْقِيقٍ فَأَحْنَثَهُ ... فَتًى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ
وَفَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلِفٍ ... عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ
كُلُّ السُّيُوفِ إذا طَالَ الضِّرَابُ بِهَا ... يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأَمُ
لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتّى لا تَحَمَّلُهُ ... تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْـدَائِـهِ الهِمَمُ
أَيْنَ الْبَطَارِيقُ وَالْحَلْفُ الّذِي حَلَفُوا ... بِمَفْرِقِ المَلْكِ وَالزَّعْمُ الَّذي زَعَمُوا؟
وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْـذَابَ قَوْلِهِم ... فَهُنَّ أَلْسِنَةٌ أَفْوَاهُهَا الْقِمَمُ
نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ في جَمَاجِمِهِمْ ... عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا
الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً ... مِنْ كُلِّ مِثْلِ وَبَـارٍ أَهْلُها إرَمُ
كَتَلِّ بِطْرِيقٍ المَغْرُورِ سَاكِنُهَا ... بِـأَنَّ دارَكَ قِنَّسْرُونَ وَالأَجَـمُ
وَظَنِّهِمْ أَنَّكَ المِصْبَاحُ في حَلَبٍ ... إذا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ
وَالشَّمْسَ يَعْنُونَ إلاّ أَنَّهُمْ جَهِلُوا ... وَالمَوْتَ يَدْعُونَ إلا أَنَّهُمْ وَهِمُوا
فَلَمْ تُتِمَّ سَـرُوجٌ فَتْحَ نَاظِرِهَا ... إلاَّ وَجَيْشُكَ في جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ
وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرَّاناً وَبَقْعَتَهَا ... وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَاناً وَتَلْتَثِمُ
سُحْبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً ... وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَـوْلاَ أَنّهَا نِقَمُ
جَيْشٌ كَأَنّكَ في أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ ... فَالأَرْضُ لاَ أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لا أَمَمُ
إذا مَضَى عَلَمٌ مِنْهَا بَـدَا عَلَمٌ ... وَإنْ مَضَى عَلَمٌ مِنْهُ بَـدَا عَلَمُ
وَشُزَّبٌ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكَائِمَهَا ... وَوَسَّمَتْهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ
حَتّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيْرَتَهَا ... تَنِشُّ بِالمَاءِ في أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ
وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى هِنْزِيطَ جَائِلَةً ... تَرْعَى الظُّبَا في خَصِيبٍ نَبْتُهُ اللِّمَمُ

فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْداً لَهُ بَصَرٌ ... تَحتَ التُّرَابِ وَلا بَازاً لَهُ قَدَمُ

وَلاَ هِـزَبْـراً لَهُ مِـنْ دِرْعِـهِ لِبَدٌ ... وَلاَ مَهَاةً لَهَا مِنْ شِبْهِهَا حَشَمُ

تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ ... مَكَامِنُ الأَرْضِ وَالْغِيطَانُ والأَكَمُ

وَجَاوَزُوا أَرْسَنَاساً مُعْصِمِينَ بِهِ ... وَكَيْفَ يَعْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ؟

وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ ... وَمَا يَـرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ

ضَرَبْتَهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً ... قَوْماً إذا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا

تَجَفَّلُ المَوْجُ عَنْ لَبَّاتِ خَيْلِهِمُ ... كَمَا تَجَفَّلُ تَحتَ الْغَارَةِ النَّعَمُ

عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ ... سُكَّانُهُ رِمَـمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمُ

وَفِي أَكُفِّهِمُ النَّارُ التي عُبِدَتْ ... قَبْلَ المَجُوسِ إلى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرِمُ

هِنْدِيَّةٌ إنْ تُصَغِّرْ مَعْشَراً صَغُرُوا ... بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَراً عَظُمُوا

قَاسَمْتَهَا تَلَّ بِطْرِيقٍ فَكَانَ لَهَا ... أَبْطَالُهَا وَلَكَ الأَطْفَالُ وَالْحُرَمُ

تَلْقَى بِهِمْ زَبَـدَ التَّيَّارِ مُقْرَبَةٌ ... عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْحِهِ رَثَمُ

دُهْـمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّـابُ أَبْطُنِهَا ... مَـكْـدُودَةٌ وَبِـقَـوْمٍ لا بِهَا الأَلَمُ

مِنَ الْجِيَادِ التي كِدْتَ الْعَدُوَّ بِهَا ... وَمَـا لَهَا خِلَقٌ مِنْهَا وَلا شِيَمُ

نِتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ... كَلَفْظِ حَرْفٍ وَعَـاهُ سَامِعٌ فَهِمُ

وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ ... أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمُوا

صَدَمْتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ ... وَسَمْهَرِيَّتُهُ فِي وَجْـهِـهِ غَمَمُ

فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ

وَالأَعْوَجِيَّةُ مِلْءَ الطُّرْقِ خَلْفَهُمُ ... وَالْمَشْرَفِيَّةُ مِلْءَ الْيَوْمِ فَوْقَهُمُ

إذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلَلٌ فِي الْجَوِّ تَصْطَدِمُ
وَأَسْلَمَ ابْـنُ شُمُشْقِيقٍ أَلِيَّتَهُ، أَلاَّ انْثَنَى، فَهْوَ يَنْأَى وَهْيَ تَبْتَسِمُ
لاَ يَأْمُلُ النَّفَسَ الأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الأَدْنَى وَيَغْتَنِمُ
تَـرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةٌ صَوْبُ الأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيَمُ
تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِيْ لَيْسَ تَنْفُذُهَا كَـأَنَّ كُـلَّ سِنَـانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ
فَلاَ سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخْصَهُ الرَّخَمُ
أَلْهَى الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ شُرْبُ الْمُدَامَةِ وَالأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ
مُقَلَّداً فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطَبٍ لاَ تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِمَاءُ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتَ بِلاَ ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمُ مَـوْتٌ وَلاَ هَرَمُ
نَفَتْ رُقَـادَ عَلِيٍّ عَنْ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ[1] نَفْساً غَيْرَهَا الْحُلُمُ
الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ قِيَامَهُ وَهُـدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
ابْنُ الْمُعَفِّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا بِسَيْفِهِ وَلَـهُ كُـوفَـانُ وَالْـحَرَمُ
لاَ تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَداً خُتِمُوا
وَلاَ تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

وقال في صِباه يذكُرُ إنساناً، وأَرادَ أن يستكْشِفَهُ عن مَذْهَبه، من أول الكامل والقافية متدارِكٌ: [من الكامل]

كُفِّيْ أَرَانِـيَ وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَمَا هَـمٌّ أَقَـامَ عَلَى فُـؤَادٍ أَنْجَمَا
وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْماً فَيُنْحِلَهُ السَّقَامُ وَلاَ دَمَا

(١) [يُفَرِّحُ]

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ ... يَا جَنَّتِي لَظَنَنْتِ فيهِ جَهَنَّمَا
وَإِذَا سَحَابَةُ صَدِّ حِبٍّ أَبْرَقَتْ ... تَرَكَتْ حَلاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عَلْقَمَا
يَا وَجْهَ دَاهِيَةَ الَّذي لَوْلاكَ مَا ... أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِيْ وَرَضَّ الأَعْظُمَا
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوُّ فَإِنَّنِي ... أَصْبَحْتُ مِنْ كَبِدِيْ وَمِنْهَا مُعْدِمَا
غُصْنٌ عَلَى نَقَوَيْ فَلاَةٍ نَابِتٌ، ... شَمْسُ النَّهارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا
لَمْ تُجْمَعِ الأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهٍ ... إلا لِتَجْعَلَنِيْ لِغُرْمِيَ مَغْنَمَا
كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي ... بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا
يُعْطِيكَ مُبْتَدِراً فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ ... أَعْطَاكَ مُعْتَذِراً كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا
وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعاً ... وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمَا
نَصَرَ الْفَعَالَ عَلَى المِطَالِ كَأَنَّمَا ... خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمَا
يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُصَفَّى جَوْهَراً ... مِنْ ذَاتِ ذِي المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا
نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لاهُوتِيَّةً، ... فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا
وَيَهُمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً ... مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّيَ نَائِمٌ، ... مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالإِلهِ فَأَحْلُمَا؟
كَبُرَ الْعِيَانُ عَلَيَّ حَتّى إِنَّهُ ... صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوَهُّمَا
يَا مَنْ لِجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ ... نِقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعُمَا
حَتّى يَقُولَ النَّاسُ مَا ذَا عَاقِلاً ... وَيَقُولَ بَيْتُ المَالِ مَا ذَا مُسْلِمَا
إِذْكَارُ مِثْلِكَ تَرْكُ إِذْكَارِيْ لَهُ ... إِذْ لا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمَا

وقالَ في صِباهُ، من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

إِلَى أيِّ حِينٍ أنْتَ في زِيِّ مُحْرِمٍ؟ … وَحَتّى مَتَى في شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمِ؟
وَإِلاَّ تَمُتْ تَحتَ السُّيُوفِ مُكَرَّماً … تَمُتْ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ
فَثِبْ وَاثِقاً باللَّهِ وِثْبَةَ مَاجِدٍ … يَرَى المَوْتَ في الهَيْجَى جَنَى النَّحلِ في الفَمِ

وقال أيضاً في صِباه، من البسيط الأول والقافية متراكبٌ: [من البسيط]

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ … وَالسَّيْفُ أحْسَنُ فِعلاً مِنْهُ بِاللِّمَمِ
اِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لا بَيَاضَ لَهُ … لأَنْتَ أَسْوَدُ في عَيْنِيْ مِنَ الظُّلَمِ
بِحُبِّ قَاتِلَتِيْ وَالشَّيْبِ تَغْذِيَتِي … هَوَايَ طِفلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الْحُلُمِ
فَمَا أَمُـرُّ بِـرَسْـمٍ لا أُسَائِلُهُ، … وَلا بِـذَاتِ خِمَارٍ لا تُرِيقُ دَمِي
تَنَفَّسَتْ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ … يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ
قَبَّلْتُها وَدُمُوعِيْ مَـزْجُ أدْمُعِهَا … وَقَبَّلَتْنِي عَلَى خَـوْفٍ فَمًا لِفَمِ
فَذُقْتُ مَـاءَ حَيَاةٍ مِـنْ مُقَبَّلِهَا … لَوْ صَابَ تُرْباً لأَحْيَا سَالِفَ الأُمَمِ
تَرْنُو إِلَيَّ بِعَيْنِ الظَّبْيِ مُجْهِشَةً … وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الوَرْدِ بِالْعَنَمِ
رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِينا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ … بِالنَّاسِ كُلِّهِمِ أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ
أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ … وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمِ
إِذاً لَبَزَّكِ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْغَرُهُ … وَصِرْتِ مِثْلِيَ في ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمِ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالآمَالِ مِنْ أَرَبِي … وَلاَ الْقَنَاعَةُ بِالإِقْلالِ مِنْ شِيَمِي
وَلاَ أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرُكُنِي … حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي
لُمِ اللَّيَالِيْ الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي … بِرِقَّةِ الْحَالِ وَاعْذِرْنِيْ وَلاَ تَلُمِ
أَرَى أُنَاساً وَمَحْصُولِيْ عَلَى غَنَمٍ … وَذِكْرَ جُودٍ وَمَحْصُولِيْ عَلَى الْكَلِمِ

وَرُبَّ مَـالٍ فَقيراً مِـنْ مُرُوَّتِهِ ... لَمْ يُثْرِ مِنْهَا كمَا أَثْرَى مِنَ الْعَدَمِ
سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّيْ مِثْلَ مَضْرِبِهِ ... وَيَنْجَلِي خَبَرِيْ عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حتّى لاَتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآنَ أُقْحِمُ حتّى لاَتَ مُقْتَحَمِ
لأَتْرُكَنَّ وُجُـوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً ... وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ
والطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا ... حَتّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ
قَدْ كَلَّمَتْهَا الْعَوَالِيْ فَهْيَ كَالِحَةٌ ... كَأَنَّمَا الصّابُ مَعْصُوبٌ[1] عَلَى اللُّجُمِ
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي ... حتى أَدَلْتُ لَهُ من دَوْلَةِ الْخَدَمِ
شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً ... وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجّاجِ في الحَرَمِ
وَكُلَّمَا نُطِحَتْ تَحْتَ الْعَجَاجِ بِهِ ... أُسْدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَـمْ يَرِمِ
تُنْسِي الْبِلاَدَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي ... وَتكْتَفي بالدَّمِ الْجَارِي عن الدِّيَمِ
رِدِيْ حِيَاضَ[2] الرَّدَى يَانَفْسُ وَاتّرِكي ... حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشّاءِ وَالنَّعَمِ
إنْ لَمْ أُذرْكِ عَلَى الأَرْمَاحِ سَائِلَةً ... فَلاَ دُعِيتُ ابْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
أَيَمْلِكُ الْمُلْكَ وَالأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ ... وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ؟
مَنْ لَوْ رَآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ ... وَلَوْ مَثَلْتُ[3] لَهُ في النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَداً ... وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِيْ بها لَهُمُ ... وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَها بِهِمِ

وقالَ لِمُعَاذٍ وهو يَعْذُلُه على ادِّعائِه النُّبُوَّةَ ـ ولَهُما حديثٌ ـ
من الوافر الأَول والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

أَبَـا عَـبْـدِ الإلـهِ مُـعَـاذُ إنِّـي ... خَفِيٌّ عَنْكَ في الهَيْجَى مَقَامِي

(١) [مَعْصُورٌ، مَذْرُورٌ]
(٢) [خِيَاضَ]
(٣) [عَرَضْتُ]

ذَكَـرْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِيْ وَأَنَّـا ... نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ
أَمِثْلِيَ تَـأْخُـذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ ... وَيَجْزَعُ مِنْ مُلاَقَاةِ الْحِمَامِ؟
وَلَـوْ بَـرَزَ الزَّمَانُ إِلَـيَّ شَخْصاً ... لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي
وَمَـا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي ... وَلاَ سَـارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي
إِذَا امْتَلأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي ... فَـوَيْـلٌ فِـي التَّيَقُّظِ وَالْمَنَامِ

وقالَ ارتجالاً ـ وقال له بعضُ الكلابيّينَ: أَشْرَبُ هذه الكَأْسَ سُروراً بك،
فأجابه ـ من الطويل الأول والقافية متواتر: [من الطويل]

إِذَا مَا شَرِبْتَ الْخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً ... شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ
أَلاَ حَبَّذَا قَـوْمٌ نَدَامَاهُمُ الْقَنَا ... يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْعَزْمُ

وقالَ وقَدْ مَدَّ إليه إنسانٌ يَدَهُ بكأس وحَلَفَ بالطَّلاقِ لَيشْرَبَنَّها،
من [الثاني] من الكامل والقافيةُ متواترٌ: [من الكامل]

وَأَخٍ لَنَا بَعَثَ الـطَّلاَقَ أَلِيَّةً ... لأُعَـلَّـلَـنَّ بِـهَـذِهِ الْـخُـرْطُـومِ
فَجَعَلْتُ رَدِّي عِرْسَهُ كَفَّارَةً ... عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ

وقالَ يَمْدَحُ الحُسَيْنَ بنَ إسْحاقَ التَّنُوخِيَّ،
من أول الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

مَلاَمِيْ النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ ... لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِيْ مِنَ السُّقْمِ
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّيْ لِقَاءَكُمْ ... وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي
أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتِي ... بِغَيْرِ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِي؟
تَرَشَّفْتُ فَاهَا سُحْرَةً فَكَأَنَّنِي ... تَرَشَّفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّلْمِ

فَتاةٌ تَساوى عِقْدُها وَكَلامُها وَمَبْسِمُها الدُّرِّيُّ في الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ
وَنَكْهَتُها وَالْمَنْدَلِيُّ وَقَرْقَفٌ مُعَتَّقَةٌ صَهْباءُ في الرِّيحِ وَالطَّعْمِ
جَفَتْنِيْ كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِها وأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ في صُورَةِ الدُّهْمِ
يُحاذِرُنِيْ حَتْفِيْ كَأَنِّيَ حَتْفُهُ، وَتَنْكُزُنِيْ الأَفْعى فَيَقْتُلُها سُمِّي
طِوالُ الرُّدَيْنِيّاتِ يَقْصِفُها دَمِي وَبِيضُ السُّرَيْجِيّاتِ يَقْطَعُها لَحْمِي
بَرَتْنِيْ السُّرى بَرْيَ الْمُدى فَرَدَدْنَنِي أَخَفَّ(١) عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي
وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقاءِ جَوٍّ لأَنَّنِي إِذا نَظَرَتْ عَيْنايَ ساواهُما(٢) عِلْمِي
كَأَنِّيْ دَحَوْتُ الأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِيْ بِها كَأَنِّيْ بَنَى الإِسْكَنْدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي
لأَلْقَى ابْنَ إِسْحاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ فَأَبْدَعَ حَتّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ
وَأَسْمَعَ مِنْ أَلْفاظِهِ اللُّغَةَ التي يَلَذُّ بِها سَمْعِيْ وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتْمِي
يَمِينُ بَنِيْ قَحْطانَ، رَأْسُ قُضاعَةٍ وَعِرْنِينُها، بَدْرُ النُّجُومِ بَنِيْ فَهْمِ
إذا بَيَّتَ الأَعْداءَ كانَ اسْتِماعُهُمْ صَرِيرَ الْعَوالِيْ قَبْلَ قَعْقَعَةِ اللُّجْمِ
مُذِلُّ الأَعِزّاءِ الْمُعِزُّ وَإِنْ يَئِنْ بِهِ يُتْمُهُمْ فَالْمُوتِمُ الْجابِرُ الْيُتْمِ
وَإِنْ تُمْسِ داءً في الْقُلُوبِ قَناتُهُ فَمُمْسِكُها مِنْهُ الشِّفاءُ مِنَ الْعُدْمِ
مُقَلَّدُ طاغِيْ الشَّفْرَتَيْنِ مُحَكَّمٍ عَلَى الهامِ إلا أَنَّهُ جائِرُ الْحُكْمِ
تَحَرَّجَ عَنْ حَقْنِ الدِّماءِ كَأَنَّهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ
وَجَدْنا ابْنَ إِسْحاقَ الْحُسَيْنَ كَجَدِّهِ(٣) عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئاً مِنَ الإِثْمِ
مَعَ الْحَزْمِ حَتّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ لأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ
وَفي الْحَرْبِ حَتّى لَوْ أَرادَ تَأَخُّراً لأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ إِلى الْقُدْمِ

(١) [أَخَفَّ]
(٢) [شَأْوَاهُما] [شاءَهُما]
(٣) [كحدِّهِ]

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيي الْعِظَامَ وَغَضْبَةٌ … بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ
وَرِقَّـةُ وَجْـهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ … عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ
أَذَاقَ الْغَوَانِيْ حُسْنُهُ مَا أَذَقْنَنِي، … وَعَفَّ فجازَاهُنَّ عَنِّيْ عَلَى الصُّرْمِ
فِدًى مَنْ عَلَى الْغَبْرَاءِ، أَوَّلُهُمْ أَنَا، … لِهَذَا الأَبِيِّ المَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرْمِ
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ والأَمْنِ سَيْفُهُ … فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ؟
وَأَرْهَـبَ حَتّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَـهُ … جَرَتْ جَزَعاً مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلا فَحْمِ
وَجَادَ فَلَوْلاَ جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ … لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ
أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا بْنَ ابْنِ يُوسُفٍ … لِشَهْوَتِنَا، وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرُّغْمِ
وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِيْ فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا … لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ
دُعِيتُ بِتَقْرِيظِيْكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ، … وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِيَ عَلَيْكَ اسْمِي
وَأَطْمَعْتَنِيْ فِي نَيْلِ مَا لاَ أَنَالُهُ … بِمَا نِلْتُ حَتّى صِرْتُ أَطْمَعُ فِي النَّجْمِ
إِذا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي … فَكِلْ ذَهَباً لِيْ مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ
أَبَـتْ لَـكَ ذَمِّـيْ نَخْوَةٌ يَمَنِيَّةٌ، … وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَأْزِقٍ أَبَداً تَرْمِي
فَكَمْ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ … لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ
وَقَائِلَةٍ ـ والأَرْضَ أَعْنِي ـ تَعَجُّباً: … عَلَيَّ امْرُؤٌ يَمْشِي بِوَقْرِيْ مِنَ الْحِلْمِ
عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّمْ مَهَابَةً … تَوَاضَعْتَ وَهْوَ الْعُظْمُ عُظْماً عَنِ الْعُظْمِ

وقال يمدحُ عليَّ بنَ إبراهيمَ التَّنُوخيَّ، من أول المُنْسَرِح والقافيةُ متراكِبٌ: [من المنسرح]

أَحَـقُّ عَـافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ … أَحْـدَثُ شَيْءٍ عَهْداً بِهَا الْقِدَمُ
وَإِنَّـمَا النَّـاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَـا … تُفْلِحُ عُـرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ
لاَ أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلاَ حَسَبٌ … وَلاَ عُـهُـودٌ لَـهُـمْ وَلاَ ذِمَـمُ

بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئْتُهَا أُمَمُ ... تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمُ

يَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ يَلْمُسُهُ ... وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ

إِنِّيْ وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِيَّ فَمَا ... أُنْكِرُ أَنِّيْ عُقُوبَةٌ لَهُمُ

وَكَيْفَ لاَ يُحْسَدُ امْرُؤٌ عَلَمٌ ... لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ

يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ ... وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ

كَفَانِيَ الذَّمَّ أَنَّنِيْ رَجُلٌ ... أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكْتُهُ الْكَرَمُ

يَجْنِي الْغِنَى لِلِّئَامِ لَوْ عَقَلوا ... مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ

هُمُ لأَمْوَالِهِمْ وَلَسْنَ لَهُمْ ... وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجُرْحُ يَلتَئِمُ

مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَعَلِيْـ ... ـيٍ يَهَبُ الأَلْفَ وَهْوَ يَبْتَسِمُ

وَيَطْعَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ ... لَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَائِهَا أَلَمُ

وَيَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

والأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلاَهِبُ وَالْـ ... ـبِيضُ لَهُ وَالْعَبِيدُ وَالْحَشَمُ

وَالسَّطَوَاتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا ... تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَصِمُ

يُرْعِيكَ سَمْعاً فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدْ ... دَاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَنَا صَمَمُ

يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ ... فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخْلَقُ النَّسَمُ

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا ... إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ

مِنْ بَعْدِ مَا صِيغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ ... لِمَنْ أُحِبُّ الشُّنُوفُ وَالْخَدَمُ

مَا بَذَلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ ... وَلاَ تَهَدَّى لِمَا يَقُولُ فَمُ

بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الأَسَدِ الْـ ... ـأُسْدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الأَجَمُ

قَــوْمٌ بُـلـوغُ الْـغُـلاَمِ عِنْدَهُمُ   طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لاَ الْحُلُمُ
كأنّما يُـوْلَـدُ الـنَّـدَى مَعَهُمْ   لاَ صِـغَـرٌ عَـاذِرٌ وَلاَ هَـرَمُ
إذَا تَـوَلَّـوْا عَــدَاوَةً كشَفُوا   وَإِنْ تَـوَلَّـوْا صَنِيعةً كَتَمُوا
تَظُنُّ مِـنْ فَـقْـدِكَ اعْـتِـدَادَهُـمُ   أَنَّـهُـمُ أَنْـعَـمُـوا وَمَـا عَلِمُوا
إنْ بَرَقُوا فالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ   أَوْ نَطَقُوا فالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ
أَوْ حَلَفُوا بالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا   فَقَوْلُهُمْ: «خَابَ سَائِلِيْ» الْقَسَمُ
أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسْرَجَةٍ   فَـإِنَّ أَفْـخَـاذَهُـمْ لَـهَا حُـزُمُ
أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لاَقِحاً أَخَذُوا   مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِينَ مَا احتَكَمُوا
تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ   كَـأَنَّـهَـا فِـي نُـفُـوسِـهِـمْ شِيَمُ
لَـوْلاَكَ لَمْ أَتْـرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ   ـغَـوْرُ دَفِــيءٌ وَمَـاؤُهَـا شَبِمُ
وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةً   تَـهْـدِرُ فِيهَا وَمَـا بِـهَـا قَطَمُ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا   فُـرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ
كَـأَنَّـهَـا وَالـرِّيَـاحُ تَضْرِبُهَا   جَيْشَا وَغًـى: هَـازِمٌ وَمُنْهَزِمُ
كَـأَنَّـهَـا فِي نَـهَـارِهَـا قَـمَـرٌ   حَـفَّ بِـهِ مِـنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ
نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لاَ عِظَامَ لَهَا   لَـهَـا بَـنَـاتٌ وَمَـا لَـهَـا رَحِـمُ
يُـبْـقَـرُ عَـنْـهُـنَّ بَطْنُها أَبَـداً   وَمَـا تَشَكَّى وَلاَ يَسِيلُ دَمُ
تَغَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِبِها   وَجَـادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ
فَـهْـيَ كَـمَـاوِيَّـةٍ مُـطَـوَّقَـةٍ   جُـرِّدَ عَنْهَا غِـشَـاؤُهَـا الأَدَمُ
يَشِينُها جَرْيُـهَـا عَـلَـى بَلَدٍ   تَشِينُهُ الأَدْعِـيَـاءُ وَالْـقَـزَمُ

أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِعْ فَمَدْحُكُمُ ... في الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلامِ مُنْتَظِمُ
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ ... وَجَادَتِ الْمَطْرَةُ الَّتِي تَسِمُ
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ ... فَإِنَّهُ في الْكِرَامِ مُتَّهَمُ

وقال يَمْدَحُ أبا الحُسَيْنِ المُغيث بْنَ عليّ بن بِشْرٍ العِجْليَّ العِمّيَّ - من عِمّ - من أول الوافر والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ ... وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللِّئَامُ
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمُ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ ... وَلكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمُ مُلُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ
بِأَجْسَامٍ يَحَرُّ الْقَتْلُ فِيهَا ... وَمَا أَقْرَانُهَا إلاَّ الطَّعَامُ
وَخَيْلٍ مَا يَخِرُّ لَهَا طَعِينٌ ... كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسِهَا ثُمَامُ
خَلِيلُكَ أَنْتَ لاَ مَنْ قُلْتَ خِلِّي ... وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلاَمُ
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ ... تَجَنَّبَ عُنْقَ صَيْقَلِهِ الْحُسَامُ
وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ ... وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ
وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إلاّ ذُو مَحَلٍّ ... تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ
وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إلاّ مُسْتَحِقٌّ ... لِرُتْبَتِهِ أَسَامَهُمُ الْمُسَامُ
وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِيَ فَالْغَوَانِي ... ضِيَاءٌ فِي بَوَاطِنِهِ ظَلاَمُ
إِذَا كَانَ الشَّبَابُ السُّكْرَ وَالشَّيْـ ... ـبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ
وَمَا كُلٌّ بِمَعْذُورٍ بِبُخْلٍ ... وَلاَ كُلٌّ عَلَى بُخْلٍ يُلاَمُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِيْ وَمِثْلِي؛   لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمُ مُقَامُ
بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأيْتَ فِيهَا   فَلَيْسَ يَفُوتُهَا إِلاَّ الْكِرَامُ
فَهَلاَّ كَانَ نَقْصُ الأَهْلِ فِيهَا   وَكَانَ لأَهْلِهَا مِنها التَّمَامُ
بِها الْجَبَلاَنِ مِنْ صَخْرٍ وَفخْرٍ   أَنَافَا: ذَا المُغِيثُ وَذَا اللُّكَامُ
وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ   يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْغَمَامُ
سَقَى اللَّهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي   بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامُ
وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا   وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ
فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا   كَسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظَامُ
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهْيَ تُؤْذِي   وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذَّ لَهُ الْغَرَامُ
تَعَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى   وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامُ
يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفاً   فَمَا نَدْرِي(١) أَشَيْخٌ أَمْ غُلاَمُ
وَتَمْلِكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ   وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلاَ يُرَامُ
وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ   وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ
أَقَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ   هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الحَمَامُ
إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عِجْلٌ   كَمَا الأَنْوَاءُ حِينَ تُعَدُّ عَامُ
تَقِي جَبَهَاتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ   إِذَا بِشِفَارِهَا حَمِيَ اللِّطَامُ
وَلَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الْحَشْرِ تَجْدُو   لأَعْطَوْكَ الذي صَلَّوْا وَصَامُوا
فَإِنْ حَلُمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ   خِفَافٌ وَالرِّمَاحُ بِهَا عُرَامُ
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلاَتٍ   وَشَزْرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ التُّؤَامُ

(١) [يُدْرَى]

نُصَرِّعُهُمْ بأَعْيُنِنَا حَيَاءً ... وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِمُ السِّهَامُ
قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ المَعَالِي ... كمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ العِظَامُ
قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... وَجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ
لِمَنْ مَالٌ تُمَزِّقُهُ الْعَطَايَا ... وَيَشْرَكُ في رَغَائِبِهِ الأَنَامُ
وَلاَ نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى ... لأَنَّ بِصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ
تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ ... تُصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامُ
إِذَا مَا الْعَالِمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا: ... أَفِدْنَا أَيُّهَا الْحِبْرُ الإِمَامُ
إِذَا مَا الْمُعْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا: ... بِهذَا يُعْلَمُ الْجَيْشُ اللُّهَامُ
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الأَوْقَاتُ[1] حَتَّى ... كَأَنَّكَ في فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ خَلْقٌ ... عَلَيْكَ صَلاَةُ رَبِّكَ وَالسَّلاَمُ

وقال يَمْدَحُ عُمَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ الشَّرابيَّ، من الثاني من الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

نَرَى عِظَماً بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ ... وَنَتَّهِمُ الْوَاشِينَ وَالدَّمْعُ مِنْهُمُ
وَمَنْ لُبُّهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ، ... وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يَكْتُمُ؟
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا، وَالنَّوَى وَرَقِيبُنَا ... غَفُولاَنِ عنَّا، ظِلْتُ أَبْكِي وَتَبْسِمُ
فَلَمْ أَرَ بَدْراً ضَاحِكاً قَبْلَ وَجْهِهَا ... وَلَمْ تَرَ قَبْلِيْ مَيِّتاً يَتَكَلَّمُ
ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ... ضَعِيفُ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ
بِفَرْعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيِّرٌ ... وَوَجْهٍ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِياً ... وَلَكِنَّ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمْرَمُ
أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى ... وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ

(١) [الأَيَّامُ]

بَلَلْتُ بِهَا رُدْنَيَّ وَالْغَيْمُ مُسْعِدِي   وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمُ
وَلَوْلَمْ يَكُنْ مَا انْهَلَّ فِي الْخَدِّ مِنْ دَمِي   لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا يَسِيلُ فَأَسْقَمُ
بِنَفْسِيْ الْخَيَالُ الزَّائِرِيْ بَعْدَ هَجْعَةٍ   وَقَوْلَتُهُ لِيْ: بَعْدَنَا الْغُمْضَ تَطْعَمُ؟
سَلامٌ، فَلَوْلاَ الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ   لَقُلْتُ: أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسَلِّمُ
مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِيْ إِلَى بَذْلِ مَالِهِ   صُبُوًّا كَمَا يَصْبُو الْمُحِبُّ الْمُتَيَّمُ
وَأُقْسِمُ لَوْلاَ أَنَّ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ   لَهُ ضَيْغَماً قُلْنَا لَهُ: أَنْتَ ضَيْغَمُ
أَنَنْقُصُهُ مِنْ حَظِّهِ(١) وَهْوَ زَائِدٌ   وَنَبْخَسُهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمُ؟
يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لاَ الْكَفُّ لُجَّةٌ   وَلا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلاَ الرَّأْيُ مِخْذَمُ
وَلا جُرْحُهُ يُؤْسَى وَلا غَوْرُهُ يُرَى   وَلاَ حَدُّهُ يَنْبُو وَلاَ يَتَثَلَّمُ
وَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الّذِي هُوَ حَالِلٌ   وَلاَ يُحَلَّلُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرِمُ
وَلاَ يَرْمَحُ الأَذْيَالَ مِنْ جَبْرِيَّةٍ   وَلاَ يَخْدِمُ الدُّنْيَا وَإِيَّاهُ تَخْدِمُ
وَلاَ يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هِبَاتُهُ   وَلا تَسْلَمُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلَمُ
أَلَذُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ   وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقَّاهُ مُعْدِمُ
وَأَغْرَبُ مِنْ عَنْقَاءَ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ   وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ
وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الأَيَادِيْ أَيَادِياً   مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُثْجِمُ
سَنِيُّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ   مِنَ اللُّؤْمِ آلَى أَنَّهُ لاَ يُهَوِّمُ
وَلَوْ قَالَ: هَاتُوا دِرْهَماً لَمْ أَجِدْ بِهِ   عَلَى سَائِلٍ، أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دِرْهَمُ
وَلَوْ ضَرَّ مَرْءًا قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ   لأَثَّرَ فِيهِ بَأْسُهُ وَالتَّكَرُّمُ
يُرَوِّي بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ   يَتَامَى مِنَ الأَغْمَادِ تُنْضَى فَتُوتِمُ

(١) [حقِّه]

إلى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ ... مُذُ الْغَزْوُ سَارٍ مُسْرَجُ(١) الْخَيْلِ مُلْجَمُ(٢)

يَشُقُّ بِلادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أبْلَقٌ ... بأسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أدْهَمُ

إلى المَلِكِ الطَّاغِيْ فكَمْ مِنْ كَتيبَةٍ ... تُسَايِرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهْيَ تَعْلَمُ

وَمِنْ عَاتِقٍ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ ... أسِيلَةَ خَدٍّ عَنْ قَرِيبٍ سَتُلْطَمُ

صُفُوفاً لِلَيْثٍ في لُيُوثٍ حُصُونُهَا ... مُتُونُ المَذَاكِيْ وَالْوَشِيجُ المُقَوَّمُ

تَغِيبُ المَنَايَا عَنْهُمُ وَهْوَ غَائِبٌ ... وَتَقْدَمُ في سَاحَاتِهِمْ حِينَ يَقْدَمُ

أجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ عَانٍ تَفُكُّهُ ... عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالٌ(٣) تُقَسِّمُ؟

مُكَافِيْكَ مَنْ أوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ ... يَداً لا تُؤَدِّي شُكْرَهَا اليَدُ وَالفَمُ

عَلَى مَهَلٍ إنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ ... لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإنَّكَ تُرْحَمُ

مَحَلُّكَ مَقْصُودٌ وَشَانِيكَ مُفْحَمٌ ... وَمِثْلُكَ مَفْقُودٌ وَنَيْلُكَ خِضْرِمُ

وَزَارَكَ بِيْ دُونَ المُلُوكِ تَحَرُّجِي؛ ... إذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِيْ التَّيَمُّمُ

فَعِشْ، لَوْ فَدَى المَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ ... مِنَ المَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفي الأرْضِ مُسْلِمُ

وقالَ وقد اجتازَ ليلاً بالفراديسِ في بعضِ تَرْدادِهِ فَسمِعَ زئيرَ الأسَدِ، وكانَ راجعاً من [بَرِّيَّةِ] خُسافَ، [من الوزنِ والقافيةِ كالتي قبْلَها] : [من الطويل]

أجَارُكِ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ ... فَتَسْكُنَ نَفْسِيْ أمْ مُهَانٌ فَمُسْلَمُ؟

وَرَائِيْ وَقُدَّامِيْ عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ ... أُحَاذِرُ مِنْ لِصٍّ وَمِنْكِ وَمِنْهُمُ

فَهَلْ لَكِ في حِلْفِيْ عَلَى مَا أُرِيدُهُ ... فَإنِّي بِأَسْبَابِ المَعِيشَةِ أعْلَمُ؟

إذاً لأتَاكِ الْخَيْرُ(٤) مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَأَثْرَيْتِ مِمَّا تَغْنَمِينَ وَأغْنَمُ

وقالَ يَصِفُ سُقوطَ اللُّعْبَةِ التي أحْضَرَها بَدْرٌ

(١) [مُسْرِجُ]
(٢) [مُلْجِمُ]
(٣) [ومالاً]
(٤) [الرِّزْقُ]

ابنُ عمّارٍ مجْلِسَهُ، من أول المُنْسَرِحِ والقافيةُ مُتراكِبٌ: [من المنسرح]

مَـا نَقَلَتْ فِـي مَشِيئَةٍ قَدَمَا ... وَلاَ اشْتَكَتْ مِنْ دُوَارِهَـا أَلَمَا
لَمْ أَرَ شَخْصاً مِنْ قَبْلِ رُؤْيَتِهَا ... يَـفْـعَـلُ أَفْـعَـالَـهَـا وَمَـا عَـزَمَا
فَـلاَ تَلُمْهَا عَلَى تَوَاقُعِهَا؛ ... أَطْرَبَهَـا أَنْ رَأَتْـكَ مُبْتَسِمَا

وقال يَمْدحُ أبا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ المُرِّيَّ الخُراسانيَّ، من الأول من الخفيف والقافيةُ متواترٌ: [من الخفيف]

لاَ افْتِخَارٌ إلاَّ لِمَنْ لاَ يُضَامُ ... مُـدْرِكٍ أَوْ مُـحَـارِبٍ لاَ يَنَامُ
لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَّضَ المَرْءُ فِيهِ ... لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلاَمُ
وَاحْتِمَالُ الأَذَى وَرُؤْيَـةُ جَانِيـ ... ـهِ غِـذَاءٌ تَضْوَى بِهِ الأَجْسَامُ
ذَلَّ مَـنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ
كُـلُّ حِلْمٍ أَتَـى بِغَيْرِ اقْـتِـدَارٍ ... حُـجَّـةٌ لاَجِـئٌ إِلَـيْـهَـا اللِّئَامُ
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَـا لِـجُـرْحٍ بِـمَـيِّـتٍ إِيْـلاَمُ
ضَـاقَ ذَرْعـاً بِـأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ ... عاً زَمَانِيْ وَاسْتَكْرَمَتْنِيْ الْكِرَامُ
وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيْ قَدْرِ نَفْسِي ... وَاقِفاً تَحْتَ أَخْمَصَيَّ الأَنَامُ
أَقَـــراراً أَلَـــذُّ فَـــوْقَ شَــرَارٍ ... وَمَرَاماً أَبْغِي وَظُلْمِي يُـرَامُ؟
دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ ... وَالْـعِـرَاقَـانِ بِالْقَنَا وَالـشَّـآمُ
شَـرَقَ الْـجَـوِّ بِالْغُبَارِ إِذَا سَا ... رَ عَلِيُّ بْنُ أَحْـمَـدَ الْقَمْقَامُ
الأَدِيبُ الْمُهَذَّبُ الأَصْيَدُ الضَّرْ ... بُ الذَّكِيُّ الْجَعْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامُ
وَالَّـذِي رَيْـبُ دَهْـرِهِ مِنْ أُسَارَا ... هُ وَمِـنْ حَاسِدِيْ يَدَيْهِ الْغَمَامُ

يَتَدَاوَى مِنْ كَثْرَةِ المَالِ بالإقْـ ــلالِ جُـوداً، كَـأَنَّ مَـالاً سَقَامُ
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أعْـدَائِـهِ أَقْـ ـبَحُ مِـنْ ضَيْفِهِ رَأَتْـهُ السَّوَامُ
لَوْ حَمَى سَيِّداً مِنَ المَوْتِ حَام لَحمَاكَ الإجْـلاَلُ وَالإعْـظَـامُ
وَعَــوَارٍ لَـوَامِـعٌ دِينُهَا الحِلْـ ــلُ ولـكِـنَّ زِيَّـهَـا الإحْــرَامُ
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمٌ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسَ السَّلاَمُ
إنَّما مُـرَّةُ بْـنُ عَـوْفِ بْـنِ سَعْدٍ جَـمَـرَاتٌ لاَ تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ
لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ النَّارِ وَالإصْـ ـبَاحُ لَيْلٌ مِـنَ الـدُّخَـانِ تِمَامُ
هِـمَـمٌ بَـلَّـغَـتْـكُـمُ رُتَـبَـاتٍ قَصرَتْ[1] عَنْ بُلُوغِهَا الأَوْهَامُ
وَنُـفُـوسٌ إذَا انْـبَـرَتْ لِقِتَالٍ نَـفِـدَتْ قَـبْـلَ يَنْفَدُ الإقْـدَامُ
وَقُلُوبٌ مُوَطَّنَاتٌ عَلَى الرَّوْ عِ كَـأنَّ اقْتِحَامَهَا اسْتِسْلاَمُ
قَـائِـدُو كُـلِّ شَطْبَةٍ وَحِـصَـانٍ قَدْ بَرَاهَا الإسْـرَاجُ والإلْجَامُ
يَتَعَثَّرْنَ بِـالـرُّؤُوسِ كَمَا مَرْ رَ بِـتَـاءَاتِ نُـطْـقِـهِ التَّمْتَامُ
طَـالَ غِشْيانُكَ الْكَرَائِهَ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّـذِي أَقُولُ الْحُسَامُ
وَكَفَتْكَ الصَّفَائِحُ النّاسَ حَتَّى قَـدْ كَفَتْكَ الصَّفائِحَ الأَقْـلاَمُ
وَكَفَتْكَ التَّجَارِبُ الْفِكْرَ حَتَّى قَـدْ كَفَاكَ التَّجَارِبَ الإلْهَامُ
فَـارِسٌ يَشْتَرِي بِـرَازَكَ لِلْفَخْـ ـرِ بِقَتْـلٍ مُـعَـجَّـلٍ لاَ يُـلاَمُ
نَائِلٌ مِنكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْـ ـرُ عَـلَـيْـهِ لِـفَـقْـرِهِ إنْـعَـامُ
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الـرُّؤُوسُ وَلكِنْ فَضَلَتْهَا بِـقَـصْـدِكَ الأَقْـدَامُ
قَدْ لَعَمْرِيْ أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْـ ـدِ ازْدِحَـامٌ وَلِلْعَطَايَا ازْدِحَـامُ

(١) [قَصَّرَتْ]

خِفْتُ إنْ صِرْتُ في يَمِينكَ أَنْ تَأْ … خُـذَنـيْ في هِبَاتِكَ الأَقْـوَامُ
وَمِنَ الرُّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى القُرْ … بِ، عَلَى البُعْدِ يُعْرَفُ الإِلْمَامُ
وَمِـنَ الخَيْرِ بُـطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي … أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي المَسِيرِ الجَهَامُ
قُـلْ فَكَمْ مِـنْ جَـوَاهِـرٍ بِنِظَامٍ … وُدُّهَـا أَنَّـهَـا بِـفِـيكَ كَـلامُ
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنْـ … ـهَاهُمَا لَـمْ تَجُزْ بِـكَ الأَيَّـامُ
حَسْبُكَ اللَّهُ، مَا تَضِلُّ عَنِ الحَقْـ … ـقِ وَمَـا يَهْتَدِي إِلَـيْكَ أَثَـامُ
لِمَ لاَ تَحْذَرُ العَوَاقِبَ في غَيْـ … ـرِ الدَّنَايَا، أَمَا عَلَيْكَ حَـرَامُ؟
كَمْ حَبِيبٍ لاَ عُذْرَ فِي اللَّوْمِ فِيهِ … لَـكَ فِـيـهِ مِـنَ التُّـقَـى لُـوَّامُ
رَفَـعَـتْ قَـدْرَكَ الـنَّـزَاهَـةُ عَنْهُ … وَثَنَتْ قَلْبَكَ المَسَاعِيْ الجِسَامُ
إِنَّ بَعْضاً مِـنَ القَرِيضِ هُـذَاءٌ … لَيْسَ شَيْئاً وَبَعْضَهُ أَحْـكَـامُ
مِنْهُ مَا يَجْلُبُ البَرَاعَةَ وَالفَضْـ … ـلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلُبُ البِرْسَامُ

وقال أيضاً يَرْثي جدَّتَهُ لأُمِّه، وكانَ كِتابُها قَدْ وردَ عليهِ تَسْتَجْفِيهِ وتَشْكُو شَوْقَها إليه وطُولَ غَيْبَتِه عنها، فتوجَّهَ نحوَ العِراقِ ولمْ يُمْكِنْهُ دُخُولُ الكوفةِ على حالهِ تلْكَ؛ وكَتَبَ إليها من بَغْدادَ كِتاباً يُسَلِّيها، ويَسْأَلُها فيهِ المَسِيرَ إليه، فقَبَّلَتْ كِتابَهُ وحُمَّتْ لوقْتِها فرَحاً به، وغَلَبَ على قَلْبِها السُّرُورُ بهِ فقتَلَها. من الأول من الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

أَلاَ لاَ أُرِيْ الأَحْدَاثَ حَمْداً وَلاَ ذَمَّا … فَمَا بَطْشُهَا جَهْلاً وَلاَ كَفُّهَا حِلْمَا

إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى ... يَعُودُ كَمَا أُبْدِيْ[١] وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى

لَكِ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا

أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا ... وَذَاقَ كِلانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا

وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ ... مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا

عَرَفْتُ اللَّيَالِيَ قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِيْ لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا ... تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا

أَتَاهَا كِتَابِيْ بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُوراً بِي فَمُتُّ بِهَا غَمَّا

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِيْ السُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّيْ وَلَفْظِيْ كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا

وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا

رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِيْ وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّيْ قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَدْمَى

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلاَّ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا ... أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا[٢] قِسْمَا

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا ... وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَغَى وَالْقَنَا الصُّمَّا

وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ الْعُظْمَى

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ الْعِدَا ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الْحُمَّى

وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلَكِنَّ طَرْفاً لاَ أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى

فَوَا أَسَفَا أَلاَّ أُكِبَّ مُقَبِّلاً ... لِرَأْسِكِ وَالصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا

(١) [أَبْدَى]

(٢) [لَهَا]

أَلَّا أُلاَقِيْ رُوحكِ الطَّيِّبَ الَّذي كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا
وَلَوْ لَمْ تكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَباكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِيْ أُمَّا
لَئِنْ لَذَّ يَـوْمُ الشَّامِتِين بِيَوْمِهَا فَقَدْ وَلَدتْ منِّيْ لأَنْفِهِمُ(١) رَغْمَا
تَغرَّبَ لا مُسْتَعْظِماً غيْرَ نَفْسِهِ وَلاَ قَابِلاً إلاَّ لِخَالِقِهِ حُكْمَا
وَلاَ سَالِكاً إلاَّ فُـؤَادَ عَجاجَةٍ وَلاَ وَاجِـداً إلاَّ لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا
يَقُولُونَ لِيْ: «ما أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَمَاتَبْتَغِي»؟ مَاأَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى!
كَـأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيُتْمَا
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
وَلكِنَّنِيْ مُسْتَنْصِرٌ بِـذُبَـابِـهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَـوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإلاَّ فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطَلَ الْقَرْمَا
إِذَا فَلَّ(٢) عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا
وَإِنِّـي لَمِنْ قَـوْمٍ كَـأَنَّ نُفُوسَنَا بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاذْهَبِي وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا
فَلاَ عَبَرَتْ بِيْ سَاعَةٌ لاَ تُعِزُّنِي وَلاَ صَحِبَتْنِيْ مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

وحدَّثَ أبو عُمَرَ عَبْدُ العزيز بنُ الحَسَنِ السُّلَمِيُّ بحضرةِ أبي الطيب قال: حَدَّثني محمَّدُ بنُ القاسمِ المعروفُ بالصُّوفيّ قال: أَرْسَلَنِي أبو مُحمَّدٍ الحَسَنُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ طُغْجٍ إلى أبي الطيب، ومعي مَرْكُوبٌ لِيَرْكَبُهُ. فصعِدْتُ إليهِ إلى دارٍ يسكنُها، فَسلَّمْتُ عليهِ وعَرَّفْتُه رِسالةَ الأميرِ أبي محمَّدٍ، وأنَّهُ مُنْتَظِرٌ

(١) [لأنُفِهِمْ، لآنافِهِمْ]
(٢) [فَلَّ، خَوْفَ]

له ؛ فامتنع عَليَّ وقال : «أَعْلَمُ أنه يطلُبُ شِعْراً ، وما قُلْتُ شيئاً » ، فعرَّفْتُه أنَّا لا نفترق ، فقال : «اقْعُدْ إذَنْ» . ثُمَّ دخَلَ بَيْتاً من الحُجْرةِ وردَّ عليهِ البابَ ، ولَبثَ فيه مقْدارَ أنْ كتَبَ القصيدةَ ، ثُمَّ خرَجَ إليَّ وهي في يدِهِ رَطْبةٌ لم تَجِفَّ ؛ فَقُلْتُ له : أَنْشِدْنيها ، فامتنَعَ وقالَ : «الساعةَ تَسْمَعُها» . ثُمَّ رَكِبَ وسِرْنَا ، فدخَلَ على أبي مُحمَّدٍ وعَيْنُه مَمْدُودةٌ إلى البابِ - مُنْتَظِرٌ لوُرودنا - فسأَلَ عن سَبَبِ الإبطاءِ فأَخْبَرْتُه الخَبَرَ ، فسلَّمَ عليهِ ورفَعَ مَجْلِسَهُ ، فأنْشَدَهُ أبو الطيب - من الثاني من الطويل والقافيةُ مُتَدارِكٌ - : [من الطويل]

أَنَا لائِمي إنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَّوَائِمِ ... عَلِمْتُ بِمَا بِيْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
وَلكِنَّنِيْ مِمَّا شُدِهْتُ[1] مُتَيَّمٌ ... كَسَالٍ وَقَلْبِيْ بَائِحٌ مِثْلُ كَاتِمِ
وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا ... تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا في الْقَوَائِمِ
وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تُرَابَهَا ... فَلاَ زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ ... بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لا بِالتَّمائِمِ
حِسَانُ التَّثَنِّي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ ... إِذَا مِسْنَ في أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ ... كَأَنَّ التَّرَاقِيْ وُشِّحَتْ بِالْمَبَاسِمِ
فَما لِيْ وَلِلدُّنْيَا؟ طِلاَبِيْ نُجُومُهَا ... وَمَسْعَايَ مِنْهَا في شُدُوقِ الأَرَاقِمِ
مِنَ الْحِلْمِ أنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ ... إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرْقُ الْمَظَالِمِ
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ ... فَتُسْقَى إِذَا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ

(١) [ذُهِلْتُ]

وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعْرِفَتِيْ بِهَا   وَبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إذَا ظَفِرُوا بِهِ   وَلا فِي الرَّدَى الْجَارِيْ عَلَيْهِمْ بِآثِمِ
إذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ   وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ
وَإلاَّ فَخَانَتْنِيْ الْقَوَافِيْ وَعَاقَنِي   عَنِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ضُعْفُ الْعَزَائِمِ!!
عَنِ الْمُقْتَنِيْ بَذْلَ التِّلادِ تِلادَهُ   وَمُجْتَنِبِ الْبُخْلِ اجْتِنَابَ المَحَارِمِ
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عُفَاتِهِ   وَتَحْسُدُ كَفَّيْهِ ثِقَالُ الْغَمائِمِ
وَلاَ يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إلاَّ بِمُهْجَةٍ   مُعَظَّمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعظَائِمِ
وَذِي لَجَبٍ لا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ   بِنَاجٍ وَلاَ الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمِ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ   تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ
إذَا ضَوْءُهَا لاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً   تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ
وَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ   مِنَ اللَّمْعِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَاهِمِ
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ   ضِرَاباً يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الجَماجِمِ
وَطَعْنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ   عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ
حَمَتْهُ عَلَى الأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   سُيُوفُ بَنِيْ طُغْجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ
هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى   وَأَحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي المَكَارِمِ
وَهُمْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ   وَيَحْتَمِلُونَ الْغُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمِ
حَيِيُّونَ إلاَّ أَنَّهُمْ فِي نِزَالِهِمْ   أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ
وَلَوْلاَ احْتِقَارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ   وَلكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ
سَرَى النَّوْمُ عَنِّيْ فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي   صَنَائِعُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمِ
إلَى مُطْلَقِ الأَسْرَى وَمُخْتَرِمِ الْعِدَا   وَمُشْكِيْ ذَوِي الشَّكْوَى وَرَغْمِ المُرَاغِمِ

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ ... كَأَنَّهُمُ مَا جَفَّ مِنْ زَادِ قَادِمِ
وَكَادَ سُرُورِي لاَ يَفِي بِنَدَامَتِي ... عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِيَ المُتَقَادِمِ
وَفَارَقْتُ شَرَّ الأَرْضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً ... بِهَا عَلَوِيٌّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ
بَلاَ اللَّهُ حُسَّادَ الأَمِيرِ بِحِلْمِهِ ... وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ المَوْتِ رَاحَةً ... وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلاَصِمِ
كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ ... عَلَيْكَ وَلاَ قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تُقَاوِمِ

وقال وقد سألهُ أبو مُحمَّد الشُّرْبَ وامتنعَ عليه
فقال: «سَقانِيْ الخَمْرَ . . .» وقدْ تقدَّمَ؛ ثم أخذَ الكأْسَ وقال.
مِنْ أول الكامل والقافيةُ متداركٌ. : [من الكامل]

حُيِّيْتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدِي المُقْسِمَا ... أَمْسَى الأَنَامُ لَهُ مُجِلاًّ مُعْظِمَا
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الأَمِيرِ بِشُرْبِهَا ... وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الأَحْرَمَا

وحَدَّثَ أبو محمدٍ عن سَيْرِهِ بالليل لكَبْسِ باديةٍ
وأَنَّ المطرَ أصابهُم، فقال أبو الطيب ارتجالاً،
[من أول الخفيف والقافيةُ متواتِرٌ] : [من الخفيف]

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الإِقْدَامُ ... فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثُ وَالإِعْلاَمُ؟
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ ... يَمْنَعِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ

وقال وقد كُبِسَتْ أنطاكيةُ فقُتِلَتْ حِجْرُهُ ومُهْرٌ كان له،
من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ : [من الوافر]

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ ... فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ[(١)] ... كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ
سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي ... صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الْجُسُومِ

(١) [حقيرٍ]

قَـرَبْـنَ الـنَّـارَ ثُـمَّ نَـشَـأْنَ فِيهَا ... كَمَا نَشَأَ الْـعَذَارَى فِي النَّعِيمِ
وَفَـارَقْـنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ ... وَأَيْـدِيْـهَـا كَـثِـيـرَاتُ الْكُلُومِ
يَرَى الْجُبَنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ ... وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ
وَكُـلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي ... وَلاَ مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَـتُـهُ مِـنَ الْـفَـهْـمِ السَّقِيمِ
وَلَـكِـنْ تَـأْخُـذُ الآذَانُ مِنْهُ ... عَلَى قَـدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وقال يهجو إسْحاقَ بن إبْراهيمَ بن كَيْغَلَغ ،
[من أول الكامل والقافية متدارِكٌ] : [من الكامل]

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لاَ تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ
يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَغَى ... لأَخُـوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَـمُ
يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ
رَاعَتْكِ رَائِعَةُ[1] الْبَيَاضِ بِعَارِضِي ... وَلَوَ انَّهَا الأُولَى لَرَاعَ الأَسْحَمُ
لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ عَنِ الصِّبَا ... فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلاَ أَرَى ... يَقَقاً يُمِيتُ وَلاَ سَـوَاداً يَعْصِمُ
وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَى الَّذِي يُوْلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ
لاَ يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَـدُوٍّ دَمْعُهُ ... وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ
لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتَّى يُـرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللِّئَامِ بِطَبْعِهِ ... مَـنْ لاَ يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَـلْـؤُمُ
وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِـفَّـةٍ فَـلِـعِـلَّـةٍ لاَ يَظْلِمُ

(١) [رَاعِيَةُ]

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ ... مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الأَعْظَمُ
أَقِمِ المَسَالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سُكَيْنَةٍ ... إِنَّ المَنِيَّ بِحَلْقَتَيْهَا خِضْرِمُ
وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ ... وَاسْتُرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ[1] الرِّجَالِ فَإِنَّمَا ... تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقْدِمُ
وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ وَطَيْشُكَ نَفْخَةٌ ... وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعَوِي ... عَنْ غَيِّهِ[2] وَخِطَابُ مَنْ لاَ يَفْهَمُ
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ ... تَحْتَ الْعُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ
وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا ... مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرِمُ
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلِي[3] مُفَارَقَةَ الأَكُفِّ قَذَالُهُ ... حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ
وَتَرَاهُ أَصْغَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقاً ... وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُقْسِمُ
وَالذُّلُّ يُظْهِرُ فِي الذَّلِيلِ مَوَدَّةً ... وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الأَرْقَمُ
وَمِنَ الْعَدَاوَةِ ما يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
أَرْسَلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً؛ ... صَفْرَاءُ أَضْيَقُ مِنْكَ، مَاذَا أَزْعُمُ؟
أَتُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكَسُّباً ... يَا بْنَ الأُعَيِّرِ وَهْيَ فِيكَ تَكَرُّمُ؟
فَلَشَدَّمَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِداً ... وَلَشَدَّمَا قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأَنْجُمُ
وَأَرَغْتَ مَا لأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصاً ... إِنَّ الثَّنَاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيُنْعِمُ
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِبَابِهِ ... تَدْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتُنْهَمُ
وَلِمَنْ يُهِينُ الْمَالَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ ... وَلِمَنْ يَجُرُّ الْجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ
وَلِمَنْ إِذَا الْتَقَتِ الْكُمَاةُ بِمَأْزِقٍ ... فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِيُّ الْمُعْلَمُ

(١) [مُنَاوَأَةَ]
(٢) [جَهْلِهِ]
(٣) [يَقْلَى]

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَناةَ بِفَارِسٍ ... وَثَنَى فَقَوَّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ
وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ وَالْفُؤادُ مُشَيَّعٌ ... وَالرُّمْحُ أَسْمَرُ وَالْحُسَامُ مُصَمِّمُ
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةٌ ... وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الأَعَاجِمُ أَعْجَمُ

وقالَ وقدْ نزَلَ على عليّ بن عَسْكر لمّا سارَ عن طرابُلُس وهو يتقلَّدُ الحرْبَ بِبَعْلَبَكّ، فخَلَعَ عليهِ ولاطفَهُ، واحْتَبَسَهُ أيّاماً اغتناماً لمُشاهدَتِه، وأرادَ أبو الطيب المَسيرَ إلى أبي العَشائرِ بأَنْطاكية، فقال - مِنْ أول الوافرِ والقافيةُ متواترٌ - : [من الوافر]

رَوِيْنَا يَا بْنَ عَسْكَرٍ الْهُمَامَا ... وَلَمْ يَتْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا
وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا ... لِغَيْرِ قِلًى وَدَاعَكَ وَالسَّلامَا
وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي ... وَلَمْ نَذْمُمْ أَيَادِيكَ الْجِسَامَا
وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ ... بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا(١)

ودخَلَ يوماً على الأَسْوَد، فلمّا نَظَرَ إليه وإلى قِلَّتِه وخِسّةِ أَصْلِه، ونَقْصِ عقْلِه، ولُؤْمِ كَفِّه وقُبْحِ فِعْلِه، ثارَ الدّمُ في وَجْهِه حتى ظَهرَ ذلك فيه، وبادرَ فخرَج. وأحسَّ الأَسْوَدُ بذلك، فبَعثَ إليه بعضَ قُوّادِه - وهو يَرى أنّ أبا الطيب لا يَفْطَنُ - فسايَرَهُ وسأَلَهُ عن حالِه وقال: «يا أبا الطيب، ما لي أراكَ متغيّرَ اللون»؟ فقال: «أصاب فرسي جُرْحٌ خِفْتُه عليه، وما لَهُ خَلَفٌ إنْ تَلِف»، فعادَ إلى الأسْوَدِ فأخْبَرَهُ فحمَلَ إليهِ مُهْراً أدْهَمَ. فقالَ سنةَ سَبْعٍ وأربعينَ وثلاثمئة.

(١) [الغماما]

وأنْشَدَهُ يومَ الأحدِ لأربعَ عشْرةَ ليلةً خلتْ من شَهْرِ ربيعٍ الآخرِ من السَّنَة - من الثاني من الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

فِـرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ   وَأَمٌّ وَمَـنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ
وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِيْ بِمَنْزِلٍ   إِذَا لَـمْ أُبَـجَّـلْ عِـنْـدَهُ وَأُكَـرَّمِ
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَـزَالُ مُلِيحَةً   مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرِمِ
رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ   عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ   بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ
فَلَوْ كَانَ مَا بِيْ مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ   عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ
رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِيْ وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى   هَوًى كَاسِرٌ كَفِّيْ وَقَوْسِيْ وَأَسْهُمِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ   وَصَـدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
وَعَـادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ   وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ   وَأَعْـرِفُـهَـا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّيْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ   مَتَى أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِيْ جُودَ عَابِسٍ   جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ   نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلاَةَ وَخَالَطَتْ   بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ
وَلاَ عِفَّةٌ فِـي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ   وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ   وَلاَ كُـلُّ فَـعَّـالٍ لَـهُ بِمُتَمِّمِ
فِدًى لأَبِيْ الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا   سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ

أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ ... إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ
إِذَا مَنَعَتْ مِنكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ... فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ
يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ... ضَعِيفَ المَسَاعِيْ أَو قَلِيلَ التَّكَرُّمِ
وَمَنْ مِثْلُ كافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ ... وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا: اقْدُمِي
شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ ... إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثِّمِ
أَبَا المِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْراً عَلَى الْعِدَا ... وَآمُلُ عِزّاً يَخْضِبُ الْبِيضَ بِالدَّمِ
وَيَوْماً يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ
وَلَمْ أَرْجُ إِلاَّ أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ ... مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمِ
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا ... بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ
وَلاَ نَبَحَتْ خَيْلِيْ كِلاَبُ قَبَائِلٍ ... كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَمَلاَتِ دَيْلَمِ
وَلاَ اتَّبَعَتْ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ ... فَلَمْ تَرَ إِلاَّ حَافِراً فَوْقَ مَنْسِمِ
وَسِمْنَا بِهَا الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ ... مِنَ النِّيلِ وَاسْتَذْرَتْ بِظِلِّ المُقَطَّمِ
وَأَبْلَخَ[1] يَعْصِي بِاخْتِصَاصِيْ مُشِيرَهُ ... عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِيْ وَلُوَّمِي
فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ ... وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ
قَدِ اخْتَرْتُكَ الأَمْلاَكَ فَاخْتَرْ لَهُمْ بِنَا ... حَدِيثاً وَقَدْ حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمِ كَفُّ مُنْعِمِ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً ... وَأَكْبَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ[2] مُجْرِمِ؟
وَقَدْ وَصَلَ المُهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ ... مِنَ اسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ

(١) [وأَبْلَجَ]
(٢) [مَسَاءَةَ]

لَكَ الْحَيَوانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلُّهُ ... وَإِنْ كَانَ بالنِّيرانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِيْ قَسَمْتُهَا ... وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ

وَلكِنَّ مَا يَمْضِي مِنَ الْعُمْرِ فَائِتٌ ... فَجُدْ لِيْ بِحَظِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ

رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِيْ مَحَبَّةً ... وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ

وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤادُهُ ... فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ

ونالَتْ أبا الطيبِ حُمًّى بِمِصْرَ، كانَتْ تَغْشاهُ عند إتْيانِ الليلِ وتنصرفُ بإقْبالِ النهارِ بعَرَقٍ. فوصَفَها وعَرَّضَ بالرحيلِ وذَمَّ الأَسْوَدَ، فقالَ في المحرَّمِ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثمئة - وأُنْشِدَتْ فشُغِفَ الناسُ بها بِمِصْرَ، وساءَتِ الأَسْوَدَ - من أولِ الوافرِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ المَلامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلامِ

ذَرَانِيَ وَالْفَلاةَ بِلا دَلِيلٍ ... وَوَجْهِيَ وَالْهَجِيرَ بِلا لِثَامِ

فَإِنِّيَ أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذا ... وَأَتْعَبُ بِالإِنَاخَةِ وَالمُقَامِ

عُيُونُ رَوَاحِلِيْ إِنْ حِرْتُ عَيْنِي ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي

فَقَدْ أَرِدُ المِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ ... سِوَى عَدِّيْ لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ

يُذِمُّ لِمُهْجَتِيْ رَبِّيْ وَسَيْفِي ... إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ

وَلاَ أُمْسِي لأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفاً ... وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ(١) النَّعَامِ

فَلَمَّا(٢) صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ

وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ ... لِعِلْمِيَ أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ

(١) [مُحِّ]

(٢) [وَلَمَّا]

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ... وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ
وَآنَفُ مِنْ أَخِيْ لأَبِيْ وَأُمِّي ... إذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
أَرَى الأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً ... عَلَى الأَوْلاَدِ أَخْلاَقُ اللِّئَامِ
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ ... بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إلى المَعَالِي ... فَلاَ يَذَرُ المَطِيَّ بِلاَ سَنَامِ
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً ... كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائِي ... تَخُبُّ بِيَ الرِّكَابُ وَلاَ أَمَامِي
وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ
قَلِيلٌ عَائِدِيْ سَقِمٌ فُؤَادِي ... كَثِيرٌ حَاسِدِيْ صَعْبٌ مَرَامِي
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ... شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ
وَزَائِرَتِيْ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إلاَّ فِي الظَّلاَمِ
بَذَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفَسِيْ وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي ... كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي ... مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ ... إذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ
أَبِنْتَ الدَّهْرِ، عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ؟

جَـرَحْتِ مُجرَّحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ
مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلاَ السِّهَامِ

أَلاَ يَا لَيْتَ شِعْرَ يَـدِيْ أَتُمْسِي
تَـصَـرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَـامِ؟

وَهَـلْ أَرْمِـي هَـوَايَ بِرَاقِصَاتٍ
مُـحَـلاَّةِ الْـمَـقَـاوِدِ بِاللُّغَامِ؟

فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَـدْرِي
بِـسَـيْـرٍ أَوْ قَـنَـاةٍ أَوْ حُـسَـامِ

وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا
خَلاَصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ

وَفَـارَقْـتُ الْحَبِيبَ بِـلاَ وَدَاعٍ
وَوَدَّعْــتُ الْـبِـلاَدَ بِـلاَ سَلاَمِ

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ: أَكَلْتَ شَيْئاً
وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

وَمَـا فِي طِبِّـهِ أَنِّـيْ جَـوَادٌ
أَضَـرَّ بِجِسْمِهِ طُـوْلُ الْجِمَامِ

تَـعَـوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا
وَيَـدْخُـلَ مِـنْ قَـتَـامٍ فِي قَتَامِ

فَأُمْسِكَ لاَ يُطَالُ لَـهُ فَيَرْعَى
وَلاَ هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلاَ اللِّجَامِ

فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرَضَ اصْطِبَارِي
وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي

وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

تَـمَـتَّـعْ مِـنْ سُـهَـادٍ أَوْ رُقَـادٍ
وَلاَ تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ

فَـإِنَّ لِثَالِثِ الحَالَيْنِ مَعْنًى
سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالمَنَامِ

وقال يَهْجُو كافوراً، من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ: [من البسيط]

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ(١) الكَرَمُ؟
أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ؟

جَازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ
فَعُرِّفُوا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمُ

لاَ شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ
تَـقُـودُهُ أَمَـةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِـمُ

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمُ
وَسَادَةُ المُسْلِمِينَ الأَعْبُدُ القَزَمُ

(١) [مِثْلَكَ]

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحفُوا شَوَارِبَكُمْ ... يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهلِهَا الأُمَمُ؟
أَلاَ فَتًى يُـورِدُ الهِنْدِيَّ هَامَتَهُ ... كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ؟
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي القُلُوبَ بِهَا ... مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالقِدَمُ
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخزِيَ خَلِيقَتَهُ ... وَلاَ يُصَدِّقَ قَوْماً فِي الَّذِي زَعَمُوا

وقال فيهِ أيضاً، من الأول من الوافر والقافيةُ متواترٌ: [من الوافر]

أَمَـا فِي هَـذِهِ الـدُّنْيَا كَـرِيـمُ ... تَـزُولُ بِهِ عَنِ القَلْبِ الهُمُومُ؟
أَمَـا فِي هـذِهِ الـدُّنْيَا مَـكَـانٌ ... يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الـجَارُ المُقِيمُ؟
تَشَابَهتِ البَهَائِمُ وَالعِبِدَّى ... عَلَيْنَا وَالـمَـوَالِـيْ وَالصَّمِيمُ
وَمَـا أَدْرِي أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ ... أَصَـابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ؟
حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ ... كَـأَنَّ الـحُـرَّ بَـيْـنَـهُـمُ يَتِيمُ
كَـأَنَّ الأَسْـوَدَ الـلاَّبِـيَّ فِيهِمْ ... غُـرَابٌ حَـوْلَـهُ رَخَـمٌ وَبُـومُ
أُخِـذْتُ بِمَدْحِهِ فَـرَأَيْتُ لَهْواً ... مَقَالِيَ لِلأُحَيْمِقِ: يَا حَلِيمُ
وَلَمَّا أَنْ هَجَوتُ رَأَيْـتُ عِيًّا ... مَقَالِيَ لاِبْـنِ آوَى: يَـا لَئِيمُ
فَهَلْ مِنْ عَـاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا؟ ... فَمَدْفُوعٌ إِلَـى السَّقَمِ السَّقِيمُ
إِذَا أَتَـتِ الإِسَـاءَةُ مِنْ لَئِيمٍ(١) ... وَلَـمْ أَلُـمِ المُسِيءَ فَمَنْ أَلُـومُ؟

ودخَلَ صَديقٌ لأبي الطيب عليه بالكوفةِ وبِيَدِه تُفّاحةٌ
من نَدٍّ ممّا جاءَهُ في هَدايا فاتِك، عليها اسْمُه: فحيّاهُ بها،
فقال من ثالث المتقارِب والقافيةُ متدارِكٌ: [من المتقارب]

يُـذَكِّـرُنِـيْ فَـاتِـكـاً حِـلْـمُـهُ ... وَشَـيْءٌ مِـنَ الـنَّـدِّ فِيهِ اسْمُهُ
وَلَـسْـتُ بِـنَـاسٍ وَلَـكِـنَّـنِي ... يُـجَـدِّدُ لِـيْ رِيـحَـهُ شَـمُّـهُ

(١) [وَضِيعٍ]

وَأَيَّ فتًى سَلَبَتْنِي الْمَنُونُ ... وَلَمْ تَدْرِ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ
وَلاَ مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا ... وَلَوْ عَلِمَتْ هَالَهَا ضَمُّهُ
بِمِصْرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَا لَهُ ... وَلكِنَّهُمْ مَا لَهُمْ هَمُّهُ
فَأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ ... وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ ... وَأَنْفَعُ مِنْ وُجْدِهِمْ عُدْمُهُ
وَإِنَّ مَنِيَّتَهُ عِنْدَهُ ... لَكَالْخَمْرِ سُقِّيَهُ كَرْمُهُ
فَذَاكَ الَّذِي عَبَّهُ مَاؤُهُ ... وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَعْمُهُ
وَمَنْ ضَاقَتِ الأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ ... حَرًى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمُهُ

وقال بعدَ خُروجِه من بَغْدادَ ، يذكُرُ مِصْرَ ومَسِيرَهُ منها
ويرثي فاتِكاً بالكوفة ، سنةَ اثنتين وخمسين وثلاثمئة ،
من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ : [من البسيط]

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ في الظُّلَمِ ... وَمَا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلاَ قَدَمِ
وَلاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحَسُّ بِهَا ... فَقْدَ الرُّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَمِ
تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ... وَلاَ تُسَوِّدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللِّمَمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا في الْحُكْمِ وَاحِدَةً ... لَوِ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ
وَنَتْرُكُ الْمَاءَ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ ... مَا سَارَ في الْغَيْمِ مِنْهُ سَارَ في الأَدَمِ
لاَ أُبْغِضُ الْعِيسَ لكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا ... قَلْبِيْ مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِيْ مِنَ السَّقَمِ
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيْهَا بِأَرْجُلِهَا ... حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ
تَبْرِي لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً ... تُعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرْخَاةَ بِاللُّجُمِ

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَا الأَيْسَارِ بِالزَّلَمِ
تَبْدُو لَنَا كُلَّما أَلْقَوْا عَمائِمَهُمْ ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بِلاَ لُثُمِ
بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَّانُونَ مَنْ لَحِقُوا ... مِنَ الْفَوَارِسِ شَلاَّلُونَ لِلنَّعَمِ
قَدْ بَلَّغُوا بِقَنَاهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ ... وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْ طِيبِهِنَّ بِهِ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ
نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ ... فَعَلَّمُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبُهَمِ
تَخْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضاً مَشَافِرُهَا ... خُضْراً فَرَاسِنُهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَنَمِ
مَكْعُومَةً[1] بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا ... عَنْ مَنْبِتِ الْعُشْبِ نَبْغِي مَنْبِتَ الْكَرَمِ
وَأَيْنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنْبِتِهِ ... أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ؟
لاَ فَاتِكٌ آخَرٌ فِي مِصْرَ نَقْصِدُهُ ... وَلاَ لَهُ خَلَفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمِ
مَنْ لاَ تُشَابِهُهُ الأَحْيَاءُ فِي شِيَمٍ ... أَمْسَى تُشَابِهُهُ الأَمْوَاتُ فِي الرِّمَمِ
عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ ... فَمَا تَزِيدُنِيَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ
مَا زِلْتُ أُضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرَتْ ... إِلَى مَنِ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ
أُسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أُشَاهِدُهَا ... وَلاَ أُشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلاَمِي قَوَائِلُ لِي: ... الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اُكْتُبْ بِنَا أَبَداً بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ ... فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
أَسْمَعْتِنِي وَدَوَائِي مَا أَشَرْتِ بِهِ ... فَإِنْ غَفَلْتُ فَدَائِي قِلَّةُ الْفَهَمِ
مَنِ اقْتَضَى بِسِوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ ... أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ
تَوَهَّمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا ... وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التُّهَمِ

(١) [مَعْكُومةً]

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإنْصافِ قاطِعَةً ... بَيْنَ الرِّجالِ وَلَوْ كانُوا ذَوي رَحِمِ
فَلاَ زِيارَةَ إلاَّ أَنْ تَزُورَهُمُ ... أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذُمِ
مِنْ كُلِّ قاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفْرَتُهُ ... مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ
صُنَّا قَوائِمَها عَنْهُمْ فَما وَقَعَتْ ... مَواقِعَ اللُّؤْمِ في الأَيْدِي وَلا الْكَزَمِ
هَوِّنْ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ(١) ... فَإِنَّما يَقَظاتُ الْعَيْنِ كالْحُلُمِ
وَلاَ تَشَكَّ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغِرْبانِ وَالرَّخَمِ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ ... وَلاَ يَغُرَّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
غاضَ الْوَفاءُ فَما تَلْقاهُ فِي عِدَةٍ ... وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الإِخْبارِ وَالْقَسَمِ
سُبْحانَ خالِقِ نَفْسِي، كَيْفَ لَذَّتُها ... فِيما النُّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الأَلَمِ
الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوائِبَهُ ... وَصَبْرِ جِسْمِي عَلَى أَحْداثِهِ الْحُطُمِ
وَقْتٌ يَضِيعُ وَعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ ... فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سالِفِ الأُمَمِ
أَتَى الزَّمانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ ... فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْناهُ عَلَى الْهَرَمِ

وقال يَمْدَحُ المَلِكَ الجَليلَ عَضُدَ الدولة بنَ رُكْنِ الدولة،
وقد دخَلَ إليهِ وأمَرَ بنَثْرِ الوَرْدِ،
من أول [المُنْسَرِحِ] والقافيةُ [مُتَراكِبٌ] : [من المنسرح]

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَما ... أَنَّكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَما
كَأَنَّما مائِجُ الْهَواءِ(٢) بِهِ ... بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مائِهِ عَنَما

(١) [مَنْظَرَهُ]
(٢) [مازَجَ الهَواءَ]

نَـاثِـرُهُ نَـاثِـرُ الـسُّـيُـوفِ دَمـا — وَكُـلَّ(١) قَـوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَّلَ الضِّيَاعَ بِهَا — وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا
فَلْيُرِنَا الْـوَرْدُ إنْ شَكَا يَـدَهُ — أَحْسَنَ مِنْهُ مِـنْ جُـودِهِ سَلِمَا
وَقُـلْ لَهُ: لَسْتَ خَيْرَ مَا نَثَرَتْ — وَإنَّـمَـا عَـوَّذَتْ بِـكَ الْكَرَمَا
خَوْفاً مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا — أَصَابَ عَيْناً بِهَا يُصَابُ(٢) عَمَى

وجَلسَ أبو الطيب مع أبي العَشائرِ ليلةً على الشُّرْب، فنَهضَ لينصرِفَ، فسألَهُ الجُلوسَ فجَلَسَ، فخلَعَ عليهِ ثِياباً نَفيسةً؛ ثم نَهَضَ فسألَهُ الجُلوسَ فجَلَسَ، فأمَرَ له بقَوْدِ مُهْرةٍ كانت له. فقال له ابنُ الطُّوسيِّ الكاتِبُ: «لا تَبرَحَنَّ الليلةَ يا أبا الطيب»؛ فقال - من الوافرِ المتواترِ -: [من الوافر]

أَعَـنْ إذْنِـيْ تَهُبُّ الرِّيحُ رَهْـواً — ويَسْرِي كُلَّما شِئْتُ الغَمَامُ؟
ولَـكِـنَّ الـغَـمَـامَ لـه طِـبَـاعٌ — تَبَجُّسُهُ بِها، وكَـذا الكِـرامُ

قافية النون

وتوقَّفَ سيفُ الدولةِ في الغَزاةِ الصّائفةِ في سنةِ أربعينَ على إحْراقِ القرى، فعُرِّفَ أنَّ العَدُوَّ في أربعينَ ألْفاً؛ فتَهَيَّبَهُمْ أصحابُه، فقال أبو الطيبِ ارتجالاً، من أول الطويل والقافيةُ مُتواتِرٌ: [من الطويل]

نَزُورُ دِيَـاراً مَا نُحِبُّ لَهَا مَغْنَى — وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِنِهَا الإِذْنَا

(١) [وكُلٍّ]
(٢) [يُعَانُ]

نَقُودُ إِلَيْهَا الآخِذاتِ لَنَا الْمَدَى ... عَلَيْهَا الْكُماةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّا
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَى ... وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الإلهَ وَلاَ يُكْنَى
وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا ... إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا
وَأَنَّا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَّحَ فِي الْوَغَى ... لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ ... إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ: هَلُمِّنَّا
وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الأَسِنَّةَ بَعْدَمَا ... تَكَدَّسْنَ مِنْ هَنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هَنَّا
ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسِّيَاطِ جَهَالَةً ... فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا
تَعَدَّ القُرَى وَالْمُسْ بِنَا الجَيْشَ لَمْسَةً ... نُبَارِ(١) إِلَى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ الْيُمْنَى
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ ... وَنَحْنُ أُنَاسٌ نُتْبِعُ البَارِدَ السُّخْنَا
وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْعَضْبَ فِيهِمِ ... فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا
فَنَحْنُ الأُلَى لاَ نَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً ... وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى
يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْعُلاَ ... وَمَنْ قَالَ: لاَ أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالأَدْنَى
فَلَوْلاَكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلاَ اللُّهَا ... وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلاَ أَهْلِهَا مَعْنَى
وَمَا الْخَوْفُ إِلاَّ مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى ... وَلاَ الأَمْنُ إِلاَّ مَا رَآهُ الْفَتَى أَمْنَا

وأهْدَى سيفُ الدولةِ إلى أبي الطيب ثِيابَ دِيباجٍ ورُمْحاً وفَرَساً معها مُهْرٌ، وكانَ المُهْرُ أحْسَنَ من الفرس، فقال [من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ]: [من الطويل]

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حِسَانَهَا ... إِذَا نُشِرَتْ كَانَ الهِبَاتُ صِوَانَهَا
تُرِينَا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا ... وَتَجْلُو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا
وَلَمْ يَكْفِهَا تَصْوِيرُهَا الخَيْلَ وَحْدَهَا ... فَصَوَّرَتِ الأَشْيَاءَ إِلاَّ زَمَانَهَا

(١) [نُبادِرْ]

وَمَا ادَّخَرَتْهَا قُـدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ ... سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا
وَسَمْرَاءُ يَسْتَغْوِي الْفَوَارِسَ قَدُّها ... وَيُـذْكِـرُهَـا كَرَّاتِهَا وَطِعَانَهَا
رُدَيْـنِـيَّـةٌ تَـمَّـتْ فَـكَـادَ نَبَاتُهَا ... يُـرَكِّـبُ فِيهَا زُجَّهَا وَسِنَانَهَا
وَأُمُّ عَتِيقٍ خَـالُـهُ دُونَ عَمِّهِ ... رَأَى خَلْقَهَا مَنْ أَعْجَبَتْهُ فَعَانَهَا
إِذَا سَـايَـرَتْـهُ بَايَنَتْهُ وَبَانَهَا ... وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا
فَأَيْنَ الَّتِي لاَ تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا ... وَشَرِّي وَلاَ تُعْطِي سِوَايَ أَمَانَهَا؟
وَأَيْنَ الَّتِي لاَ تَرْجِعُ الرُّمْحَ خَائِباً ... إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عِنَانَهَا؟
وَمَـا لِيْ ثَنَاءٌ لاَ أَرَاكَ مَكَانَهُ، ... فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لاَ تَرَانِيْ مَكَانَهَا؟

ومَدَّ قُوَيْقٌ - وهو نَهْرٌ بحَلَبَ - فأحاطَ بدارِ سيفِ الدولةِ سبعةَ آلافِ ذِرَاعٍ، وخَرَجَ أبو الطيب من عندِهِ وبلَغَ الماءُ صَدْرَ فرَسِهِ. فقال - من مشطورِ الرجز، والقافيةُ متدارِكٌ إذا ضَمَمْتَ الهاءَ، ويَجُوزُ إسكانُها فيكونُ متواتِراً -: [من الرجز]

حَجَّبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارٌ دُونَـهُ ... يَـذُمُّـهَـا الـنَّـاسُ وَيَـحْـمَـدُونَـهُ
يَـا مَـاءُ هَـلْ حَسَدْتَنَا مَعِينَهُ ... أَمِ اشْتَهَيْتَ أَنْ تَـرَى قَرِينَهُ؟
أَمِ انْتَجَعْتَ لِلْغِنَى يَمِينَهُ ... أَمْ زُرْتَـــهُ مُـكَـثِّـراً قَطِينَهُ
أَمْ جِئْتَهُ مُخَنْدِقاً حُصُونَهُ؟ ... إِنَّ الْـجِـيَـادَ وَالْـقَـنَـا يَكْفِينَهُ
يَـا رُبَّ لُـجٍّ جُعِلَتْ سَفِينَهُ ... وَعَـازِبِ الـرَّوْضِ تَوَفَّتْ عُوْنَهُ
وَذِي جُنُونٍ أَذْهَـبَـتْ جُنُونَهُ ... وَشَـرْبِ كَـأْسٍ أَكْـثَـرَتْ رَنِينَهُ
وَأَبْـدَلَـتْ غِـنَـاءَهُ أَنِـيـنَـهُ ... وَضَـيْـغَـمٍ أَوْلَـجَـهَـا عَـرِينَـهُ

وَمَـلِـكٍ أَوْطَـأَهَـا جَبِينَهُ ... يَـقُـودُهَـا مُـسَـهِّـداً جُـفُـونَـهُ
مُـبَـاشِـراً بِـنَـفْـسِـهِ شُـؤُونَـهُ ... مُـشَـرِّفـاً بِـطَـعْـنِـهِ طَـعِـينَـهُ
عَفِيفَ مَـا فِـي ثَـوْبِـهِ مَأْمُونَهُ ... أَبْـيَـضَ مَـا فِـي تَـاجِـهِ مَيْمُونَهُ
بَـحْـرٌ يـكُـونُ كُـلُّ بَـحْـرٍ نُونَهُ ... شَمْسٌ تَمَنَّى الشَّمْسُ أَنْ تكُونَهُ
إِنْ تَـدْعُ: يَا سَيْفُ، لِتَسْتَعِينَهُ ... يُجِبْكَ قَـبْـلَ أَنْ تُـتِـمَّ سِينَهُ
أَدَامَ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ تَمْكِينَهُ ... مَـنْ صَـانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ

وأَنْشَدَ سيفَ الدولةِ عند مُنْصَرَفِه من آمِدَ
سَنَةَ خَمْسٍ وأربعينَ وثلاثمئة،
من ثاني الكامل والقَافيةُ متواتِرٌ: [من الكامل]

الـرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ(١) ... بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْـرَانَـهُ ... بِـالـرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْـرَانِ
لَوْلاَ الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ ... أَدْنَـى إِلَـى شَـرَفٍ مِنَ الإِنْسَانِ
وَلَمَا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ ... أَيْـدِي الكُمَاةِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ
لَـوْلاَ سَمِيُّ سُيُوفِهِ وَمَـضَـاؤُهُ ... لَمَّا سُلِلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ
خَاضَ الْحِمَامَ بِهِنَّ حَتَّى مَا دُرَى(٢) ... أَمِـنَ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ
وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعُلَى ... أَهْـلُ الزَّمَانِ وَأَهْـلُ كُلِّ زَمَـانِ
تَخِذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ ... أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الْفِتْيَانِ
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنُ فِي الْـ ... ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْمَيْدَانِ
قَادَ الجِيَادَ إِلَى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إِلاَّ إِلَـى الْـعَـادَاتِ وَالأَوْطَـانِ

(١) [مُرَّةٍ] [حُرَّةٍ]
(٢) [دُرِيْ]

كُـلُّ ابْـنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ ... في قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الأَحْزَانِ
إنْ خُلِّيَتْ رُبطتْ بِآدَابِ الْوَغَى ... فَدُعَاؤُهَا يُغْنِي عَنِ الأَرْسَانِ
في جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غُبَارُهُ ... فَكَـأَنَّـمَا يُبْـصِرْنَ بِـالآذَانِ
يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ البَعِيدَ مُظَفَّرٌ ... كُـلُّ الْبَعِيدِ لَـهُ قَـرِيـبٌ دَانِ
فَكَـأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتُرْبَةِ مَنبِجٍ ... يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ
حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحاً ... يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ
يَقْمُصْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ ... يَذَرُ الفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ
وَالمَاءُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخَلِّصٌ ... تَـتَـفَـرَّقَـانِ بِـهِ وَتَـلْـتَـقِـيَـانِ
رَكَضَ الأَمِيرُ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ ... وَثَنَى الأَعِنَّةَ وَهْـوَ كَالْعِقْيَانِ
فَتَلَ الحِبَالَ مِنَ الْغَدَائِرِ فَوْقَهُ ... وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ
وَحَـشَـاهُ عَـادِيَـةً بِغَيْرِ قَـوَائِـمٍ ... عُقْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الأَلْـوَانِ
تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الخُيُولُ كَأَنَّهَا ... تَحْتَ الْحِسَانِ مَرَابِضُ الغِزْلانِ
بَـحْـرٌ تَـعَـوَّدَ أَنْ يُـذَمَّ لأَهْـلِـهِ ... مِنْ دَهْـرِهِ وَطَـوَارِقِ الْحَدَثَانِ
فَتَرَكْتَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْـوَرَى ... رَاعَـاكَ وَاسْتَثْنَى بَنِي حَمْدَانِ
الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ ... ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التِّيجَانِ
مُتَصَعْلِكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ ... مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
يَتَقَيَّلُونَ[1] ظِـلالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ ... أَجَلِ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ
خَضَعَتْ لِمُنْصُلِكَ المَنَاصِلُ عَنْوَةً ... وَأَذَلَّ دِيـنُـكَ سَـائِرَ الأَدْيَـانِ
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ ... وَالسَّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِـنَ الإِمْكَانِ

(١) [يَتفَيَّؤُونَ]

وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسَالِكِ بِالْقَنَا ... وَالكُفْرُ مُجتَمِعٌ عَلَى الإِيمَانِ
نَظَرُوا إلى زُبَـرِ الحَدِيدِ كَأَنَّمَا ... يَصْعَدْنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ العِقْبَانِ
وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا ... فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الحَيَوانِ
مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكاً في الذُّرَا ... ضَرْباً كَـأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا ... جَـاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ
فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَـرُوا ... يَـطَـؤُونَ كُـلَّ حَـنِيَّـةٍ مِـرْنَـانِ
يَغْشَاهُمُ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً ... بِـمُـثَـقَّـفٍ وَمُـهَـنَّـدٍ وَسِـنَـانِ
حُرِمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمُ ... آمَـالَـهُ مَـنْ عَـادَ بِـالْـحِـرْمَـانِ
وَإِذَا الرِّمَاحُ شَغَلْنَ مُهْجَةَ ثَائِرٍ ... شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإِخْـوَانِ
هَيْهَاتَ عَاقَ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبٌ ... كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَـلَّ الْعَانِي
وَمُـهَـذَّبٌ أَمَـرَ الْمَنَايَا فِيهِمُ ... فَأَطَعْنَهُ فِـي طَـاعَـةِ الرَّحْمنِ
قَدْ سَوَّدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ ... فَـكَـأَنَّ فِيهِ مُسِفَّةَ الْـغِـرْبَـانِ
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي ... فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ في الأَغْصَانِ
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ
تَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ ... قِمَمَ الْمُلُوكِ مَـوَاقِـدَ النِّيرَانِ
أَنْسَابُ فَخْرِهِمُ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ... أَنْـسَـابُ أَصْلِهِمُ إِلَـى عَدْنَانِ
يَا مَـنْ يُقَتِّلُ مَـنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلاكَ بِالإِحْسَانِ
فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاظِرِي ... وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِي

وقال في صِباه - وهو أولُ ما قالَه -
من الأول من البسيط [والقافيةُ متراكِبٌ]: [من البسيط]

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفاً يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ(١) إِذَا ... أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ
كَفَى بِجِسْمِيْ نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ ... لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

وقال أيضاً في صِباه ارتجالاً على لسانِ بعضِ التَّنُوخيينَ وقد سألَه،
من [أول] المتقارب والقافيةُ متواتر: [من المتقارب]

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الْـ ... ـلَذِي ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ
وَمَجْدِي يَدُلُّ بَنِي خِنْدِفٍ ... عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ
أَنَا ابْنُ اللِّقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ ... أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ أَنَا ابْنُ الطِّعَانِ
أَنَا ابْنُ الْفَيَافِي أَنَا ابْنُ الْقَوَافِي ... أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ
طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ ... طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ
حَدِيدُ اللِّحَاظِ حَدِيدُ الْحِفَاظِ ... حَدِيدُ الْحُسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ
يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا الْعِبَادِ ... إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ
يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ ... إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لاَ أَرَانِي
سَأَجْعَلُهُ حَكَماً فِي النُّفُوسِ ... وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي

وقال أيضاً - من ثاني البسيط والقافيةُ متواتِرٌ -: [من البسيط]

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّى مِنْكِ تَكْرِمَةً ... ثُمَّ اسْتَوَى فِيكِ إِسْرَارِيْ وَإِعْلاَنِي
كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي ... فَصَارَ سُقْمِيْ بِهِ فِي جِسْمِ كِتْمَانِي

وقال ارتجالاً، وقد عَرَضَ عليه [أبو] الحُسَيْن

(١) [الخيَالِ]

عليُّ بن إبراهيمَ التَّنُوخيُّ كأساً كانت بيدِه فيها شَرابٌ أَسْوَدُ، من أول الوافر والقافيةُ متواتِرٌ: [من الوافر]

إذا مَا الْكَأْسُ أَرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ ... صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي
هَجَرْتُ الْخَمْرَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى ... فَخَمْرِيَ مَاءُ مُزْنٍ كَاللُّجَيْنِ
أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهْيَ تَجْرِي ... عَلَى شَفَةِ الأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
كَأَنَّ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا ... بَيَاضٌ مُحْدِقٌ بِسَوادِ عَيْنِ
أَتَيْنَاهُ نُطَالِبُهُ بِرِفْدٍ ... يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ

وسارَ بَدْرُ بنُ عمّارٍ إلى الساحلِ، ولم يَسِرْ أبو الطيب، فبَلَغَهُ أنَّ الأعوَرَ ابنَ الكرَوَّسِ كَتَبَ إلى بَدْرٍ يذكُرُ له: «إنما تخلَّفَ عنك رَغْبةً بنفْسه عن المَسيرِ معك»؛ ثم عادَ بَدْرٌ إلى طَبَرِيّةَ، فضُرِبَتْ له قِبابٌ عليها أمثِلَةٌ من تَصاويرَ، فقال أبو الطيب - من أول الكامل والقافيةُ متدارِكٌ -: [من الكامل]

الْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلامَ الأَلْسُنَا ... وَأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَا
لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِي هَجْرَ الْكَرَى ... مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلَةَ الضَّنَى
بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا ... أَلْوَانُنَا مِمَّا امْتُقِعْنَ(١) تَلَوُّنَا
وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ ... أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا
أَفْدِي الْمُوَدِّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا ... نَظَراً فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا
أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ... ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلا وَرَكَائِبِي ... فِيهَا وَوَقْتَيَّ الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا

(١) [سُفِعْنَ]

وَوَقفتُ مِنهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدى … وَبَلَغْتُ مِنْ بَدْرِ بْنِ عَمَّارِ الْمُنَى

لأَبِيْ الْحُسَيْنِ جَدًا يَضِيقُ وِعَاؤُهُ … عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الأَزْمُنَا

وَشَجَاعَةٌ أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا … وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا

نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِحْرَبٍ … مَا كَرَّ قَطُّ، وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا انْثَنَى؟

فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ … مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا

نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذِهْنِهِ … فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الأُمُورِ تَيَقُّنَا

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ … فَيَظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّنَا(١)

أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌ … وَاسْتَقْرَبَ الأَقْصَى فَثَمَّ لَهُ هُنَا

يَجِدُ الحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ … ثَوْباً أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَأَلْيَنَا

وَأَمَرُّ مِنْ فَقْدِ الأَحِبَّةِ عِنْدَهُ … فَقْدُ السُّيُوفِ الفَاقِدَاتِ الأَجْفُنَا

لاَ يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ … يَوْماً وَلاَ الإِحْسَانُ أَلَّا يُحْسِنَا

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ … فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ … مِثْلَ الَّذِي الأَفْلاكُ فِيهِ وَالدُّنَا

مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلاهُ مِنْ طُلَقَائِهِ، … مَنْ لَيْسَ مِمَّنْ دَانَ مِمَّنْ حُيِّنَا(٢)

لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاحِلِ نَحْوَنَا … قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَحْشَةٌ مِنْ عِنْدِنَا

أَرِجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ … إِلاَّ أَقَامَ بِهِ الشَّذَا مُسْتَوْطِنَا

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا … مَدَّتْ مُحَيِّيَةً إِلَيْكَ الأَغْصُنَا

سَلَكَتْ تَمَاثِيلَ القِبَابِ الْجِنُّ مِنْ … شَوْقٍ بِهَا فَأَدَرْنَ فِيكَ الأَعْيُنَا

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِلْنَا أَنَّهَا … لَوْلاَ حَيَاءٌ عَاقَهَا رَقَصَتْ بِنَا

(١) [مُتَلَفِّنَا]

(٢) [حَيِّنَا]

أَقْبَلْتَ تَبْسِمُ وَالْجِيادُ عَوابِسٌ ... يَخْبُبْنَ بالْحَلَقِ الْمُضاعَفِ وَالْقَنا
عَقَدَتْ سَنابِكُها عَلَيْها عِثْيَراً ... لَوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عَلَيْهِ أَمْكَنا
وَالأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوافِقٌ ... في مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمُنَى
فَعَجِبْتُ حَتَّى ما عَجِبْتُ مِنَ الظُّبا ... وَرَأَيْتُ حَتَّى ما رَأَيْتُ مِنَ السَّنا
إِنِّي أَراكَ مِنَ الْمَكارِمِ عَسْكَراً ... في عَسْكَرٍ وَمِنَ الْمَعالِي مَعْدِنا
فَطِنَ الْفُؤادُ(١) لِما أَتَيْتُ عَلَى النَّوَى ... وَلِمَا تَرَكْتُ مَخافَةً أَنْ تَفْطُنا
أَضْحَى فِراقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةً ... لَيْسَ الَّذِي قاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّنا
فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ وَاحْبُنِي مِنْ بَعْدِها ... لِتَخُصَّنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْها أَنا
وَانْهَ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِيَّ بِضِلَّةٍ ... فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلادِ الزِّنَى
وَإِذا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلامَ مُعَرِّضاً ... في مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلامَ اللَّذْ عَنَى
وَمَكايِدُ السُّفَهاءِ واقِعَةٌ بِهِمْ ... وَعَداوَةُ الشُّعَراءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى
لُعِنَتْ مُقارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّها ... ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدامَةِ ضَيْفَنا
غَضَبُ الْحَسُودِ إِذا لَقِيتُكَ راضِياً ... رُزْءٌ أَخَفُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُوزَنا
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كافِراً ... مِنْ غَيْرِنا مَعَنا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنا
خَلَتِ الْبِلادُ مِنَ الْغَزالَةِ لَيْلَها ... فَأَعاضَهاكَ اللَّهُ كَيْ لا تَحْزَنا

وكانَ عِنْدَ بَدْرٍ جالِساً فهَمَّ بالانصراف، فسألَهُ الجُلوسَ، فقال - من الثاني من الكامل والقافيةُ متواتِرٌ -: [من الكامل]

يا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونُ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثالِهِ تَكْوِينُ
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمانَةً ... ما كانَ مُؤْتَمَناً بِها جِبْرِينُ
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خالِياً ... فَإِذا حَضَرْتَ فَكُلُّ فَوْقٍ دُونُ

(١) [الفُؤادِ]

وقال يَمْدَحُ أبا عُبيدِ اللهِ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ اللهِ بن محمدٍ الخَصِيبيَّ وهو يتقلَّدُ قضاءَ أنطاكِيَة، من أول البسيط والقافيةُ متراكِبٌ: [من البسيط]

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ ... يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلاَهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ ... شَرٍّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلى بَدَنِ

حَوْلِيْ بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خِلَقٌ(١) ... تُخْطِيْ إِذا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ

لاَ أَقْتَرِي بَلَداً إِلاَّ عَلَى غَرَرٍ ... وَلاَ أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ

وَلاَ أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلاَكِهِمْ أَحَداً ... إِلاَّ أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ

إِنِّيْ لأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أُعَنِّفُهُمْ ... حَتَّى أُعَنِّفُ(٢) نَفْسِيْ فِيهِمُ وَأَنِي

فَقْرُ الْجَهُولِ بِلاَ عَقْلٍ إِلَى أَدَبٍ ... فَقْرُ الْحِمَارِ بِلاَ رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ

وَمُدْقِعِينَ بِسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُمُ ... عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ

خُـرَّابِ بَادِيَةٍ غَرْثَى بُطُونُهُمُ ... مَكْنُ الضِّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلاَ ثَمَنِ

يَسْتَخْبِرُونَ فَلاَ أُعْطِيهِمُ خَبَرِي ... وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظِّنَنِ

وَخَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ(٣) بِهَا ... كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلاَنِ فِي الْوَهَنِ

وَكِلْمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا ... فَيُهْتَدَى لِيْ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ

قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِيْ كُلَّ نَازِلَةٍ ... وَلَيَّنَ الْعَزْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِنِ

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً فِي خَوْضِ مَهْلَكَةٍ ... وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبُنِ

لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ ... وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ؟

لِلَّهِ حَـالٌ أُرَجِّيهَا وَتُخْلِفُنِي ... وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمْطُلُنِي

(١) [حلقٌ]
(٢) [أُعَنَّفُ]
(٣) [أَلْتَقِيهِ]

مَدَحتُ قَوْماً وَإنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ / قَصَائِداً مِنْ إناثِ الخَيْلِ وَالْحُصُنِ
تَحتَ الْعَجاجِ قَوافِيهَا مُضَمَّرَةً / إِذَا تُنُوشِدْنَ لَمْ يدخُلْنَ في أُذُنِ
فَلاَ أُحـارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدُرٍ / وَلاَ أُصَالِحُ مَغْرُوراً عَلَى دَخَنِ
مُخَيِّمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ يَصْهَرُهُ / حَرُّ الْهَواجِرِ في صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ
أَلْقَى الكِرَامُ الأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ / عَلَى الخَصِيبِيِّ عِنْدَ الفَرْضِ وَالسُّنَنِ
فَهُنَّ فِي الحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ / لَهُ اليَتَامَى بَدَا بِالمَجْدِ وَالمِنَنِ
قَاضٍ إذَا الْتَبَسَ الأَمْرَانِ عَنَّ لَهُ / رَأْيٌ يُخَلِّصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ
غَضُّ الشَّبَابِ، بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ، / مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ
شَرَابُهُ النَّشْحُ لاَ لِلرِّيِّ يَطْلُبُهُ / وَطُعْمُهُ لِقِوَامِ الْجِسْمِ لاَ السِّمَنِ
الْقَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ / وَالْوَاحِدُ الحَالَتَيْنِ: السِّرِّ وَالْعَلَنِ
الْفَاصِلُ الحُكْمَ عَيَّ الأَوَّلُونَ بِهِ / وَالْمُظْهِرُ الحَقَّ لِلسَّاهِيْ عَلَى الذَّهَنِ
أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا: / «جَدِّيْ الخَصِيبُ» عَرَفْنَا العِرْقَ بِالغُصُنِ
الْعَارِضُ الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْـ / ـنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ
قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا / آبَـاؤُهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرَنِ
كَأَنَّهُمْ وُلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وُلِدُوا / أَوْ كَـانَ فَهْمُهُمُ أَيَّـامَ لَمْ يَكُنِ
الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَداً / مِنَ الْمَحَامِدِ فِي أَوْقَى مِنَ الجُنَنِ
لِلنَّاظِرِينَ إِلَـى إِقْبَـالِـهِ فَـرَحٌ / يُزِيلُ مَا بِجِبَاهِ الْقَوْمِ مِنْ غَضَنِ
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُغْتَرَفٌ / مِنْ رَاحَتَيْهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ
لَمْ نَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ / وَلاَ مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفُنِ

وَلاَ مِنَ اللَّيْثِ إلاّ قُبحَ مَنْظَرِهِ ... وَمنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ
مُنْذُ احْتبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ اعْتَدَلَتْ ... حَتَّى كَأَنَّ ذَوِيْ الأَوْتَارِ فِي هُدَنِ
وَمُذْ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قرِعَتْ ... مِنَ السُّجُودِ فَلاَ نَبْتٌ عَلَى الْقُنَنِ
أَخلَتْ مَوَاهِبُكَ الأسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ، ... أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الأَعْمَالِ والمِهَنِ
ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ ... وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ
وَهَــذِهِ هَيْبَةٌ لَــمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ ... وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي المُنَنِ
فَمُرْ وَأَوْمِ[1] تُطَعْ، قُدِّسْتَ مِنْ جَبَلٍ! ... تَبَارَكَ اللَّهُ مُجْرِيْ الرُّوحِ فِي حَضَنِ!

وقال يَمْدَحُ أبا سَهْلٍ سَعِيدَ بْنَ عبدِ الله بنِ الحَسَنِ الأَنْطَاكِيَّ،
من ثاني البسيط والقافيةُ متواتِرٌ: [من البسيط]

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا ... تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا
أَمَّلْتُ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مِعْصَمِهَا ... لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانَا
وَلَـوْ بَـدَتْ لأَتَاهَتْهُمْ فَحَجَّبَهَا ... صَوْنٌ عُقُولَهُمُ مِنْ لَحْظِهَا صَانَا
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيْهَا وَبِي قَمَرٌ ... يَظَلُّ مِنْ وَخْدِهَا فِي الخِدْرِ خَشْيَانَا[2]
أَمَّا الثِّيَابُ فَتَعْرَى مِن مَحَاسِنِهِ ... إِذَا نَضَاهَا وَيُكْسَى الحُسْنَ عُرْيَانَا
يَضُمُّهُ المِسْكُ ضَمَّ المُسْتَهَامِ بِهِ ... حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الأَعْكَانِ أَعْكَانَا
قَدْ كُنْتُ أُشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي ... فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا
تُهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلاَفَ الْمِيَاهِ لَكُمْ ... وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانَا
إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الأَهْوَالِ شَيَّعَنِي ... قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلاَكُمُ خَانَا
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي ... وَلاَ أُعَاتِبُهُ صَفْحاً وَإِهْــوَانَــا

(١) [وأَوْمِئْ]
(٢) [حَشْيَانا]

وَهَكَذا كُنْتُ في أَهْلِيْ وَفي وَطَني؛ ... إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُما كَانَا

مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي ... أَلْقَى الكَمِيَّ وَيَلْقَانِيْ إذا حَانَا

لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعاً ... وَلاَ أَبِيتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا

وَلاَ أُسَرُّ بِمَا غَيْرِيْ الْحَمِيدُ بِهِ ... وَلَـوْ حَمَلْتَ إِلَـيَّ الدَّهْرَ مَلآنَا

لاَ يَجْذِبَنَّ رِكَابِيْ نَحْوَهُ أَحَدٌ ... مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلْقَلْنَ كِيْرَانَا

لَوِ اسْتَطَعتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانَا

فَالْعِيسُ أَعْقَلُ مِنْ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ ... عَمَّا يَـرَاهُ مِنَ الإِحْسَانِ عُمْيَانَا

ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قَلَّ الْجَوَادُ لَهُ، ... ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانَا

ذَاكَ الْمُعِدُّ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا ... فَلَوْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَّانَا

خَفَّ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَنْمُلِهِ ... حَتَّى تُوُهِّمْنَ لِلأَزْمَانِ أَزْمَانَا

يَلْقَى الْوَغَى وَالْقَنَا وَالنَّازِلاَتِ بِهِ ... وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحْبَ الْبَاعِ جَذْلاَنَا

تَخالُهُ مِنْ ذَكاءِ الْقَلْبِ مُحْتَمِياً، ... وَمِـنْ تَكَرُّمِهِ وَالْبِشْرِ نَشْوَانَا

وَتَسْحَبُ الْحِبرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً ... فِي جُودِهِ وَتَجُرُّ الْخَيْلُ أَرْسَانَا

يُعْطِي الْمُبَشِّرَ بِالْقُصَّادِ قَبْلَهُمُ ... كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا

جَزَتْ بَنِيْ الحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمُ ... فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغُرِّ عَدْنَانَا

ما شَيَّدَ اللَّهُ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ ... إِلاَّ وَنَـحْنُ نَـرَاهُ فِيهِمُ الآنَا

إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وُجِدُوا ... فِي الخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا

كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ ... عَلَى رِمَاحِهِمُ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانَا

كَأَنَّهُمْ يَـرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمَأٍ ... أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِّيِّ رَيْحَانَا

الْكَائنِينَ لِمَنْ أَبْغِي عَدَاوَتَهُ ... أَعْدَى الْعِدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانَا
خَلائِقٌ لَوْ حَوَاهَا الزَّنْجُ لانْقَلَبُوا ... ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا
وَأَنْـفُـسٌ يَلْمَعِيَّاتٌ تُحِبُّهُمُ ... لَهَا اضْطِرَاراً وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَنْآنَا
الْوَاضِحِينَ أُبُـوَّاتٍ وَأَجْبِنَةً ... وَوَالِـــدَاتٍ وَأَلْـبَـابـاً وَأَذْهَـانَـا
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ الْمَرْهُوبِ جَانِبُهُ ... إِنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أُحْدَانَا
وَوَاهِباً كُلُّ وَقْـتٍ وَقْـتُ نَائِلِهِ ... وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَّابُ[1] أَحْيَانَا
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ... ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَّالَ خُزَّانَا
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيتَ[2] مُرْتَقِبٌ، ... لَمْ تَأْتِ فِي السِّرِّ مَا لَمْ تَأْتِ إِعْلانَا
لا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ ... أَنَا الَّذِي نَامَ إِنْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهَيْتُ الْكِرَامَ بِهِ ... وَرَدَّ سُخْطاً عَلَى الأَيَّامِ رِضْوَانَا
وَأَنْـتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْـراً وَأَكْبَرُهُمْ ... قَدْراً وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا ... وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

وقال - وأبو مُحمَّدِ بنُ طُغْج يَشْرَبُ وهو عنده [في بُسْتانٍ]، فأقْبَلَ الليلُ - [من الوزن والقافية كالتي قبْلَها]: [من البسيط]

زَالَ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا ... أَنْ لَمْ يَزُلْ وَلِجُنْحِ اللَّيْلِ إِجْنَانُ
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمْسِكُنَا ... فَـرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانُ

وقال ارتجالاً في بِطِّيخةِ النَّدِّ التي أحْضَرَها أبو العشائرِ مَجْلِسَهُ، من أول السَّريعِ والقافيةُ مترادِفٌ: [من السريع]

مَـا أَنَـا وَالْـخَـمْـرُ وَبِطِّيخَةٌ[3] ... سَوْدَاءُ[4] فِي قِشْرٍ مِنَ الْخَيْزُرَانْ
يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَـنْ غَيْرِهَا ... تَوْطِينِيَ النَّفْسَ لِيَوْمِ الطِّعَانْ

(١) [الوَهَّابُ]
(٢) [أَخْلَيْتَ]
(٣) [والخَمْرَ وبِطّيخةً]
(٤) [سَوْداءَ]

وَكُــلُّ نَــجْــلاءَ لَـهَـا صَـائِـكٌ ... يَخْضِبُ مَا بَيْنَ يَدِيْ وَالسِّنَانْ

وقالَ بمِصْرَ وقد بلَغَهُ أنَّ قوماً نَعَوْهُ بحلَبَ في مَجْلِسِ سيفِ الدولةِ، في ربيعِ الآخِرِ سنةَ سَبْعٍ وأربعينَ وثلاثمئةٍ، من أولِ البسيطِ والقافيةُ متراكِبٌ: [من البسيط]

بِمَ التَّعَلُّلُ؟ لاَ أَهْلٌ وَلاَ وَطَنُ ... وَلاَ نَدِيمٌ وَلاَ كَأْسٌ وَلاَ سَكَنُ
أُرِيـدُ مِنْ زَمَنِيْ ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي ... مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ
لاَ تَلْقَ دَهْـرَكَ إِلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ[1] سُرُورٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
مِمَّا أَضَـرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ ... هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعاً وَأَنْفُسُهُمْ ... فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا، حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ ... فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِيْ عِوَضٌ ... إِنْ مُتُّ شَوْقاً وَلاَ فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ... كُلٌّ بِمَا زَعَـمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ... ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ
قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِيْ قَبْلَ قَوْلِهِمُ ... جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
مَا كُلُّ[2] مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ؛ ... تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ
رَأَيْتُكُمْ لاَ يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ ... وَلاَ يَـدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ
جَـزَاءُ كُـلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ ... وَحَـظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ
وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ ... حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ

(١) [يُدِيمُ]
(٢) [كُلَّ]

فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ … يَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالأُذُنُ!

تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا … وَتَسْأَلُ الأرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ

إِنِّيْ أُصَاحِبُ حِلْمِيْ وَهْوَ بِيْ كَرَمٌ … وَلاَ أُصَاحِبُ حِلْمِيْ وَهْوَ بِيْ جُبُنُ

وَلاَ أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ … وَلاَ أَلَذُّ بِمَا عِرْضِيْ بِهِ دَرِنُ

سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلِيْ وَحْشَةً لَكُمُ … ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِيْ وارْعَوَى الْوَسَنُ

وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ … فَإِنَّنِي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ

أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِيْ عِنْدَ غَيْرِكُمُ … وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسَنُ

عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ … فِي جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءِ وَالْيَمَنُ

وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّيْ بَعْضُ مَوْعِدِهِ … فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِيْ وَلاَ تَهِنُ

هُوَ الْوَفِيُّ وَلكِنِّيْ ذَكَرْتُ لَهُ … مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

وقال أيضاً بِمِصْرَ ولم يُنْشِدْها كافُوراً ، في جُمادَى الأُولى من السَّنَةِ ، من أول الخفيف والقافيةُ متواتِرٌ : [من الخفيف]

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا … وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا

وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ … ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـ … ـهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدْ … دَهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً … رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ … نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلاَقِي الْمَنَايَا … كَالِحَاتٍ وَلاَ يُلاَقِي الْهَوَانَا

وَلَوَ انَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الأَنْـ ... ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

وكانَ الأُسْتاذُ [كافورٌ] اصطنَعَ شَبيبَ بنَ جَريرٍ العُقَيْليَّ وَوَلّاهُ عمّانَ والبَلْقاءَ وما يَليها من البرِّ والجِبال، فعَلَتْ مَنْزِلَتُه، وزادَتْ رُتْبَتُه، واشْتَدَّتْ شَوْكَتُه؛ وغَزا العَرَبَ في مَشاتيها بالسَّماوةِ وغَيْرِها، فاجتمَعَتِ العَرَبُ عليهِ وكَثُرَتْ حَوْلَهُ، وطَمِعَ في الأَسْوَدِ وأَنِفَ من طاعَتِه. فسَوَّلَتْ له نَفْسُه أَخْذَ دِمَشْقَ والعِصْيانَ بها، فسارَ إلى دمشقَ في عَشَرةِ آلافِ فارِسٍ، فقاتَلَه سُلْطانُها وأَهْلُها؛ واستأْمَنَ إليهِ جُمْهُورُ الجُنْدِ الذينَ كانوا بها، وغُلِّقَتْ أبوابُها، واستَعْصَمُوا بالحجارةِ والنُّشّاب. فتَرَكَ بَعْضَ أَصْحابِهِ على الثلاثةِ أَبْوابِ التي تَلِي المُصَلَّى، يَشْغَلُهم بهم، ودارَ هو حتى دخلَ من الحُصْرِيِّينَ، على القَنَواتِ، حتى انتهى إلى بابِ الجابِيَةِ؛ وحالَ بينَ الوالي وبينَ المدينةِ ليأْخُذَها.

وكانَ يقدُمُ أَصْحابَهُ، فزعَمُوا أَنَّ امرأَةً دَلَّتْ على رأسِه صَخْرةً فقَتَلَتْهُ. وقالَ قومٌ: وَقعَتْ يَدُ فَرَسِه في قَناةٍ، وقَنَّعَها فشَبَّتْ به ولم يُخَلِّصْ يَدَيْها فسقَطَ، وكانَ مَكْسُورَ

الكفِّ والتَّرْقُوةِ بسَقْطَةٍ سَقَطَها عن الفَرَسِ في المَيْدانِ بعَمَّانَ وسارَ إلى دِمَشْقَ قَبْلَ الانجبارِ ؛ وذُكِرَ أنه ثارَ من سَقْطَتِه فمَشَى خَطَواتٍ ثم غُلِبَ فجَلَسَ ، وضَرَبَ بيدِه إلى قائمِ سَيْفِه وجَعَلَ يَدِبُّ حَوْلَهُ . وكانَ شَرِبَ وَقْتَ رُكوبِه سَوِيقاً ، فزَعَمَ قومٌ أنه طُرِحَ له فيه شيءٌ ، فلمّا سارَ وحَمِيَ عليه الحديدُ وازدَحَمَ الناسُ حَوْلَهُ سقط ، ولَمْ يَرَ أحَدٌ شيئاً من السِّلاحِ ولا الحِجارةِ أصابَهُ . وكَثُرَ تَعَجُّبُ الناسِ من أمْرِه ، حتى قال قومٌ : كانَ يَتَعَهَّدُه صَرْعٌ فأصابَهُ في تلك الساعة ؛ ولم يَصِحَّ لأحدٍ كيفَ قُتِلَ وانهزَمَ أصْحابُه . فقالَ أبو الطَّيِّبِ . وأنْشَدَها الأُسْتاذَ في يوم السَّبْتِ لستٍّ خَلَوْنَ من جُمادَى الآخِرةِ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثمئةٍ .

من ثالثِ الطويلِ والقافيةُ مُتَواتِرٌ : [من الطويل]

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلاكَ وَإِنَّمَا ... كَلامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

أَتَلْتَمِسُ الأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ ... قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ

رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدْرَ يُبْتَلَى ... بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ

بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ(١) ... وَكَانَا عَلَى الْعِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ: ... رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ

(١) [السيفَ كَفُّهُ]

فَإِنْ يكُ إنْسَاناً مَضَى لِسَبيلِهِ | فَإِنَّ المَنَايَا غَـايَـةُ الحيَوَانِ
وَمَا كَانَ إلاَّ النَّارَ في كُلِّ مَوْضِعٍ | تُثيرُ غُبَاراً في مَكَانِ دُخَانِ
فَنَـالَ حَيَـاةً يَشْتَهِيهَا عَـدُوُّهُ | ومَوْتاً يُشَهِّي المَوْتَ كُلَّ جَبَانِ
نَفَى وَقْعَ أطْرَافِ الرِّمَاحِ برُمْحِه | وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ
وَلَمْ يَدْرِ أنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ | مُعَارُ جَنَاحٍ مُحْسِنِ الطَّيَرَانِ
وَقَـدْ قَتَلَ الأقْـرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ | بِأَضْعَفِ قِـرْنٍ في أذَلِّ مَكَانِ
أتَتْهُ المَنَايَا في طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ | عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ
وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلاَحِ لَرَدَّهَا | بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَـاعِ جَنَانِ
تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ | عَلَى ثِقَةٍ مِـنْ دَهْـرِهِ وَأمَـانِ
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ الْتِفَافُهُ | عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ؟
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ[1] بِنَفْسِهِ | وَلَـمْ يَـدِهِ بالْجَامِلِ الْعَكَنَانِ
أتُمْسِكُ مَا أوْلَيْتَهُ يَـدُ عَاقِلٍ | وَتُمْسِكُ في كُـفْـرَانِـهِ بِعِنَانِ
وَيَرْكَبُ مَا أرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ | وَيَرْكَبُ لِلعِصْيانِ ظَهْرَ حِصَانِ؟؟
ثَنَى يَدَهُ الإحْسَانُ حَتَّى كَأنَّهَا | وَقَـدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ
وَعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ؟ | شَبِيبٌ وَأوْفَـى مَنْ تَرَى أخَوَانِ
قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أنَّـكَ أوَّلٌ | وَلَيْسَ بِقَاضٍ أنْ يُرَى لَكَ ثَانِ
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسِيَّ وَإنَّمَا | عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلاَنِ
وَمَا لَكَ تُعْنَى بالأسِنَّةِ وَالْقَنَا | وَجَـدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ؟
وَلِمْ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ | وَأنْـتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ؟

(١) [المَمَاتِ]

أَرِدْ لِيْ جَمِيلاً جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ ... فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي
لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ ... لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ(١)

وَلَمّا نَظَرَ إلى لُؤْمِ الأَسْوَدِ قالَ - ولم يُنْشِدْها أحداً -
[من ثالثِ السريعِ والقافيةُ متواتِرٌ] : [من السريع]

لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَا ... ضَيْفاً لأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَا
لَكِنَّنَا فِي الْعَيْنِ أَضْيَافُهُ ... يُوْسِعُنَا زُوراً وَبُهْتَانَا
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبْلَنَا ... أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَّانَا

وكَتَبَ إلى عَبْدِ العزيزِ بن يوسُفَ الجُداعيّ بَعْدَ هَرَبِهِ من مِصْرَ، وذلك أنه هرَبَ في سنةِ خَمْسِينَ، واجْتازَ ببِلْبِيس وبها عَبْدُ العزيزِ القَيْسِيُّ، من قَيْسِ عَيْلان، فأضافَهُ وأكْرَمَهُ وسَيَّرَهُ فقالَ يَمْدَحُهُ - من ثاني الطويلِ والقافيةُ [متدارِكٌ] - : [من الطويل]

جَزَى عَرَباً أَمْسَتْ بِبِلْبِيسَ رَبُّهَا ... بِمَسْعَاتِهَا تَقْرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا
كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلاَنَ سَاهِراً ... جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْعُلاَ وَجُفُونُهَا
وَخَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ يُوسُفٍ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ غَيْثُهَا(٢) وَمَعِينُهَا
فَتًى زَانَ فِي عَيْنَيَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ(٣) ... وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لاَ يَزِينُهَا

وقالَ يَمْدَحُ عَضُدَ الدولةِ، من أولِ الوافرِ والقافيةُ متواتر : [من الوافر]

مَغَانِيْ الشِّعْبِ طِيباً فِي الْمَغَانِي ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا ... غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ
مَلاَعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ
طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالْخَيْلَ حَتَّى ... خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ

(١) [الفلكُ الدَّوَّارُ]
(٢) [عَيْنُهَا]
(٣) [قبيلةِ]

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغْصَانُ فِيهَا[١] ... عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ
فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبْنَ الشَّمْسَ عَنِّي ... وَجِئْنَ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي ... دَنَانِيراً تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ
لَهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ ... بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلا أَوَانِ
وَأَمْوَاهٌ تَصِلُّ بِهَا حَصَاهَا ... صَلِيلَ الْحَلْيِ فِي أَيْدِي الْغَوَانِي
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي ... لَبِيقُ الثُّرْدِ[٢] صِينِيُّ الْجِفَانِ
يَلَنْجُوجِيُّ مَا رُفِعَتْ لِضَيْفٍ ... بِهِ النِّيرَانُ نَدِّيُّ الدُّخَانِ
تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ ... وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبٍ جَبَانِ
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ ... يُشَيِّعُنِي إِلَى النُّوبَنْدَجَانِ
إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ فِيهَا ... أَجَابَتْهُ أَغَانِيُّ الْقِيَانِ
وَمَنْ بِالشِّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ ... إِذَا غَنَّى وَنَاحَ إِلَى الْبَيَانِ
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي: ... «أَعَنْ هذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ؟
أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ الْمَعَاصِي ... وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ»
فَقُلْتُ: إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ
فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقٌ ... إِلَى مَنْ مَا لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِ
لَقَدْ عَلَّمْتُ نَفْسِيْ الْقَوْلَ فِيهِمْ ... كَتَعْلِيمِ الطِّرَادِ بِلاَ سِنَانِ
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ ... وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِي عَضُدٍ يَدَانِ
ولا قَبْضٌ عَلَى الْبِيضِ الْمَوَاضِي ... وَلاَ حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللِّدَانِ

(١) [فيه]
(٢) [الثَّرْدِ]

دَعَتْهُ بِمَفْزَعِ الأَعْضَاءِ مِنْهَا ... لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكْرٍ أَوْ عَوَانِ
فَمَا يُسْمِي كَفَنَّاخُسْرَ مُسْمٍ ... وَلاَ يَكْنِي كَفَنَّاخُسْرَ كَانِي
وَلاَ تُحْصَى فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ ... وَلاَ الإِخْبَارِ عَنْهُ وَلاَ العِيَانِ
أُرُوضُ النّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ ... وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ
تُذِمُّ عَلَى اللُّصُوصِ لِكُلِّ تَجْرٍ ... وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلَّ جَانِي
إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعُهُمْ ثِقَاتٍ ... دُفِعْنَ إِلَى المَحَانِيْ وَالرِّعَانِ
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلاَ صِحَابٍ ... تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ: أَمَا تَرَانِي؟
رُقَاهُ كُلُّ أَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... لِكُلِّ أَصَمَّ صِلٍّ أُفْعُوَانِ
وَمَا تُرْقَى لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ ... وَلاَ الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمَّرِيٌّ ... يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقِيْ بِالتَّفَانِي
بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ المَنَايَا ... سِوَى ضَرْبِ المَثَالِثِ وَالْمَثَانِي
كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِي الْعَنَاصِيْ ... كَسَا الْبُلْدَانَ رِيشَ الْحَيْقُطَانِ
فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا ... لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ
وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ شِبْلَيْ هِزَبْرٍ ... كَشِبْلَيْهِ وَلاَ مُهْرَيْ رِهَانِ
أَشَدَّ تَنَازُعاً لِكَرِيمِ أَصْلٍ ... وَأَشْبَهَ مَنْظَراً بِأَبٍ هِجَانِ
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعاً: ... فُلاَنٌ دَقَّ رُمْحاً فِي فُلاَنِ
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ[1] رَأَيَا المَعَالِيْ ... فَقَدْ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الأَوَانِ
وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهِمَا وَقَالاَ ... إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانِ
وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ

(١) [دَايَةٍ]

فَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْئِهِمَا وَلاَ يَتَحَاسَدَانِ
وَلاَ مَلَكَا سِوَى مُلْكِ الأَعَادِيْ وَلاَ وَرِثَا سِوَى مَنْ يَقْتُلاَنِ
وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيْسِيَانِ
دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلاَ رِئَاءٍ يُؤَدِّيهِ الْجَنَانُ إِلَى الْجَنَانِ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرِنْدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانِ
وَلَوْلاَ كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءً كَالْكَلاَمِ بِلاَ مَعَانِ

ولهُ في عبدِ العزيزِ الجُداعيّ قَبْلَ رحيلِه عن مِصْرَ،
من ثالثِ الطويل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الطويل]

لَئِنْ مَرَّ بالفُسطاطِ عَيْشِي لَقَدْ حَلاَ بِعَبْدِ العزيزِ الماجدِ الطَّرَفَيْنِ
فَتًى زانَ قَيْساً بَلْ مَعَدًّا فَعالُه وما كُلُّ ساداتِ الشُّعوبِ بِزَيْنِ
تَناوَلَ وُدِّي من بَعيدٍ فَنالَهُ، جَرَى سابِقاً في المَجْدِ ليسَ بِرَيْنِ

ولَهُ إلى الضَّبِّ الشاعر، من أوّلِ الخفيفِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الخفيف]

أَيُّ شِعْرٍ نَظَرْتُ فيهِ لِضَبٍّ أَوْحَدٍ ما لَهُ على الدَّهْرِ عَوْنُ!
كُلُّ بيتٍ يَجِيءُ يَبْرُزُ فيهِ لكَ من جَوْهَرِ الفَصاحةِ لَوْنُ
يا لكَ الوَيْلُ، ليسَ يُعجِزُ مُوسَى رَجُلٌ حَشْوَ جِلْدِهِ فِرْعَوْنُ
أنا في عَيْنِكَ الظَّلامُ كما أَنْـ ـنَ بَياضَ النَّهارِ عِندكَ جَوْنُ

وله في جعفرِ بنِ الحَسَن، من ثالثِ المتقاربِ والقافيةُ متدارِكٌ: [من المتقارب]

أَتَظْعَنُ يا قَلْبُ مَعْ مَنْ ظَعَنْ حَبِيبَيْنِ؟ أَنْدُبُ نَفْسِيْ إِذَنْ
ولِمْ لا تُصابُ وحَرْبُ البَسُو سِ بَيْنَ جُفونِي وبَيْنَ الوَسَنْ
وهَلْ أَنا بَعْدَكُما عائِشٌ وقَدْ بِنْتَ عَنِّي وبانَ السَّكَنْ؟

فِدَى ذلك الوَجْهِ بَدْرُ الدُّجى ... وذاكَ التَّثَنِّيْ تَثَنِّيْ الغُصُنْ

فما لِلفِرَاقِ وما للجَميعِ ... وما لِلرِّيَاحِ وما لِلدِّمَنْ؟

كأَنْ لم يكُنْ بَعْدَما كانَ لي ... فما كانَ لِيْ بَعْدَ أنْ لم يَكُنْ

ولَمْ يَسْقِنِيْ الراحَ مَمْزُوجةً ... بماءِ اللِّثَى لا بماءِ المُزُنْ

لها لَوْنُ خَدَّيْهِ في كَفِّه ... وريحُكَ يا جعْفَرُ بنَ الحَسَنْ

كأَنَّ المَحاسِنَ غارَتْ عليك ... فسَلَّتْ لَدَيْكَ سُيوفَ الفِتَنْ

فلَمْ يَرَكَ الناسُ إلاّ غَنُوا ... برُؤْياكَ عن قَوْلِ: هذا ابنُ مَنْ؟

ولَوْ قُصِدَ الطِّفْلُ في طَيِّئٍ ... لَشَارَكَ قاصِدَهُ في اللَّبَنْ

فما البَحْرُ في البَرِّ إلاّ نَداكَ ... وما الناسُ في الناسِ إلا اليَمَنْ

قافية الهاء

وقالَ وقد ذكرَ سيفُ الدولةِ جَدَّ أبي العشائرِ وأباهُ،
من أولِ الخفيفِ والقافيةُ متواتِرٌ: [من الخفيف]

أَغْلَبُ الْحَيِّزَيْنِ مَا كُنْتَ فِيهِ ... وَوَلِيُّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ

ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ ... دِنْيَةً دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ

وأرادَ أبو العشائرِ سَفراً فقالَ أبو الطيب عِنْدَ وَدَاعِهِ ارتجالاً،
من ثاني المنسرحِ والقافيةُ متواتر: [من المنسرح]

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ ... والدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ

وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا ... وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

أَفْدِي الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرِجٍ ... أَغْبَرَ فُرْسَانُهُ تَحَامَاهُ

أَعْلَى قَنَاةِ الْحُسَيْنِ أَوْسَطُهَا — فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلاَهُ
تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ — بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الأَصَمِّ بِهَا — أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِالْـ — ـبُعْدِ وَلَوْ نِلْنَ كُنَّ جَدْوَاهُ
لَوْ كَانَ ضَوْءُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ — لَضَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ
يَا رَاحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدِّعُهُ — مُوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ — فِيكَ مَزِيدٌ فَزَادَكَ اللَّهُ!

فَقِيلَ لأبي العشائر: «ما تُعْرَفُ إلاّ بكُنْيَتِك، وما كَنَاكَ فيها»؛
فقال ارتجالاً، والعَروضُ كالذي قَبْلَها: [من المنسرح]

قَالُوا: أَلَمْ تَكْنِهِ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: — ذَلِكَ عِيٌّ إِذَا وَصَفْنَاهُ
لاَ يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ — لَبْسِ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ
أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ — وَلَيْسَ إِلاَّ الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ

وقالَ في كافورٍ يُهَنِّئُه، وقد انتقَلَ إلى دارِ ابنِ طُولُون
في المحرم سنة سبعٍ وأربعين وثلاثمئة،
من البسيط الثاني [والقافيةُ متواتر]: [من البسيط]

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسْمَى[1] مُبَارَكَةً — دَارٌ مُبَارَكَةُ الْمَلْكِ الَّذِي فِيهَا
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُسْقَى بِسَاكِنِهَا — دَارٌ غَدَا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أَهْلِيهَا
هَذِي مَنَازِلُكَ الأُخْرَى نُهَنِّئُهَا — فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الأُولَى يُسَلِّيهَا؟
إِذَا حَلَلْتَ مَكَاناً بَعْدَ صَاحِبِهِ — جَعَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا
لاَ يُنْكِرُ الْعَقْلُ[2] مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا — فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَغَانِيهَا

(١) [تُدْعَى]
(٢) [الحِسُّ]

أَتَـمَّ سَـعْـدَكَ مَـنْ لَـقَّـاكَ أَوَّلَـهُ ... وَلاَ اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

ولمّا نَزَلَ حِسْمَى أَفْسَدَ عليه وَرْدَانُ عبيداً له،
فقال من أول الوافر والقافية متواترٌ: [من الوافر]

إنْ تَـكُ طَـيِّـئٌ كَـانَـتْ لِئَاماً ... فَـأَلأَمُـهَـا رَبِـيـعَـةُ أَوْ بَـنُـوهُ

وَإِنْ(١) تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ كِراماً ... فَـــوَرْدَانٌ لِـغَـيْـرِهِـمُ أَبُـوهُ

مَـرَرْنَـا مِنْهُ في حِسْمَى بِعَبْدٍ ... يَـمُـجُّ الـلُّـؤْمَ مَـنْـخِـرُهُ وَفُـوهُ

أَشَـذَّ بِـعِـرْسِـهِ عَـنِّـيْ عَبِيدِي ... فَـأَتْـلَـفَـهُـمْ وَمَـالِـيَ أَتْـلَـفُـوهُ

فَـإِنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي ... لَقَدْ شَقِيَتْ بِمُنْصُلِيَ الْوُجُوهُ

وقال يَمْدحُ عَضُدَ الدولةِ أبا شُجَاعٍ فنَّا خُسْرَوْ بن رُكْنِ الدولةِ أبي عليّ،
بشيرازَ في ربيع الآخِرِ - وهو أوّلُ شِعْرٍ لَقِيَهُ به -
من أول المُنْسَرِحِ والقافيةُ متواترٌ: [من المنسرح]

أَوْهِ بَـدِيْـلٌ مِـنْ قَوْلَتِيْ وَاهَـا ... لِمَنْ نَـأَتْ وَالْـبَـدِيـلُ ذِكْـرَاهَـا

أَوْهِ لِمَنْ لاَ أَرَى مَحاسِنَهَا ... وَأَصْـلُ وَاهـاً وَأَوْهِ مَـرْآهَـا

شَـامِـيَّـةٌ طَالَمَا خَـلَـوْتُ بِهَا ... تُبْصِرُ فِـي نَـاظِـرِيْ مُحَيَّاهَا

فَقَبَّلَتْ نَـاظِـرِيْ تُغَالِطُني ... وَإِنَّـمَـا قَـبَّـلَـتْ بِـهِ فَـاهَـا

فَـلَـيْـتَـهَـا لاَ تَـزَالُ آوِيَـةً ... وَلَـيْـتَـهُ لاَ يَـزَالُ مَـأْوَاهَـا

كُـلُّ جَـرِيـحٍ تُـرْجَى سَلاَمَتُهُ ... إِلاَّ فُـؤَاداً دَهَـتْـهُ عَـيْـنَـاهَـا

تَـبُـلُّ خَـدَّيَّ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... مِـنْ مَـطَـرٍ بَـرْقُـهُ ثَـنَـايَـاهَـا

مَا نَفَضَتْ فِي يَـدِيْ غَدَائِرُهَا ... جَعَلْتُهُ فِـي الْـمُـدَامِ أَفْـوَاهَـا

(١) [لَئِنْ]

فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ ... عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنَ أَشْبَاهَا
لَقِينَنَا وَالْحُمُولُ سَائِرَةٌ ... وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا
كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا ... تَقُولُ: إِيَّاكُمُ وَإِيَّاهَا
فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَماً ... إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا
أُحِبُّ حِمِصاً إِلَى خُنَاصِرَةٍ ... وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ مَحْيَاهَا
حَيْثُ الْتَقَى خَدُّهَا وَتُفَّاحُ لُبْـ ... ـنَانَ وَثَغْرِي عَلَى حُمَيَّاهَا
وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ ... شَتَوْتُ بِالصَّحْصَحَانِ مَشْتَاهَا
إِنْ أَعْشَبَتْ رَوْضَةٌ رَعَيْنَاهَا ... أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا
أَوْ عَرَضَتْ عَانَةٌ مُقَزَّعَةٌ[1] ... صِدْنَا بِأُخْرَى الْجِيَادِ أُولاَهَا
أَوْ عَبَرَتْ هَجْمَةٌ بِنَا تُرِكَتْ ... تَكُوسُ بَيْنَ الشُّرُوبِ عَقْرَاهَا
وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ ... تَجُرُّ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا
يُعْجِبُهَا قَتْلُهَا الْكُمَاةَ وَلاَ ... يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلاَهَا
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً ... وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلاَهَا
وَمَنْ مَنَايَاهُمُ بِرَاحَتِهِ ... يَأْمُرُهَا فِيهِمِ وَيَنْهَاهَا
أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الدْ ... دَوْلَةِ فَنَّاخُسْرَوْ شَهَنْشَاهَا
أَسَامِياً لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً ... وَإِنَّمَا لَذَّةً ذَكَرْنَاهَا
تَقُودُ مُسْتَحْسَنَ الْكَلاَمِ لَنَا ... كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عُظْمَاهَا
هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ ... أَنْفَسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا
لَوْ فَطِنَتْ خَيْلُهُ لِنَائِلِهِ ... لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا
لاَ تَجِدُ الْخَمْرُ فِي مَكَارِمِهِ ... إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلاَفَاهَا

(١) [مُفَزَّعَةٌ]

تُصَاحِبُ الرَّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ   فَتَسْقُطُ الرَّاحُ دُونَ أَدْنَاهَا
تَسُرُّ طَرْبَاتُهُ كَرَائِنَهُ   ثُمَّ تُزِيلُ السُّرُورَ عُقْبَاهَا
بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلْوِلَةٍ   قَاطِعَةٍ زِيرَهَا وَمَثْنَاهَا
تَعُومُ عَوْمَ الْقَذَاةِ فِي زَبَدٍ   مِنْ جُودِ كَفِّ الأَمِيرِ يَغْشَاهَا
تُشْرِقُ تِيجَانُهُ بِغُرَّتِهِ   إِشْرَاقَ أَلْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا
دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا   وَنَفْسُهُ تَسْتَقِلُّ دُنْيَاهَا
تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ   مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا
فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ   أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا
وَصَارَتِ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً   تَعْثُرُ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا
وَدَارَتِ النَّيِّرَاتُ فِي فَلَكٍ   تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لأَبْهَاهَا
الْفَارِسُ الْمُتَّقَى السِّلاَحُ بِهِ الْـ   ـمُثْنِي عَلَيْهِ الْوَغَى وَخَيْلاَهَا
لَوْ أَنْكَرَتْ مِنْ حَيَائِهَا يَدُهُ   فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا   وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سِيمَاهَا؟
الْوَاسِعُ الْعُذْرِ أَنْ يَتِيهَ عَلَى الدْ   دُنْيَا وَأَبْنَائِهَا وَمَا تَاهَا
لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ   لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا
كَالشَّمْسِ لاَ تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ   مَنْفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلاَ جَاهَا
وَلِّ السَّلاَطِينَ مَنْ تَوَلاَّهَا   وَالْجَأْ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا
وَلاَ تَغُرَّنَّكَ الإِمَارَةُ فِي   غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ بِهَا بَاهَى
فَإِنَّمَا المَلْكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ   قَدْ فَغَمَ الْخَافِقَيْنِ رَيَّاهَا
مُبْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ   سِلْمُ الْعِدَا عِنْدَهُ كَهَيْجَاهَا

النَّـــاسُ كَـالْـعَـابِـدِيـنَ آلِـهَـةً وَعَــبْـــدُهُ كَـالْـمُـوَحِّـدِ الـلّـهَ

قافية الياء

وقال يَمدَح كافوراً، وهو أوّلُ شِعرٍ لَقِيَه به، بَعْدَ فِراقِه سَيْفَ الدولة، في جُمادى الآخرة سَنةَ ستٍّ وأربعينَ وثلاثمئة، من ثاني الطويل والقافيةُ متدارِكٌ: [من الطويل]

كَفى بِكَ داءً أَنْ تَرى الْمَوْتَ شافِيا وَحَسْبُ الْمَنايا أَنْ يَكُنَّ أَمانِيا
تَمنَّيْتَها لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرى صَدِيقاً فَأَعْيا أَوْ عَدُوًّا مُداجِيا
إذا كُنْتَ تَرضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلا تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسامَ الْيَمانِيا
وَلا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّماحَ لِغارَةٍ وَلا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتاقَ الْمَذاكِيا
فَما يَنْفَعُ الأُسْدَ الْحَياءُ مِنَ الطَّوى وَلا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوارِيا
حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأى وَقَدْ كانَ غَدَّاراً فَكُنْ أَنْتَ وافِيا
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُؤادِيْ إنْ رَأَيْتُكَ شاكِيا
فَـإِنَّ دُمُـوعَ الْعَيْنِ غُـدْرٌ بِرَبِّها إذا كُنَّ إثْـرَ الْغادِرِينَ جَوارِيا
إذا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاصاً مِنَ الأَذى فَلا الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلا الْمالُ باقِيا
وَلِلنَّفْسِ أَخْلاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتى أَكـانَ سَخاءً ما أَتى أَمْ تَساخِيا
أَقِلَّ اشْتِياقاً أَيُّها الْقَلْبُ، رُبَّما[1] رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جازِيا
خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ[2] إلى الصِّبا لَفارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ باكِيا
وَلكِنَّ بِالْفُسْطاطِ بَحْراً أَزَرْتُـهُ حَياتِيْ وَنُصْحِيْ وَالْهَوى وَالْقَوافِيا
وَجُـرْداً مَدَدْنا بَيْنَ آذانِها الْقَنا فَبِتْنَ خِفافاً يَتَّبِعْنَ الْعَوالِيا

(١) [إِنَّمَا]
(٢) [رَجَعْتُ]

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا … نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُزَاةِ حَوَافِيَا
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى … يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا
وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا … يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً … كَأَنَّ عَلَى الأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا
بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرْجِ رَاكِباً … بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِيَا
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ … وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ … وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا
نَجُوزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي … نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا
فَتًى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا … إِلَى عَصْرِهِ إِلاَّ نُرَجِّي التَّلاَقِيَا
تَرَفَّعَ عَنْ عُوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ … فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلاَتِ إِلاَّ عَذَارِيَا
يُبِيدُ عَدَاوَاتِ الْبُغَاةِ بِلُطْفِهِ … فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الأَعَادِيَا
أَبَا الْمِسْكِ، ذَا الْوَجْهُ الذِي كُنْتُ تَائِقاً … إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا
لَقِيتُ الْمَرَوْرَى وَالشَّنَاخِيبَ دُونَهُ … وَجُبْتُ هَجِيراً يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيَا
أَبَا كُلِّ طِيبٍ لاَ أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَهُ … وَكُلَّ(١) سَحَابٍ، لاَ أَخُصُّ الْغَوَادِيَا
يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ … وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا
إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى … فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا
وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ … فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا
فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا … لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ … يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

(١) [وكُلِّ]

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ المُلْكَ بِالْمُنَى   وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا   وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا
لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنَّمَا   تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ   يُؤَدِّيكَ غَضْبَاناً وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا
وَمُخْتَرَطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِراً   وَيَعْصِي إِذَا اسْتَثْنَيْتَ أَوْ كُنْتَ نَاهِيَا
وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً   وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الخَيْلَ سَاقِيَا
كَتَائِبَ مَا انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِراً   مِنَ الأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا
غَزَوْتَ بِهَا دُورَ(١) المُلُوكِ فَبَاشَرَتْ   سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الأَسِنَّةَ أَوَّلاً   وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا
إِذَا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ   فَسَيْفُكَ فِي كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا
وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ:   فِدَى ابْنِ(٢) أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا
مَدًى بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ   وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا
دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى المَجْدِ وَالْعُلَا   وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ   ـ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ ـ نَائِيَا

وَدَخَلَ عليهِ بَعْدَ إنْشادِ هذه القصيدة فابتسمَ له الأَسْوَدُ، ونَهَضَ فرأى شُقوقاً برِجْلَيهِ، فقال من البحر والقافية: [من الطويل]

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا   وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا
أَمِيناً وَإِخْلَافاً وَغَدْراً وَخِسَّةً   وَجُبْناً، أَشَخْصاً لُحْتَ لِي أَمْ مَخَازِيَا؟
تَظُنُّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِبْطَةً   وَمَا أَنَا إِلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا

(١) [دُوْنَ]
(٢) [فَدَى ابْنَ]

وَتُعْجِبُنِيْ رِجْلاكَ في النَّعلِ، إنَّني ... رَأَيْتُكَ ذا نَعلٍ إذا كُنْتَ حافِيا!
وَإنَّكَ لا تَدْري أَلَوْنُكَ أَسْوَدٌ ... مِنَ الجَهلِ أَمْ قَدْ صارَ أَبْيَضَ صافِيا
وَيُذْكِرُنِيْ تَخْييطُ كَعْبِكَ شَقَّهُ ... وَمَشْيَكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عارِيا
وَلَوْلا فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مادِحاً ... بِما كُنْتُ في سِرِّيْ بِهِ لَكَ هاجِيا
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُوراً بِما أَنا مُنْشِدٌ ... وَإنْ كانَ بالإنْشادِ هَجْوُكَ غالِيا
فإنْ كُنْتَ لا خَيْراً أَفَدْتَ فإنَّني ... أَفَدْتُ بِلَحْظِيْ مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيا
وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ ... لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدادِ[1] البَواكِيا

وقال أيضاً يَمْدَحُ سيفَ الدولة، من ثاني الكامل والقافيةُ متواتِرٌ: [من الكامل]

يا سَيْفَ دولةِ ذي الجَلالِ وَمَنْ لَهُ ... خَيْرُ الخَلائفِ والأَنامِ سَمِيُّ
أَوَما تَرَى صِفِّينَ كيفَ أَتَيْتَها ... فانْجابَ عنها العَسْكَرُ الغَرْبِيُّ
فكأَنَّهُ جَيْشُ ابنِ حَرْبٍ رُعْتَهُ ... حتى كأنَّكَ يا عَلِيُّ عَلِيُّ

تَمَّ شِعْرُ أبي الطَّيِّبِ بزياداته، والحمدُ للهِ كما هو أَهْلُه.
نَقَلْتُ هذا الديوانَ من نُسْخَتَيْنِ: إحْداهما بخَطِّ رَجاءِ بنِ الحَسَنِ بنِ المَرْزُبان، وقد صُحِّحَتْ على عِدَّةِ أُصُول؛ إحْداهُما مَقْرُوءَةٌ على أَبي الطَّيِّب، ومقروءةٌ أيضاً على ابنِ جِنّيّ وفيها تصحيحاتُه بخَطِّ يَدِه، والأُخْرى على كُلِّ قَصِيدةٍ ومقطوعةٍ منها خَطُّ المتنبّي: صَحَّ. وقابلتُ بها ثلاثةَ أُصول بعدَ مُقابَلَتِي بها الأَصْلَينِ المَنْقُولَ منهما، أَحَدُ الأُصُولِ الثلاثةِ بخَطِّ عليِّ بنِ عبدِ الرحيمِ السُّلَمِيِّ الرَّقّيّ، وهي مَنْقُولَةٌ من

(١) [الحِجال]

خطِّ الأَرْزَنِيّ. فكانَ في أوّلِ نُسْخَةِ الأرزنيّ بخطِّه: قال عليُّ بنُ حَمْزَةَ البصْرِيُّ: سألتُ أبا الطَّيِّبِ أحْمَدَ بنَ الحُسَيْنِ المتنبّيَ عنْ مَوْلدِه فقال: «وُلِدْتُ بالكوفةِ في كِنْدَةَ سنةَ ثَلاثٍ وثلاثمئة ـ وهذا على جِهَةِ التقريبِ لا التحقيق ـ ونَشأْتُ بالبادِيَةِ والشام»؛ قال: وقال أبو الطَّيِّب الشِّعْرَ صَبِيًّا، فمِنْ أوّلِ قولِه في الصِّبا: [من البسيط]

أَبْلَى الهَوَى أَسَفاً يومَ النَّوَى بَدَنِي ... وفرَّقَ الهَجْرُ بَيْنَ الجَفْنِ والوَسَنِ

وقَدْ عارَضَ الرَّقِّيُّ بنُسْخَتِه عِدَّةَ أُصول، أَحدُها نُسْخَةُ علي بنِ السارَبانِ الكاتب، والأَصْلُ الثاني المعارَضُ به: نُسْخَةُ الشيخ تاجِ الدين الكِنْدِيّ بخطِّ ابنِ جَريرٍ المِصْرِيّ؛ وقد اعْتَنَى بتَصْحيحِها عِنايةً لا تُحْكَى، وصَحَّحَ على كُلِّ مَوْضعٍ مُشْكِلٍ فيها وعلى كُلِّ موضعٍ اختلَفَتْ الرِّوايةُ فيه. والأَصلُ الثالثُ نُسْخَةٌ عَتيقةٌ عليها عِدَّةُ طَبقاتِ سَماعٍ مَنْقولةٌ من خَطِّ الرَّبَعيّ: «وبَذَلْتُ الوُسْعَ في ذلك فصَحَّتْ بحَمْدِ اللهِ ومَنِّه، وكَتَبَ عَبْدُ العزيزِ بنُ عبدِ الرَّحْمن ابنِ مَكِّيّ البَزّازُ البَغْداديّ، بمدينةِ دِمَشْقَ حرَسَها اللهُ تَعالى، في شُهورِ سنةِ خَمْسَ عَشْرةَ وسِتِّمئة، حامداً للهِ على نِعَمِه، ومُصَلّياً على رسولِه محمَّدٍ وآلِه وصَحْبِه ومُسَلّماً».

وكانَ في آخِرِ نُسْخَةِ الرَّقّيِّ حِكايةُ ما كانَ مكتوباً في

آخِرِ نُسْخَةِ السَّمَاعِ، ما صُورَتُه وحِكايَتُه: وكانَ في آخِرِ نُسْخَةِ عَلِيِّ بن عِيْسَى الرَّبَعيِّ الذي عارَضْتُ به هذه النُّسْخَةَ، بخَطِّه: إِنِّي قابَلْتُ به خَمْسَ عَشْرَةَ نُسْخَةً، وعوَّلْتُ على كتابِ ابْنِ حَمْزَةَ لأَنَّه وافقَ حِفْظِي من بَيْنِها؛ وذكرَ عليُّ بنُ حَمْزَةَ أَنَّ القصيدةَ الكافيَّةَ آخِرُ قصيدةٍ قالَها أبو الطيب. قال: وكَتَبْتُها والذي قَبْلَها منه بِواسِطٍ يومَ السَّبْتِ لثلاثَ عَشْرَةَ ليلةً بَقِينَ من شَهْرِ رَمَضانَ سنةَ أربعٍ وخَمْسِينَ؛ وسارَ عنها فَقُتِلَ بِبَيْزَعَ، قَتَلَتْهُ بَنُو أَسَدٍ وابْنُهُ وأَحَدَ غِلْمانِه وأَخَذُوا مالَهُ، يومَ الأَربعاءِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتا منه.

والذي تولى قَتْلَهُ منهم: فاتِكُ بنُ أبي الجَهْلِ بنِ فِراسِ ابنِ بَدادٍ، وكانَ من قولِه له: «قُبْحاً لهذه اللحيةِ يا سَبّابُ»؛ وذلك أَنَّ فاتكاً هذا قرابةٌ لضَبَّةَ بنِ يزِيدَ العُتْبيِّ الذي هَجاهُ المتنبي بقَوْلِه: [من المجتث]

ما أَنْصَفَ القَوْمُ ضَبَّهْ

وهي من سَخيفِ شِعْرِه، فكانَ سَبَبَ قَتْلِه وذَهَبَ دَمُه فِرْغاً.

قالَ: وفي نُسْخَةٍ أُخْرَى أنه سارَ من حَضْرةِ عَضُدِ الدولةِ ومَعَهُ خَيْلٌ مُخْتارَةٌ ومَطَايَا مُنْتَخَبَةٌ، مُوْقَرَةٌ بالعَيْنِ والوَرِقِ وفاخِرِ الكُسا وطَرائفِ التُّحفِ وغَرائبِ الأَلْطَافِ، يُغِذُّ السَّيْرَ بنَفْسِه وعَبيدِه، وعَيْنُ أَعْدائِه تَرْمُقُه، وأَخْبارُهُ إلى كُلِّ بَلَدٍ تَسْبِقُه؛ حتى إذا

كانَ حِيالَ الصافيَةِ من الجانبِ الغَرْبيّ من سَوادِ بَغْدادَ ، عَرَضَ له فاتكُ بنُ أَبي الجَهْل الأَسَديُّ في عِدّةٍ من أصْحابِهِ فاغْتالَهُ هُناكَ ، وقتَلَهُ وابْنَهُ مُحَسَّداً وغُلاماً له يُدْعى مُفْلِحاً ، وأخذَ جميعَ ما كانَ معَهُ ، لستِّ ليالٍ بقينَ من شَهْرِ رَمَضانَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وثلاثمئة . ووَجَدْتُ في أوّلِ نُسْخَةِ عليّ بنِ عِيسى : أنّه وُلِدَ أبو الطيب ، أحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ ابنِ الحَسَنِ المتنبّي بالكوفةِ في كِنْدَةَ ، سنةَ ثلاثٍ وثلاثمئة ، على التقريب لا على التحقيق ؛ ونَشَأَ بالشّام والباديَة ، وقالَ الشِّعْرَ في صِباهُ ، فمِنْ أوّلِ قولِه ممّا نُسِخَ من نُسْخَتِه وقُرِأَتُ عليه : «أبْلى الهَوى أَسَفاً» . وذَكَرَ بَعْدَهُ : «قال : وقَدْ مَرَّ برجُلينِ قدْ قَتَلا جُرَذاً وأَبْرَزاهُ يُعَجِّبانِ النّاسَ من كِبَرِه ، فقالَ لَهما : [من المتقارب]

لَقَدْ أصْبَحَ الجُرَذُ المُسْتَغيرُ ... صَرِيعَ المَنايا أسِيرَ العَطَبْ
رَمَـاهُ الكِنَـانيُّ والمالكِيُّ ... وتَـلّاهُ للوَجْهِ فِعْلَ العَرَبْ
كِـلاَ الرجُلينِ اتَّـلَـى قَتْلَهُ ... فأيُّكُما غَـلَّ حُـرَّ السَّلَبْ؟
وأَيُّـكُـمـا كـانَ مِـنْ خَلْفِه ... فـإنَّ بـهِ عَـضّـةً في الـذَّنَـبْ!»

ولم يكُنْ عَلِيُّ بنُ عِيسَى يَرْوِي هذه القطْعة . ووَجَدْتُ في آخِرِ النُّسْخَةِ أيضاً ـ لَسْتُ أَدْري بخطِّ مَنْ هُوَ ـ : «وله عند اجتيازه برامَهُرْمُزَ ، إلى أبي الفَضْلِ عبدِ الرَّحْمن بن الحُسَيْنِ الغنْدَجانيّ ، جَوابٌ عن كِتابٍ : [من الطويل]

أَيَرْحَمُ بَعْدَ النَّأْيِ قُرْبٌ ولَمْ أَجِدْ   من الوَصْلِ ما يَشْفِي الفُؤادَ مِنَ الوَجْدِ
ولَمْ تكْتَحِلْ عَيْنايَ منكُمْ بنَظْرةٍ   يَعُودُ بها نَحْسُ الفِراقِ إلى السَّعْدِ
فَلِيْ لَحظاتٌ في الفُؤادِ بمُقْلة   من الشَّوْقِ تَرْمِيكُمْ(١) كأَنَّكُمُ عِنْدِي
إذَا هاجَ ما في القَلْبِ للقَلْبِ وَحْشَةً   فَزِعْتُ إلى أَمْرِ التذكُّرِ من بُعْدِ

وأنا أَسْتَغْفِرُ اللهَ عزَّ وجَلَّ من جَميعِ السَّقَطِ في هذا الديوان، وأُنِيبُ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ منه. وذلكَ في صَفَرٍ سنةَ تِسْعٍ وأربعمئة. وكانَ الفَراغُ من نَسْخِه في أوائلِ شَهْرِ صَفَرٍ من شُهورِ سَنةِ ثَمانٍ وثلاثِينَ بَعْدَ الأَلْفِ، أَحْسَنَ اللهُ خِتَامَها بمحمَّدٍ وآلِه، آمِين.

(١) [تُرْئِيكُمْ]

إصدارات
esdarat
دار الكتب الوطنية

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY